موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

التربية الاسلامية

تربية الاولاد في الاسلام2008

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (01-36) : تمهيد - رعاية الأولاد واجب ديني

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 23-02-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

الأولاد زينة الحياة الدنيا:

بادئ ذي بدء: الأطفال غراس الحياة، قطوف الأمل، قرة العين، زهور الأمة، براعم الأمة، هم البشرى:

(يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ)

(سورة مريم الآية: 7)

هم قرة العين:

(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً)

(سورة الفرقان)

هم المحبة، هم المودة والرحمة:

(وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)

(سورة الروم الآية: 21)

قال العلماء: المودة والرحمة هم الأولاد، هم زينة الحياة الدنيا.

(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

(سورة الكهف الآية: 46)

رعاية الأولاد واجب ديني لأن محبة الآباء والأمهات لأولادهم هي محبة الله:

لذلك أيها الأخوة، رعاية الأولاد واجب ديني، محبتهم قربة إلى الله، لأنهم أحباب الله.

ناك قصة رمزية للتوضيح نبي كريم مرّ بامرأة تخبز على التنور، وقد وضعت ابنها على إحدى طرفي التنور، وكلما وضعت الرغيف في التنور ضمت هذا الصغير وشمته وقبلته، تعجب هذا النبي، قال: يا رب ما هذه الرحمة ! هي رحمة الله عز وجل، والله عز وجل قال: سأنزعها، فلما نزع الرحمة من قلب الأم بكى هذا الطفل فألقته في التنور.

لذلك محبة الآباء والأمهات لأولادهم هي محبة الله.

(وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي)

(سورة طه الآية: 39)

هذا كلام دقيق جداً، الحب الذي يمتلئ به قلب الأم، والذي يمتلئ به قلب الأب هي محبة الله لهذا الإنسان، أودعها في قلب أمه وأبيه، فلذلك الأطفال أحباب الله، ومحبتهم قربة إلى الله، ورعايتهم واجب ديني، الآن الآية الكريمة:

(لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ)

(سورة البلد)

نظام الأبوة والبنوة أكبر مثال نتعرف من خلاله إلى الله:

نظام الأبوة والبنوة أكبر مثال نتعرف من خلاله إلى الله، كيف في إنسان همه الأول سعادة ابنه، وهو ليس محتاجاً له أبداً، همه الأول تفوق ابنه، همه الأول صحة ابنه، همه الأول سعادة ابنه، كيف أن في بني البشر الأب والأم لا شيء عندهما أقرب إلى قلبيهما من الابن، يبذلان من أجله الغالي والرخيص، والنفس والنفيس، تجوع الأم ليشبع ابنها، تخاف ليطمئن.

على كل نظام الكون من خلال الوالد والولد يعرفنا بالله عز وجل، للتقريب: الأم كيف أنها لا تنام الليل من أجل ابنها، وإذا مرض ابنها تكاد تموت قلقاً عليه ؟ هذه رحمة أودعها الله في قلب الأم، فكيف بصاحب الرحمة ؟ دقق:

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

(سورة آل عمران الآية: 159)

(وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ)

(سورة الكهف الآية: 58)

أرحم الخلق بالخلق رسول الله، ومع ذلك جاءت الرحمة في الآية نكرة

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

(وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ)

لآية الكريمة

(لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ)

ظام الأبوة من البنوة.

الله عز وجل ما خلق الإنسان إلا ليرحمه:

أكبر تعريف برحمة الله ورعايته، الآية الكريمة:

(إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)

(سورة هود الآية: 119)

خلقهم ليرحمهم، الآن الآية الثانية:

(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ)

(سورة النساء الآية: 11)

نحن في القرآن الكريم الآية لها سياق، ولها سباق، ولها لحاق، لكنك إذا نزعت الآية من سياقها تشير إلى حقيقة ثانية، فوق الزمان والمكان.

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

(سورة الطلاق)

هذه الآية وردت في سورة الطلاق، معناها السياقي أنه من يتق الله في تطليق امرأته طلقها طلقة واحدة

(يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

إلى إرجاعها، من طلقها طلاقاً سنياً طلقة واحدة

(يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

إلى إرجاعها، انزع هذه الآية من سياقها، هي آية تشير إلى حقيقة ثابتة

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ)

في كسب ماله،

(يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

من إتلافه

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ)

في تربية أولاده يجعل الله له مخرجاً من عقوقهم

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ)

في كسب ماله

(يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

في اختيار زوجته، يمكن أن تكتب حول هذه الآية مجلدات.

نُزعت هذه الآية من سياقها فإذا هي قانون عام.

والآية هذه أتت في موضوع المواريث، انزعها من سياقها

(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ)

خالق السماوات والأرض، يوصينا بأولادنا.

شقاء الأب و الأم بشقاء أولادهما:

والله أيها الأخوة، كلمة لعلها مؤلمة لكن الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح، لم يبقَ في أيدي المسلمين من ورقة رابحة إلا أولادهم، ومهما جمعت من أموال ومهما ارتقيت إلى مناصب، ومهما ارتقيت إلى مدارج الرقي، إن لم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس.

لذلك الآية الكريمة في قوله تعالى:

(فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ)

(سورة طه الآية: 117)

آدم وحواء

(فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ)

(الْجَنَّةِ فَتَشْقَى)

(سورة طه)

بحسب قواعد اللغة: فتشقيا

(فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ)

الآية

(فَتَشْقَى)

أما السياق فتشقيا، ماذا قال علماء التفسير ؟ قال: هذا إيجاز بليغ، لأن شقاء الرجل شقاء حكمي لزوجته،

(فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى)

يقاس على ذلك الأب والأم يشقيان بشقاء أولادهما، والله الذي لا إله إلا هو أحياناً يأتيني اتصال هاتفي الأم أو الأب يكادان يموتان من الألم لانحراف ولدهما.

أعظم كسب الرجل تربية أولاده تربية صالحة:

أيها الأب: أيتها الأم: إن رأيتِ، أو إن أردت حالة نفسية لا توصف من شدة ما فيها من سعادة هي قرة العين، الآية الكريمة

(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً)

هذا العمل العظيم تربية الأولاد جزاؤه في الدنيا قبل الآخرة، في الآخرة جزاء عظيم ما جزاؤه ؟

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ)

(سورة الطور الآية: 21)

يعني أعمال ذريتهم ألحقناها بهم، إن ربيت ولداً صالحاً كل أعماله الصالحة في صحيفتك، الآن كل أعمال أولاده في صحيفتك، كل أعمال أولاد أولاده في صحيفتك، كل أعمال ذريته إلى يوم القيامة في صحيفتك، لذلك:

((أفضل كسب الرجل ولده))

[أخرجه الطبراني عن أبو بردة بن نيار].

أعظم أنواع الكسب أن تعتني بابنٍ يكون صالحاً من بعدك.

الإنسان بالاستقامة يسلم وبالعمل الصالح يسعد وبتربية أولاده يستمر وجوده:

ذكرت لكم من قبل أن الإنسان مفطور على حبّ وجوده، وعلى حبّ سلامة وجوده، وعلى حبّ كمال وجوده، وعلى حبّ استمرار وجوده، سلامة وجودك بطاعة الله والطاعة دائماً في الأعم الأغلب سلبية، أنا ما كذبت، ما، أنا ما اغتبت، أنا ما قصرت الاستقامة طابعها سلبي، تحقق السلامة، ولكن العمل الصالح طابعه إيجابي، يحقق السعادة الاستقامة تبدأ بما، أما العمل الصالح يبدأ، ببذلت، أعطيت، ضحيت، خدمت، أنفقت دللت، أنت بالاستقامة تسلم، وبالعمل الصالح تسعد، وبتربية الأولاد يستمر وجودك.

والله مرة توفي عالم جليل، وفي آخر أيام التعزية وقف ابنه وخطب خطبة رائعة فتأثرت تأثراً بالغاً وقلت: إذاً لم يمت **!** ما دام ربى ابنه ليكون على شاكلته، يكون داعية إلى الله إذاً لم يمت **!**.

أنت بالاستقامة تسلم، وبالعمل الصالح تسعد، وبتربية أولادك يستمر وجودك لذلك في الحديث الشريف:

((إن أولادَكُم مِنْ أطْيَبِ كَسْبِكُم))

[أخرجه أبو داود.عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

لكن يحتاج إلى وقت، يحتاج أن يكون ابنك معك، أن تلزم ولدك، أن توجهه، العمل الذي يمتص كل وقتك هو خسارة، ألغى أبوتك، ألغى تربيتك لأولادك، ألغى توجيهك لهم.

أعظم عمل تقوم به أن تربي ابنك تربية إيمانية أخلاقية:

أكدت لكم كثيراً أن النجاح في الحياة لا يمكن أن يكون جزيئاً، لا تعدّ ناجحاً في الحياة إذا حصّلت دخلاً كبيراً، وأهملت أولادك، لا تعدّ ناجحاً في الحياة إذا حصلت دخلاً كبيراً وأهملت عملك، لا تعدّ ناجحاً إذا اعتنيت بأولادك وقصرت مع ربك، النجاح في الحياة لابد من أن يكون شمولياً، أن تنجح في علاقتك مع الله، وعلاقتك مع زوجتك وأولادك، وعلاقتك مع عملك، وعلاقتك مع صحتك.

((إن أولادَكُم مِنْ أطْيَبِ كَسْبِكُم))

[أخرجه أبو داود.عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

والله لا أبالغ، أعظم عمل تقوم به أن تربي ابنك تربية إيمانية أخلاقية، علمية نفسية، اجتماعية، جسمية، أن تربي ابنك هذه التربية إذاً هو قرة عينك.

والله مرة قلت لأب ابنه عندنا في المسجد لكن صالح جداً، متفوق في دراسته، أخلاقه عالية، ويتابع القرآن الكريم وطلب العلم، قلت له: والله هذا الابن بالمقياس المادي يسوى مئة مليار دولار، لو معك مئة مليار هذا الابن أغنى من هذا المبلغ، ولو كنت في الكفاف، وعندك هذا الابن ما خسرت شيئاً.

تربية أولادنا فرض عين علينا:

إذاً

(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ)

إله عظيم يقول:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)

(سورة التحريم الآية: 6)

تربية الأولاد بحسب هذه الآية فرض عين، (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)، ورد في بعض الآثار: أن البنت التي لا يربيها أبوها، قد تتفلت، وقد تستحق النار يوم القيامة، تقف هذه البنت أمام رب العزة، تقول له: يا رب لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي، لأنه كان سبب شقائي. فبين أن ترقى إلى أعلى عليين، وبين أن يسقط الإنسان في أسفل سافلين بتربية أولاده.

ينبغي على كل إنسان أن يعتني بتربية أولاده بشرط ألا ينسى استقامته و إيمانه:

أيها الأخوة

(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)

وبالمقابل:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ)

(سورة المنافقون الآية: 9)

هذه الآية تؤكد المعنى الشمولي

(لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ)

ينبغي أن تربي أولادك، الله عز وجل يوصيك بهم، وينبغي أن تعتني بإيمانك واستقامتك وعملك الصالح.

من أهمل دين ابنه و عقيدته كأنه قتله

نحن إذا ذكرنا كلمة قتل يقفز إلى أذهاننا هو الذبح، لا، قال تعالى:

(وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ)

(سورة البقرة الآية: 191)

هذه البنت البريئة التي وئدت في الجاهلية، ما مصيرها ؟ إلى الجنة، مع أنها وئدت، والله عز وجل يقول:

(وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)

(سورة التكوير)

واستناداً إلى قوله تعالى:

(وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ)

معنى ذلك إن لم تربِ ابنتك، وتفلتت، وعرضت مفاتنها، ولم تكن منضبطة بمنهج الله، أنت بهذا قتلتها والدليل

(وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ)

لذلك الآية الكريمة:

(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ)

(سورة الأنعام الآية: 151)

الإملاق هو الفقر، قد نفهم هذه الآية بالمعنى الواسع، يعني من أجل تأمين دخل كبير لا تهتم بدينه، لا تهتم بعقيدته، قد ترسله إلى بلد يعود كافراً بدينه و بأمته، من أجل أن يحصّل دخلاً كبيراً، وهذا مزلق خطير يقع به الآباء من أجل دنيا أبنائهم، قد يكون محل فيه فتنة، فيه فساد، فيه اختلاط، فيه انحراف، في بلد بعيد، قد يأتي وقد ارتكب الفواحش ترى الأب لا يهتم بدين ابنه، كما يهتم بدخله وعمله، هذا مزلق خطير في حياة المسلمين، قد يفهم هذا المعنى من قوله تعالى

(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ)

لأن:

(وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ)

فأنت حينما تهمل دينه، وعقيدته، وتهمل استقامته، ولا يعنيك طهارته، أو انحرافه كأنك قتلته

(وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ)

الابن هدية من الله فينبغي أن نعتني بها:

أيها الأخوة، شيء آخر:

((إن أولادكم هبة الله لكم))

[أخرجه الحاكم عن عائشة رضي الله تعالى عنها]

هبة الله ثمينة جداً، أنا والله في الثلاثين عام الماضية، ما أفتيت بإسقاط، ولو كان ضمن الأربعين يوماً، أقول هذا هدية من الله، قد يكون هذا الابن مصلحاً كبيراً، أو داعية كبيراً، أو عالماً جليلاً، الابن هدية من الله، والهدية ينبغي أن يُعتنى بها.

((إن أولادكم هبة الله لكم))

الدليل:

(وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ)

(سورة الأنعام الآية: 84)

(وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى)

(سورة الأنبياء الآية: 90)

(وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ)

(سورة ص الآية: 30)

الهبة فضل من الله عز وجل، إذا أب عنده ابن صالح، يقول لك: والله ما اعتنيت به كثيراً، لكن هو صالح، هو صاحب دين، اسجد لله، واشكر الله عز وجل أن وهب لك ولداً صالحاً، فكم من إنسان منضبط، وعالم، وعامل، ومتفوق، له ابن ليس كما يريد

(وَوَهَبْنَا لَهُ)

هذا معنى آخر، أي إذا ابنك صالح جداً لا تنسب صلاحه إليك انسب صلاحه إلى أن الله عز وجل تفضل عليك، بهذا الابن الصالح.

الابن الصالح يغمر قلب والديه بسعادة لا توصف:

والله أيها الأخوة، لا أبالغ ما من شعور يغمر قلب الأب والأم لدرجة أنهما يسعدان بهذا الشعور كأن يرى الأب أو الأم ابنهما صالحاً.

والله امرأة في لوس أنجلوس كان في مؤتمر إسلامي كبير ألقيت كلمة، ولما انتهت كلمتي اقتربت مني امرأة محجبة، قالت لي: أنا أخت فلان، فلان صديقي في الشام قلت: أهلاً وسهلاً، فإذا هي تنفجر بالبكاء، قلت: خير إن شاء الله ؟! قالت: ابنتي راقصة و ابني ملحد.
لذلك قد تجد في بلاد الغرب رخاء، ودخلاً فلكياً، وبلاداً جميلة، لكن تخسر شيئاً واحداً، تخسر أولادك.
أيها الأخوة، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ))

[أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك]

أيعقل أن ينزل النبي من على المنبر وهو يخطب ليحمل الحسن والحسين، ويتابع الخطبة ؟ أيعقل أن النبي في أثناء السجود يرتحل الحسن ظهر النبي، فيطيل السجود إكراماً له ؟ كان إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً، كان يقول:

((أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ))

[أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك]

((من كان له صبي فليتصابَ له))

[من الجامع الصغير: عن " أبي معاوية "]

سيد العالمين، سيد المرسلين، في البيت يلاعب أحفاده، يمتطون ظهره، هل رأيت أباً كهذا الأب ؟.

على كل إنسان أن يعدل بين أولاده في كل شيء:

من توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام:

((اتقوا الله، واعْدِلُوا في أولادكم))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عنى النعمان بن البشير]

والله أيها الأخوة، ينبغي أن تعدل بين أولادك حتى في القبل، حتى في الابتسامة أحياناً الأب دون أن يشعر يعتني بأحد أولاده، يكون على ذكاء لا بأس به، أو على وجه نير وقد يتجهم بولد آخر، هل تدري أيها الأب أنك حطمت الثاني، وأنك عقدته، وأنك أصبته بأمراض، وأنه يموت ولا ينسى هذا الموقف ؟ أنا أتمنى على الأب المؤمن أن يعدل بين أولاده حتى في القبل، حتى في الابتسامة، طبعاً باللبس، والطعام، والشراب، والمال شيء بديهي وقطعي، أما بالأشياء التي تظنها لا شيء، في القبلة، ابن حملته، الثاني ما حملته، ابن ضممته، الثاني ما ضممته، ابن ابتسمت له، والثاني ما ابتسمت له، لمَ هذه التفرقة ؟.

((واعْدِلُوا في أولادكم))

[متفق عليه عن النعمان بن بشير]

ولو في القبل.

يا رسول الله ! اشهد أني نحلت ابني هذا شيئاً (حديقة) قال: ألك ولد آخر ؟ قال: نعم، قال: هل نحلته مثل ما نحلت هذا ؟ قال: لا، قال: أشهد غيري فإني لا أشهد على جور، والله رُفعت إليّ مشكلة، أن أباً توفاه الله عز وجل، ترك ألف مليون، أحد أولاده يعمل على شاحنة، والثاني 80 محضر باسمه، والله ! لكن الثاني صالح، فأعطى أخاه حقه بالتمام والكمال.

((إن الرجل ليعبد الله ستين عاماً ثم يضر في الوصية فتجب له النار))

[ورد في الأثر]

((اتقوا الله، واعْدِلُوا في أولادكم))

وفي حديث آخر:

((سووا بين أولادكم في العطية))

[أخرجه الحارث عن عبد الله بن عباس]

بطولة الإنسان لا أن ينتزع احترامه من أولاده بل أن يحبه أولاده:

لكن في حديث آخر، يقول عليه الصلاة والسلام:

((أعينوا أولادكم على البر))

[أخرجه الطبراني عن أبي هريرة].

رحم الله والداً أعان ولده على بره، يجعله يعمل معه في المحل التجاري، ما في مانع، بمصروفه، يريد الزواج بحاجة إلى بيت، إلى زواج، بمصروفه، أعطه أجر المثل، ولو أنه ابنك، في كلمة أقولها: في ثقافة المسلمين الأب محترم قطعاً، في ثقافة المسلمين الأب محترم، ولكن ما كل أب يحب، بطولتك لا أن تنتزع احترامك من أولادك، بطولتك أن يحبك أولادك، مقياس المحبة، كل أب محترم في ثقافة المسلمين، لكن ما كل أب يحب.

((أعينوا أولادكم على البر))

((رحم الله والداً أعان ولده على بره))

في حديث آخر، يقول عليه الصلاة والسلام:

((أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ))

ولسيدنا علي قول يقترب من هذا القول: أكرموا أولادكم، وأحسنوا تربيتهم فإنهم خلقوا لزمن غير زمنكم.

في مشكلة، الأب عاش بالخمسينات، عاش على نمط معين، الآن الابن بحاجة إلى كومبيوتر، بحاجة إلى شيء مشروع، غير محرم، الأب لم يقنع به، يجب أن تساير ما هو مستجد في حياة ابنك، إنما هو وفق الشرع، ما كل شيء أنت قانع فيه، أو مالك قانع فيه يصلح لابنك، لذلك فإنهم خلقوا لزمن غير زمنكم، الأب الواعي يتماشى مع ابنه وفق الضوابط الشرعية طبعاً.

الله عز وجل أودع في قلوب الآباء محبة الأولاد:

يوجد توجيه آخر: يقول عليه الصلاة والسلام:

((كفى بالمرء إثما أن يُضَيِّع مَن يقوتُ))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

هو يطعمه، ويسقيه، ويكسوه، ويعتني بصحته، لكنه ضيّع له إيمانه، ضيّع له استقامته، لم يعبأ بترك صلاته، ترك الصلاة، يهمه تحصيله الدراسي فقط، تهمه صحته فقط، أكاد أقول وأرجو أن أكون على صواب: محبة الأبناء طبع، وبر الأبناء بآبائهم تكليف، الفرق كبير جداً.

تتصور يصدر قرار من رئاسة الوزراء بإلزام المواطنين بتناول طعام الفطور ؟ شيء مضحك، مستحيل، لأن الحاجة إلى الطعام طبع، لا تحتاج إلى أمر أبداً.

والله عز وجل من أجل أن يربى الأولاد أودع في قلوب آبائهم المحبة، فالأب المؤمن، الغير المؤمن، والمستقيم، والغير المستقيم، والمثقف، والغير المثقف، أكبر دليل اذهب إلى مستشفى الأطفال، الأم المحجبة تبكي، والسافرة تبكي، والجاهلة تبكي والمتعلمة تبكي، والبدوية تبكي، الله عز وجل أودع في قلوب الآباء محبة الأولاد.

محبة الآباء لأولادهم طبع فيهم، بينما برّ الأبناء لآبائهم تكليف:

الآن كلام دقيق قليلاً: يمكن ما في أجر على محبتك لأولادك، إذا شخص تناول طعام الإفطار يعمل عملاً عظيماً ؟ تقرب إلى الله ؟ يبكي بالصلاة بعد الأكل ؟ لا، أكل بحاجة إلى أن يأكل، يعني إذا شيء ضمن الطبع أكاد أقول ما في أجر، لكن متى يؤجر الأب على تربية ابنه ؟ إذا اهتم بدينه، اهتم بصلاته، اهتم بعقيدته، اهتم بأخلاقه، اهتم بمستقبله الأخروي، أما تهتم فقط بصحته ؟ تحصيله ؟ الناس جميعاً هكذا، في الشرق والغرب، لأن العناية بالأبناء طبع.

لذلك لا يوجد إلا آية واحدة يتيمة متعلقة بالمواريث

(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ)

(مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ)

(سورة النساء الآية: 11)

أما بر الأبناء لآبائهم تكليف:

(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا)

(سورة الإسراء الآية: 23)

بر الأبناء للآباء تكليف، فالابن إذا برّ أباه له أجر عظيم، لأنه من الممكن أن يهمل أباه، ما في عنده حاجة فطرية إلى برّ أبيه، ولا سيما في آخر الزمان، ينسى أمه يقول لها: كل البلاء منك، إذا اختلفت مع زوجته، وببيت واحد، هو شهوته مع زوجته، مصلحته مع زوجته، أمه عبء أصبحت عليه، يتأفف منها أحياناً، لذلك محبة الآباء لأولادهم طبع فيهم، بينما بر الأبناء لآبائهم تكليف.

لا يرقى الإنسان عند الله إلا إذا اعتنى بدين أبنائه:

الابن البار له عند الله أجر كبير، لكن إذا اعتنى بصحة ابنه فقط، وبتحصيله فقط، من دون ما يهتم بعقيدته، باستقامته، بإيمانه، بصلاته، جاء الأب مساءً الأولاد أكلوا ؟ قالت له: أكلوا، كتبوا وظائفهم ؟ كتبوا، انتهى، وصلاتهم ؟ لذلك:

(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا)

(سورة طه الآية: 132).

لا ترقى عند الله إلا إذا اعتنيت بدين أبنائك.

تربية الأولاد أعظم عمل على الإطلاق:

أخوانا الكرام:

((لأنْ يُؤَدِّبَ الرجلُ وَلَدَه، خيرٌ من أن يتصدق بصاع))

[أخرجه الترمذي عن جابر بن سمرة]

التربية عمل عظيم.

((ما نَحَلَ وَالِدٌ وَلَداً من نَحْلٍ أفضل من أدبٍ حَسَنٍ))

[أخرجه الترمذي عن مرسل سعيد بن العاص]

يقول لك: مؤدب، ضابط لسانه، الأب وراءه، لذلك التي اشتكت إلى الله من فوق سبع سماوات، وقد قال الله عز وجل:

(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ)

(سورة المجادلة الآية: 1)

قالت: يا رسول الله ! إن زوجي تزوجني وأنا شابة، ذات أهل، ومال، وجمال فلما كبرت سني، ونثر بطني، وتفرق أهلي، وذهب مالي، قال: أنتِ عليّ كظهر أمي ولي منه أولاد، الآن دققوا: إن تركتهم إليه ضاعوا، أنا أربيهم، وإن ضممتهم إلي جاعوا، هو يعمل ويكسب رزقاً ليطعمهم، وأنا أربيهم.

فلذلك:

((ما نَحَلَ وَالِدٌ وَلَداً من نَحْلٍ أفضل من أدبٍ حَسَنٍ))

[أخرجه الترمذي عن سعيد بن العاص]

احترام شخصية الطفل و معاملته كالكبار:

ثم يقول عليه الصلاة والسلام:

((أدبوا أولادكم على ثلاث خصال))

[رواه الطبراني عن علي]

على حب نبيكم، أنت تصدق أنه الحديث معناه أنه يا بني حب رسول الله ؟ كلام مضحك هذا، اجلس معه، من حين لآخر، حدثه عن رسول الله، عن محبته، عن تواضعه عن رحمته، عن محبته للصغار، ذكره بمواقف النبي من الصغار.

إلى جانبه غلام، جاءت الضيافة، هو على يمين النبي، قال له: أتأذن لي يا غلام أن أقدم هذا الشراب لأبي بكر ؟ قال له: لا والله لا آذن لك، يحترم شخصيته النبي الكريم، يعامل الصغير كالكبير.

أحياناً الأب يستشير ابنه الصغير، يشعر الصغير بمكانة كبيرة، ما قولك يا ولدي في هذا العمل ؟ أحياناً المشورة تعمل مودى بالغ جداً، لو أن الأب استشار أولاده، لو أنه شاركهم في صنع القرار، أوامر، أوامر، أوامر، وتعنيف، اسأله ما رأيك يا بني ؟.

أنا حدثني أب، قال لي: أنا أضع في مكان مبلغاً من المال مفتوح، وفي دفتر علّم أولاده، خذ ما تشاء لكن سجل، أعطاه مسؤولية، المال موجود، مبلغ معقول، خذ حاجتك وسجل، أنا أخذت مئة ليرة، أخذت خمسين، فصار الابن يشعر أن هذا المبلغ طوال الشهر، هذا للشهر بأكمله، في معي ثلاث أخوات، فبدأ يأخذ باعتدال، والأشياء الضرورية.

مرة حدثني أخ، قال لي، عنده ابن متفوق جداً، قال له: يا بني في خطاط كبير هو على وشك الموت (أي تقدم به السن) وأنت بالنهاية طبيب، فاعمل لوحة عند هذا الخطاط لوحة نحاسية كبيرة الدكتور، هو كان بالصف الثامن، وضع هذه اللوحة في غرفته هذا الصغير يستيقظ صباحاً الدكتور، ينام الدكتور، والآن دكتور من كبار الأطباء، بهذه اللوحة.

التقيت بالحج برجل من كبار العلماء، قال لي: أنا من قرية من قرى حمص له قريب أمي، قال له: أنت بالتعبير الدارج حرام تكون أقل من دكتور، قريب أمي بقرية من قرى حمص، قال له: حرام تكون أقل من دكتور، قال لي: والله هذه الكلمة بقيت أسعى من أجل تحقيقها طوال عمري.

من كان له ابن صالح فكل أعمال هذا الابن في صحيفة الأب يوم القيامة:

عليك أن تهتم بابنك، تهتم بدراسته، تهتم بأخلاقه، تعرف من أصدقاؤه ؟ تعرف ماذا يشكو ؟ تتلطف معه، يفصح لك عن سره، اجعل ابنك صديقاً لك، لا تجعل حاجزاً بينك وبين ابنك، اجعله يبوح لك بكل شيء، اجعله صديقاً لك.

لاعب ولدك سبعاً، من واحد لسبعة ملاعبة، ضرب لا يوجد، وأدبه سبعاً، معه حاجة ليست له، نبهه، إذا عادها مرة ثانية مرة ثالثة أدبه، ترك الصلاة أدبه، وراقبه سبعاً ثم اترك حبله على الغارم، من واحد لسبعة ملاعبة، من سبعة لـ14 تأديباً.

مرة كنا بمؤتمر، دخلنا إلى غرفة أحد أعضاء المؤتمر، عجيب ! مرتبة ترتيباً غير معقول و هو بالفندق، إذا شخص بالفندق لا يهتم، لأنه لا يوجد ضيوف، قال لي: أنا أهلي من سن مبكر جداً علموني على طي ثيابي، على تهيئة حاجاتي، وعلى تنظيم غرفتي في عادات.

والله مرة التقيت مع شخص، قلت له: متى أراك غداً ؟ قال: الساعة السادسة الفجر، قلت له: أين ؟ قال: بالمكتب، قلت السادسة ؟! قال: السادسة، ما السبب ؟ قال لي: أنا لي أب كان يأخذني معه إلى صلاة الفجر كل يوم، فهذه العادة ترسخت فيّ، أنا قبل الفجر أستيقظ كل يوم، أصلي وآتي إلى مكتبي. أب صلى الفجر مع ابنه حاضراً، نشأ ابنه على صلاة الفجر، لا تستهين، يمكن يأتيك ولد ينفع الناس من بعدك، بسبب توجيهك.

كنت مرة بازرع بالجامع، أمامي طلاب مدرسة، إنسان همس بأذني قال لي: هذه ازرع بلد ابن قيم الجوزية، قلت له: ما شاء الله ! أنا دُهشت، ابن القيم كان طفلاً صغيراً، من يخطر في باله أن هذا الطفل الصغير سيكون ابن القيم ؟.

هناك الداراني بداريا، النووي بنوى، في علماء كبار من قرى، رفعوا شأن الإسلام عالياً، أنت توقع أن يكون ابنك إنسان عظيم، توقع ابنك يكون مصلحاً كبيراً، عالماً جليلاً، داعية خطيراً، متفوقاً، طبيباً جراحاً، مهندساً كبيراً، هيئ نفسك، كل أعماله في صحيفتك.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (02-36) : أهمية تربية الأولاد
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 29-03-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الثاني من دروس تربية الأولاد في الإسلام.

الإنسان هو المخلوق الأول الذي خُلق لجنة عرضها السماوات و الأرض:

الحقيقة أن الإنسان هو المخلوق الأول، ينبغي أن نعلم هذه الحقيقة، أنت حينما تعلم أنك المخلوق الأول، أنك إذا آمنت بالله، وحققت الهدف من وجودك، فأنت المخلوق الأول الذي يمكن أن يسبق الملائكة، لذلك قالوا:

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

* * *

بل قالوا: من عرف نفسه عرف ربه، الإنسان بحالات كثيرة يكون غافلاً عن حقيقته، لذلك قالوا: من الناس من يدري ويدري أنه يدري، فهذا عالم فاتبعوه، منهم من يدري ولا يدري أنه يدري فهذا غافل فنبهوه، ومنهم من لا يدري ويدري أنه لا يدري فهذا جاهل فعلموه، ومنهم من لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فهذا شيطان فاحذروه.

أنت حينما تعلم أنك المخلوق الأول، وأن الله سبحانه وتعالى خلقك لجنة عرضها السماوات والأرض، وأن الدنيا مهما امتدت في نظر الآخرة صفر، لا قيمة لها إطلاقاً، بل إن الله سبحانه وتعالى أبى أن تكون الدنيا مكافأة لأحد، بل أن يكون الحرمان منها عقاباً لأحد هي أقل من أن تكون مكافأة، أو أن تكون حرماناً.

من نقل اهتماماته من الدنيا إلى الآخرة وضع قدمه على الطريق الصحيح للآخرة:

أيها الأخوة، لمجرد أن تنقل اهتمامك من الدنيا إلى الآخرة، تكون قد وضعت قدمك على الطريق الصحيح نحو الآخرة.

أقول لكم كلمة دقيقة جداً: إن لم تنعكس مقاييسك بعد أن آمنت بالآخرة فإيمانك بالآخرة ليس صحيحاً، إن لم تنعكس مقاييسك، في مقاييس فُطر الإنسان عليها قبل أن يعرف الله.

بالمناسبة حيث ما قرأتم في قوله تعالى: إن الإنسان، الإنسان جاءت معرفة بأل فتعني الإنسان قبل أن يعرف الله.

(إنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ)

(سورة المعارج)

(وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً)

(سورة النساء)

(وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً)

(سورة الإسراء)

حيث ما وردت كلمة الإنسان معرفة بأل فتعني الإنسان قبل أن يعرف الله، لكن بعد أن يعرفه شيء آخر، قبل أن يعرفه يفرح بالأخذ، بعد أن يعرفه بفرح بالعطاء فالمقياس انعكس، قبل أن يعرفه يرى من الذكاء أن يستغل جهود الآخرين، بعد أن عرفه يصبح في خدمة الآخرين، قبل أن يعرفه يرى أن المال كل شيء، بعد أن يعرفه يرى أن المال ليس بشيء.

كلمة دقيقة: إن لم تنعكس مقاييسك بعد الإيمان بالآخرة فاعلم علم اليقين أن إيمانك بالآخرة ليس كاملاً يحتاج إلى إعادة نظر.

من آمن بالآخرة يرى أن أعظم عمل على الإطلاق تربية الأولاد:

البطولة أن تنقل اهتماماتك إلى الآخرة، إذا نقلتها إلى الآخرة تكتشف كم هي عظيمة تربية الأولاد، أنت حينما تؤمن بالآخرة وأن الله سبحانه وتعالى حينما قال:

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ)

(سورة الطور الآية: 21)

إن آمنت بالآخرة ترى أن تربية الأولاد أعظم عمل على الإطلاق، إن آمنت بالآخرة ترى أن ابنك امتداد له، إن آمنت بالآخرة ترى أن ابنك وذريته ومن يأتي بعده إلى يوم القيامة وأعمالهم الصالحة في صحيفتك، (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ). هي البطولة أن تؤمن بالآخرة، البطولة أن تعمل للآخرة، البطولة أن تنقل اهتماماتك للآخرة، البطولة أن تعرف لماذا أنت في الدنيا ؟ أي لماذا أنت في الدنيا ؟ يقال: من أجل أن تعمل، من أجل أن تعرف الله، ومن أجل أن تنضبط بمنهجه، ومن أجل أن تحسن إلى خلقه، لتكون المعرفة، والانضباط، والإحسان ثمن الجنة، ثمن جنة عرضها السماوات والأرض فيها:

((ما لا عين رأتْ ولا أذن سمعتْ، ولا خطر على قلبِ بَشَرْ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

من شعر أن ابنه عبء عليه خسره دون أن يشعر:

بصراحة من دون أن تؤمن بالآخرة الابن عبء، تتمنى أن تبتعد عنه، متعب جداً، يحتاج إلى رعاية، إلى اهتمام، إلى تعليم، إلى توجيه، إلى صبر، إلى نفس طويل، إلى متابعة.

أنت في رحلة مع أصدقائك، لو أخذت معك ابنك معك عبء، يجب أن تلاحظه أين ذهب ؟ ماذا فعل ؟ أو توجهه، لو أبقيته في البيت أفضل، أكثر الآباء يشعر أن ابنه عبء عليه، يهمله، يكبر الابن يكتشف الأب حقيقة تسحقه أنه خسر ابنه، حينما تركه التصق بأصدقائه، والأب لا يعلم مَن أصدقائه، علموه عادات، علموه أشياء منحرفة، علموه كلمات بذيئة، علموه أشياء لا ترضي الله، فالأب يكتشف أن ابنه ماشي خطأ، له تفكير مغلوط، سلوك خطأ، يحاول أن يصلحه يكون فات الأوان.

أنا لا أنسى كلمة قالها لنا أحد الأخوة الكرام الدعاة، الذي تخصص بعلم القيادة: إن كل الصفات التي تتمناها من ابنك، من انضباط، من صدق، من أمانة، من نظافة، من عناية بالملابس، من عناية بالأغراض كل الصفات التي تتمناها بابنك تُغرس فيه من السنة الأولى وحتى السنة السابعة، وقال هذا الداعية: وبعد السنة السابعة العوض بسلامتك.

ويكون معظم الآباء في أول حياتهم منشغلين عن أولادهم، تجد أباً صالحاً لكن لم ينتبه لهذه الحقائق.

من أحسن تربية ابنه كافأه الله في الدنيا قبل الآخرة بجعله قرة عين له:

صدقوا أيها الأخوة، ولا أبالغ إن الابن الصالح يدخل على قلب أبيه من السرور، من الرضا، من السعادة، ما لا يوصف، بل إن الابن الصالح لشدة خطورة تربية الأولاد ما جعل الله لك أيها الأب الصالح مكافأتك بالآخرة ؛ جعلها في الدنيا والآخرة، ما المكافأة في الدنيا ؟ يجعل الله أولادك قرة عين لك، هذا فحوى قوله تعالى:

(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً)

(سورة الفرقان)

كمقدمة دقيقة جداً: لم تعرف قيمة تربية الأولاد إلا إذا آمنت بالآخرة، إلا إذا رأيت ابنك استمراراً لك، وكنت أقول دائماً: جُبل الإنسان على حبّ وجوده، وعلى حبّ سلامة وجوده، وعلى حبّ كمال وجوده، وعلى حبّ استمرار وجوده، سلامة وجودك بإتباع تعليمات الصانع، صدقت ولم تكذب، وكنت أميناً ولم تخن، كنت رحيماً ولم تقسُ أعطيت كل ذي حق حقه، بإتباع تعليمات الصانع تسلم فقط، ولكن بالعمل الصالح تسعد.

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً)

(سورة الكهف الآية: 110)

أما استمرار وجودك ؛ بتربية أولادك يستمر وجودك.

والله لا أنسى أحد خطباء بني أمية، قصة قديمة جداً يمكن من عشرين عاماً توفي رحمه الله تعالى، أقيم العزاء له بالجامع الأموي، وفي اليوم الثالث من العزاء، قام ابنه وألقى خطبة أمامنا، صدقوا أيها الأخوة، دمعت عيناي، وبكيت، وقلت: إذاً هذا الخطيب لم يمت، الابن استمرار.

استمرار وجود الإنسان سببه الإيمان بالآخرة و تربية الأولاد:

بأعماق أعماقك تحب أن تعيش عمراً طويلاً، هذه طبيعة الإنسان، بل إن الذي يسعدك أنك إذا عرفت الله، واستقمت على أمره كنت في الجنة إلى أبد الآبدين، الحاجة للاستمرار تتأتى من إيمانك بالآخرة.

الآن الحاجة إلى الاستمرار تتأتى أيضاً من تربية أولادك، يعني إنسان يتوفاه الله عز وجل، له أولاد صالحون، مؤمنون، طيبون، لهم أعمال صالحة، يدهم في الخير طويلة، كلما رآه الإنسان رحمة الله على الوالد، هذا الأب لا يُنسى ذكره ما دام ابنه مستقيماً، فأنت حينما جُبلت على حبّ استمرار وجودك، استمرار الوجود سببه أولاً الإيمان بالآخرة، وثانياً تربية الأولاد.

أشقى الناس من لم يكن ابنه كما يتمنى:

إذاً لا يمكن أن نعرف قيمة تربية الأولاد إلا إذا آمنا بالآخرة، و إلا إذا علمنا أن هذا الابن أعماله لك، أفعاله الصارخة لك، صدقاته في صحيفتك، عباداته في صحيفتك، ابنك وابن ابنك وابن ابن ابنك.

مرة كنت في مؤتمر في أمريكا فقام أحد الدعاة وقال: إن لم تضمن أن يكون ابن ابن ابنك مسلماً في تلك البلاد لا ينبغي أن تبقى فيها، أنا أعجبتني هذه الكلمة رددتها كثيراً، أقيم مؤتمر للأطباء في دمشق، من ديترويت جاء مئة طبيب للشام لحضور هذا المؤتمر، أحد الأطباء زوج ابنته في هذه الفترة، ودعاني إلى عقد القران، حضرت هذا العقد وألقيت كلمة، دون أن أشعر ذكرت كلمة هذا العالم، لأنه كلهم من أمريكا، قلت: إن لم تضمن أن يكون ابن ابن ابنك مسلماً لا ينبغي أن تبقى في هذه البلاد، والله بعد أن انتهت كلمتي، وانتهى الحفل تقدم مني طبيب مقيم هناك، والله الدمعة على خده، قلت خير إن شاء الله ! قال لي: ألم تقل أنت إن لم تضمن أن يكون ابن ابن ابنك قال لي: أنا ابني ليس مسلماً، ابني الذي من صلبي ليس مسلماً.

فلذلك كنت أقول لهم هناك، وقتها كان كلينتون: لو بلغت منصباً ككلينتون، وثرة كأوناسيس، وعلماً كأنشتاين، ولم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس، دققوا في هذه الكلمة، والله ما من كلمة أقولها لكم إلا نابعة من أعماقي، لو بلغت أعلى منصب، لو جمعت أكبر ثروة، إن لم تضمن، إن لم يكن ابن ابن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس ابحث عن سعادتك، ابحث عن سلامتك، تربية أولادك، لا تقل لست متفرغاً هذا العذر ليس عند الله مقبولاً، إن لم تضمن أن يكون ابن ابن ابنك مسلماً، أو لم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس.

لذلك الإيمان بالآخرة يعطيك قيمة تربية الأولاد، هذا الابن في صحيفتك، زواجه في صحيفتك، أولاده في صحيفتك، أولاده الصالحون في صحيفتك، أولاد أولاده الصالحين في صحيفتك.

النجاح الأول والأطول أمداً في حياة الإنسان نجاحه في معرفة الله:

أيها الأخوة، لكن أريد أن أضع بين أيديكم هذه الحقيقة التي طالما ذكرتها في جميع الدروس، طالما آمن بها كل شيء في كياني: أنه لا يمكن أن يكون النجاح جزئياً نجاح جزئي لا يوجد، لا يسمى النجاح نجاحاً إلا إذا كان شمولياً.

أي إنسان برع في كسب المال، وأولاده شردوا عن منهج الله، ليس ناجحاً في حياته، إنسان ذهب إلى بلد بعيد، وجاء بأموال طائلة على حساب تربية أولاده ليس هذا نجاحاً، هذه الفكرة أرددها كثيراً: لا يمكن أن يكون النجاح جزئياً، لا يسمى النجاح نجاحاً إلا إذا كان شمولياً.

طبعاً بالنسبة إليك أربعة نجاحات في محطات كبيرة، أول نجاح، وأكبر نجاح، وأعظم نجاح، والنجاح الأول والأطول أمداً نجاحك في معرفة الله.

((ابن آدم اطلبني تجدني فإذا وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحبك إليك من كل شيء))

[ورد في الأثر]

دقق: المرأة أحياناً نجاحها الأول والأخير أن ترزق بزوج صالح، نقول الزواج في حق المرأة كل فصول حياتها، لكن في حق الرجل بعض فصول حياته، في عمله، في دراساته، الآن كل أنواع النجاح تعد نجاحاً، إلا أن النجاح الأول الذي هو أصل كل نجاح أن تعرف الله.

تصور بيتاً، فيه براد، ثلاجة، غسالة، مكيف، مروحة، فيه جميع الأجهزة من دون استثناء، لكن لا يوجد فيه كهرباء، كل هذه الأجهزة لا قيمة لها.

كأن معرفة الله واحد، الزواج صفر، معرفة الله مع الزواج عشرة، معرفة الله مع الأولاد مئة، معرفة الأولاد مع النجاح بالعمل ألف، اسحب هذا الواحد ما بقي إلا أصفار صفر، لذلك الآية الدقيقة الدقيقة:

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)

(سورة الكهف)

التقسيمات في الأرض لا تعد و لا تحصى لكن هذه التقسيمات عند الله اثنان فقط هي:

إذاً أول نقطة في هذا اللقاء الطيب: إذا آمنت باليوم الآخر إيماناً حقيقياً لأنه:

(وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ)

(سورة المؤمنون)

سآتيكم بآية دقيقة جداً في هذا الموضوع، أرأيت إلى هؤلاء الناس ؟ لا في بلدنا في العالم العربي، بل في العالم الإسلامي، بل في القارات الخمس، أرأيت إلى ستة آلاف مليون ؟ كم تقسيم أرضي لهم ؟ الآن في دول الشمال ودول الجنوب، دول الشمال 20% من سكان الأرض، ويملكون 80% من ثروات الأرض، ودول الجنوب 80% من دول الأرض يملكون 20% من ثروات الأرض، دول الشمال ودول الجنوب، العرق الأصفر، العرق الأبيض، العرق الأسمر، الآريون، والساميون، الأغنياء والفقراء، الأقوياء والضعفاء، المستغِلون والمستَغلون، هناك تقسيمات لا تعد ولا تحصى، كل هذه التقسيمات عند الله باطلة، عند الله تقسيمان اثنان.

1 ـ الإنسان الذي عرف الله فانضبط بمنهجه و سعد:

بالدليل: التقسيم الأول الإنسان الذي عرف الله، فانضبط بمنهجه، وأحسن إلى خلقه، فسلم، وسعد في الدنيا والآخرة.

2 ـ الإنسان الذي غفل عن الله وتفلت من منهجه وشقي:

الإنسان الذي غفل عن الله وتفلت من منهجه وأساء إلى خلقه فهلك وشقي في الدنيا والآخرة.

البشر جميعاً إما أن يكونوا مع الأقوياء أو مع الأنبياء:

لن تجد نموذجاً ثالثاً في القرآن، دقق:

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

(سورة الليل)

لحكمة بالغة الترتيب معكوس

(وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

أي بالجنة.

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى)

(سورة يونس الآية: 26)

الجنة يعني، صدق أنه مخلوق للجنة، يبنى على هذا التصديق اتقى أن يعصي الله، استقام، يبنى على هذه الاستقامة بنى حياته على العطاء، ثلاث كلمات، صدق أنه مخلوق للجنة اتقى أن يعصي الله، بنى حياته على العطاء، النموذج الآخر:

(وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ)

(سورة الليل الآية: 8)

بنى حياته على الأخذ، لأنه استغنى عن طاعة الله، ولأنه كذب بالجنة نموذجين، صدق بالحسنى، اتقى أن يعصي الله، بنى حياته على العطاء، كذب بالحسنى استغنى عن طاعة الله، بنى حياته على الأخذ. لذلك البشر جميعاً إما أن يكونوا مع الأقوياء، أو مع الأنبياء، الأنبياء ملكوا القلوب، الأقوياء ملكوا الرقاب، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا، الأقوياء أخذوا ولم يعطوا الأنبياء عاشوا للناس، الأقوياء عاش الناس لهم.

من آمن بالدنيا ليس بحاجة أصلاً إلى أولاد:

لذلك أيها الأخوة، لا يمكن أن نفهم قيمة تربية الأولاد في الإسلام، وشأنها الكبير، وعطاءها العظيم إلا إذا آمنا بالآخرة، أما إذا آمنا بالدنيا صدقوا ولا أبالغ لست بحاجة أصلاً إلى الأولاد.

لي قريب مقيم بأمريكا، فزاره أخوه، إلى جانب بيت أخيه بيت لإنسان أمريكي بعد حين قاموا بزيارة له، فسأله الضيف كم ولد عندك ؟ لأنه رأى ثياباً صغيرة أثناء النشر قال له: ما عندي أولاد عندي كلاب أنا، الثياب الصغيرة ثياب كلاب.

إذا الإنسان كذب بالحسنى ما في داعي إطلاقاً ينجب أولاداً، عبء، في حالات بالعالم الغربي مخيفة جداً، لأنه أم تركت أولادها حتى ماتوا في البيت، فإذا إنسان آمن بالدنيا الابن عبء، لا داعي إطلاقاً يكون عنده ولد.

أما من لوازم الإيمان بالآخرة أن هذا الابن يحقق استمرار وجودك، أن هذا الابن تسعد به في الدنيا والآخرة.

في صحابي جليل له ابن رائع، جميل جداً، فمن شدة تعلقه به كان يضعه على كتفه ويمشي، فإذا جلس أمام رسول الله ابنه على أكتافه، النبي لطيف مع أصحابه جداً داعبه مرة، قال له: يا فلان أتحبه ؟ قال

له: أحبك الله كما أحببه، بعد أيام افتقد النبي هذا الصحابي، سأل عنه فقيل له: مات ابنه، فاستدعاه وعزاه، وقال له: يا فلان أتحب أن تمتع به عمرك أي يلازمك حتى الموت كظلك ؟ ابن بار، خادم مطيع، محب، معوان، في حالات نادرة، ابنه معك على طول، حتى آخر لحظة بحياته.

من مات ابنه في حياته و كان إنساناً صالحاً سبقه إلى الجنة وفتح له أبوابها:

بالمناسبة حدثنا أحد الأخوة المقيم بفرنسا، أنه جاءت امرأة إلى مركز إسلامي امرأة فرنسية، ومعها ابنتها، قال: ممكن تقنعوها بالإسلام كي تسلم ؟ هم سألوها وأنت ؟ قالت: لا أنا لا أريد أن أسلم، فقط ابنتي، طلب عجيب إذا قانعة بالإسلام، قالت: لا أنا أريد أن أسلم، ما السبب ؟ قال: لأن لها جيران مسلمين ترى بأم عينها كيف أن البنات يعتنين بأمهم عناية تفوق حد الخيال، ما امتد بها العمر، فتمنت أن تكون ابنتها مثل بنات هؤلاء المسلمين.

فقال له: أتحب أن تمتع به عمرك، أو أن يسبقك إلى الجنة، فأي أبوابها فتحها لك ؟ قال له: بل الثانية، قال له: هي لك.

حتى إنسان لو مات ابنه في حياته وكان إنساناً صالحاً، هذا الابن يسبقه إلى الجنة وسيفتح لأبيه أبواب الجنة.

الابن في ضوء الإيمان بالآخرة أكبر سبب لسعادة الأب:

الابن في ضوء الإيمان بالآخرة شيء ثمين جداً، الابن في ضوء الإيمان بالآخرة أكبر سبب لسعادة الأب، الأب في ضوء الإيمان بالآخرة يجمع لك أكبر عمل صالح، كل أعماله في صحيفتك، كل التزامه في صحيفتك، كل صدقاته في صحيفتك، أنت الذي ربيته.

حتى إن فقهاء الأحناف لهم رأي عجيب، حجة البدل من شروطها الوصية لأن الله عز وجل يقول:

(وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)

(سورة النجم)

فإذا شخص ما كتب وصية بحجة البدل ما سعى لهذه الحجة، لا بد من وصية إلا أنهم استثنوا الابن فقط، إذا ابن حجّ عن أبيه حجة بدل من دون وصية مقبولة للأب، لأن الأب رباه تربية صحيحة، ولولا أنه رباه تربية صحيحة لما حجّ عنه حجة البدل، فالابن له شأن كبير، لكن في ضوء الإيمان بالآخرة، أما في ضوء الإيمان بالدنيا يربي الإنسان كلاباً أفضل له، بين أن تربي ابناً، يكون امتداداً لك، يحفظ اسمك، يدعو الناس لك من ربيته يتزوج، ينجب أولاداً، لك أحفاد.

والله قال لي عالم من علماء القرآن: أنا عندي 38 حفيداً، ثلاثة عشر واحداً طبيب منهم، وثلاثة عشر واحداً حافظون لكتاب الله، هذا زواج.
فإما أن تربي الأولاد تبتغي بهم وجه الله والدار الآخرة، وإما أنك إذا ابتعدت عن الإيمان بالآخرة شيء متعب، وعبء.

النجاح شمولي و ليس جزئياً أول محطاته:

أيها الأخوة، بقي شيء: التربية، هناك تربية إيمانية، هناك تربية أخلاقية، هناك تربية نفسية، هناك تربية اجتماعية، هناك تربية جسمية، هناك تربية علمية، هناك تربية جنسية.

1 ـ أن تعرف الله:

كما قلت لكم قبل قليل: النجاح لا يكون جزئياً يكون شمولياً، وبدأت بأن أول محطة بالنجاح الشمولي أن تعرف الله.

2 ـ أن تكون على علاقة طيبة جداً بالأسرة بدوائرها الضيقة ودوائرها الواسعة:

المحطة الثانية أن تكون على علاقة طيبة جداً بزوجتك، وأولادك، والدوائر الاجتماعية التي تلي هذه الدائرة، يعني بزوجتك وأولادك، وإخوتك وأخواتك، وعماتك وخالاتك، أي أن تكون علاقتك بالأسرة بدوائرها الضيقة، ودوائرها الواسعة، هذه المحطة الثانية.

3 ـ أن تكون متقناً لعملك و منضبطاً به:

الثالثة بعملك، متقن لعملك، منضبط، متفوق، طورت عملك، دخله جيد.

4 ـ أن تعتني بصحتك:

الرابعة بصحتك. نصيحة أول علاقة يجب أن تكون محكمة هي بينك وبين الله.

(فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ)

(سورة الأنفال الآية: 1)

(ذَاتَ بَيْنِكُمْ)

أي العلاقة ما بينك وبين الله، هذا أول معنى و

(ذَاتَ بَيْنِكُمْ)

علاقتك مع من حولك، هذه الثانية و

(ذَاتَ بَيْنِكُمْ)

أن تصلح أي علاقة بين اثنين، بينك وبين الله أول محطة، بينك وبين أهلك بالدوائر المتتابعة، علاقة ثانية، أي علاقة بين كل شخصين هذه الدائرة الثالثة، فالأربع محطات الأساسية في نجاحك علاقتك بالله أولاً، وعلاقتك بأهلك وأولادك ثانياً، وعلاقتك بعملك ثالثاً، وعلاقتك بصحتك رابعاً.

لن ينجح أي إنسان بتربية ابنه إلا إذا كانت التربية شاملة:

الآن: حتى تربية الأولاد قد ينجح في الشهادة العامة لكن لا يصلي، إذاً لم تنجح في تربيته، قد يكون متفوقاً وذكياً لكن ليس أخلاقياً، لم تنجح في تربيته، قد يكون أخلاقياً لكن مقصر في الدراسة، لم تنجح في تربيته، قد يكون أخلاقياً ومتفوقاً لكن هندامه سيء جداً وعنايته بجسمه سيئة جداً، إذاً لم تنجح في تربيته.

كما أنك أن تحرص على نجاحك في كل المحطات الأساسية يجب أن أؤكد لك أنه لن تنجح بتربية ابنك إلا إذا كانت التربية شاملة.

على كل إنسان أن يهتم بتغذية ابنه التغذية الإيمانية:

العناوين الكبرى التي سوف نأخذها بدءاً من الدرس القادم هي التربية الإيمانية.

((كفى بالمرء إثما أن يُضَيِّع مَن يقوتُ))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

هو يطعمه، ويسقيه، ويكسوه، ويهتم بصحته، ودراسته، لكن ما اهتم بإيمانه ما اهتم بأعماله الصالحة، ما اهتم بعباداته، فأنت بحق هذا الابن آثم.

((كفى بالمرء إثما أن يُضَيِّع مَن يقوتُ))

يصفه النبي بأنه يطعمه، ويسقيه، ويكسوه، ويعتني بصحته، وبدراسته، لكن ما انتبه لصلاته، ما انتبه لعقيدته، له صديق ملحد، فاستغرق معه إلى أن أنكر الدين كله والله الذي لا إله إلا هو أحياناً يأتيني أب يشكو أن ابنه ليس مؤمناً إطلاقاً يكاد يتقطع قلبه حتى في أب جاءني مرة، وقال لي: ابني ترك دينه إلى دين آخر، يكاد يموت الأب من الألم.

((كفى بالمرء إثما أن يُضَيِّع مَن يقوتُ))

فكر إن أردت أن تربي ابنك التربية الإيمانية أولاً، أدبوا أولادكم وهذبوهم فإنهم خلقوا لزمن غير زمنكم، أدبوا أولادكم على محبة نبيكم.

وعاء الماء بالسيارة تعرفونه ؟ وعاء ماء، له فتحة من الأعلى، له صنبور من الأسفل، الذي تضعه من الأعلى تأخذه من الصنبور، إذا الشاشة هي مصدر معلوماته فقط كلما تحرك يحكي اسم ممثل، اسم لاعب كرة، أين الصحابة ؟ ما تلقى هذه التغذية، ما تلقى تغذية إيمانية، فبين أن تهتم بأشخاص ليس لهم وزن في الحياة إطلاقاً، فإذا أنت هذا الوعاء الماء ما غذيته تغذية إسلامية، قرآن، صحابة، تابعين، تغذى بالكرة فقط، الأشياء الأخيرة، فالمشكلة كبيرة جداً، يجب أن تهتم بتغذيته التغذية الإيمانية، هذا أول شيء.

على كل إنسان أن يربي ابنه تربية كاملة من جميع الجوانب:

عندنا التربية الأخلاقية، في صدق، في أمانة، في أدب، في تواضع، في حياء، في خجل.

((فلا تمش أمامه، ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه، ولا تستسب له))

[أخرجه الطبراني عن عائشة أم المؤمنين]

لا تعمل عملاً تدفع الناس إلى أن يسبوا أباك، انظر إلى الأدب النبوي.

((فلا تمش أمامه، ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه، ولا تستسب له))

هناك تربية إيمانية، تربية أخلاقية، هناك تربية نفسية، الصبر، عدم الغضب الحلم، التؤدة، التريث، التحقق، هذه كلها تربية نفسية.

التربية الاجتماعية: أن تسلم، أن تحترم، أن تعتذر، أن تتواضع، أن تكون متعاوناً، هذه تربية اجتماعية.

التربية الجسمية: أن يكون أكلك منتظم، أن يكون لك هوايات رياضية لتقوية جسمك.

التربية العلمية: التحصيل، دراسته، متفوق باختصاصه.

التربية الجنسية: أحياناً أب ينحرج حرجاً لا حدود له، إذا قال له ابنه: أنا بابا من أين جئت ؟ في أجوبة دقيقة جداً، لطيفة جداً، ادرسها، لا تحرج هذا السؤال من حقه، يضربه، عيب هذا السؤال، فأعطاه اهتماماً أكبر، ما عاد عنده سؤال إلا هذا السؤال، لما أنت قمعته ؟

هناك تربية جنسية، تربية علمية، تربية جسمية، تربية اجتماعية، تربية نفسية، وتربية أخلاقية، وتربية إيمانية. هذه الموضوعات التي ربما كانت محاور للدروس القادمة.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (03-36) : التربية الإيمانية
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 05-04-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الثالث من دروس تربية الأولاد في الإسلام ومع التربية الإيمانية.

ابنك امتداد لك فهو أولى الناس في أن يعرف حقيقة هذا الدين:

أيها الأخوة، الله جل جلاله يقول:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً)

(سورة المائدة الآية: 3)

هذه الآية تؤكد أن عدد القضايا التي عالجها الدين تام عدداً، وأن طريقة المعالجة كاملة نوعاً، فالتمام عددي، والكمال نوعي

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً)

لذلك أولى الناس أن يعرف حقيقة هذا الدين ابنك، لأنه امتداد لك، لأنك تسعد إذا سعد، وتشقى إذا شقي، لأن ارتباط ابنك بك ارتباطاً لصيقاً جداً، هو قدرك، وأنت قدره.

من هنا كان النجاح في تربية الأولاد مسعداً، وقد أكدت آية كريمة هذا المعنى حينما قال الله عز وجل:

(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً)

(سورة الفرقان)

الأبوة مسؤولية كبيرة:



الشيء الذي يتفطر له قلب الإنسان أن الأب الذي أنيطت به هذه المهمة المقدسة، تربية أولاده، تعريفهم بهذا الدين، تعريفهم باركان الإيمان، تعريفهم بأركان الإسلام، تعريفهم بسنة النبي العدنان، تعريفهم بالأحكام الشرعية، الأب نفسه ليس في مستوى هذه الدعوة، فاقد الشيء لا يعطيه.

وأنا أرى ولخبرات مديدة، ولحقائق دقيقة، أن معظم أخطاء الأولاد سببها أخطاء الآباء والأمهات، الطفل كالعجينة، الطفل كائن بريء، إن كذبت أمامه علمته الكذب، وإن أهملت الصلاة أمامه علمته التهاون بالصلاة، وإن تكلمت كلمة قاسية أو بذيئة علمته هذا الكلام، وأنا أعزو معظم أخطاء الطلاب في المدارس إلى المعلمين، ومعظم أخطاء الأبناء في البيوت إلى الآباء والأمهات.

قبل أن تغضب، وقبل أن تستشيط غضباً، وقبل أن تضطرب، وقبل أن تصب جام غضبك على ابنك انتبه قد تكون أنت السبب.

فلذلك الحقيقة الأولى: الأبوة مسؤولية كبيرة، الأب قائد، الأب قدوة، الأب أسوة، الأب معلم، الأب قبلة أولاده.

فلذلك حينما يكون الأولاد على غير ما ينبغي يتمزق قلب الأب، وأحياناً نقول للأب و لات ساعة مندم.

بطولة الإنسان أن يهتم بابنه و يعلم كل شيء عنه:

أيها الأخوة، أريد أن أؤكد على نقطة يتذرع بها معظم الآباء، حينما لا يكون أولادهم كما يتمنون، يقول لك: هذا سيدنا نوح، هذه مغالطة كبيرة جداً، سيدنا نوح نبي كريم، حينما تبذل كل جهدك، وكل طاقتك، وكل وقتك، وكل خبرتك لتربية ابنك، ثم يكون له اختيار آخر، في هذه الحالة النادرة التي لا توجد في المئة ألف حالة مثلها، في هذه الحالة النادرة أنت معذور، لكن ما قدم علماً، ولا قدم توجيهاً صحيحاً، ولا قدم له قدوة، ولا قدم له نصيحة، ولا سأل عن أصدقائه.

على الآباء التحري عن أصدقاء أبنائهم

إخوتنا الكرام، هل تصدقون أن الأب، والأم، والمدرس، والأخوة الكبار والأخوات الكبيرات، وشيخ الجامع، كلهم تأثيرهم لا يزيد عن أربعين بالمئة، وأن الصديق السيئ تأثيره 60%، فما لم تعرف من هو صديق ابنك، ومن هي صديقة ابنتك، إنك تمشي في متاهة، أخطر كائن له تأثير على ابنك صديق السوء، الآباء الموفقون يسألون بدقة ما بعدها دقة عن أصدقاء أولادهم، والأمهات الموفقات يسألن بدقة بالغة عن صديقات بناتهم.

سيدنا نوح هذه حالة خاصة، حالة نادرة جداً، إنسان يبذل قصارى ما يستطيع وهذا الابن له اختيار خاص.

فيما يسمى في علوم أصول الفقه المفهوم المعاكس، قال تعالى:

(إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً)

(سورة نوح)

المعنى المعاكس هؤلاء المؤمنون ماذا يلدون ؟ مؤمناً تقياً، الشيء الطبيعي بيت نظيف، ما في كلمة نابية، تؤدى الصلوات بأوقاتها، الأب رحيم، ورع، يقيم الصلاة الزوجة محجبة، ملهيات لا يوجد، معصية لا يوجد، بيت مبارك، في روحانية، في مجالس علم، يأتي أصدقاء الأب قمة في الكمال، تأتي صديقات الأم منضبطات، محجبات، هذا البيت الطاهر ماذا تتوقع أن ينجب ؟ أبناء مؤمنين، اعتقد أيها الأب أن معظم أغلاط ابنك منك، إما من سهوك عن توجيهه، أو أنك لم تكن قدوة له ولا أسوة له، والبطولة أن تهتم بابنك، وتعلمت في الجامعة أن معظم أخطاء الطلاب سببها المدرس، وأقيس على هذا ومعظم أخطاء الأبناء سببها الأب، أو الأم.

لن يسعد الإنسان إلا إذا كان ابنه كما يتمنى فعلينا الاعتناء بأبنائنا:

إخواننا الكرام مرة موقع البي بي سي بالانترنيت عرض برنامج التحرش بالصغار مرة فتحته متوقع صفحة صفحتين، حوالي 180 صفحة هذا البرنامج، اعترافات من أطفال من تحرش بهم، معظم المتحرشين أقرباؤهم، في نزهة، الأب غافل، والأم غافلة، والأولاد في البستان، أو في أماكن معينة، معظم هذه الحالات سببها غفلة الآباء والأمهات والتحرش بالصغار له مضاعفات خطيرة جداً، ومعظم انحرافات الشباب الجنسية عند الكبر سببها تحرش في الصغر، الكلام طويل.

لكن أيها الأخوة، والله، والله، ثم والله، ثم والله لن تسعد إلا إذا كان ابنك كما تتمنى.

حدثني أب، قال لي: والله إذا دُهس ابني لأقيمن مولداً فرحاً بموته، من شدة البلاء، هناك ولد يعدّ أكبر مسعد لوالديه، وهناك ولد يعدّ أكبر سبب لشقاء والديه، والذي تزرعه تحصده.

يعني أحياناً الأب يسأل ابنه صلى ؟ شيء رائع جداً، لا يكفي الصلاة، علمته الإيمان ؟ علمته أركان الإيمان ؟ جلست معه ؟ كلفت إنساناً يعلمه ؟ ألحقته بمعهد شرعي ؟ يعني متى يلحق الأب ابنه بمعهد شرعي ؟ هذه مأساة، إذا كانت علاماته قليلة على الشريعة، أما إذا كان متفوقاً، على الطب، لا يقبل أب من هؤلاء المسلمين الذين يتحسرون على ضياع الدين إن كان ابنه متفوقاً أن يلحقه بالتعليم الشرعي.

التقيت مع أب عاقل جداً، قال لي: ابني الأول على محافظة بأكملها، أكبر محافظة في الشمال، قال لي: لأنه الأول اخترت له كلية الشريعة: فعاتبه أقرباؤه، هذا مكانه الطبيعي بالطب، قال كلمة مؤلمة جداً،

قال: والله لو كان ضعيف الذكاء لاخترت له أي فرع في الجامعة، لأنه متفوق في ذكائه اخترت له كلية الشريعة فلعل الله يسعدني به داعية كبيراً.

على كل أب و أم أن يحرصا على تعليم أبنائهم ليكونوا من أعلام الأمة:

عندنا شيء مؤلم بحياتنا، الأذكياء، طب دمشق، أقل ذكاء، طب حلب، أقل ذكاء، صيدلة، أقل هندسة، أقل معلوماتية، هؤلاء الذين بقوا للشريعة من هم ؟ في الدرجة الدنيا، لا تجد لمعة بالدعاة، ذكاء، سرعة بديهة، قوة حجة، طلاقة لسان، بالأساس هؤلاء من الدرجة العاشرة، أين هؤلاء الآباء الغيورون على الدين ؟ أي صعب تفرز ابناً من أبنائك المتفوقين الأذكياء ليكون علماً من أعلام الأمة، يجب أن تقول ابني معه بورد، لكن حينما يكون الإنسان في الدعوة إلى الله ويهتدي به الملايين المملينة كل هؤلاء الذين اهتدوا بهدي آبائهم في صحيفة الآباء.

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ)

(سورة الطور الآية: 21)

يا أخوان: الأب يفوته أشياء كثيرة، الأب العاقل الذي فاته في حياته شيء يستكمله في أولاده، الملاحظ إذا أب غير متعلم، أو أم غير متعلمة يحرصان حرصاً لا حدود له على تعليم أبنائهم.

الأب العاقل الذي فاته شيء في حياته أن يستدركه في أولاده:

أنت أيها الأب ما دام ابنك استمراراً لك أي شيء فاتك في حياتك يمكن أن تستدركه عن طريق ابنك. والله في بلد عربي، جامعة من أرقى الجامعات، أنا زرتها، جلست بها يوماً بأكمله، اطلعت على كلياتها، وعلى قاعاتها، وعلى مخابرها، وعلى قاعات الكومبيوتر، و تستقبل الطلاب والطالبات، والطالبات محجبات، صُعقت حينما علمت أن الذي أسسها ليس متعلماً، من شدة ألمه أراد أن يعوض عن تقصيره في الثقافة بتعليم أبناء الأمة.

حدثني أحد علماء دمشق عن رجل في صعيد مصر، أرسل ابنه إلى الأزهر وبعد خمس سنوات، عاد إلى قريته في الصعيد خطيب المسجد، وخطب أول خطبة أمام أبيه كاد الأب يموت من البكاء، وكل الناس توهموا أن هذا البكاء هو فرح بأن ابنه أصبح عالماً لكن الحقيقة ليست كذلك، هذا البكاء كان من شدة الألم، تأسفاً على أنه عاش عمره جاهلاً عمر هذا الإنسان 55 سنة، ما كان منه في اليوم التالي إلا أن ركب دابته واتجه إلى القاهرة والمسافة تقترب من ألف كم، تحتاج إلى شهر، وصل إلى القاهرة، سأل أين الأزعر ؟ كيف أزعر ؟ هذا مكان تعلم، قال له: الأزهر، لا يعرف اسم هذه الجامعة، والتحق،

وتعلم القراءة والكتابة في الخامسة و الخمسين، ثم تعلم القرآن وعاش حتى السادسة و التسعين، وما مات إلا شيخ الأزهر.

التربية الإيمانية أن تربط ابنك بأصول الدين و بمنهج رسول الله:

إن القرار الذي يتخذه الإنسان في شأن مصيره قلما تنقضه الأيام، لا تقل أنا بالخمسين، لا، العلم وسام شرف لك، ولو كنت بالستين.

جاءتنا دورات من بلاد متعددة، والله في طلاب بالثمانين جاؤوا إلى الشام من بلاد متعددة.

ترك إنسان أموالاً طائلة، لكنه أهمل أولاده، ترك لهم أموالاً لا تأكلها النيران بعد أيام رأى صديق المتوفى ابن المتوفى، قال له: إلى أين أنت ذاهب ؟ (أنا مضطر أروي لكم كلامه حرفياً)، قال له: ذاهب أسكر على روح أبي، هذه النتيجة، هذه الأموال التي جمعها الأب بكده وعرق جبينه سوف تنفق في المعاصي والآثام.

أندم الناس الذي من دخل بماله النار، ترك هذا المال لأولاد جهلة، منحرفين، شاردين عن الله عز وجل.

شركة عملاقة في الشام لها فرع في مصر، ابن صاحب الشركة ذهب إلى القاهرة سأل صديق لي هناك، قال له: أين قبر محمد ؟ بالضبط، قبر محمد ! ظن أن النبي عليه الصلاة والسلام مدفون بالقاهرة، هل هناك جهل أشد خزياً من هذا الجهل ؟ ابنك امتدادك.



التربية الإيمانية أيها الأخوة، أن تربط ابنك بأصول الدين، بأركان الإيمان، بأركان الإسلام، بحقائق النبوات، بمنهج رسول الله، بتفسير القرآن، بسيرة الصحابة الكرام التربية الإيمانية أن تغرس فيه حقائق الإيمان، إما أنت، أو أمه، أو معلم آخر، أو معهد شرعي، لأنه لو أمكن أن تعتقد ما تشاء وأن تكون ناجياً اعتقد ما تشاء، ولكن ما من تصور غير صحيح إلا وينعكس سلوكاً خاطئاً، يعني الإيمان بأسماء الله الحسنى، وصفاته الفضلى، الإيمان بالكتب المنزلة، فهم كلام الله، فهم القضاء والقدر، خيره وشره من الله تعالى.

إذاً لا بد من أن تعلمه، أنت، أو أمه، أو مدرس، أو معهد شرعي، أو دورة صيفية، أو صديق متفوق في العلوم الدينية، لا بد من أن تهتم بإيمانه، لذلك:

((كفى بالمرء إثما أن يُضَيِّع مَن يقوتُ))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

هو يطعمه، ويكسوه، ويسقيه، ويعالجه، لكن لا يهتم بإيمانه.

أخطر أقسام الإسلام العقائد فإن صحت صحّ العمل وإن فسدت فسد العمل:

إخوانا الكرام، إن صحّ أن الإسلام هرم أول قسم العقائد، وثاني قسم العبادات، وثالث قسم المعاملات، والرابع الآداب، أخطر أقسام الإسلام العقائد، إن صحت صحّ العمل، وإن فسدت فسد العمل، والخطأ في العقيدة كالخطأ في الميزان لا يصحح، أما الخطأ في السلوك كالخطأ في الوزن لا يتكرر، أفضل ألف مرة أن تخطئ في مفردات الشرع من أن تخطئ في العقيدة، لذلك إذا صحت

في رأس هرم الإسلام تأتي العقائد

عقيدة الإنسان صح سلوكه، كيف:

راكب مركبة، تألق على صفحة البيانات ضوء أحمر، التألق حصل رأيته بأم عينك، لماذا تألق هذا الضوء ؟ إن فهمت التألق تألقاً تزينياً، وتابعت السير احترق المحرك، وتعطلت الرحلة، وألغي الهدف، ودفعت مبلغاً فلكياً لإصلاحه، أما إذا فهمت هذا التألق تألقاً تحذيرياً أوقفت المركبة مباشرة أضفت الزيت، تابعت السير، حققت الهدف، أين البطولة ؟ في فهم التألق.

فأنت حينما تربي ابنك على مبادئ الدين تأتيه مشكلة يفهمها رسالة من الله ينصاع إلى طاعة الله.

أخطر شيء تلقنه لابنك العقيدة السليمة:

لذلك الإسلام: عقيدة، وعبادة، ومعاملة، وخلق، أخطر شيء العقيدة، وأنا أقول لك: أخطر شيء تلقنه لابنك العقيدة السليمة، تعلّم وعلّم.

صدقوا ولا أبالغ دروس تربية الأولاد في الإسلام أكبر شريحة انتفعت بها، ليس الأولاد، الآباء، تعلموا وعلموا.

في أحد خطباء دمشق، قال لي: مرة استيقظنا متأخرين أسرعت الأم إلى تهيئة شطيرة لابنها، وقال له أبوه: يا بني كُلها في الطريق لأنه لا يوجد وقت، فوقف هذا الطفل الصغير بالحضانة، قال له: يا أبتِ قال عليه الصلاة والسلام:

((الأكل في السوق دناءة))

[أخرجه الطبراني عن أمامة الباهلي]

لأن الأكل في الطريق يجرح العدالة، والمشي حافياً يجرح العدالة، ومن علا صوته في البيت تجرح عدالته، ومن أطلق لفرسه العنان تجرح عدالته، السرعة الزائدة في السيارات، ومن قاد جرذوناً تجرح عدالته، ومن تنزه في الطرقات تجرح عدالته، ومن كان حديثه عن النساء تجرح عدالته، ومن طفف بتمرة تجرح عدالته، ومن أكل لقمة من حرام تجرح عدالته، قال له: يا أبتِ قال عليه الصلاة والسلام:

((الأكل في السوق دناءة))

أنت حينما يتأدب ابنك بأدب الإسلام، والله أيها الأخوة، حدثني أخ، قال لي: هناك بقالية إلى جانب جامع، ودخل للبقالية عدة طلاب من طلاب هذا المسجد، قال لي: وقفتهم أديبة، كلامهم أديب، دخلت امرأة متفلتة غضّ هؤلاء بصرهم عنها، قال لي صاحب البقالية: شيء واضح جداً هؤلاء الأولاد كتلة أدب، يقول لك: ابن مربى، أنت حينما ترى ابنك بخلق عال صدق ولا أبالغ يدخل على قلبك من السعادة ما لا يوصف هذا استمرارك، هذا خليفتك.

من طبق ابنه منهج الله عز وجل ارتاحت نفسه:

أولاً الله عز وجل جعل هذا المنهج مطابقاً للفطرة، فابنك حينما يطبق منهج الله عزّ وجل ترتاح نفسك، تجده هادئاً، من أغرب ما سمعت بالمحاضرات في بلد آخر، وفي محاضرة لعالم نفس، الأم التي تدخن في الأعم الأغلب بعض أنواع السموم الناتجة عن التدخين تصل إلى دم الجنين، وهذا الجنين حينما يولد يميل إلى الأذى، كل شيء يكسره، كل شيء يخربه، والأم التي تقرأ القرآن يأتي ابنها راغباً في القرآن، بل إن الأم التي ترغب في هذا الحمل يكون حملها هيناً، ولطيفاً، والأم التي ندمت على هذا الحمل، وسألت بعض الشيوخ لإسقاطه، ثم منعت من إسقاطه، وكان هذا الحمل عبئاً عليها مثل هذه الأم تعاني من ثقل في الحمل لا حدود له.

بدأ الآن يتألف كتب حول علم نفس الجنين، التدخين له علاقة، كراهية الحمل له علاقة، وأشياء كثيرة لها علاقة.

لذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يؤذن في أذن المولود اليمنى، ويقيم في الأذن اليسرى: لقنوا أولادكم لا إله إلا الله.

من السنن النبوية الأذان في أذن المولود اليمنى

أحياناً بالحج والعمرة تجد طفلاً صغيراً لابساً ثياب الإحرام، ويطوف، شيء جميل جداً، يكون ابنك معك في المسجد، وبالحج معك، وبالعمرة معك، وبالعيد معك يسمع من أبيه كلمات رائعة، يسمع من الآخرين كلام عن الله عز وجل.

يوجد بمدينة عربية عادة (أنا أقدسها هذه العادة) هذه المدينة لا تسمح لأولادها في العيد أن يذهبوا وحدهم إلا مع آبائهم، قد يكون الأب وزيراً، أبداً، يأخذ ابنه معه، لا يوجد كلمة نابية، لا يوجد تحرش، لا يوجد خطأ، ابنك فلذة كبدك.

الفرائض التي كلفنا الله بها ينبغي أن يؤمر بها الصغار في سن مبكرة حتى يألفوها:

كان عليه الصلاة والسلام يؤذن في أذن المولود اليمنى، ويقيم الصلاة في أذنه اليسرى، في هذا السن يغلب على الطفل التقليد، تلاحظ الأب إذا صلى الابن يقف جانبه الأم إذا تحجبت ابنتها تتحجب مثلها.

فلذلك يجب أن تستغل هذه النزعة إلى التقليد في سن الحياة المبكرة وتكون أمامه كاملاً.

يميل الطفل للتقليد فلنعلمه من هذا الباب

لأن التوجيه، ورد في بعض الأحاديث:

((علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف))

[أخرجه الحارث عن أبي هريرة]

الآن الفرائض التي كلفنا الله إياها، ينبغي أن يؤمر بها الصغار في سن مبكرة حتى يألفوها، لذلك:

((مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر))

[من الجامع الصغير عن عمرو بن شعيب]

فإذا بلغ الـ13 سن التكليف هو يصلي من ست سنوات، يقاس على ذلك البنت الصغيرة أخي هذه ليس لها عورة، لا، لها عورة، ليست مكلفة أن تتستر، لكن يجب أن تنشأ على آداب الإسلام، أي ثيابها سابغة، محشومة، هي صغيرة، يقال هذا أمر تأديبي لا تكليفي.

الآن من التربية الإيمانية فضلاً عن الإيمان، وأركان الإسلام، والأمر بالصلاة والأمر بالصوم للظهر مثلاً، يوم صيام، يوم إفطار، التغاضي عن دقة الصيام، لكن يتأدب بآداب هذه العبادة.

تأديب الطفل على حبّ رسول الله و حب آل بيته وتلاوة القرآن الكريم:

الآن يجب أن يؤدب الطفل على حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني تصدق أن يقول أب لابنه يا بني أحب الله ؟ أحب رسول الله ؟ كلام ما له معنى إطلاقاً، لكن متى تسلك هذا السلوك مع ابنك ؟ حينما تحدثه عن رسول الله، كيف كان مع الصغار، كيف كان يسابقهم أحياناً، كيف يدعوهم لركوب ناقته أحياناً، كيف إذا دخل بيته كان واحداً منهم بساماً ضحاكاً، كيف كان الحسن والحسين يركبان على ظهره صلى الله عليه وسلم، بين لهم أن النبي كان صديق الأطفال، يحب الصغار، هل يوجد الآن خطيب في الأرض وهو على المنبر وأمامه آلاف مؤلفة، ويرى ابن ابنته يتعثر في مشيته، فيوقف الخطبة وينزل، ويحمله ويصعد إلى المنبر ويتابع الخطبة، هكذا فعل النبي.

لذلك ينبغي أن نؤدب أولادنا على حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى حب آل بيته، وعلى تلاوة القرآن.

في المغرب يعلمون القرآن بادئ ذي بدء، أنا بالتدريس كنت أرى أن الطالب الذي اعتنى والداه بتعليمه القرآن لغته فصيحة، بموضوع التعبير يكتب لك:

(حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا)

(سورة محمد الآية: 4)

تعبير قرآني، أكثر الذين يحفظون كتاب الله يستخدمون العبارات القرآنية.

أنا ألفت كتاباً، فكنت مضطراً أن أضبط الكلمات، سبحان الله ! أكثر الكلمات أذكر آية فيها الكلمة أنا حافظ ضبطها، كأن القرآن صار معجماً.

الآن يقول سيدنا سعد بن أبي وقاص: كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلمهم السورة من القرآن، والله عز وجل قال:

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)

(سورة يوسف الآية: 111)

القصة أفضل أسلوب في تلقين الصغار و تربيتهم:

الحقيقة الدقيقة: أن أفضل طريقة لتربية الصغار القصة، والأب الذي يتقن القصة يكن أكبر مربٍ، الآن أنت ائتِ بابنك إلى خطبة الجمعة، ودعه يسمعها معك، بعد الخطبة اسأله يا بني ماذا تذكرت ؟ الخطبة ثلثي الساعة، ما تذكر إلا قصة ذكرها الخطيب القصة لها أثر عجيب، ولها ثبات غريب، فأنت كأب يمكن أن تجعل من القصة أسلوباً فريداً متميزاً في تلقين الأولاد.

أكثر عادات الصغار يتلقونها عن آبائهم وأمهاتهم في حياتهم الأولى:

من الأحاديث المتعلقة بتربية الأولاد، قال عليه الصلاة والسلام:

((كل مولود يولد على الفطرة))

[أخرجه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله]



الأطفال أحباب الله وهم يولدون على الفطرة

الأطفال أحباب الله، على الفطرة، يعني الذي عنده أولاداً صغاراً يرى في صفاء، في خجل، في حياء، في ذاتية، في براءة، ما في حقد، أحياناً الأب يضطر أن يؤدب ابنه بعد دقيقة يلقي بنفسه على حضن أبيه ويبكي، يعني يشعر الطفل أن الأب رحيم، لذلك:

((كل مولود يولد على الفطرة))

[أخرجه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله]

الحديث معروف عندكم، فلا بد من تربية صحيحة معرفة بكتاب الله، وبسنة رسول صلى الله عليه وسلم.

أنا أذكر مرة لي حاجة عند إنسان، قلت له متى نلتقي ؟ قال لي: في مكتبي أي ساعة ؟ التاسعة ؟ قال: لا السادسة صباحاً، أنا شيء غريب جداً، موعد الساعة السادسة صباحاً ؟ قال لي: أنا كان والدي يأخذني لأصلي قيام الليل كل يوم إلى المسجد، فأنا من أربعين خمسين سنة أستيقظ قبل الفجر بساعة، أستيقظ وأصلي قيام الليل، والفجر، وأتوجه إلى مكتبي، قلت: سبحان الله ! هذه السياسة التي سلكها الأب مع ابنه أصبحت عادة متمكنة.

وأكثر عادات الصغار تلقوها عن آبائهم وأمهاتهم في سنين مبكرة.

من الأحاديث المتعلقة بتربية الأولاد ، قال عليه الصلاة والسلام :

((كل مولود يولد على الفطرة))

[أخرجه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله]

الأطفال أحباب الله ، على الفطرة ، يعني الذي عنده أولاداً صغاراً يرى في صفاء ، في خجل ، في حياء ، في ذاتية ، في براءة ، ما في حقد ، أحياناً الأب يضطر أن يؤدب ابنه بعد دقيقة يلقي بنفسه على حضن أبيه ويبكي ، يعني يشعر الطفل أن الأب رحيم ، لذلك :

((كل مولود يولد على الفطرة))

[أخرجه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله] .

الحديث معروف عندكم ، فلا بد من تربية صحيحة معرفة بكتاب الله ، وبسنة رسول صلى الله عليه وسلم .

أنا أذكر مرة لي حاجة عند إنسان ، قلت له متى نلتقي ؟ قال لي : في مكتبي أي ساعة ؟ التاسعة ؟ قال : لا السادسة صباحاً ، أنا شيء غريب جداً ، موعد الساعة السادسة صباحاً ؟ قال لي : أنا كان والدي يأخذني لأصلي قيام الليل كل يوم إلى المسجد ، فأنا من أربعين خمسين سنة أستيقظ قبل الفجر بساعة ، أستيقظ وأصلي قيام الليل ، والفجر ، وأتوجه إلى مكتبي ، قلت : سبحان الله ! هذه السياسة التي سلكها الأب مع ابنه أصبحت عادة متمكنة .

وأكثر عادات الصغار تلقوها عن آبائهم وأمهاتهم في سنين مبكرة

أخطر سن عند الصغار السنوات الأولى من عمرهم:

مرة قلت لكم فيما أذكر أن أحد العلماء علماء صناعة القادة يؤكدون أن كل العادات التي يرغبها الآباء في أبنائهم تترسخ فيهم من السنة الأولى وحتى السابعة، الصدق الأمانة، النظافة، الترتيب، العناية بالأسنان، ألا يكون عنيفاً، يعتذر، يتأدب، يكون هندامه حسن، هذا كل في السنوات السبع الأولى، فلذلك أخطر سن يحتاجه الصغير في السنوات الأولى.

وفي بعض البلاد كبار المربين يتولون مرحلة التعليم الابتدائي، أما في البلاد النامية يكون إنسان معه كفاءة، عنده إحباط بالحياة، كلامه قاس جداً، يده والضرب نسلمه فلذات أكبادنا، هذه مشكلة.

مرة سُئلت سؤالاً: أنه إذا كان قسط المدرسة مئة ألف، هذا فوق طاقة معظم الناس، أنا لي رأي كان لو كان دخلك مئتي ألف والقسط مئة ألف، والقسط حقيقة خرّج ابناً بأعلى درجة من الثقافة من الأدب والعلم والإيمان أنت الرابح الأول لو دفعت نصف دخلك.

فلذلك أنا أكبر الآباء الذي يهتمون بأولادهم اهتماماً كبيراً.

أيها الأخوة، التربية الإيمانية تربية على أركان الإيمان، وأركان الإسلام، والصلاة، والآداب الإسلامية، والعادات الطيبة، وهذا الإيمان يتنامى، فإذا كان الابن عندما يكبر كما ينبغي كان قرة عين لوالديه.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (04-36) : التربية الخلقية -1- العلاقة الوثيقة بين الإيمان و الخلق

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 12-04-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

العلاقة الوثيقة بين الإيمان و الخلق:

بادئ ذي بدء: الإيمان هو الخلق، فمن زاد عليه في الخلق زاد عليك في الإيمان، الإيمان بتعريف جامع مانع هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان.

الآن أضعكم بين عدد من أصح الأحاديث، مما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم بتبيان علاقة الإيمان بالخلق، يقول عليه الصلاة والسلام:

((أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خُلقاً))

[من الدر المنثور عن جابر بن سمرة]

وأنَّ:

((أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً))

[من الجامع لأحكام القرآن عن أبي جعفر]

((أحب عباد الله إلى الله تعالى ؟ قال: أحسنهم أخلاقاً))

[أخرجه الطبراني عن أسامة بن شريك]

((وإن من أقرب المؤمنين مجلساً من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة أحسنهم خلقاً))

((خير ما أعطي الناس قال خلق حسن))

[أخرجه الحاكم عن أسامة بن شريك مرداس الأسلمي]

((مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزانِ المؤمِنِ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء]

((إِنَّ المؤمنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ))

[أخرجه أبو داود عن عائشة أم المؤمنين]

((إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة))

[أخرجه الطبراني عن أنس بن مالك]

((الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

الأحاديث التي تؤكد أن الخُلق الحسن هو كل شيءٍ في الدين:

جمعت لكم طائفة من أصحّ الأحاديث الشريفة في علاقة الإيمان بالخلق، والله ما في مانع أن نعيد هذه الأحاديث مرة ثانية:

((إن أحسن الإسلام إسلاماً))

عني أعلى مسلم

((أحسنهم أخلاقاً))

((وإن أكملهم إيماناً أكملهم خلقاً))

((أحب عباد الله إلى الله تعالى ؟ قال: أحسنهم أخلاقاً))

((وإن من أقرب المؤمنين مجلساً من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة أحسنهم خلقاً))

((خير ما أعطي الناس قال خلق حسن))

((مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزانِ المؤمِنِ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ))

((إنَّ المؤمنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ))

((إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة))

((الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل))

المعاملة الطيبة تشد الآخرين إلى الدين لا عباداتك و صيامك و صلاتك:

الآن النبي عليه الصلاة والسلام كان خطيباً، وكان فصيحاً، وكان متكلماً وبالتعبير المعاصر متحدثاً لبقاً، وكان حكيماً، وكان جميل الصورة، وكان فصيح النطق، وقد تمتع بخصائص لا تعد ولا تحصى، فلما أراد الله أن يمدحه مدحه بخلق حسن.

قاضٍ، وزعيم، وقائد جيش، وزعيم أمة، ونبي، ورسول، وأفصح العرب وجميل الصورة.

(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)

(سورة القلم)

وحينما تلغى الأخلاق يلغى الدين.

أخوانا الكرام، لا أحد يُشد إلى الدين من عباداتك، لا أحد يُشد إلى الدين من صيامك، من صلاتك، ولا من قيام الليل، يُشد إلى الدين من الخلق الحسن.

أنا حدثني أخ كان بتركيا، في أثناء الموسم السياحي، في زحمة الموسم السياحي في إنسان يوناني، يتجول في أجمل منطقة في تركيا، يبدو الفنادق ممتلئة، فنادق الأربع نجوم ممتلئة، والثلاث نجوم ممتلئة، النجمتان ممتلئة، الذي ما في ولا نجمة ممتلئة، أين ينام ؟ طرق أحد الأبواب، يوناني غير مسلم، فتح له رجل مسلم، قال له: هل يوجد عندكم مكان أنام فيه ؟ قال له: عندي، معه زوجته وأولاده، أدخله إلى البيت، هيأ له طعاماً، قال له: أنا عندي بيت آخر، تناول طعام العشاء وارتاح، وهذه غرفة النوم، وهذا المطبخ، أنا عندي بيت آخر، استيقظ هذا اليوناني صباحاً رأى صاحب البيت ينام تحت الشجرة هو وأهله، ما عنده بيت آخر، لكن لو قال له ما عندي ما رضي أن ينام عنده، قال له: عندي بيت ثان، و في الصباح أحضر له الطعام، الآن حدثوني الآن أكبر داعية إسلامي هو نفسه، أسلم.

ما شدّ هذا التركي إلى الدين بصلاته، ولا بصيامه، ولا بأذكاره، ولا من حفظ القرآن، شده إلى الدين هذه المعاملة الطيبة.

المعاملة الطيبة أساس في دخول الناس في دين الله أفواجاً:

والله أيها الأخوة، بالإمكان أن يدخل غير المسلمين في الإسلام أفواجاً بالمعاملة الطيبة، ما الذي شَد الناس إلى رسول الله ؟ المعاملة الطيبة، التواضع.

دخل أعرابي إلى مجلس النبي، قال: أيكم محمد ؟ ولا ميزة ؟ ولا ثياب خاصة ؟ ولا مكان خاص جالس فيه ؟ واحد من أصحابه.

رحمته، تواضعه، حلمه، وفاؤه، أدبه، ما هذا الأدب يا رسول الله ؟ أنا أتمنى أن أقول لكم هذه الحقيقة: والله ما لم نكن أخلاقيين بكل معاني الكلمة، لا أحد يفكر أن يدخل في هذا الدين، قسوة، توزيع ألقاب، وعنف " بالبر يستعبد الحر " والله يوجد قصص لا تعد ولا تحصى.

حدثني أخ: طفل دخل ليصلي في مسجد، المصلون سبعة، أين يصلي ؟ أول صف طبعاً، لا يوجد صف ثان أساساً، لا يوجد غير صف واحد، إنسان عنيف سمع أن الأطفال في الصف الثاني فدفعه، يقسم بالله العظيم أنه خرج من المسجد وترك الصلاة لخمسة و خمسين عاماً، من هذا الموقف العنيف.

وحدثني أخ آخر: طفل دخل للمسجد ليصلي، سُرق حذاءه والحذاء جديد، بكى بكاءً مراً، أخذه إلى محل أحذية، رجل وقور محسن، اشترى له حذاء جديداً أجمل من حذائه الذي سُرق، يقسم بالله العظيم أن هذا الطفل ما فاته فرض صلاة في حياته، موقفين.

الإيمان هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان، لا يوجد أب يستطيع أن يقنع أولاده بالصلاة إذا كان عنيفاً معهم، ضرب، وسُباب، قم صل، يصلي بلا وضوء، طبعاً.

الإنسان عبد الإحسان:

أتحب أن تكون داعية كبيراً من دون أن تكون عالماً ؟ أحسن إلى الناس، الإنسان عبد الإحسان، أحسن إلى الناس، والله الذي لا إله إلا هو لو أن الجاليات الإسلامية في العالم الغربي طبقوا دينهم فقط لدخل الغربيون في دين الله أفواجاً.

الإنسان عبد الإحسان

الآن من أكبر الداعيات في بريطانيا، هي نفسها الإسلاميات، أنا الذي أراه طريقاً واضحاً، كن صادقاً.

(وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)

(سورة المائدة الآية: 8)


كيفما تكونوا يكون أولادكم

إن عدلت مع عدوك يحترمك، الكلام طويل، أب تريد من ابنك أن يكون مصلياً، متابعاً لأوامر الدين ؟ كن أخلاقياً أمامه فقط، تريدي أيتها الأم من ابنتك أن تكون مسلمة طاهرة، عفيفة، محجبة، كوني أخلاقية أمامها فقط.

لا يوجد طريق للتأثير بالناس كحسن الخلق، كالتواضع، كالإنصاف، كالرحمة كالعدل،

طبعاً أنا أتكلم عن أصول هذا الموضوع، التفاصيل لا تنتهي، لكن كم حديث ؟ أكثر من تسعة أحاديث صحيحة، من أصح الأحاديث يربط النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان الصحيح بالخلق الحسن.

علينا أن نحسن فهم هذا الدين و تطبيقه ثم عرضه على الطرف الآخر:

أما حينما نفهم الدين نصوص، وأدلة، وتحليلات، وتوزيع ألقاب الكفر والشرك والابتداع على الناس يزداد الناس نفوراً من هذا الدين.الآن نحن مهمتنا أن نحسن فهم هذا الدين، وأن نحسن تطبيقه، وأن نحسن عرضه على الطرف الآخر.

قال سهل بن عبد الله التستري: كنت ابن ثلاث سنين، أقوم بالليل، فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، قال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك ؟ قلت: كيف أذكره ؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي، فقلت ذلك ليالٍ، ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت، ذلك ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة 11 مرة، فقلته، ففي الليلة الثالثة قال: وقع في قلبي حلاوة الذكر، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك، وأدم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، قال: فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل من كان الله معه، ومن كان الله ناظراً إليه، ومن كان الله شاهده، أيعصيه ؟ إياك والمعصية.

السلوك العنيف يبعد الناس عنك لا يقربهم منك:


الترغيب في الدين وعدم الدفع إليه بالقسوة

تلطف، الضرب، والإهانة، والدفع نحو الوضوء، هذا السلوك العنيف لا يجذب الابن إليك، انظر التلطف، النعومة، أول أيام ثلاثة قل في سرك، دون أن تحرك شفتيك، ثم قل بلسانك، ثم اجعلها عشر مرات، ثم قل الله ناظري، هل يمكن أن أعصيه ؟ قال: في شاب له شيخ، قال له شيخه: يا بني إن لكل سيئة عقاباً، يبدو وقع في خطأ، زلت قدمه في معصية، بحسب كلام الشيخ انتظر

العقاب، انتظر أياماً، أسبوعاً أسبوعين، ثلاثة أسابيع، أثناء الصلاة ناجى ربه، قال: يا رب لقد عصيتك ولم تعاقبني قال وقع في قلبه أن يا عبدي لقد عاقبتك ولم تدر، ألم أحرمك لذة مناجاتي ؟.

بالتلطف، بالنعومة، بالرقة، وبالحنان، والعطف، والطفل ينجذب، بدل أن تقول له إن لم تصلّ الفجر في جماعة سأضربك، لا، إن صليت الفجر في جماعة سأكافئك فرق كبير، دعك من العقوبات، دعك من التعنيف.

((علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف))

[أخرجه الحارث عن أبي هريرة]

ما من سبيل لجذب الناس إلا بالتواضع والحلم و التلطف والأدب:

كان النبي الكريم يصلي بأصحابه، أحد الصحابة تأخر فلما رأى النبي قد نوى الركعة الأولى فأسرع في مشيه حتى أحدث جلبة في المسجد (ضجيجاً)، وقد شوش على الصحابة صلاتهم، والتحق، وأدرك مع رسول الله هذه الركعة، فلما انتهى النبي من صلاته ماذا قال له ؟ قال: يا أخي شوشت علينا صلاتنا، قال له: زادك الله حرصاً، ولا تعد أرأيت إلى هذا الأدب الرفيع ؟.

أنا الذي أراه إن كنت أباً، أو معلماً، أو داعية، أو كنتِ أماً، أو آنسة، أو داعية، ما من سبيل لجذب الناس إلا بالتواضع، والحلم، والتلطف، والأدب، والرقة والعطف.

أدب القرآن الكريم في تعليم الناس:

أيها الأخوة، يجب أن تعلم أنه يمكن أن يضغط الدين كله بكلمة واحدة، بالخلق الحسن، وأصحاب رسول الله ما تركوا هذا الأثر الطيب في أنحاء المعمورة إلا بالخلق الحسن، والمسلمون اليوم بقسوتهم، أنا أقول لا نريد داعية ينطح، ولا داعية يشطح، بل نريد داعية ينصح، لا يمدح، ولا يفضح، كأب، كمعلم، كجار، كصديق، لا تستخدم العنف، الاستعلاء، أنت مخالف، أرأيتم إلى أدب القرآن الكريم، لو شخص سألني ما أدب القرآن الكريم في الحوار ؟ والله شيء لا يصدق:

(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

(سورة سبأ)

يعني الحق كرة عندنا أو عندكم، تعالوا نتحاور، ما في استعلاء، ليس أنا مؤمن وأنت كافر، ليس أنا عالم وأنت جاهل، هذا أدب القرآن الكريم، وهل بعد هذا الأدب من أدب

(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

هذا الذي علمنا إياه القرآن الكريم في أدب آخر:

(لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

(سورة سبأ)

ما قولك ؟ هذا كلام من ؟ كلام خالق السماوات والأرض، علمنا القرآن فن الحوار

(لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

الذي يحب أن يكون داعية يتلطف، يكون رقيقاً.

(وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)

(سورة النحل الآية: 125)

أحسن اسم تفضيل، إذا كان هناك ألف عبارة حسنة ينبغي أن تختار العبارة الأحسن.

مرّ سيدنا عمر على أناس يقيدون ناراً، فقال: السلام عليكم يا أهل الضوء، ولم يقل السلام عليكم يا أهل النار، في رقة.

هل أنت مريض ؟ قال له: لا عافاك الله، هو يقصد لا، العلماء قالوا: ينبغي أن تقول: لا، وعافاك الله، تضيف واواً، لئلا تفهم لا عافاك الله، لا وعافاك الله.

على كل مسلم أن تكون أخلاقه حسنة مع غيره:

الآن في ملاحظة مهمة جداً، أحد أدباء الغربيين يقول: لمَ تشككون في الله فلولا الله لخانتني زوجتي، ولولا الله لسرقني خادمي، ماذا نفهم من هذا الكلام ؟ يعني الله أمرك أن تكون صادقاً، جيد، لكن أمر مليار و خمسمئة مليون مسلم أن يصدقوا معك، أنت الرابح الأول، أمرك أن تكون أميناً، لكن أمر مليار وخمسمئة مليون مسلم إذا عاملوك أن يكونوا أمناء معك، فأي قيد خلقي فأنت المنتفع الأول منه.
عفواً، لو فرضنا أن شخصاً منا ذهب لعند أخ كريم، صالح، مستقيم، من رواد المسجد، يخاف الله عز وجل، ألا تطمئن له ؟ ألا تشعر أنه لن يكذب عليك ؟ لن يغشك ؟ لن يأخذ ما ليس له ؟ فكما أن الله أمرك أن تكون حسن الخلق أمر مليار و خمسمئة مليون مسلم إذا عاملتهم أن يكونوا معك أخلاقهم حسنة.

مستحيل أن تعصي الله عز وجل عندما تؤمن أن علمه يطولك وقدرته تطولك:

هناك نقطة دقيقة: أن الأخلاق الرضية تحتاج إلى ثلاث نقاط، وهذا الكلام دقيق تحتاج إلى أن تؤمن إلى أن الله موجود، وأن هناك حياة بعد الموت، وأن هناك حساباً دقيقاً بهذه الكلمات الثلاث تكون أخلاقياً، الله موجود، وسيحاسب، وسيعاقب، لا تصدق أن يتفلت الإنسان من منهج الله إلا إذا غفل عن هذه النقاط الثلاث.

وكنت أقول دائماً: أنت راكب سيارتك والإشارة حمراء، والشرطي واقف وفي شرطي على دراجة

نارية، احتياط، وفي سيارة فيها ضابط شرطة سير، وأنت مواطن عادي، أو من الدرجة الثانية، ممكن تخالف ؟ مستحيل ! لماذا ؟ لأنه عندك شعور أن واضع قانون السير إنسان قوي، وزير، وفي مخالفات فيها سجن حتى السنة، فإذا أنت ترى أن هذا الشرطي عين واضع القانون، يعني علم واضع القانون يطولك من خلال هذا الشرطي، وأن قدرته تطولك من خلال سلطته، هل يمكن أن تعصيه ؟ مستحيل ! لو درت بلاد العالم مواطن عادي، أمام إشارة حمراء، في شرطي، وشرطي على دراجة، وسيارة فيها ضابط مرور وأنت مواطن من الدرجة الثانية، لا يمكن أن تعصي، لأنك تعتقد أن علم واضع القانون يطولك، وأن قدرته تطولك، اسمع الآية:

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً)

(سورة الطلاق)

عندما تؤمن أن علم الله يطولك، وأن قدرته تطولك، مستحيل أن تعصيه.

الله عز وجل موجود وسيعاقب كل إنسان على عمله فعلينا ألا نعصيه:

إخوانا التجار المستوردين، إذا كان في نسخة ذات لون أحمر من مستورداتك تذهب إلى المالية آلياً، من الجمارك للمالية، وأنت الآن تقدم حساباتك للمالية، هل بإمكانك أن تغفل هذه الصفقة ؟ إن أغفلتها أهدرت حساباتك، وكلفت أرقاماً فلكية، بشكل بديهي لا يمكن أن تعمي على هذه الصفقة، لأن علم وزارة المالية يصل إليها من خلال هذه الوثيقة.

لاحظ نفسك ليس مع الواحد الديان، مع إنسان عادي، أقوى منك، لاحظ نفسك ليس مع الله، ليس مع خالق السماوات والأرض، ليس مع الذي يعلم السر وأخفى، مع إنسان مثلك، لكنه أقوى منك، إذا كان علمه يطولك، وقدرته تطولك لا يمكن أن تعصيه.

أنا أقدم لكم أسباب التخلق بالخلق الحسن، يوجد أسباب أخلاقية، و أسباب مادية، أنت حين تعلم أن الله موجود، ويعلم، وهناك حياة بعد الموت، وسيحاسب، وسيعاقب، لا يمكن أن تعصيه، موجود، ويعلم، وسيحاسب، وسيعاقب، لا يمكن أن تعصيه، راقب نفسك.

من لم تحدث المصيبة فيه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر:


من لم يتعظ بالمصائب فمصيبته في نفسه

هناك شيء آخر: لو شخص تأمل معاملة الله له، كلما أخطأ جاء التأديب، ألا يمكن أن يستنبط بعد حين أنه ما من معصية إلا ولها عقاب، فلماذا أعصي الله ؟ الله عز وجل رب العالمين، ليس القصد أن يحصي عليك أخطاءك، القصد أن يربيك، فكلما زلت قدمك، كل خطأ، كل انحراف، يوجد درس من الله بليغ.

شخص جاء رمضان، واستحقت عليه الزكاة، قصة واقعية، زكاة ماله 10750 زوجته ضغطت عليه، أنه بحاجة إلى تجديد الأثاث، بضغط شديد، بإلحاح شديد فاستجاب لها، وألغى دفع الزكاة، ونفذ رغبتها.

بالمناسبة في صحابي جليل، ضغطت عليه زوجته لحاجات تريدها، لا يملك ثمنها، فلما بالغت في الضغط عليه قال لها: أيتها المرأة إن في الجنة من الحور العين ما لو أطلت إحداهن على الأرض لغلب نور وجهها ضوء الشمس والقمر، فلأن أضحي بك من أجلهن، أهون من أضحي بهن من أجلك، هذا موقف حاسم.

هذه ضغطت على زوجها، وتمكنت أن تصرفه عن دفع الزكاة، وأن ينفذ لها رغبتها في البيت، يقسم لي بالله: سيارته وقع فيها حادث، قال لي: ذهبت إلى الصواج، ثم البخاخ، ثم القطع المكسورة، قال لي: بقدرة قادر مجموع النفقات 10750 ليرة، درس من الله، الله عز وجل يربينا.

هل أقول لكم من هو أسوأ إنسان في التعامل مع الله ؟ هو الذي لا يستفيد من تأديب الله له، قالوا: من لم تحدث المصيبة فيه موعظة، فمصيبته في نفسه أكبر.

من وجد قلباً كبيراً يستوعبه استقام على أمر الله:



إذاً أنت حينما تعلم أن الله موجود، ويعلم، وسيحاسب، وسيعاقب، وأن علمه يطولك، وأن قدرته تطولك، هذه أكبر دوافع كي تستقيم على أمره، وكي تكون صادقاً وأميناً. الآن شخص كأبي حنيفة النعمان، من أعلم الفقهاء، له جار مغنٍّ أقلقه لسنوات طويلة، لا يحلو له الغناء إلا وقت النوم، وقت نوم الناس، وله أغنية مفضلة:

أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ليَوم كريهةٍ وطِعانِ خلس

* * *

مرة افتقد صوت المغني في إحدى الليالي ما الأمر ؟ معنى ذلك هو محبوس فذهب أبو حنيفة بمكانته العلية إلى صاحب الشرطة، وصاحب الشرطة ما صدق أن يأتي أبو حنيفة إليه، فأطلق هذا المغني، وأطلق معه كل من اعتقل في ذلك اليوم، إكراماً له، أركبه على دابته، قال له: يا فتى، هل أضعناك ؟ تقول أنت: أضاعوني وأي فتىً أضاعوا، قال له: وعهد الله عز وجل ألا أغني إكراماً لك.

لو أن الشاب المخطئ وجد قلباً كبيراً يستوعبه، يعاونه، يذوب خجلاً، لا تكن عنيفاً، أبو حنيفة النعمان بمكانته العلية ذهب بنفسه ليسهم في الإفراج عن هذا المغني الجار، الجار له حق، ولو لم يكن مسلماً، ولو لم يكن مستقيماً.

الخلق الحسن أثمن شيء في الوجود:

يا أيها الأخوة، أول تربية لأولادك التربية الخلقية، تجد طالباً لطيفاً مؤدباً حيياً خجولاً، زارنا شاب من تركيا، لكن يتمتع بتربية عجيبة، اتصل بوالده، قام ووقف لا يمكن أن يتصل بوالده وهو قاعد، هو في الشام، والده في أضنة، تعلم الأدب مع والده نحن لفت نظرنا قاعد يتصل، لما فتح الخط وقف، سألناه، قال أنا غير معقول أكلم والدي وأنا جالس، على الهاتف.

أيها الأخوة، لا يوجد شيء أثمن من حسن الخلق، لما تربي ابنك على الأدب والاعتذار، النبي علمنا كيف يكون الابن مؤدباً مع أبيه.

((فلا تمش أمامه، ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه، ولا تستسب له))

[أخرجه الطبراني عن عائشة أم المؤمنين]



الخلق الحسن أثمن شيء في الوجود

مرة نفحص بيتاً دخلت أنا مع صاحب البيت إلى غرفة، شاب مضجع على ظهره، رجل فوق رجل يتابع فيلماً، ولا تحرك، مع التفلت في وقاحة، مع التفلت في سوء أدب، مع التفلت في عدم احترام الآخر.

فيا أيها الأخوة، نحن بالتربية عنا التربية الخلقية، والإيمانية، والعلمية والنفسية، والاجتماعية، والجسمية، والجنسية، أول تربية التربية الخلقية.

تربية الأب لابنه تكون بعدة أمور:

1 ـ الإحسان إليه:

أيها الأخوة الأكارم، بعض الأحاديث الشريفة التي تتحدث عن حسن الخلق، في تربية الأب لابنه، يقول عليه الصلاة والسلام:

((ما نَحَلَ وَالِدٌ وَلَداً من نَحْلٍ أفضل من أدبٍ حَسَنٍ))

[أخرجه الترمذي عن مرسل سعيد بن العاص]

حديث آخر:

((أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ))

[أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك]

ولعل في الحديث ملمحاً دقيقاً، لن تستطيع أن تحسن أدبهم إلا إذا أكرمتهم، أي الإحسان قبل البيان، أنت بالإحسان تفتح قلب ابنك.

2 ـ البيان له:



ثم بالبيان تفتح عقله، ابدأ بالإحسان الإحسان قبل البيان، يعني بصراحة بالثقافة الإسلامية كل أب يُحترم، في ثقافة المسلمين، في ثقافة هذه المنطقة، لكن ما كل أب يُحب، كل أب محترم لكن بطولتك لا أن تنتزع احترام أولادك، البطولة أن تنتزع محبتهم، لذلك:

((أكْرِمُوا أوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أدَبَهُمْ))

[أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك]

أي لن تستطيع إحسان أدبهم إلا إذا أكرمتهم، في ملمح يشابه هذا الملمح:

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ)

(سورة النور الآية: 30)

سبيل حفظ الفرج غض البصر، لن تستطيع أن تمتنع، أو أن تبتعد بعد الأرض عن السماء عن الزنا إلا إذا غضضت بصرك هنا:

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ)

((أكْرِمُوا أوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أدَبَهُمْ))

[أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك]

افتح قلب ابنك بالإحسان ثم افتح عقله بالبيان.

3 ـ التوجيه و المحاسبة ثم المعاتبة:

توجيه ثالث:

((علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف))

[الجامع الصغير عن أبي هريرة]

الأب أحياناً يغضب، يريحه يضرب ضرباً مبرحاً، لكن عندئذٍ ليس مربياً، وفي حلّ آخر يسيب، التسيب ليس حلاً، والضرب المبرح ليس حلاً، ولكن الحل أن توجهه وأن تحاسبه، وأن تعاتبه، وأن تُعرض عنه، ومن أطاع عصاك فقد عصاك.

((علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف))

4 ـ تعليمه المنهج الصحيح ثم تأديبه:

التوجيه الرابع:

((علموا أولادكم الخير وأدبوهم))

[ابن ماجه عن أنس]

علموهم، يا بني هذا العمل لا يجوز نهى الله عنه في القرآن، هذا العمل نهى عنه النبي، علمه أولاً ثم حاسبه، في آباء يحاسب قبل أن يعلم، في ظلم، الطفل ما عنده معلومات، علمه أولا المنهج، ثم أدبه، هذا ملمح رابع.

((إن من حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه، وأن يحسن أدبه))

[أخرجه البزار عن أبي هريرة]

هذه توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام، لذلك إذا أردت أن تكون مطبقاً لمنهج النبي طبق هذه التوجيهات.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (05-36) : التربية الخلقية -2- القدوة قبل الدعوة - الكذب

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 19-04-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الخامس من دروس تربية الأولاد في الإسلام ولازلنا في التربية الأخلاقية.

من زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان:

بادئ ذي بدء: الإيمان هو الخلق، فإذا ألغي الخلق، ألغي الإيمان، ألغي الدين أصبح الدين من دون خلق عادات وتقاليد، أصبح ثقافة، أصبح تراثاً، أصبح فلكلوراً، إذا ألغيت الأخلاق من الدين ألغيت الدين كله.

لأن أحد أكبر علماء المسلمين وهو ابن القيم رحمه الله تعالى يقول: الإيمان هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان.

والنبي عليه الصلاة والسلام أوتي جوامع الكلم، أوتي الجمال البشري، أوتي الفصاحة، أوتي الوحي، أوتي المعجزات، أوتي خصائص لا تعد ولا تحصى، لكن حينما أراد الله أن يمدحه، بماذا مدحه ؟ قال:

(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)

(سورة القلم)

الآن ما الذي يشد الناس إليك ؟ الخلق، لا ينشدون إليك لعباداتك، ولا لحجمك المالي، ولا لقوتك، ولا لذكائك، الناس يُشدون إليك بتواضعك، بإنصافك، بكرمك، بشجاعتك، فالذي ينشد الناس إليه، صاحب الخلق.

التربية الأخلاقية أخطر شيء في الدين:

لذلك إذا بدأنا بالتربية الأخلاقية نبدأ بأخطر شيء في الدين، وأنا أقول لكم أيها الأخوة، أنا أحتمل من الذين حولي كل خطأ، والمؤمن مذنب تواب.

((كُلُّ بَني آدمَ خطَّاءٌ وخيرُ الخَطَّائينَ التَّوابونَ))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

إلا الكذب، لذلك ورد في بعض الأحاديث:

((يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب))

[أخرجه الإمام عن أبو أمامة الباهلي]

هناك مؤمن أنيق يعتني بثيابه عناية فائقة، هناك مؤمن أقل أناقة، وهناك مؤمن يعتني ببيته عناية فائقة، ويوجد مؤمن أقل عناية، و مؤمن اجتماعي، و مؤمن يميل إلى العزلة، و مؤمن متفائل، وهناك مؤمن يغلب عليه التشاؤم، كل هذه الخصائص والطباع على العين والرأس.

يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الكذب والخيانة

((يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب))

فإذا كذب أو خان ليس مؤمناً، من أبرز ما تقدمه لأولادك الصدق، والحقيقة الدقيقة: أن الناس أيها الأخوة يتعلمون بعيونهم لا بآذانهم، يعني مئة محاضرة في الصدق تلغى بأن تقول لابنك قل له: لست في البيت، مئة محاضرة في الصدق تلغى بتصرف كاذب واحد، لأن الناس يتعلمون بعيونهم لا بآذانهم، هذا الحديث دقيق جداً:

((يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب))

جميع الخلال والطباع على العين والرأس، الآن عفواً، في مؤمن مدني، مؤمن ريفي، كلاهما على العين والرأس، في مؤمن غني، مؤمن فقير، كلاهما على العين والرأس، في مؤمن يحمل شهادة عليا، مؤمن لم يتعلم، لكن صادق أمين على العين والرأس.

((يطبع المؤمن على الخلال كلها))

الكذب مؤشر خطير عند ابنك عليك أن تنتبه له:

الآن بعلم النفس ما يسمى بعلم الطباع، في إنسان يميل إلى الحذر، في إنسان يمنح الثقة لمن حوله كثيراً، في إنسان يميل إلى المرح، في إنسان يميل إلى العبوس.

((يطبع المؤمن على الخلال كلها))

ليس هناك مشكلة.

((إلا الخيانة والكذب))

فإذ كذب أو خان ليس مؤمناً، لأن النبي عليه الصلاة والسلام في بعض أحاديثه يقول:

((المؤمن لا يكذب))

يعني الابن يخطئ، يرتكب خطأ قد يكون كبيراً، الأب يحتمل إلا أن يكذب فإذا كذب، الكذب مؤشر خطير عند ابنك.

الكذب أخطر شيء في تربية الأولاد:

لذلك أيها الأخوة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((أربع مَنْ كُنّ فيه كان منافقاً خالصاً. وَمَنْ كانت فيه خَصْلَة منهن كانت فيه خَصْلَة مِنَ النِّفَاق، حتى يَدَعَهَا: إذا ائْتُمِنَ خَانَ، وإذا حَدّث كَذَبَ. وإذا عَاهَدَ غَدَرَ. وإذا خَاصَمَ فجر))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

((أربع مَنْ كُنّ فيه كان منافقا خالصا))

من هذه الأربع إذا حدّث كذب، البيت المسلم ما في كذب، لا تكذب الزوجة على زوجها، ولا الزوج على زوجته، ولا الابن على أبيه، ولا الأب على ابنه، يكاد يكون موضوع الكذب أخطر ما في تربية الأولاد، لا تكذب، كن صادقاً، لذلك:

((أربع مَنْ كُنّ فيه كان منافقا خالصا))

يعني أحياناً يأتي سؤال، ألم يسمح النبي صلى الله عليه وسلم للزوج أن يكذب على زوجته ؟ أنا أرى أن الأزواج فهموا هذا الحديث على غير ما أراده النبي عليه الصلاة والسلام، فهموه اكذب عليها في كل شيء، الأسعار مضاعفة، حتى تهتم بهذا الشيء تزورها أختها تقول لها: أخذه بثمانية آلاف، ما في شيء من هذا ! أربعة بالسوق ثمنه، ظهر زوجها أنه كاذب، سبحان الله لحكمة بالغة ما في كذبة تستمر، والله أعلم الذي أفهمه من أن النبي صلى الله عليه وسلم سمح للزوج أن يكذب على زوجته في حالة واحدة، لو أنها سألته: أتحبني ولم يكن يحبها كما تتمنى، وقال لها: إني أحبك حباً جماً، وقد كذب عليها، هذا الذي يرأب الصدع في البيت، هذا الذي يطمئن الزوجة.

لو أنه سألها أتحبينني ؟ ينبغي أن تكذب عليه، وأن تعبر عن حبها له كي تتمتن العلاقة بينهما، وكي يقطف الأولاد ثمار هذه العلاقة المتينة، في هذا الموضوع فقط، هذه العلاقة المتينة، في هذا الموضوع فقط أما النبي له شأن آخر.

سألته السيدة عائشة كيف حبك لي ؟ قالت كعقدة الحبل، هو في هذا صادق، تسأله من حين لآخر: يا رسول الله كيف العقدة ؟ على حالها، عقدة متينة، هذا موضوع آخر، هو في تعبيره عن محبته صادقاً. أما أنه سمح للزوج أن يكذب على زوجته في كل شيء ؟ الكذب يكشف بعد حين فإذا كشف صار الزوج كذاباً، فإياكم ثم إياكم أن تتوسعوا برخصة الكذب على الزوجة، إلا أتحبني ؟ يقول لها إني أحبك، طمأنتها، جبرت قلبها، ما كل زواج يبنى على حب، هناك زواج يبنى على مصلحة، عندك أولاد منها.

الإسلام بناء أخلاقي و ليس صلاة و صياماً و حجاً و زكاة فقط:

أيها الأخوة:



((عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البر))

[رواه الطبراني عن معاوية بن أبي سفيان]

((إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار أنه يقال للصادق صدق وبر ويقال للكاذب كذب وفجر وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا أو يكذب حتى يكتب عند الله كذابا))

[أخرجه الحاكم عن عبد الله بن مسعود]

أيها الأخوة الكرام، لما النجاشي سأل سيدنا جعفر، قال له: حدثنا عن هذا الإسلام، عن هذا الدين، قال:

((أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى

بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لتوحيده ولنعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء))

[أخرجه الإمام أحمد عن أم سلمة أم المؤمنين]

بربكم أليس هذا شرحاً للإسلام من صحابي جليل

((وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء))

أنا أقول دائماً:

((بُنِي الإسلامُ على خَمْسٍ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عمر]

هل الإسلام بني على خمس، على صلاة، وصيام، وحج، وزكاة، ونطق بالشهادة ؟ الإسلام شيء آخر، الإسلام منهج أخلاقي، الإسلام بناء أخلاقي.

انتهاء الدين بعزله عن الأخلاق:

مرة ثانية أيها الأخوة، في اللحظة التي نعزل الأخلاق عن الدين انتهى الدين، ولا وزن للمسلمين عند الله، وكل وعود الله للمؤمنين معطلة، ألم يقل الله عز وجل:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنَاً يَعْبُدُونَنِي)

(سورة النور الآية: 55)

وعود الله للمؤمنين معطلة إن لم نكن أخلاقيين:

هذه الوعود إن لم نفهم الدين كلاً أخلاقياً فهي معطلة، ألم يقل الله عز وجل:

(وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)

(سورة الصافات)

ألم يقل الله عز وجل:

(وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)

(سورة الروم)

ألم يقل الله عز وجل:

(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

(سورة غافر الآية: 51)

ألم يقل الله عز وجل:

(وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً)

(سورة النساء)

كم وعد ؟ إن لم نكن أخلاقيين كل هذه الوعود معطلة، وهذا حال المسلمين اليوم، الإيمان هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان.

أكبر عطاء من الأب لابنه أن يعلمه الصدق:

أخوانا الكرام، البيت الذي فيه صدق بيت عظيم، بيت مبارك، بيت في تفاهم والله أيها الأخوة، لو ألغي الكذب من حياتنا، لكنا جميعاً بحال غير هذا الحال.

مرة كنت بجلسة كل ما قيل كذب بكذب، قال لي شخص: أين كنت ؟ قلت والله بجلسة كذب، كل إنسان يمدح نفسه بما ليس فيه، يمدح بأولاده، تمدح ببناتها، كله كلام فارغ، كن صادقاً.

البيت الذي في صدق بيت مقدس، وتقريباً معظم المشكلات تأتي من الكذب، المبالغة كذب، والتقليل من الشأن كذب، هناك كذب مبالغة، و هناك كذب تقليل، هناك كذب تعتيم، وهناك كذب إبراز، أنواع الكذب لا تعد ولا تحصى.

لذلك أكبر وسام شرف للمؤمن أنه لا يكذب، وأكبر عطاء من الأب للابن أن تعلمه الصدق.

بالمناسبة إذا علمته أن يكون صادقاً وكسر آنية، وقال لك أنا كسرتها ينبغي ألا تضربه.

إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة:

والله أيها الأخوة، عندي أخ أعتز فيه، شاب، فتح والده له معملاً بمصر، هو مدير معمل لكنه شاب صغير، يسوق مركبته (سأقول لكم كلاماً دقيقاً) مسّ سيارة أمامه فيها إنسان بالخامسة و التسعين، مات، مس خفيف، فاتصل بمدير معمله، قال له: اطمئن، تعال الساعة الفلانية للقسم الفلاني، جاء، كل شيء منتهٍ، ضبط بخلاف الواقع، المركبة التي مسها هو جاء بالتقرير أنها هي التي اقتربت منه، فقال له: لا أوقع، قال له الضابط: معقول ؟ أنا ما مرّ معي شخص أنا خلصته يوقع حاله، قال له: أنا من الله لا أخلص، الذي حدث خلاف ذلك، ورفض أن يوقع، ووقع كما وقع، وأعطى الدية لهذا الذي تسبب بموته وعيّن أولاده بالمعمل، لو كنا كذلك، هذا شاب طالب علم، خاف من الله أن يكتب الضبط بخلاف الواقع.

فالمؤمن لا يكذب، في قصة إخوانا الكرام، عبد القادر الجيلاني، هذا من كبار العلماء، أعطته أمه أربعين ديناراً ذهبياً من أجل أن يتابع العلم في بغداد، في الطريق اعترضت قافلته قطاع الطرق

(اللصوص)، من مجموعات مجموعات، أول مجموعة كم معك يا غلام ؟ قال أربعون ديناراً ذهبياً، لم يصدقوه، المجموعة الثانية، قال لهم: معي أربعون ديناراً، فأخذه أحد أفراد العصابة إلى رئيس العصابة، قال: يقول إن معه أربعين ديناراً، قال له: معك ؟ قال له معي، قال له: كيف أعلنت عن هذا المبلغ ؟ قال له: لأني عاهدت أمي على الصدق، وحلفت عليّ إلا أكذب، وأنا أخاف أن أخون عهدها، رئيس العصابة قال له: أنت تخاف أن تخون عهد أمك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله عز وجل وبكى، وتاب على يد هذا الغلام، فإذا بأفراد العصابة جميعاً يتوبون كما يتوب رئيسهم طفل صادق. والله أيها الأخوة، يوجد قصص عن آثار الصدق، الصدق منجاة، والكذب مهواة، لذلك:

((عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البر))

((إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الكذب يهدي إلى الفجور))

الصادق يكتب عند الله صدّيقاً

شخص سأل النبي عليه الصلاة والسلام سؤالاً، قال له: يا رسول الله، ماذا ينجي العبد من النار ؟ قال: إيمان بالله، قال: مع الإيمان عمل ؟ قال: أن يعطي مما أعطاه الله، قال: فإن كان لا يجد، وضع له عقبة، فقال عليه الصلاة والسلام: أن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر، قال: إن كان لا يستطيع، قال له: فليعن الأخرق (أي يحاول الإنسان)، قال له: إن كان لا يقدر، قال له عليه الصلاة والسلام، كأنه أخذه غضب شديد، قال له: أو ما تريد أن تترك لصاحبك من خير ؟ ما له ولا ميزة ؟ لا يستطيع أن يعطي مما أعطاه الله، ولا يستطيع أن يأمر بالمعروف، ولا أن ينهى عن المنكر، ولا أن يعين إنساناً ؟ ليمسك أذاه عن الناس، قال له: وإن فعل هذا دخل الجنة ؟ اسمعوا الجواب الرائع، قال عليه الصلاة والسلام:

((ما من مؤمن يصنع خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى يدخل الجنة))

[أخرجه ابن أبي شيبة عن أبو ذر الغفاري]

أي أنت حينما تصدق ولا تكذب هذا الصدق يأخذك إلى البر، يا بني صليت العشاء ؟ الابن عاهد ربه على الصدق، لا يا بابا، تعال نصلي معاً، صلى، قال له صليت سكت الأب، ما دام صدق

((الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا))

المتابعة تحتاج إلى جهد لكن ثمارها يانعة جداً:

لذلك أكبر عطاء يقدمه الأب لأولاده أن يعلمهم الصدق، لكن المتابعة متعبة، أين كنت ؟ عند رفيقي، أفضل لك أن تقبل منه، لكن أنت عندك إحساس هذه الرواية غير صحيحة من رفيقك ؟ اسمه ؟ أعطيني

هاتفه، اتصل به، تحتاج إلى وقت و إلى جهد و إلى نفس طويل، متعبة، المتابعة متعبة، أكثر الآباء يميلون إلى الراحة، أي رواية تقدم لهم يصدقونها على أولادهم، الابن وجد الأب ما حقق، عوده على الكذب، أما إذا حقق تحقيقاً دقيقاً، ووصل إلى الخطأ، وأدبه عليه، أو لو لم يؤدبه، مع الأب صعب جداً يقبل رواية غير صحيحة.



هذه الأبوة، متابعة، أين كنت يا ابنتي ؟ عند رفيقتي، من بيت من ؟ قد تكون مع شاب كانت، قالت له: عند رفيقتي، تلفونها، لا أعرف تلفونها، قومي نسألهم، ركبها بسيارته تفضلي، أين بيتها ؟ ما كنت عندها ؟ لما الابن أو البنت تلاحظ في متابعة دقيقة، أنا بالنسبة لي في نقطة دقيقة، أي منصب قيادي، إذا ما تابعت تنتهي.

مرة كنت بمؤسسة تعليمية كبيرة، ما أعطيت أمراً إلا وسجلته عندي، ثاني يوم أطلب الشخص، ماذا فعلت ؟ أنا لما أعطي أمراً ما أكتب أمامه، أعطي أمراً شفهياً، يخرج من الإدارة، أكتب عندي على المذكرة، الأمر الذي أعطيته إياه، ثاني يوم تابعه، بعد أسبوع أو أسبوعين أو ثلاثة شعر كل من حولي لا يمكن أن أنسى شيئاً، أنا أنسى لكني أكتبه أنا أقول للآباء أعطيت ابنك توجيهاً اكتبه عندك، ثاني يوم طالبه فيه، عاهد ابنك على شيء اكتبه عندك، ثاني يوم طالبه فيه، المتابعة تحتاج إلى جهد لكن ثمارها يانعة جداً.

لما الابن يقدم رواية غير صحيحة والأب ما تابعها، الأب بعدم متابعته، وعدم التدقيق والتحقيق، وجد الكذب سهل، أنا أميل إلى أن أعتقد والاعتقاد مؤلم أن كل أخطاء الأولاد بسبب أخطاء الآباء، لا تقول أن ابني سيئاً، لا يوجد ابن سيء، لكن في تربية سيئة التربية السيئة أعطت ابناً سيئاً.

الصدق أمانة والكذب خيانة:

إخوانا الكرام، الصدق أمانة، والكذب خيانة، الصدق أمانة والكذب خيانة لكن في حديث يقصم الظهر:

((كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق أنت به كاذب))

[أخرجه الإمام أحمد عن نواس بن سمعان]

لا تحابي نفسك، إن حدثت أخاك حديثاً وهو لك به مصدق، وأنت له به كاذب فقد ارتكبت خيانة، خيانة كبيرة جداً.

((كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق أنت به كاذب))

[أخرجه الإمام أحمد عن نواس بن سمعان]

والكذب مهما يكن في توافه الأمور فهو كذب، كان النبي صلى الله عليه وسلم في بيت أقربائه فيما يبدو، فسمع امرأة تقول لابنها تعال هاك أي خذ، فالنبي انتبه، قال لها ماذا أردت أن تعطيه ؟ قالت: تمرة، قال: أما إنه لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة، تعال هاك.

لي قريب مقيم بأمريكا، جاء في الصيف، فابنه الصغير يبدو أنه نشيط نشاطاً زيادة عن الحدود الطبيعي، فجدته قالت له: اهدأ ومساء سآخذك إلى مكان جميل، فهدأ لأنه صدقها، فارتاحت، في المساء لم تأخذه، وهي بالأساس لا تنوي أن تأخذه، لكن بهذه الطريقة تسكته، هو صغير جداً قال لجدته: أنت إنسانة كاذبة.

على كل إنسان أن يلتزم الصدق لأن الصادق إنسان عزيز النفس:

يا أخوان الأب قدوة، إياك، ثم إياك، ثم إياك أن تكذب لا على أولادك، ولا على زوجتك، قل الحق ولو كان مراً، الصادق عزيز النفس.

عفواً لو أنت ذهبت إلى بيروت، وقال لك شخص: أرجو أن تأتي بهذه الحاجة وأنت نسيته، فلما عدت سألك، هل أتيت بها ؟ لو قلت له مفقودة، هو ما عنده إمكانية يحقق، سكت، لكن أنت ألا تصغر أمام نفسك ؟ يصبح انهدام داخلي، لو تجرأت وهو إنسان غالٍ عليك، قلت له والله نسيت، ينزعج منك، لكن بعد الانزعاج تشعر بعزة الصدق، تكلم، قل نسيت، لا تقل ما وجدتها.

يعني في حالات كثيرة جداً لا يستطيع الآخر أن يكتشف الآخر ما إن كان صادقاً أو كاذباً، كن صادقاً، وهيىء نفسك لموقف صعب، لكن الصدق منجاة، والكذب مهواة.

أي الأب، الأم، المعلم، الأخ الأكبر، مدير المحل، مدير معمل، مدير جامعة، مدير مستشفى، حاول أن تقول صادقاً.

هل تصدقون أن أحد رواة الحديث الشريف، لأنه كذب على فرسه الذي أتى من المدينة إلى البصرة ليأخذ حديثاً عن هذا الراوي، من المدينة للبصرة، جاء ليأخذ حديثاً عن أحد الرواة، قبل أن يصل إليه رآه يجمع ثوبه هكذا، موهماً فرسه بأن فيها شعيراً، فلما أقبلت عليه أمسك بزمامها، لا يوجد شعير، لم يقبل أن يأخذ عنه الحديث، أي الذي يكذب على فرسه ليس مؤهلاً أن يؤخذ عنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أحبّ شيء إلى الله تعالى الشاب التائب:

أيها الأخوة

((إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر))

لما أنت تصدق مع الناس بعد حين تصدق مع نفسك، وبعد حين تصدق مع ربك، والله الذي لا إله إلا هو لو ألغي الكذب من حياتنا، لكنا بحال آخر، المرأة صادقة، الزوج صادق، المدير العام صادق الموظف صادق، أما آلاف الحالات بإمكانك أن تكذب، ولا أحد يكتشف أنك كاذب.

((كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق أنت به كاذب))

[أخرجه الإمام أحمد عن نواس بن سمعان]

لذلك ورد في الأثر:

((أحب ثلاثاً، وحبي لثلاث أشد، أحب الطائعين، وحبي للشاب الطائع أشد))

يعني إنسان بالثمانين لا يعصي الله، أما بالخامسة عشر، بالسادسة عشر، بالثامنة عشر كتلة اندفاعات، كتلة شهوات، لا يوجد شيء أحب إلى الله تعالى من شاب تائب.

((إن الله يباهي الملائكة بالشاب التائب، ويقول انظروا عبدي ترك شهوته من أجلي))

((أحب ثلاثاً، وحبي لثلاث أشد، أحب الطائعين، وحبي للشاب الطائع أشد، أحب المتواضعين، وحبي للغني المتواضع أشد))

والله أيها الأخوة، لو التقيت بغني مؤمن تشتهي الغنى منه، من تواضعه، من سخائه، من حبه للآخرين.

((وأحب الكرماء، وحبي للفقير الكريم أشد))

يحب الطائعين وحبه الشاب الطائع أشد، يحب المتواضعين وحبه للغني المتواضع أشد، يحب الكرماء وحبه للفقير الكريم أشد.

((أبغض ثلاثاً، وبغضي لثلاثٍ أشد، أبغض العصاة، وبغضي للشيخ العاصي أشد))

((وأبغض المتكبرين وبغضي للفقير المتكبر أشد))

يكذب، يدعي ما ليس له، كيف يستطيع الفقير أن يتكبر ؟ بالكذب.

((وأحب الكرماء، وحبي للفقير الكريم أشد))

الدين منهج موضوعي عليك أن تطبقه حتى تقطف ثماره:

أيها الأخوة، لابد من أن نقف وقفة متأنية عند ما يجري في البيت، هذا الطفل ما في داعي أن نعمل له محاضرات، يكفي أن نكون قدوة له، القدوة قبل الدعوة، يكفي أن تكون أنت مثلاً أعلى لهم، وأمه كذلك، وأخوه الأكبر كذلك، الأمر يستقيم، أحياناً تقول التربية تحتاج إلى معلومات، إلى دراسات، لا، لا، عندنا قاعدة: الانتفاع بالشيء ليس أحد فروع العلم به، كيف ؟

يأتي إنسان يحمل دكتوراه في التكييف، جامعة كبيرة، يشتري مكيفاً، يضغط مفتاح التشغيل يأتيه الهواء البارد، لكنه على علم بكل ما يجري بهذا الجهاز، موضوع الغاز، تحول الغاز إلى جو بارد...إلخ.

لو جاء إنسان لا يقرأ ولا يكتب واشترى مكيفاً، وضغط مفتاح التشغيل يأتيه الهواء البارد مع أنه لا يفقه شيئاً مما يجري في هذا الجهاز، فقال العلماء: الانتفاع بالشيء ليس أحد فروع العلم به.

يعني أنت حينما يصدق ابنك، من دون تعمق، من دون تحليل، من دون فلسفة، يقطف كل ثمار الصدق، وحينما يكذب الإنسان من دون تحليل، من دون تعميق، من دون يتحمل كل نتائج الكذب.

فعظمة هذا الدين، منهج موضوعي، هو أنت حللته تحليلاً عميقاً، لو لم تحلل هذا المنهج يكفي أن تطبقه، حتى تقطف كل ثماره.

الصدق يجب أن يكون شمولياً يشمل كل أفراد الأسرة:

لذلك هذا الموضوع موضوع الصدق يجب أن يكون شمولياً، بدءاً من الأب وانتهاءً بالصغير، حتى في دراسات الآن الطفل الرضيع أحياناً تنظفه، وتطعمه، ويبكي فإذا حملته عودته وهو في سن الشهر أنه لو كان قد أكل، وارتوى، وكان نظيفاً، لكن يحب من يعتني به زيادة، فيبكي تحمله، أما في أب لا يحمله، ما دام نظيفاً وآكل أكلاً جيداً، لا يحمله، ما عاد يبكي بلا سبب، أنت عودته يبكي بلا سبب، لما حملته عودته يبكي بلا سبب.

إخوانا الكرام، أكثر ما يعاني الآباء من أبنائهم في سنوات متقدمة من حياتهم أخطاء مارسوها حينما كان الأطفال صغاراً.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (06-36) : التربية الاجتماعية -1- ظاهرة السرقة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 26-04-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس السادس من دروس تربية الأولاد في الإسلام ولا زلنا في التربية الاجتماعية.

الأبوة المثالية طريق إلى سعادة الدنيا والآخرة:

لابدّ من مقدمة:

القاعدة الذهبية الرائعة: درهم وقاية خير من قنطار علاج، فكلما كان الأب أعلى وعياً، وفهماً، وإدراكاً للمسؤولية، كلما كان الأب عالماً برسالته تجاه أولاده، كلما كان الأب متمثلاً المسؤولية التي حمله الله إياها، سلك الوقاية قبل العلاج، درهم وقاية خير من قنطار علاج.

مرة سيدنا معاوية سأل أحد أكبر دهاة العرب (عمرو بن العاص)، قال له: يا عمرو، ما بلغ من دهائك؟ قال له: والله ما دخلت مدخلاً إلا أحسنت الخروج منه، قال: يا عمرو لست بداهية، أما أنا، والله ما دخلت مدخلاً أحتاج أن أخرج منه، أنا في الأساس لا أدخل.

فهناك مشكلات لا تعد ولا تحصى في الأسرة، يجب أن نعلم جميعاً، ومن دون خجل، ومن دون تحفظ، أن معظم أخطاء الأولاد بسبب الآباء، الأبوة مسؤولية، الأبوة أمانة، الأبوة رسالة، الأبوة المثالية طريق إلى سعادة الدنيا والآخرة، الأبوة المثالية مكافأتها في الدنيا قبل الآخرة، ما المكافأة في الدنيا ؟ أن يكون ابنك قرة عين لك، المشاعر التي تنتاب الأب الذي اعتنى بأولاده، ورآهم ملء السمع والبصر، خلقاً، وديناً، واستقامة، هذه المشاعر لا تقدر بثمن، ولا توصف.

أيها الأب، أيتها الأم، أنت الرابح الأول، وأنت الرابحة الأولى، إذا اعتنيتما بالأولاد، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((أفضل كسب الرجل ولده))

[أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي برزة بن نيار]

أي أفضل كسب على الإطلاق ابنك، لأنه امتداد لك، لأنه به يستمر وجودك.

أخطاء أفراد المجتمع من قياداته و معظم أخطاء الأولاد من الآباء:

كنت أقول لكم دائماً: أنت باستقامتك على أمر الله تحقق سلامة وجودك، وأنت بالعمل الصالح، والبذل والتضحية، والتقرب إلى الله تحقق كمال وجودك، وبتربية أولادك تحقق استمرار وجودك.

صدقوا أيها الأخوة، حينما يموت الأب، ويخلف ولداً صالحاً أقول بملء فمي: الأب لم يمت، ما دام هذا الابن خليفته يمشي على نهجه، تأدب بآداب الإسلام، الأب لم يمت.

إذاً الحقيقة المرة لا توارب، لا تتهرب، معظم أخطاء الأولاد من الآباء، معظم أخطاء الطلاب من المعلمين، معظم أخطاء أفراد المجتمع من قياداته، معظم أخطاء التلاميذ في المسجد من الذي لا يحسن بناء نفوسهم، هذه الحقيقة المرة، واعتمدوها دائماً، وهي أفضل ألف مرة من الوهم المريح.

مثلاً: القسوة الشديدة من الأب تعلم ابنه الكذب، إذا في اعتدال، في هدوء، في وعي، في مسامحة، يا بني تكلم ما الذي حصل ؟ أنا أبوك، أنا أنصحك، أنا أرشدك، أما الضرب الشديد، والسُباب، يصبح الابن منخلع القلب من البوح لأبيه مما جرى، ما لم يكن ابنك صديق لك، وما لم تكن ابنتكِ صديقة لكٍ، لن يبوح، ولن تبوح لك ولها بما حصل.

تربية الأولاد أعظم عمل على الإطلاق:

إخوانا الكرام، الذي يحصل دائماً الموقف المتطرف سهل، أن تسيب عملية سهلة، ألا تبالي، ألا تأبه، ألا تدقق، ألا تحاسب، ألا تراجع، القضية سهلة، أب مهمل.

وأنا والله يا أخوان من أعماق أعماقي أقول لكن بتعريف لليتيم لم يكن من قبل اليتيم: من يجد أماً تخلت، أو أباً مشغولاً، هذا اليتيم، اليتم الحقيقي أب مشغول، أم متفلتة، أم همها مكانتها، وزينتها، والافتخار بزوجها، ورحلاتها، وولائمها، وما في يدها من حلي، والأب من نزهة إلى نزهة، ومن صديق إلى صديق، والأولاد ضاعوا، من معاني اليتم الحقيقي أب مشغول، وأم لا ترعى أولادها، وقد ورد في بعض الأحاديث:

((أيما امرأة قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة))

[من الجامع الصغير عن أنس]

والحديث أذكره كثيراً، في الأدب المفرد للبخاري:

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا، فإذا امرأة تنازعني، تريد أن تدخل الجنة قبلي، قلت: من هذه يا جبريل ؟ قال: هي امرأة مات زوجها، وترك لها أولاداً، فأبت الزواج من أجلهم))

تربية الأولاد أعظم عمل على الإطلاق، ولاسيما في هذه الأيام، أيام التفلت، أيام النساء الكاسيات العاريات، المائلات المميلات، في أيام الانترنيت، في أيام الفضائيات، في أيام المجلات، في أيام رفقاء السوء، في أيام المحمول وما فيه من أفلام وصور، في مثل هذه الأيام يحتاج الأب إلى كم كبير جداً من العناية بأولاده حتى يكونوا قرة عين له التساهل سهل، والتعنيف سهل، الأب يغضب يضرب ضرباً مبرحاً، يشفي غليله، وما فعل شيئاً لكنه عقد المشكلة، وأقام حاجزاً بينه وبين ابنه، والذي يحصل أنا أسميها حلقة مفرغة الأب يسيب، لا يبالي، لا يدقق، لا يحاسب، الابن يتفلت، يرى أباه لا يحاسبه يزداد تفلتاً، يرى أباه لا يبالي في مجيئه إلى البيت ينام خارج البيت، ثم يكتشف الأب فجأة أنه خسر ابنه فيقسو قسوة غير طبيعية، من تسيب غير مقبول، وغير معقول، إلى قسوة غير مقبولة وغير معقولة، هذه مشكلة الأسر اليوم، تسيب، وقسوة، التسيب تبعه تفلت، والقسوة تبعها حاجز بين الأب وابنه، هذا الواقع.

ابنك امتداد لك فعليك متابعته و توجيهه دائماً:

أيها الأخوة، لكن المتابعة صعبة، وأنت هادئ، ضابط أعصابك، في مشكلة في البيت، تعالجها بحكمة، بهدوء، بحلم، بنصيحة، بمتابعة، بتوجيه، بإلقاء حكمة، بأن يكون ابنك معك، بأن تعلمه، بأن توجهه، المتابعة صعبة، بالتعبير الدقيق الثمن باهظ والنتائج رائعة.

شيء آخر: الناس أنت لهم، وغيرك لهم، أما أولادك من لهم غيرك ؟ من المسؤول عنهم غيرك ؟ من المحاسب عنهم غيرك ؟ من الذي سيتألم إذا انحرفوا غيرك ؟ دقق تمشي في الطريق لا سمح الله، ولا قدر، رأيت شباباً ثلاثة، أحدهم ابنك، والثاني ابن أخيك، والثالث صديق ابن أخيك يدخنون، أنت تصبح كالمرجل، على من ؟ على ابنك، لأنه لصيق بك، لأنه امتداد لك، لأنه قدرك، ابن أخيك تعنفه ولكن بحدة أقل، أما صديق ابن أخيك تقول له انصرف إلى البيت، أما الألم والغليان على من ؟ على ابنك، لأنه جزء منك، لأنه امتداد لك، لأنه قدرك، لأنه مصيرك.

والله أيها الأخوة، بحكم عملي في الدعوة إلى الله لثلاثة و خمسين عاماً مضت، والله يتصل بي آباء يكاد يموتون ألماً من تفلت أبنائهم، وضياعهم، وسقوطهم، وشقائهم في الدنيا والآخرة.

بطولة الأب الحكيم و اليقظ أن يعالج مشاكل أبنائه من بدايتها قبل أن تستفحل:

بالقرآن إشارات لطيفة جداً:

(وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ)

(سورة النساء الآية: 34)

النشوز لم يقع، لكن له علامات مبكرة فالأب اليقظ، والأب الحكيم، والأب المربي، والأب المؤمن، ينتبه لهذه العلامات التي تؤشر على وقوع نشوز

(وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ)

أنا لا أدقق في معاني الآية هذه، أدقق في فكرة واحدة أن الإنسان المربي يتنبه للشيء من بداياته، دخلت إلى البيت فجأة ابنتك وضعت السماعة في مكانها كان في مكالمة، وخافت حينما رأتك، مع من ؟ أين كنت ؟ اضطربت، اضطراب الابن في مشكلة، لمن هذه الساعة ؟ صار في تلعثم، التلعثم بداية، أنت كأب بطولتك أن تعالج الأمر قبل أن يقع، لمجرد وجود إشارات، علامات بسيطة

(وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ)

أنا يعنيني من هذه الآية ليس معناها الدقيق ولكن التنبه إلى ظاهرة من بدايتها.

الآن حتى بالطب أي عرض لمرض إن تنبهت إليه في وقت مبكر العلاج سهل جداً، أما بعد أن يستفحل المرض صار العلاج صعب جداً.

هذا الكلام لمن ؟ دقق، للآباء، للمعلمين، للمربين، للدعاة، لكل منصب قيادي مدير مستشفى، مدير جامعة، مدير ثانوية، مدير معمل، أي منصب قيادي، والأب والأم في الدرجة الأولى.

العاقل من يعرف من هو صديق ابنه:

الآن هناك دراسة نفسية دقيقة تؤكد هذه الدراسة أن تأثير الأب، والأم، والأخ الأكبر، والأخت الكبرى، وخطيب المسجد، والمعلم كل هؤلاء تأثيرهم 40%، ورفيق السوء تأثيره 60%.

مدرس تربية إسلامية في محافظة نائية من محافظة بلدنا في الشمال الشرقي، له ابن، أدخله معهداً شرعياً، له رفيق سوء، هذا الرفيق دلّه على الدخان، ثم انحرف به أخلاقياً، ثم امتهن تجارة المخدرات، ثم سافر إلى بلد شرقي بعيد، ثم اتهم بالعمالة لجهة غربية، ثم أُعدم، قصة في الانترنيت، رفيق السوء نقله من الدخان، إلى الفاحشة، إلى المخدرات، إلى العمالة، إلى الإعدام.

اسمعوا هذه الكلمة بالصوت العالي: لابدّ من أن تعرف من هو صديق ابن، أو من هم أصدقاء ابنك، ومن هم صديقات ابنتك، في الدرجة الأولى، وأنا أعني ما أقول الفضل لله عز وجل، الذي أقوله لا آخذه من كتب آخذه من واقع.

كان عندي شاب بالمسجد، تائب، منيب، صائم، مصلي، رائع، اختفى، سألت عنه، كان مع رفقاء السوء سابقاً في عصابة سرقة، ألقي القبض عليها، وكان عضواً فيها، وكانت مهمته مراقبة الطريق من بعيد لأصدقائه أثناء سرقتهم البيوت، فلما قبض عليها أعطوا اسمه أثناء التحقيق، ألقي القبض عليه

وأدخل السجن، حُكم ست سنوات، طبعاً أنا اعتنيت به كثيراً، أرسلت له أخوة إلى السجن لكن وقع الذي وقع.

بطولة الإنسان أن يضع يده على أسباب السعادة لأن السعادة ليست بالمال أو الجاه:

أيها الأخوة، صدق، ولا أبالغ يمكن أن تعيش في بيت متواضع جداً، تأكل خشناً، ترتدي ثياباً قديمة، وبيتك منتظم، وزوجتك وفية، وابنك بار، أنت ملك، أساساً الملك سأل وزيره من الملك ؟ قال له: أنت، قال له: لا، الملك رجل لا نعرفه ولا يعرفنا، له بيت يؤويه، و زوجة ترضيه، و رزق يكفيه. بطولتك أن تضع يدك على أسباب السعادة، السعادة في الطهارة، في العفة، في الاستقامة، في الصدق، في أسرة متماسكة، بين أفرادها الحب، والوداد، أحياناً يموت الأب، أنا أتابع بعد موت الأب ما الذي يحصل ؟ بعض الأسر، سبحان الله ! الأسرة متماسكة متفاهمة، متعاونة، وما غابت إلا عين الأب، وفي أسر يموت الأب، يتنافسون على الميراث، يتقاتلون، يتناحرون، يختصمون في المحاكم، تصبح قصصهم حديث المجتمع.

لا معصية قبل التكليف:

أيها الأخوة، هناك ملاحظة، هذه الملاحظة قاعدة في قانون العقوبات، لا معصية قبل التكليف، من عادات الآباء يفاجئون في أخطاء أولادهم، يضربونهم، أنت بلغته أن هذا العمل لا يجوز ؟ بينت له ؟ وضحت له ؟ أرشدته ؟ نبهته ؟ أخبرته ؟ لا، العمل أزعج الأب انهال عليه ضرباً، هذه آثار التربية السيئة، بيّن، يا بني هكذا نفعل، هكذا نعامل الناس، هكذا نصادقهم، هكذا نتعامل معهم.
إذاً إياك أن تعاقب قبل أن تنبه، وإياك أن تعاقب قبل أن تنبه مرة، ومرتين، وثلاث مرات، الإنسان قد ينسى، اجعل هذا منهجاً.

عناية الإنسان بحرفته لتوفير الحاجات الأساسية لأسرته:

لو سألتني (طبعاً في الدرس الماضي كان الدرس عن الكذب، واليوم عن السرقة، لكن أريد تمهيداً دقيقاً) ما الوقاية من السرقة ؟ الوقاية أن تعتني بحرفتك، أن تتقن عملك، أن تكون مجتهداً فيه، حتى تكسب مالاً حلالاً وفيراً تلبي حاجات أسرتك، حينما تُؤمن الحاجات الأساسية يشد الابن إلى أبيه وأمه، يشد إلى البيت، البيت معقول، لا أتكلم عن الفخامة أبداً، أتكلم عن بيت معقول فيه الحد الأدنى من

الشروط الأساسية، طعام، ثياب، تدفئة، مصروف معقول، هذا ثمنه أنك أتقنت عملك، ورد في بعض الآثار:

((من أمسى كالاً من عمل يديه أمسى مغفوراً له))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

أنا عملي، أنت حينما تقوم بعملك، معك حرفة، تحمل شهادة عليا، عندك عيادة، مكتب هندسي، تجارة متواضعة، لك دخل، دوام منضبط، صنعة متقنة، معاملة للناس طيبة، لك رزق وفير، هذا الرزق تنفقه على عيالك، والله كلمة قالها صحابي جليل والله تكتب بماء الذهب، قال: حبذا المال، أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي.

طفل ثيابه جيدة، معطف بالشتاء، حاجاته الأساسية مؤمنة، له غرفة بالبيت، يأكل طعاماً جيداً، له طموحات بكومبيوتر، بجهاز وفره له أبوه، هذا الابن الذي عمل أباه عملاً متقناً، وكسب مالاً حلالاً، أقسم لكم بالله الأب عمله في عبادة، لأنه يحقق رسالة الأبوة.

الحرفة المشروعة عبادة:

اسمعوا هذا الكلام الدقيق: مهنتك، حرفتك التي ترتزق منها، إذا كانت في الأصل مشروعة، تجارة أقمشة مشروعة، تجارة أخشاب، تأجير أفلام غير مشروعة، مبيع دخان غير مشروع، أحياناً مقهى انترنيت لو تتبعت هؤلاء الذين يجلسون حتى منتصف الليل يفتحون على مواقع لا ترضي الله عز وجل، هناك آلاف المصالح لا ترضي الله، أبداً، أنا أقول عن حرفة هي في الأصل مشروعة ترضي الله، وسلكت بها الطرق المشروعة صدق، أمانة، إخلاص، إتقان، سعر معتدل، في المحل لا يوجد غمز، ولا لمز، ولا نظرة مريبة من شاب لفتاة، تقام في هذا المحل الصلوات، أو في المسجد، هذا المحل التجاري منضبط، إذا كانت حرفتك مشروعة، وسلكت بها الطرق المشروعة، وابتغيت منها كفاية نفسك، وأهلك، وخدمة المؤمنين، أو الناس أجمعين، ولم تشغلك عن واجب، ولا عن فريضة، ولا عن طلب علم، ولا عن عمل صالح، استمع إلى النتيجة، انقلبت هذه الحرفة إلى عبادة، قالوا: عادات المؤمن عبادات، وعبادات المنافق سيئات.

إنسان (أقول لكم بكل دقة) أخذ أهله نزهة منضبطة، أطعمهم طعاماً طيباً، لاعب أولاده، أُقسم لكم بالله هو في قمة العبادة، لأنه أدخل على قلب أهله السرور، كان أباً مثالياً، بحثت طويلاً عن ثياب لابنك يحبها جميلة، فرح بها، اعتز بها.

اسمحوا لي بهذه الكلمة لا تعدوها قاسية: في عالمنا الإسلامي الأب محترم أكيد بثقافتنا الإسلامية، لكن المطلوب لا أن تكون محترماً أن تكون محبوباً، والأب لا يُحب إلا إذا كان محسناً، بتقاليدنا، بعاداتنا،

بثقافتنا، بما نشأنا عليه الأب محترم جداً لكن أنا أقول لك: بطولتك لا أن تكون محترماً بل أن تكون محبوباً.

السعادة ليس لها علاقة بالمال إطلاقاً إنما علاقتها بالقيم الإنسانية و الحب:

سؤال: أحياناً يشعر أهل البيت وكأنهم في عيد، لكن متى ؟ إذا دخلت أم إذا خرجت ؟ هنا البطولة، في بعض الآباء إذا خرجوا خلص الشر، والصراخ، والسُباب، و الضرب، صار العيد في البيت، أنا والله حينما أرى أباً يدخل بيته فإذا الأهل يكادون يرقصون فرحاً أقول هذا أب ناجح، يجب أن تجعل بيتك جنة، يجب أن تجعل بيتك جنة بيدك، تقول لي: دخلي محدود، يمكن أن يأكل أولادك أخشن الطعام، وأن يرتدوا ثياباً مستعملة سابقاً، بأصغر بيت، لكن في حب بالبيت، في حب، السعادة ما لها علاقة بالمال إطلاقاً، علاقتها بالقيم الإنسانية، علاقتها بالحب.

يا رسول الله كيف حبك لي ؟ قال لها: كعقدة الحبل، تسأله من حين لآخر كيف العقدة ؟ يقول: على حالها.

والله بإمكان كل واحد منا، ولا أستثني واحداً أن يجعل بيته جنة، على ما هو عليه، بيت صغير، كبير، أجرة، ملك، جنوبي، شمالي، فوق الأرض، تحت الأرض، دخل محدود، دخل غير محدود لا يفرق، بلطفك، وإيمانك، وعطفك، ومحبتك لأولادك يصبح البيت جنة.

البيت أحد أسباب سعادة كل إنسان:

الآن إذا كنت مرتاحاً في البيت جهدك في الخارج يتضاعف، مرتاح، الزوجة محبة، الابن بار، في انضباط، في حب.

لذلك الكلمة التي أتمنى أن تحفظوها: حبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي، والله أنا أحياناً أشاهد أباً مثالياً أثني عليه، ما شاء الله ! أب من الطراز الأول، حاجات أولاده مُؤمنة كلها، ضابط أموره، ضابط حركاته، دراستهم، أعمالهم.

والله التقيت بعالم، قال لي: عندي 38 حفيداً، 13 طبيب منهم، وأكثرهم حفاظ لكتاب الله، هذه أبوة.

إخوانا الكرام، البيت أحد أسباب سعادتك، ورد في بعض الأقوال: جنة المؤمن داره، وبصراحة الأب الناجح المؤمن في البيت مرح جداً، يروي طرف، يلاعب أولاده، كان النبي يمشي ويركب الحسن والحسين على ظهره وهو سيد الخلق وحبيب الحق، هكذا النبي علمنا، كلما وقعت عيني على طفل أقول: يا رب هذا هدية من الله لوالديه، يمكن أن يكون سبب سعادتهما، ويمكن أن يكون سبب شقائهما.

قال لي أب: والله إذا دُهس ابني لأقيمن مولداً فرحاً بموته، والله، يا لطيف يحكي لي قصص عنه بلاء من الله.

((لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظاً والمطر قيظاً ويفيض اللئام فيضاً ويغيض الكرام غيضاً))

[أخرجه الطبراني عن عائشة أم المؤمنين]

على الإنسان مراعاة مشاعر الغير:

أنا أتكلم بشكل خلفي حول موضوع السرقة، أتحدث عن الوقاية، الوقاية أن تتقن عملك، وأن تكسب مالاً حلالاً يغطي حاجات أولادك، فإذا أولادك يلتصقون بك، وهم بيدك أنت توجههم، وبالمقابل المال الزائد الغير منضبط يفسد الأولاد.

بصراحة، أنت مؤمن، ودخلك كبير، تعطي ابنك بالابتدائي خمسمئة ليرة، الابن ما عنده كمال، يقول لرفيقه معي خمسمئة ليرة، كسرت قلب أصدقاء ابنك، أو في أكلات غالية جداً ثمن القطعة مئتي ليرة أحياناً، أربع خمس قطع في الحقيبة، يفتخر أمام أصدقائه، اسمعوا هذا الحديث بالأثر النبوي:

((أتدرون ما حق الجار ؟ إن استعان بك أعنته، وإن استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر عدت عليه، وإن مرض عدته، وإن مات تبعت جنازته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستعل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فاهدِ له، فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها))

[من تخريج أحاديث الإحياء عن عمرو بن شعيب]

أعطِ ابنك المبلغ الذي يستطيعه معظم الطلاب، قطعة فاكهة يقدر عليها كل أولياء الطلاب، شطيرة عادية، أطعمه في البيت أطيب الطعام، أما في المدرسة أعطيه شيئاً لا يسبب حرجاً لمن حوله. أيها الأخوة الكرام، أنا عالجت موضوع السرقة لكن بأسلوب غير مباشر، أنت حينما تكفي أولادك يرتبطون بك، بك وبقيمك، بك وبدينك، بك وبثقافتك.

وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الدرس سبباً للتنبه لخطورة تربية الأولاد في الإسلام.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (07-36) : التربية الاجتماعية -2- ظاهرة الكلام البذيء

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 03-05-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس السابع من دروس تربية الأولاد في الإسلام، ولازلنا في التربية الاجتماعية.

الأب البطل يعزو أخطاء أولاده إليه:

سبق أن تحدثنا عن الكذب كظاهرة اجتماعية خطيرة جداً في الأسرة، وكذلك السرقة، وقد ذكرت في الدرس الماضي الأسباب البعيدة التي تدعو الطفل إلى أن يأخذ من أبيه وأمه دون أن يستأذنهم.
واليوم ننتقل إلى الكلام، هناك كلام لا يليق بشاب يعتني أبواه به، كلام بذيء، كلمات ساقطة، كلمات سوقية، كلمات فيها لفظ العوارت، كلمات فيها سُباب، كلمات فيها لعن، هذه الظاهرة، ظاهرة الكلام البذيء، الكلام الفاحش، الكلام النابي، الكلام الذي يجرح المشاعر.
بادئ ذي بدء: انطلاقاً من مقدمة ذكرتها لكم كثيراً، أن الأب البطل يعزو أخطاء أولاده إليه، والأم كذلك، الكلام البذيء، والكلام الساقط، والكلام الفاحش، يعود إلى جو الأسرة، وجو الطريق، وجو المدرسة.
تصور بيتاً الأب منضبط، لا يوجد كلمة لا تليق، لا يوجد كلمة فاحشة، العورات لا تذكر إطلاقاً، الطُرف الساقطة لا تذكر إطلاقاً، ما دام هذا الابن نشأ في بيت منضبط، منضبط بالكلام، منضبط بالتعبير، أنى لهذا الطفل أن يتلفظ كلمات بذيئة ؟.

أهم الأسباب التي تدعو الطفل إلى أن يتكلم كلاماً بذيئاً:

جو البيت:

أيها الأخوة الكرام، الحقيقة الأولى أن السبب هو جو البيت، أب غضوب في ساعات الغضب يسب الدين أحياناً، فالطفل يستمع إلى أب يسب الدين، فإذا غضب يقلد أباه من السبب ؟ الأب، في ساعة

المزاح الرخيص يسمي العورة باسمها، يستمع الطفل إلى حديث أبيه مع أصدقائه، فإذا أراد أن يقلد أباه استخدم العبارات نفسها.

أقول لكم بمنتهى الصراحة: البيت المنضبط في الأعم الأغلب أن الأولاد ينضبط لسانهم، وجزء كبير من الأخلاق ضبط اللسان، يا رسول الله وهل نؤاخذ بما نقول ؟ فقال عليه الصلاة والسلام لسيدنا معاذ:

((ثكلتك أمك ! وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم ؟))

[أخرجه الطبراني عن معاذ بن جبل]

((لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه))

[أخرجه الإمام أحمد عن أنس بن مالك]

والله الذي لا إله إلا هو أعرف أشخاصاً لو تعاشرهم خمسين عاماً لا يمكن أن يصدر منهم كلمة بذيئة واحدة، ولا فاحشة، هذا الذي نتمناه أن يكون واضحاً لدى الأخوة الآباء والأمهات والمعلمين.

ينبغي علينا دائماً أن تستخدم العبارات المهذبة جداً:

أيها الأخوة، لو دخلنا في التفاصيل، دخل النبي عليه الصلاة والسلام على ابنته فاطمة، وكانت مريضة، حمى أصابتها، فقال لها: ما لك يا بنيتي ؟ قالت: حمى لعنها الله قال: لا تلعنيها، فو الذي نفس محمد بيده لا تدع مؤمن وعليه من ذنب.

لا تعود نفسك تلعن أمام أولادك، الله يلعن الساعة التي عرفته فيها، هذه لعن الساعة، و لعن الأشخاص، ولعن الأولاد، عود نفسك ألا تلعن.

((ليس المؤمن بطعَّان ولا لعَّان، ولا فاحش ولا بذيء))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن مسعود]

كلامه ما فيه لعن، لا تلعنيها، فو الذي نفس محمد بيده لا تدع المؤمن وعليه من ذنب، عود نفسك ألا تلعن شيئاً، في عبارات مهذبة، أين فلان ؟ في الحمام، يجدد وضوءه وفي عبارات أخرى، يقوم في البيت بثيابه الداخلية، الثياب الداخلية مهذبة، كلمة مهذبة، وفي كلمات أخرى لا تليق.

إذاً ينبغي أن تستخدم العبارات المهذبة جداً حتى في الأماكن التي لا يصح أن نذكر اسمها بالتفصيل.

على المؤمن ألا يستخدم كلمات تثير الشهوة:

شيء آخر: لا يستخدم النبي كلمة تثير الشهوة، أسماء دخلت عليه بثياب رقيقة فقال: يا بنيتي إن هذه الثياب تصف حجم عظامك، كلمة عظم لا تثير الشهوة إطلاقاً، أي كلمة أخرى ممكن أن تثير الشهوة، يا بنيتي إن هذه الثياب تصف حجم عظامك فقط.

(أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ)

(سورة النساء الآية: 43)

هل من كلمة لطيفة معبرة دون أن تثير خيال طفل صغير

(أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ)

(فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً)

(سورة النساء الآية: 43)

(لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ)

مفهومة، لكن الصغار لا يفهمون منها شيئاً، هذا قرآن.

(فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً)

(سورة الأعراف الآية 189)

كلمة

(تَغَشَّاهَا)

(أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ)

(وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ)

(سورة المؤمنون)

كل أنواع الشذوذ، والكلمات التي يذكرها معظم الناس بألفاظها القبيحة، دخلت بكلمة

(فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ)

(فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ)

(سورة المؤمنون)

امرأة تشكو زوجها (دقق في تهذيبها)، قالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي صوام قوام، في النهار صائم، وفي الليل قائم، سيدنا عمر يبدو كان منشغلاً قام قال لها: بارك الله لكِ بزوجك، قال له سيدنا علي: إنها تشكو زوجها، إنها لا تمدحه، تشكو زوجها، انظر إن زوجي صوام قوام، لا ينام معي مثلاً، إن زوجي صوام قوام.

إذا كانت الكلمات التي تلقى في البيت منتقاة فالطفل لا يتعلم إلا الأدب:

أيها الأخوة، إحدى زوجات الصحابة دخلت على السيدة عائشة بثياب رثة، فلما سألتها عن حالها، قالت: إن زوجي صوام قوام، موضوع ثانٍ، فالنبي استدعى زوجها وأمره أن يعطيها حقها، إن لزوجك

عليك حقاً، في اليوم التالي جاءت هذه المرأة، ودخلت على السيدة عائشة، الكلمتين الدقيقتين عطرة نضرة، في نضارة، وفي عطر، قالت لها: ما الذي حصل ؟ استمعوا إلى أدب الصحابيات، قالت: أصابنا ما أصاب الناس.

والله يمكن أن نتعلم من أقوال الصحابة الذين عاشوا قبل ألف و أربعمئة عام أعلى درجات الأدب الرفيع، تكلموا عن كل شيء، لكن بألفاظ لطيفة، بكنايات لطيفة، مؤدبة، فإذا أنت كنت كأب، وأنت أيتها الأم كل الكلمات التي تلقى في البيت منتقاة، بأعلى درجات الأدب، أغلب الظن الفتاة الصغيرة، والابن الصغير لا يتعلم إلا الأدب.

أنا أقول لكم كلمة: مستوى الأب والأم لا في الشهادات التي يحملها بل مستواه في تربية أولاده، أحياناً تجد طفلاً يلفت النظر.

أنا قبل مرحلة ليست بالبعيدة كنت أوزع عقب خطبة الجمعة لكل طفل أتى مع أبيه قطعة حلوى، تشجيعاً له، لكن من خلال هذا التوزيع وجدت الأطفال أصناف، بعض هؤلاء الصغار يتأبى أن يأخذ هذه الحلوى، عنده تأبي، أو عنده اعتزاز، لا شكراً، أنا أجهد أن أعطيه هذه القطعة، أطلب من أبيه أن يعينني على إقناعه بأخذها، معناها تربى تربية عالية جداً في البيت، شيء جميل، طفل آخر يأخذها مني بسهولة، لكنه يشكرني عليها شكراً أستاذ، هذا نموذج ثانس، طفل ثالث قبل خمسة أمتار عينه على القطعة، لا ينظر لا إليّ ولا إلى أحد، إلى أن يأخذها ويمشي، هذا الثالث، في قسم رابع يأتي مرتين ثالثة، أما في قسم خامس أعاذنا الله من هؤلاء، أطول مني بكثير لكن ما في شيء، أين القطعة التي تخصني ؟ أما أول قسم يلفت النظر، أدب، وعفة، وتأبي، وقد يشتهيها مثل الآخرين، لكنه تربى تربية عفيفة.

من أراد محاورة إنسان ينبغي أن ينزل إلى مستواه و ألا يميز نفسه عليه بكلمة:

إخوانا الكرام، من أقوال النبي عليه الصلاة والسلام:

((سِبابُ المسلم فُسُوق، وقِتاله كُفْر))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن عبد الله بن مسعود]

أي ممكن أن تتحاور مع إنسان عشر ساعات، وما تسمعه كلمة قاسية، لا تفهم، لا هذه الكلمة قاسية، أرى خلاف ما ترى، أنا لي رأي آخر، ومعي له دليل، يمكن أن تحاور أخاك حواراً طويلاً دون أن تجرحه، أي أنت ممكن أن تحاور إنساناً عشر ساعات وتستخدم الكلام المهذب، أرى بخلاف ذلك، ومعي دليل، ولعلك توهمت الحقيقة كذا، أما لا تفهم، لا يصح.

تعلموا من الإمام الشافعي، حينما قال: أنا على حق، وقد أكون مخطئاً والآخر على الباطل وقد يكون مصيباً.

ألا تريدون منهج النبي في ذلك ؟ الذي علمه القرآن قال:

(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى)

(سورة سبأ الآية: 24)

يعني أنت حينما تحاور إنساناً إياك أن توهمه أنك أنت وحدك العالم و هو جاهل ينبغي أن تنزل إلى مستواه، و ألا تميز نفسك عليه بكلمة

(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى)

(أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

(سورة سبأ الآية: 24)

يعني الحق كرة، قد تكون عندي، وقد تكون عندك، سوف نتحاور، أما أنا الذي أعرف، أنت لا تعرف.

قال شخص تركي، أحب أن يفسر القرآن، قال:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ)

(سورة الذاريات)

قال: السماء كل ما علاك فهو سماء، هذا نعرفه نحن وأنتم، أما

(ذَاتِ)

هذا شيء نعرفه نحن أما أنتم لا تعرفونه، هذه

(ذَاتِ)

قال أما

(الْحُبُكِ)

هذا شيء لا نعرفه لا نحن ولا أنتم، لا نحن العلماء فكيف أنتم الجهلاء ؟.

على كل إنسان أن يكون في مستوى من يحاور:

هناك توجيهات قاسية جداً، هناك تقييمات باطلة، هناك استعلاء، عود نفسك أن تجعل نفسك في مستوى مَنْ تُحاور، قال تعالى:

(وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)

(سورة النحل الآية: 125)

أي إذا كان هناك ألف عبارة حسنة ينبغي أن تختار من كل هذه العبارات ما هو أحسن.

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)

(سورة النحل الآية: 125)

أما في المجادلة

(وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)

المجادلة في خصومة، الأفكار مرتبطة بكرامة الإنسان فحاول أن تكون قرآنياً في هذا التوجيه

(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

في آية أخرى:

(قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

(سورة سبأ)

ما قولكم

(لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا)

هل دعوة النبي جريمة

(وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

الآية الأولى بمستوى واحد، أما الثانية فيها تواضع بالغ، هذا منهج القرآن في حوار الطرف الآخر، أما الاستعلاء والسُباب، والاتهام، والكلمات القاسية، هذه تثير فتناً لا تنتهي.

الإنسان كلما تواضع رفعه الله وكلما تكبر وضعه الله عز وجل:

ألا تحبون أن تروا أدب القرآن الكريم ؟ سيدنا يوسف حينما قال:

(وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ)

(سورة يوسف الآية: 100)

أين كان ؟ كان في الجب، وكان في السجن، أيهما أكثر خطراً ؟ الجب، الجب احتمال موته كبير جداً، أما السجن الحياة مضمونة، فقد حريته فقط، قال:

(وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ)

(سورة يوسف الآية: 100)

لمَ لم يقل من الجب ؟ لأنه إذا قال من الجب ذكر إخوته بعملهم السيئ، أراد أن يتجاوز عن أعمالهم، قال

(وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ)

ما قال من بعد ما تآمروا على قتلي، قال:

(مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي)

(سورة يوسف الآية: 100)

يعني جعلهم بريئين، أما الذي أوقع بينه وبينهم الشيطان، والحقيقة ليست كذلك لكن تعلموا أدب الحوار، كلما الإنسان ارتقى تجد كلامه مهذباً جداً.

مرة أحد علماء مصر الكبار توفي رحمه الله، سافر إلى بريطانيا لإجراء عملية في عينيه، فجاءت رسائل بعشرات الألوف، شيء يلفت النظر، إذاعة لندن أجرت معه حواراً أنا سمعته، سُئل عن هذه المكانة التي حباه الله بها، فسكت، اعتذر، ضيع السؤال فلما ألح المذيع عليه، قال: لأنني محسوب على الله، عبارة مهذبة جداً، أنا عالم، لا هذه ثقيلة، أنا طالب علم مهذبة، طالب علم، الإنسان كلما تواضع رفعه الله، وكلما تكبر وضعه الله عز وجل.

فسيدنا يوسف كان في أعلى درجات اللطف مع إخوته

(مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي)

المسلمُ من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده:

((إن من أكبر الكبائر، أن يلعن الرجل والديه))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

قلّ ما تجد إنساناً يلعن والديه، أما حينما تسيء إلى الناس تسبب لعن والديك لذلك من أدق الأحاديث الأخلاقية:

((المسلمُ من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده))

[أخرجه الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

يعني سلمت سمعة المسلمين من لسانه ويده.

العاقل من فكّر في كل كلمة قبل أن يتكلم بها:

إخوانا الكرام، هناك أحاديث تقصم الظهر.

((إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جنهم سبعين خريفاً))

[الترمذي عن أبي هريرة]

يعني أخ زار أخته بالعيد، الأخت تحب زوجها، وراضية عنه، ومن أسعد الزوجات بزوجها، البيت صغير، ما هذا البيت ! لمَ تقول هذا ؟ هي راضية، لمَ تثير حفيظتها ؟ تألمت، انتبهت، البيت صغير جداً، أخواتها في بيوت أكبر بكثير، فلما دخل زوجها إلى البيت كانت عابسة فسألها عن عبوسها سكتت فغضب وقعت مشكلة كبيرة، قد تنتهي بالطلاق أحياناً، هذا الذي تكلم بهذه الكلمة

((لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جنهم سبعين خريفاً))

أنا أقول لكم أبلغ، لو ذكرت امرأة أمامك.

((إن قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة))

[أخرجه الطبراني والبزار عن حذيفة بن اليمان]

((إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جنهم سبعين خريفاً))

[الترمذي عن أبي هريرة]

بالجلسات، بالسهرات، يشرح الناس في هذه السهرة، فلانة ليست جميلة، مثلاً توصف بأردأ أوصافها، فالسيدة عائشة قالت عن أختها صفية: إنها قصيرة، قال: يا عائشة لقد قلت كلمة لو مزجت بمياه البحر لأفسدته، ما قولكم ؟ لقد قلت كلمة لو مزجت بمياه البحر لأفسدته.

الأب الصالح والأم الصالحة حديثهما يدور دائماً حول الكمال والأخلاق والدين:

إخوانا الكرام، يكون بالبيت عدة فتيات، فتاة لها شكل معين، فتاة لها شكل أقل من شكل أخوتها، الحديث المستمر عن فلانة بارعة الجمال، وفلانة ليست جميلة إطلاقاً هذا الحديث إذا زاد عن حدّه في البيت يصبح مقياس الفتاة جمال فقط، فالتي هي أقل من أختها تصاب بعقدة نفسية، أما الأب الصالح، والأم الصالحة ما في حديث إلا على الكمال والأخلاق والدين، والصلة بالله، والموقف الحكيم، الحديث الذي يُلقى في البيت حديث أساسه مكارم الأخلاق.

أنا أروي لكم نصاً عن أحد التابعين اسمه الأحنف بن قيس، كان قصير القامة أسمر اللون، مائل الذقن، أحنف الرجل، ناتئ الوجنتين، غائر العينين، ليس شيء من قبح المنظر إلا وهو آخذ منه بنصيب، وكان مع ذلك سيد قومه، إذا غضبَ غضب لغضبته مئة ألف سيف، لا يسألونه فيما غضب، وكان إذا علم أن الماء يفسد مروءته ما شربه.

يعني في البيت الحديث عن البطولة، عن الاجتهاد، عن التحصيل، عن الأدب عن أداء الصلوات، عن قيام الليل، عن القرآن، إذا الحديث هكذا في بنات بأشكال متنوعة كلهم يلتفون حول أمهم وأبيهم، إذا الحديث عن الجمال فقط، والتي أقل جمالاً من أختها يصبح عندها عقدة كبيرة جداً، الأب ينتبه.

التساوي في العدل والمودة بين جميع الأولاد:

صدقوا أيها الأخوة، بكل بيت هناك أولاد، وقد يكون ابن أذكى من ابن، وقد يكون ابن له وجه صبوح أكثر من أخيه، الأب المؤمن، والأم المؤمنة، لا تميز ولا في النظرات، نظرة بنظرة، قبلة بقبلة، احتضان باحتضان، ما وجد الابن الأقل جمالاً أي معاملة أقل من أخيه، فنحن أعناه على أن ينتصر على نفسه، أما إذا في تفرقة، الأول يُبتسم له في وجهه، والثاني في عبوس، مع مرور الأيام تنشأ عقدة

تنفسية.

أنا مصر إلى آخر سلسلة من هذه الدروس أن أخطاء الأولاد، وعقد الأولاد، وتقصير الأولاد، وانحراف الأولاد، وأمراض الأولاد، من أخطاء الآباء، والأبوة مسؤولية وبإمكانك أن تكون أباً وأمامك أولاد يتفانون في طاعتك.

قال: اشهد يا رسول الله أنني نحلت ابني حديقة، فسأله: ألك ابن غيره ؟ قال: نعم، هل نحلته كما نحلت هذا ؟ قال له: لا، قال: أشهد غيري فإني لا أشهد على جور.

العدل، والمودة، يجب أن تكون المودة لكل الأولاد بالتساوي، الابتسامة أحياناً تُقبل ابناً وتنسى الثاني، يتحطم الثاني، أحياناً تحمل ابناً و تنسى الثاني، أحياناً تبتسم في وجه ابن وتنسى الثاني، هذا الذي ينتبه لهذه النقاط الدقيقة يكون موفقاً توفيقاً كبيراً.

على كل معلم أن يغير أسماء طلابه في العام الدراسي إن أثار هذا الاسم ضحكاً:

لي كلمة خاصة بالمعلمين: أحياناً يكون هناك اسم يثير الضحك، بعض المعلمين ينادون مثل هؤلاء الطلاب بألقابهم، لا بأسمائهم، هناك أسماء غير جميلة.

أحد الصحابة دخل على النبي الكريم، قال له: ما اسمك ؟ قال له: زيد الخيل قال له: بل أنت زيد الخير.

أعرف معلمين كثيرين، يغيرون أسماء طلابهم بالعام الدراسي فقط، في كلمات في كثير من البيوت لها أسماء غير مقبولة، فأنت كمعلم غيّر هذه الأسماء إلى أسماء أخرى أو اكتفِ بالاسم الأول، أو بالاسم الثاني.

فالنبي من شمائله أنه كان يغير أسماء صحابته، ما اسمك ؟ قالت له: عاصية قال لها: بل طائعة، أنت طائعة.

من عدّ كلامه من عمله فقد نجا:

أيها الأخوة، حينما تعد كلامك من عملك تنجو، ما دام:

((إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جنهم سبعين خريفاً))

[الترمذي عن أبي هريرة].

ينبغي أن تعد كلامك من عملك، كلمة واحدة، أحياناً يقول معلم لطالب أنت غبي بساعة غضب، لكن هذه الكلمة سمعها الطفل، قد تستمر معه عشر سنوات، قد تضعف معنوياته، قد تنشا عنده عقدة نفسية، خطأ، عود نفسك الكلام الجيد، المنضبط، وكلما ارتقى مستوى الكلام في البيت ارتقى مستوى الأولاد،

فإذا حرصت أن يكون رفقاء أولادك من المستوى الراقي المهذب، وإذا ضمنت مدرسة لا يستمع بها الطفل إلى كلام بذيء تكون قد حققت نجاحاً كبيراً في تربية أولادك.

((من هوي الكفر فهو مع الكفرة، ولا ينفعه علمه شيئاً))

[أخرجه الطبراني عن جابر بن عبد الله]

هناك تعليقات لاذعة، هناك حوار مكشوف، هناك أدب رخيص، هذا الأدب الرخيص والحوار المكشوف، والتعبيرات اللاذعة، وهناك طرف جنسية، أنا والله لا أصدق أن بيتاً مؤمناً فيه طرفة جنسية إطلاقاً، هذه الطرف الجنسية ليست للمؤمنين، للمتفلتين، للشاردين عن الله عز وجل، حتى لو سمعت طرفة من هذا النوع ينبغي ألا تضحك، إنك حينما لا تضحك تلقن من ألقى هذه الطرفة درساً لا ينسى.

والله مرة كنت بجلسة أي جلسة عمل، أحد الحاضرين تكلم بكلمة سيئة جداً الكل ضحكوا، أنا لم أضحك، بل أخذت موقفاً، فلما انتهى الاجتماع تبعني الذي ألقى الكلمة قال لي: أي خدمة ؟ قلت: شكراً، لكن أنا لقنته درساً بهذه الطريقة، إذا طرفة جنسية وضحكت، معنى ذلك قبلتها.

الكلمات التي ينطق بها الابن هي انعكاس لما يقوله الأب:

ابنك لك، تربيه تربية عالية على الكلام المهذب، على الكلام المؤدب، على الكلام الجاد، على اختيار الكلمة اللطيفة، اقرأ القرآن

(أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ)

اقرأ القرآن

(فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً)

اقرأ القرآن

(فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ)

اقرأ السنة، يا بنيتي إن هذه الثياب تصف حجم عظامك، ممكن تتكلم كلمات لكن كلها مهذبة، ولا تجرح شعور الإنسان.

الدرس الثالث في التربية الاجتماعية الكلمات التي ينطق بها الابن، هي انعكاس لما يقوله الأب، أي بشكل أو بآخر في أوعية توضع في المركبات للماء لها فتحة من الأعلى ولها صنبور من الأسفل، الذي يوضع في أعلاها يؤخذ من الصنبور، صح هذا الكلام ؟ الآن كل ابن كائن له وعاء ثقافته من أين ؟ من كلام أولاد الشوارع، يتكلم كلاماً بذيئاً جداً في البيت، ثقافته من رفقاء السوء في المدرسة يسمعونه كلمات بذيئة جداً يتكلم بها بالبيت، إن سمع من أمه أو أبيه كلمات فيها طرف جنسية يرويها لأصدقائه، فهذا الإنسان كالوعاء الذي يأخذه من أعلاه يعطيه من صنبوره الأسفل، فلا تنتظر من ابن تغذيه أنت

بالشاشة فقط وبمشاهد ليست ترضي الله عز وجل، وبحوار فيه إشارات جنسية، لا تنتظر من هذا الطفل أن يكون مهذباً أبداً.

أبرز نقاط التربية الاجتماعية للصغار أن تعلمهم الصدق و الأمانة:

الابن غالٍ، والابن المربى لا يقدر بثمن، فلذلك هذا اللقاء الثالث في التربية الاجتماعية متعلق بالكلام، البيت لا يوجد فيه كذب، ولا سرقة، ولا كلام بذيء، أبرز نقاط التربية الاجتماعية للصغار أن تعلمهم الصدق، وأن تعلمهم الأمانة، وأن تعلهم الكلام المنضبط.

((أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قوْمًا أهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفوَاحِشَ، وَنَقْطعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقويُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقهُ، وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافهُ، فدَعَانَا إلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا، الآن الشاهد، بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ))

[أخرجه الإمام أحمد عن أم سلمة أم المؤمنين]

إذاً أيها الأخوة الكرام، يجب أن يكون واضحاً في أذهانكم أن الكلام الذي ينطق به الأب والأم، في اللقاءات، والسهرات، والاحتفالات، وفي الزيارات، وفي النزهات هذا الكلام إذا كان منضبطاً أعطى الأولاد القدوة في الكلام المنضبط.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (08-36) : التربية الصحية -1- العناية بصحة أولادنا

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 17-05-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الثامن من دروس تربية الأولاد في الإسلام وننتقل اليوم إلى التربية الجسمية، أو التربية الصحية.

دور التربية الصحية في تربية الأولاد:

بادئ ذي بدء: الإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، غذاء العقل العلم، وغذاء القلب الحب، وغذاء الجسم الطعام والشراب.



إذاً هناك جانب عقلي، وجانب نفسي، وجانب مادي، وما لم تلبَ حاجات العقل والقلب والجسم معاً عندئذٍ يتطرف الإنسان، أما إذا لبى حاجات عقله، وحاجات قلبه، وحاجات جسمه تفوق، وفرق كبير بين التطرف وبين التفوق.

إذاً للتربية الجسمية جانب كبير من تربية الأولاد، أو للتربية الصحية جانب كبير من تربية الأولاد، لا بد من مقدمة أضع بين أيديكم حقائق مثيرة حول وجود وعي صحي في أمة، أو انخفاض هذا الوعي الصحي في أمة أخرى، لنأخذ على ذلك مثالين:

مرض السكر مرض شائع، في بلد من بلاد المسلمين، وفي عاصمة من عواصم المسلمين، في خمسمئة و خمسين ألف مريض بالسكر، هذا المرض أيها الأخوة، يمكن أن تتعايش معه عن طريق ضبط الغذاء، وضبط الوزن، وضبط التحاليل بشكل مستمر، ولا يؤثر في حياتك إطلاقاً، الآن هذا المرض أحياناً يتفاقم ويؤدي إلى شلل، أو فقد بصر، أو فشل كلوي أو أشياء أخرى، هناك بلاد تتمتع بوعي صحي أربعة بالمئة من مرضى السكر يتطور مرضهم إلى شلل، أو إلى فشل، أو إلى فقد بصر، أو إلى خثرة دماغية.

في بلاد لا تتمتع بالوعي صحي 72% من هؤلاء المرضى مرضهم يتطور إما إلى شلل، أو خثرة في الدماغ، أو إلى فشل كلوي، كم هي المسافة بين أمة تتمتع بوعي صحي، وبين أمة تفتقد هذا الوعي الصحي.

على كل إنسان أن يعتني بجسمه لأنه قوام عمله:

لذلك أقول لكم: الإسلام هو الحياة، يجب أن تعتني بعقلك، وأن تغذيه بالعلم الصحيح، وينبغي أن تعتني بقلبك، وينبغي أن يُحبَ ما ينبغي أن يُحب، وهو الله جل جلاله، وينبغي أن تعتني بجسمك لأنه قوام عملك، غلافك، وعاؤك، أداتك، هذه الحقيقة الأولى 72% يتطور مرضهم إلى فشل كلوي، أو إلى شلل، أو إلى فقد بصر، 4% في بلد يتمتع بوعي صحي يتطور المرض إلى هذه المضاعفات.

مرض آخر يصيب الدم، اسمه التليسما، الإنسان إما أنه يحمل هذا المرض أو لا يحمل، فإذا كان يحمل وتزوج امرأة لا تحمل هذا المرض يعيش حياة سليمة رائعة لا شيء فيها، أما إذا كان إنسان يحمل هذا المرض، وتزوج امرأة تحمل هذا المرض بحسب العلم الطبي حتماً عنده ابن مصاب بهذا المرض، وابنان يحملان هذا المرض، وابن لا يحمل هذا المرض، ما معنى ابن مصاب بهذا المرض ؟ يعني يحتاج إلى تبديل دم كل أسبوعين، كلفة معالجة الابن المصاب بهذا المرض أربعمئة ألف كل سنة، إذا عاش عشرين سنة شيء فوق طاقة الآباء الأغنياء، فضلاً عن أن هذا المرض يسبب شقاء في الأسرة.

الآن اسمعوا: بلد من بلاد المسلمين تعداده 20 مليوناً، هناك ألفا حالة مرضية وبلد آخر يتمتع بوعي صحي سكانه 70 مليوناً، في أربع حالات بسبعين مليوناً، وألفي حالة بعشرين مليوناً، معنى ذلك أن كلفة تبديل الدم بهذا البلد المتخلف صحياً يكلف مبالغ تفوق ألوف الملايين، هذه المبالغ لو أنفقت لإنشاء المدارس، والمستشفيات، والمعاهد والجامعات، والطرقات لكنا بحال آخر، أنا أقدم لكم أرقام دقيقة، الوعي الصحي مهم جداً.

هناك بلاد وعيها الصحي متخلف تستورد 8 أضعاف من الأدوية ما يستورده بلد يتمتع بوعي صحي، أنا أرى أن من مهمة الدعاة تخصيص دروس كاملة للشؤون الصحية لأن صحتك قوام حياتك.

نعمة الأمن لا يتمتع بها إلا المؤمن حصراً:

إن من أروع ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ أصبَحَ منكم آمِنا في سِرْبِه))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن محصن]

آمناً، يتمتع بنعمة الأمن.

(أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)

(سورة قريش)

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

(سورة الأنعام)

((مَنْ أصبحَ منكم آمِنا في سِرْبه))

آمناً: أمن الإيمان، مطمئناً إلى رضا الرحمن، مطمئناً إلى أنه على منهج الله، مطمئناً إلى أن الله يحبه، وهو راضٍ عنه، مطمئناً إلى مستقبله الذي قال الله عنه:

(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا)

(سورة التوبة الآية: 51)

مطمئناً إلى ما بعد الموت.

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ)

(سورة فصلت)

((مَنْ أصبحَ منكم آمِنا في سِرْبه))

يتمتع بنعمة الأمن، ونعمة الأمن لا يتمتع بها إلا المؤمن حصراً.

أكبر نعمة من نعم الله على العبد أن يمنحه أمن الإيمان:

يقول لك هذا البرنامج حصرياً على هذه القناة، ونعمة الأمن لا يتمتع بها إلا المؤمن، والدليل

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

يقابل الأمن، القلق، أنت من خوف المرض في مرض، ومن خوف الفقر في فقر، وتوقع المصيبة مصيبة أكبر منها، لذلك أكبر نعمة من نعم الله أن الله سبحانه وتعالى يمنح عبده المؤمن نعمة الأمن.

((مَنْ أصبحَ منكم آمِنا في سِرْبه))

ليس أمن المال، الغني يحس بالأمن أحياناً، أنا أقصد أمن الإيمان، أنت حينما تستقيم على أمر الله، تشعر أن هموماً كالجبال انزاحت عن صدرك.

((إذا رجع العبد إلى الله نادى منادٍ في السماوات والأرض أن هنؤوا فلاناً فقد اصطلح مع الله))

[ورد في الأثر]

((إذا تاب العبد توبة نصوحة أنسى الله حافظيه، والملائكة، وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه))

[ورد في الأثر]

أنا أقصد أمن الإيمان.

((مَنْ أصبَحَ منكم آمِنا في سِرْبِه، مُعافى في جَسَدِهِ))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن محصن]

استيقظ، سمعه، بصره، نطقه، حركته، أجهزته، أمعاؤه، قلبه، رئتاه.

((إذا أصبح أحدكم آمناً في سربه، معافىً في جسمه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها))

[من الجامع الصغير عن عبد الله بن محصن]

وحينما سأل ملك جبار وزيره من الملك ؟ ماذا ينبغي أن يقول له ؟ قال له: أنت قال له: لا، الملك رجل لا نعرفه ولا يعرفنا، له بيت يؤويه، وزوجة ترضيه، ورزق يكفيه، هذا ملك، إنه إن عرفنا جهد في استرضائنا، وإن عرفناه جهدنا في إحراجه.

صحتك قوام حياتك و وعاء عملك:

لذلك أيها الأخوة، لا تستهن بالجانب الصحي بحياة الإنسان، صحتك قوام حياتك، صحتك وعاء عملك، يعني أنا أقول لكم كلاماً دقيقاً واضحاً: لك عند الله عمر لا يزيد ولا ينقص، افتراضاً لك عند الله 83 سنة، وسبعة أشهر، وثلاثة أسابيع، وأربعة أيام، وخمس ساعات، وأربع دقائق، وثلاث ثواني، إذا كنت تتمتع بوعي صحي، وعندك ثقافة صحية عالية جداً، وتتبع توجيهات النبي، هذا العمر 83 هكذا، واقف، متحرك، نشيط.

حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر

أحد علماء دمشق الشيخ عيد السفرجلاني، وصل إلى السادسة و التسعين، قامته منتصبة، حاد البصر، مرهف السمع، أسنانه في فمه، حينما يُسأل يا سيدي ما هذه الصحة ؟ قال: يا بني حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، من عاش تقياً عاش قوياً.

والله أيها الأخوة، زرت صديقي في العيد استقبلني والده، إلى أن جاء صديقي حدثني والده بما يلي، قال لي: أنا عمري ست وتسعون سنة، والبارحة أجريت تحاليل كاملة، قال لي: الفضل لله كله طبيعي، ست وتسعون سنة ! ثم قال لي: والله ما عرفت الحرام في حياتي، لا حرام المال، ولا حرام النساء.

((إذا أصبح أحدكم آمناً في سربه، معافىً في جسمه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها))

[من الجامع الصغير عن عبد الله بن محصن]

من اعتنى بصحة أولاده قدم لهم أكبر خدمة في حياتهم:

لابد من تعليم الأولاد عادات صحية سليمة

إذاً الصحة جانب أساسي جداً، وما كان من دعاء يكثر منه النبي عليه الصلاة والسلام كهذا الدعاء، الدعاء:

((اللهم ارزقنا العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة))

[أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمر]

لذلك دققوا: العناية بالصحة جزء من الدين، وأنت كأب (الآن دخلنا في الدرس) حينما تعتني بصحة أولادك تقدم لهم أكبر خدمة في حياتهم، حينما تنشئهم على عادات صحية سليمة، أحياناً لا يهتم الأب بنوع غذاء ابنه، يأكل من الطريق دائماً ينشأ عنده أمراض في جهازه الهضمي، وهناك أمراض تستمر وتنقلب إلى أمراض وعائية وقلبية، الحديث طويل طبعاً، التوجيهات الصحية كثيرة جداً، لكن حسبنا أن النبي عليه الصلاة والسلام له توجيهات صحية دقيقة جداً، هذه التوجيهات ليست من اجتهاده، ولا من ثقافته، ولا من تجربته، ولا من معطيات عصره، إنها توجيهات من عند الله جل جلاله، فلو تتبعنا توجيهات النبي الصحية، وأخذنا بها كنا بحال غير هذا الحال.

بعض البلاد النامية التي لا يتمتع أفرادها بوعي صحي قد يدفعون نصف دخلهم لمعالجة أمراضهم، ومثل هذه البلاد تستورد كما قلت قبل قليل ثمانية أضعاف الأدوية التي تستوردها الدول الغنية.

مهمة الأب الكبرى أن يوجه أولاده توجيهاً دقيقاً إلى العناية بصحتهم:

لذلك أنت كأب لك مهمة كبيرة، مثلاً لو أنك وجهت أولادك توجيهاً دقيقاً إلى تنظيف أسنانهم، معظم الناس في البلاد النامية يبدؤون بتبديل أسنانهم، وزرع أسنان جديدة ومعالجة أسنان نخرة في سن مبكرة، ويعانون من آلام الأسنان ما يعانون، وأسباب هذه الأمراض التي تصيب الأسنان نقص في التنظيف.

لا بد من توجيه الأطفال للعناية بأسنانهم

هذه واحدة، أحياناً نافذة بلا حاجز، يسقط الابن، ويموت، تعيش هذه الأسرة مأساة لا تنتهي.

حدثني أخ عنده مزرعة وفيها مسبح، بلا سور غرق ابنه، قال لي: منذ أن غرق هذا الابن وقد هجرنا هذه المزرعة من ثلاث عشرة سنة، ما عادوا يحتملون أن يأتوا إلى مكان غرق فيه ابنهم.

أنا كنت بفرنسا قبل أسبوع، في الفندق مسبح محاط بأسوار زجاجية، وباب دقيق، أكبرت فيهم هذا، من أجل الصغار، هناك نوافذ تحتاج إلى حواجز، أحياناً التيار 220 فولت، ومكشوف أحياناً بالحمام، لو إنسان مشى حافياً، وأرض الحمام فيها ماء يموت فوراً لو مسّ هذا التيار، لو ذهبت لأعدد لكم الأخطار التي يموت فيها الناس، أو يصابون بها بأمراض وبيلة، أو بعلل خطيرة من جراء الإهمال فقط لما انتهى الدرس، ولا دروس انتهت، أنا أرى العناية بصحتك، وصحة أهلك، وصحة أولادك جزء من دينك.

تسوير المسابح يحمي الأطفال من الغرق

أحياناً نشتري مواد دسمة لا ندقق، هذه المواد ممنوع استعمالها في بلد المنشأ لا تصلح كغذاء للبشر، نشتري هذه الدسم المهدرجة التي تبقى عالقة في الدم، هناك دسم مهدرجة ؛ هذه الدسم المهدرجة تبقى

ذراتها عالقة في الدم، وتسبب تضيق الشرايين والتضييق يعاني صاحبه ما يعاني، يعني عمرك بعمر شرايينك، تبديل شريان قريب من ثلاثمئة و خمسين ألفاً، حينما تشتري سمن مهدرج رخيص لا تهتم بمستواه

يعني بين أن تستخدم غذاء صحياً مدروساً إذاً أنت بحاجة إلى ثقافة غذائية، معظم الأمراض تأتي من المعدة، من سوء الطعام، قد يكون الطعام لذيذ جداً، لكنه سيء، أنا أجلس مع إخوة أطباء قد تقدم لهم ضيافة من الحلويات الغالية جداً لا يأكلون.

الدسم المهدرجة ضارة بالصحة

مرة سأله أحدهم: قال له: والله أنا أحبها أكثر منكم، لكن لكثرة ما أرى من الشرايين المسدودة أثناء العمل أكره هذا الطعام، يعني أنا أتمنى أن ننتبه إلى طعامنا، طعام بلادنا طيب جداً لكنه طعام يسبب متاعب صحية كبيرة جداً.

ذهبت إلى بلاد بعيدة، طعامهم خضروات مسلوقة، وقطع من اللحم قليلة وفواكه كثيرة، وسلطات كثيرة، يعني آن الأوان أن نعتني بصحتنا، وآن الأوان أن ننشئ أولادنا على العناية بصحتهم، الصحة ثلث حياة الإنسان، أنت عقل، وقلب، وجسم صحتك ثلث حياتك.

تسلسل النعم برأي سيدنا علي هي: نعمة الهدى فالصحة فالكفاية:

أيها الأخوة، الإمام علي رضي الله عنه، يعد تسلسل النعم على الشكل التالي نعمة الهدى أولاً، ونعمة الصحة ثانياً، ونعمة الكفاية ثالثاً، الهدى أولاً، والصحة ثانياً والكفاية ثالثاً.

إن أردتم أكثر من ذلك، الصحة واحد، المال أمامها صفر، عشرة، متزوج صفر ثان، مئة، عندك أولاد صفر ثالث، احذف الواحد التي هي الصحة، أصفار، ما قيمة المال ؟.

والله مرة كنت عند طبيب، جاءه اتصال هاتفي، يبدو أن المريض معه مرض مستعصٍ، قال له: أي مكان في العالم، وأي مبلغ، قال له: والله ما في أمل، ما قيمة المال ؟ وأنت مصمم لو اعتنيت بصحتك أن تعيش حياة مديدة بأعلى درجات الصحة، في طعام معين، في شراب معين، في حركة معينة، في تمرينات معينة، في مقبلات معينة، أنا لا أستطيع بهذه العجالة أن أعطيكم خلاصة المعلومات الصحية، لكن أنا أدعوكم إلى أن يكون في بيتكم كتاب صحي، كتاب في الغذاء الصحي، كتاب في خصائص

المواد.

مرة طبيب قال أربع كلمات، أنا وجدت في هذه الكلمات الطب كله، قال: كُلْ كلّ شيء، قد لا تنتبه إلى أن بعض الأطعمة هي الأطعمة الوحيدة التي ترمم الغشاء المخاطي في الجهاز الهضمي، بعض الأطعمة غذاء للدماغ، بعض الأطعمة تعين على نظم القلب، بعض الأطعمة تعين على توسيع الشرايين، بعض الأطعمة تعين على سيولة الدم، لو أكلت كل شيء انتفعت من كل شيء، وطن نفسك، أي شيء تراه في السوق من خضروات اشتريها، أحببتها أم لم تحبها، كل كلّ شيء، وكل باعتدال، وابذل جهداً، وكن موحداً لئلا تصاب بشدة نفسية.

بطولة الإنسان أن يعيش عمره مستقراً سعيداً و نشيطاً:

صدقوا هذه الوصايا الأربع تجمع الطب كله، كل كلّ شيء، وأقلل من الطعام، وابذل جهداً كبيراً، ولا تحمل الأشياء فوق ما تستطيع.

((خذ من الدنيا ما شئت، وخذ بقدرها هَمّا))

[رواه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه].

((فإنه من أخذ منها فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر))

[أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس].

بطولتك أن تعيش هذا العمر حياة مستقرة، حياة سعيدة، حياة نشيطة.

الآن الدعاء الشهير، دعاء القنوت:

((اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت))

[أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن الحسن بن علي بن أبي طالب]

شيء رائع جداً.

((اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، واقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك))

[صحيح عن الحسن بن علي]

والله هذا الدعاء جامع مانع

((اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت))

الدعاء الثاني:

((اللهم ارزقنا العفو والعافية، والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة))

[أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمر]

الوعي الصحي ضروري جداً في حياة كل إنسان:


غذي أولادك بما ينمي عظامهم

الوعي الصحي أحياناً يدعوك أن تشتري لأولادك غذاء معيناً ينمي عظامهم، يعطيهم حاجاتهم الأساسية، وإلا تدفع مئة ضعف ثمن دواء، إياك أن تظن أنك إذا لم تشترِ هذا الغذاء الذي يحتاجه أولادك، توفر من إنفاقك، لا، دائماً عندنا شيء اسمه عقود إذعان يعني لا سمح الله ولا قدر ابن حرارته عالية جداً، يوجد اشتباه بالتهاب السحايا، يقول لك نريد تحليلاً، تحلل، ثمانية آلاف، اعمل تحليلاً معيناً، أو إيكو، أو مرنان، عقود إذعان كلها، تدفع عشرة آلاف، 30 ألف أحياناً باشتباه بمرض، فلو كان في عناية صحية، وغذاء متوازن.

فأنا أقول: إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطيك شيئاً، طبعاً هذا واجب قرآني، استمعوا إلى الدليل:

(وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)

(سورة البقرة الآية: 233)

بعض البلاد تعاني من مجاعة نوعية، لا مجاعة كمية، في طعام يملأ المعدة، في طعام ينمي العظام، في طعام ينمي العضلات، في طعام يقوي الذاكرة.

من كان عمله الذي يرتزق منه مشروعاً انقلب إلى عبادة:

كنا في الجامعة، حدثنا أستاذ علم النفس: أن أحدث أبحاث علم النفس أن هناك علاقة بين الذكاء والغذاء. يعني الآن حينما تعمل عملاً متفوقاً، ولك دخل معقول، وتأتي بالطعام المناسب لأولادك، فأنت في عبادة، صدق ولا أبالغ، أنت حينما تعمل عملاً متقناً، العمل المتقن له دخل جيد، هذا الدخل أتاح لك أن تشتري طعاماً مناسباً لأولادك، ولأهل بيتك، أنت في عبادة، وأن تضع اللقمة في فم زوجتك هي لك صدقة، وأن تضع اللقمة في فم زوجتك يقاس عليها وأولادك هي لك صدقة.

أيها الأخوة، أتمنى عليكم أن نفهم هذه الحقيقة، كل عمل المؤمن عبادة، عادات المؤمن عبادات، يعني إذا ذهب إلى السوق واشترى طعاماً لأهله، فهو في عبادة، هؤلاء الأولاد من لهم غير أبيهم ؟ الآخرون أنت لهم وغيرك لهم، أما أولادك من لهم غيرك ؟ من لهم أن يعتني بصحتهم إلا أنت ؟ من يهتم بطعامهم وشرابهم وغذائهم ؟.

لذلك الصحابي الجليل الذي قال: حبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي.

أنت بالمال تصون عرضك، واعتقد يقيناً أن حرفتك، أو مهنتك، أو وظيفتك، أو عملك الذي ترتزق منه، إذا كان في الأصل مشروعاً، وسلكت به الطرق المشروعة، وابتغيت منه كفاية نفسك وأهلك، وخدمة المسلمين، ولم يشغلك عن واجب، ولا عن عبادة ولا عن فريضة، ينقلب عملك إلى عبادة.

على كل إنسان أن يتزود بثقافة طبية تعينه على دوام صحته:

لا تظنوا أن الطعام المفيد غالي الثمن

لكن ينبغي أن أهمس في آذانكم همسة: إياكم أن تظنوا أن الطعام المفيد طعام غالي الثمن، أبداً، لو درستم ما في هذه المواد الرخيصة من فوائد لاحترتم في فوائدها، هناك كتب بالأسواق كل مادة غذائية مما ألفت ميزاتها، استطباباتها، حتى أنهم قالوا: خير الدواء ما كان غذاء، وخير الغذاء ما كان دواء، داوي نفسك بالطعام فقط، في بعض الحشائش مثلاً هذه المواد تخفض الضغط، وتوسع الشرايين، وتقوي القلب، وتميع الدم، ما اسم هذا ؟ الزنجبيل، أدوية القلب مجتمعة في الزنجبيل، يقوي ضربات القلب، ويوسع الشرايين، ويخفض الضغط، ويميع الدم، لو أن إنساناً يقتني كتاب كل مادة ماذا تنفعه في جسمه لأقبل على الطعام إقبالاً علمياً، هذا الطعام مفيد.

أنا أدعوكم في هذا اللقاء الطيب إلى ثقافة طبية، تعينكم أنتم على دوام صحتكم، وتعينكم على توجيه أولادكم، وعلى اختيار طعامكم، من الأنواع التي تنفع.

مرة ثانية، وثالثة، ورابعة أفضل أنواع الطعام هو أرخص أنواع الطعام، يعني مثلاً، هل تصدقون أن أفضل بروتين تأكله ليس اللحم، الحمص والفول، هذا أفضل بروتين نباتي، وأن الدول الغنية جداً التي

تُكثر من أكل اللحوم أمراض قلبها ثمانية أضعاف عن الدول الفقيرة، أنا أعني ما أقول، أنا لا أدعوكم إلى البذخ، أو شراء طعام غالٍ.

الدين ليس بالمسجد الدين بتربية الأولاد و اختيار الأعمال التي تسعد بها:

هناك حديث الصحيح:

((دِينار أنفقتَه في سبيل الله، ودِينار أنفقتَهُ في رقبة، ودينار تصدَّقتَ به على مسكين، ودِينار أنفقتَهُ على أهلك، أعظمُها أجراً الذي تنفقه على أهلك))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

ما قولك، من لهم غيرك ؟ أنت أبوهم، صحتهم مسؤوليتك، نموهم مسؤوليتك، أي إنسان عنده بنت أسنانها متراكبة، لم يهتم بها، أصبح عندها مشكلة، سببت لها عقدة وانصرف عنها الخطاب، إن دفعت بضعة آلاف لتقويم أسنانها وجعلتها تتمتع بثقة بالنفس وجاء خاطب أعجبته، ألست أباً صالحاً بهذه الطريقة ؟ أنتم تتوهمون أن الدين بالمسجد، لا، الدين بتربية الأولاد، الدين بعملك، بمكتبك، الدين بإدارة عملك، الدين في الطريق، الدين في الإنفاق، الدين في أصول الإنفاق، الدين في اختيار الأعمال التي تسعد بها أولاً فأول.

أحياناً بالبيت طاولة لها حرف حاد طفل يمشي مسرعاً، فاصطدمت جمجمته بهذه الزاوية الحادة، أصيب بعاهة دائمة.

كنت مرة ببلاد غربية، الأعمدة لها شريط فولاذ مضفور، مربوط في الأرض من أجل أن تثبت، لو أن طفلاً يركض وارتطم بهذا السلك، قد يسبب له مشكلة، مغلفة بأنابيب مطاطية ثخينة جداً، حفاظاً على صحة الأطفال، أنا أشاهد أشياء في العالم الغربي تدل على وعي الناس لسلامة الأطفال.

فأحياناً هناك طاولات لها زاويا حادة، ومستواها منخفض بمستوى رأس الطفل أحياناً مندفع دون أن ينتبه ارتطم وجهه بهذه الزاوية الحادة، فانكسرت جمجمته، وتأثرت بها دماغه فأصبح مشلولاً.

فانتبه للأثاث، للكهرباء، للنوافذ، للمصاعد، أحياناً مصعد يفتح الباب لا شيء وراء الباب، حالات الوفاة كثيرة جداً بهذه الطريقة.

الدين هو الحياة:

على المؤمن أن يأخذ بالأسباب، وبعدها يتوكل على رب الأرباب، خذ بالأسباب وكأنها كل شيء، وتوكل على الله وكأنها ليست بشيء، الدين هو الحياة، الدين أن تتمتع بصحة إلى نهاية عمرك، والدين

أن توجه أولادك إلى قواعد في الصحة، في طعامهم، وشرابهم، ولباسهم، وحركتهم، والدين أن تعتني بمرافق البيت، هناك مرافق خطيرة، هناك مادة محترقة يجب أن تبعدها عن الأولاد، هناك أدوية لو شربها الطفل لمات، ينبغي أن تكون بعيدة، هذا جزء من دينك، أن تعتني بسلامة أولاد، أن تعتني بصحتهم، أن تعتني بمستقبلهم، أن تعتني بقوامهم، أن تعتني بأجسامهم، هذا جزء من دينك.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (09-36) : التربية الصحية -2- توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام المتعلقة بالصحة
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 24-05-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس التاسع من دروس تربية الأولاد في الإسلام، ولازلنا في التربية الصحية.

توجيهات الرسول الكريم المتعلقة بالصحة ما هي إلا وحي من الخالق سبحانه:

أيها الأخوة الكرام، الحقيقة الأولى: أن الإسلام هو الحياة، حياة الإنسان العقلية وحياته النفسية، وحياته الجسمية، وكما تعلمون غذاء العقل العلم، وغذاء القلب الحب، وغذاء الجسم الطعام والشراب، ينبغي أن تلبى حاجات العقل، والقلب، والجسم معاً، ونحن في حيز التربية الصحية.

النبي عليه الصلاة والسلام، لاشك أن له توجيهات كثيرة متعلقة بالصحة، قد يسأل سائل: هذه التوجيهات من عنده ؟ من اجتهاده ؟ من خبرته ؟ من بيئته ؟ من عصره الجواب: ليست من خبرته، ولا من بيئته، ولا من عصره، ولا من اجتهاده، ولكنها وحي يوحى.

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)

(سورة النجم)

أيها الأخوة الكرام، بادئ ذي بدء: الإنسان قد يصاب بمشكلة، هذه المشكلة لا تنقص من قدره، ولكن بطولته في موقفه من هذه المشكلة، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام كما تعلمون أقواله تشريع، وأفعاله تشريع، وإقراره تشريع.

إذاً المشكلات التي حصلت والتي وقف منها الموقف الكامل، وقال فيها حديثاً متعلقاً بعلاقتنا، وبشؤون حياتنا، هذا وحي يوحى من الله عز وجل.

من توجيهات النبي المتعلقة بالصحة اهتمام الآباء بتربية أولادهم من جميع النواحي:

لذلك سأحاول في هذا الدرس أن أبين توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام المتعلقة بالصحة، أولاً:

((كفى بالمرء إثما أن يُضَيِّع مَن يقوتُ))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

أثبت الله لك أيها الأب أنك تطعم أولادك، أثبت الله لك من خلال نبيه، ومن خلال هذا الحديث أنك تطعم أولادك، وهذا شأن أي أب في الأرض، يجلب لهم الطعام والشراب، يؤويهم في بيته، يشتري لهم الكساء، لكن الحديث الشريف فيه ملمح دقيق:

((كفى بالمرء إثما أن يُضَيِّع مَن يقوتُ))

هو يطعمه، ويسقيه، ويكسوه، ويؤويه، ولكن هل نظرت إلى دينه ؟ إلى إيمانه ؟ إلى أخلاقه ؟ فكأن هذا الحديث أكبر باعث لنا جميعاً، على أن نهتم بتربية أولادنا التربية الإيمانية، والتربية الأخلاقية، والتربية النفسية، والتربية الاجتماعية، والتربية الجسمية، الأبوة مسؤولية، ومعنى مسؤولية أنه يمكن بالأبوة أن ترقى إلى أعلى عليين كما يمكن بالأبوة أن تهوي إلى أسفل سافلين.

توجيهات النبي الكريم المتعلقة بشرب الماء متعددة منها:

1 ـ من السنة أن يشرب الإنسان كأس الماء على مراحل ثلاث:

أيها الأخوة الكرام، من توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم في شرب الماء يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا تشربوا واحدا كشُرب البعير، ولكن اشربوا مَثنى وثُلاث)).

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عباس]

يعني من السنة أن تشرب الكأس على مراحل ثلاث.

((لا تشربوا واحدا كشُرب البعير، ولكن اشربوا مَثنى وثُلاث))

حدثني أحد الأطباء في عصب اسمه العصب الحائر، وله اسم آخر اسمه العصب المبهم، هذا العصب مرتبط بالقلب وبالمعدة، عندما الإنسان يشرب الماء البارد دفعة واحدة وجسمه في الدرجة السابعة و الثلاثين ربما تنبه هذا العصب تنبهاً قاسياً فأودى بحياة الإنسان، في أكثر من عشر حالات في العالم موت مفاجئ من شرب الماء دفعة واحدة، ماء بارد، وأنت في حر شديد دفعة واحد، لذلك:

(إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ)

(سورة البقرة الآية: 249).

فالسنة إذاً مبنية على حقائق العلم، اشرب الماء على مراحل ثلاث، أول مرة والثانية، والثالثة، هذا أول توجيه من توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام.

3 ـ البسملة قبل الطعام و الشراب:

الآن تتمة هذا الحديث:

((وسَمُّوا الله إذا أنتم شَرَبتم، واحْمَدوا الله إذا رَفِعتم))

أريد أن نفهم معاً ماذا تعني التسمية، ماذا تعني التسمية بالعمق ؟ أولاً هذا الكأس من جعله عذباً فراتاً؟ الله عز وجل، هو من ماء البحر أصله، من ماء:

(مِلْحٌ أُجَاجٌ)

(سورة الفرقان الآية: 53)

أحياناً تغرق السفينة وينجو بعضهم بقارب نجاة، ويموتون واحداً واحداً من شدة العطش، وهم فوق البحار، كما قال بعض الشعراء:

كالعيس في الصحراء يقتلها الظمأ	**والماء فوق ظهورها محمول**
وكم من قارب نجاة مات من فيه	**واحداً واحداً من شدة العطش**

* * *

وهم على سطح البحر.

من معاني البسملة:

1 ـ لفت النظر إلى أن هذه النعمة من عند الله والإنسان يستخدمها ويتنعم بها:

لذلك أيها الأخوة، من جعل ماء البحر عن طريق التبخر، والأمطار، والينابيع، ماءً عذباً فراتاً ؟ ما معنى بسم الله ؟ يعني أنا أشرب الماء الذي خلقه الله عذباً فراتاً، الذي صنعه الله عذباً فراتاً، الذي سخره الله لي عذباً فراتاً، أنت في كل قضية تسمي الله عز وجل فيها، يعني انتبه إلى هذه النعمة، شخص دخل لبيته قال: بسم الله الرحمن الرحيم، من أعطاك هذا المأوى ؟ شخص أكل طعاماً يحبه، وجسمه يحتمل هذا الطعام وجسمه صحيح، قال: بسم الله الرحمن الرحيم، من خلق هذا الطعام ؟ عود نفسك أن البسملة تعني لفت نظر لهذه النعم، دخلت إلى بيتك، ركبت مركبتك أمسكت ابنك، البسملة تعني لفت النظر إلى أن هذه النعمة من عند الله، وأنت تستخدمها وتنعم بها بسم الله.

2 ـ استعمال البسملة وفق منهج الله عز وجل:

المعنى الثاني: الإله العظيم كيف أمرك أن تشرب عن طريق نبيه ؟ أن تشرب على مراحل ثلاث، فكأن البسملة تعني شيئين، تعني أن هذه نعمة، وأن هذه النعمة ينبغي أن تستعملها وفق منهج الله، هذا معنى البسملة، بسم الله الرحمن الرحيم، باسم فضله، باسم كرمه، باسم نعمه، ووفق منهجه، أشرب هذا الكأس.

فلذلك أول توجيه:

((لا تشربوا واحدا، كشُرب البعير، ولكن اشربوا مَثنى وثُلاث، وسَمُّوا الله إذا أنتم شَرِبتم، واحْمدوا الله إذا رَفعتم))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عباس]

شخص سأل أمير المؤمنين، قال: يا أمير المؤمنين، بكم تشتري هذا الكأس لو منع منك ؟ قال: بنصف ملكي، قال: لو منع إخراجه ؟ قال: بنصف ملكي الآخر.

أن تشرب والكليتان تعملان بنظام، الأسبوع الماضي أخوين كريمين فجأة اكتشفا أن الكلية متعطلة، ماذا يعني تصفية البول عن طريق كلية صناعية ؟ يعني ثماني ساعات وبالأسبوع ثلاث مرات، أما هذه الكلية التي أودعها الله فينا بحجم البيضة، تعمل بانتظام تصفي الدم، إذاً: إذا شربتم فسموا، وإذا رفعتم فاحمدوا، هذا التوجيه.

بالمناسبة أيها الأخوة:

((إذا دخل الرجلُ مَنزِلَه فذكر اللَّه عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مَبِيتَ لكم ولا عَشاءَ، وإن ذكر اللَّه عند دُخوله، ولم يذكره عند عشائه، يقولُ: أدركتم العَشاء، ولا مَبِيتَ لكم، وإذا لم يذكر اللَّه عند طعامه قال: أدركتم المبيتَ والعَشاءَ))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن جابر بن عبد الله]

3 ـ على الإنسان أن يشرب الماء مصاً:

أيها الأخوة، من توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام:

((مصوا الماء مصاً، ولا تعبوه عباً فإن الكباد من العب))

[أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث انس بالشطر الأول، ولأبي داود في المراسيل من رواية عطاء بن أبي رباح "إذا شربتم فاشربوا مصا]

إذاً أن نشرب ثلاثاً، وأن نشرب مصاً، وأن نشرب قعوداً، إذا شربت فاجلس إلا أن ماء زمزم مستثنى من هذه القاعدة.

تقديم الفاكهة على اللحم من توجيهات النبي الكريم في الطعام:

أنتم لاحظتم أن النبي عليه الصلاة والسلام في الصيام كان يفطر على تمرات ثلاث، ثم يصلي المغرب، ثم يجلس إلى الطعام، ما الذي يحصل ؟.

إخوانا الكرام، سكر الفواكه أسرع الفواكه امتصاصاً، حتى إن العلماء يؤكدون أنك إذا أكلت تمرة يصل سكرها إلى مركز الشبع بعشر دقائق، يعني أسرع سكر وصولاً إلى مركز الشبع في الدماغ سكر الفواكه، فالإنسان إذا جاع، وبدأ طعامه بفاكهة، بتمرات ثلاث، بتفاحة، ببضع حبات من العنب، ما الذي يحصل ؟ سكر الفاكهة يصل إلى الدم بعشر دقائق ويتأثر مركز الشبع.

الآن صلِ المغرب، ثم اجلس إلى الطعام، ترى نفسك تأكل باعتدال شديد، تأكل ولست جائعاً جوعاً لا يحتمل، هذا من توجيه النبي عليه الصلاة والسلام، وبعضهم استنبط هذه الحقيقة من قوله تعالى:

(وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ)

(سورة الواقعة)

تقديم الفاكهة على اللحم تقديم توجيه، وأنا سمعت في بعض البلاد في أوربا يأكلون الفاكهة قبل الطعام، ولو عودتم أنفسكم أن تأكلوا حبة من الفاكهة قبل الطعام الذي يحصل أن سكر الفاكهة يصل إلى مركز الشبع، ويتنبأ، ثم يأتي الطعام فتأكل باعتدال الإنسان متى يشبع ؟ يشبع في إحدى حالتين، إذا امتلأت المعدة، أو إذا تنبه مركز الشبع، إن بدأت بالطعام بالدسم لن تشبع حتى تمتلئ المعدة، أما إن بدأت بالسكريات الطبيعية، سكريات الفواكه تشبع قبل أن تأكل، فتأكل باعتدال، هذا أيضاً من توجيهات القرآن، ومن توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام.

من الضروري للإنسان أكل الحبة السوداء لأنها تقوي جهاز المناعة عنده:

الأخوة، عُقد مؤتمر في القاهرة للبحث في الحبة السوداء، لأن فيها حديثاً محيراً، يقول عليه الصلاة والسلام:

((عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ فَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ))

[أخرجه ابن ماجه عن عبد الله بن عمر]

هذا كلام النبي عليه الصلاة والسلام

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)

((عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ فَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ))

يعني مرض الموت، مرت الموت يتفاقم لأنه بوابة الخروج، ما سوى مرض الموت الأمراض لها دواء.

((لكلِّ داء دواءً))

[أخرجه أبو داود عن أبي الدرداء]

هذا المؤتمر الذي عقد في القاهرة من أجل الحبة السوداء، وصل إلى أن الحبة السوداء تقوي جهاز المناعة، وجهاز المناعة مسؤول عن مكافحة الأمراض الإنتانية والجرثومية، إذاً جاء كلام النبي مؤكداً بهذا المؤتمر الذي بحث في خصائص الحبة السوداء طبعاً كتعليق:

الحبة السوداء إن أكلت زيتها لا تؤدي مهمتها، وإن أكلتها من دون أن تطحنها لا تؤدي وظيفتها، لابدّ من أن تأكلها، وأن تطحنها بأسنانك حتى تنتفع بها.

أكل الخبز الأسمر الذي بقي قشره أثناء الطحن للوقاية من الأمراض:

أيها الأخوة، مرة ثانية كنت أتمنى على ربات البيوت الأخوات المؤمنات أن يطلعن على بعض خصائص الخضروات، يعني أنت تدهش أن هذه المادة الغذائية ترمم الغشاء المخاطي في الجهاز الهضمي، هذه المادة الغذائية تغذي الدماغ، يعني من يصدق أن حبة القمح نحن ماذا نفعل ؟ في معظم البلاد، بل في معظم بلاد العالم، ننزع قشرها ونأكل لبها، تجد خبزاً أبيضاً ناصعاً شهياً، وهذا الخبز الأبيض الناصع الشهي ما هو إلا نشاء فقط وهذا النشاء كما يقولون غراء جيد للمعدة، لذلك قالوا: احذروا السموم الثلاثة، السكر الأبيض، والملح الأبيض، والطحين الأبيض، سموم ثلاثة، قشرة القمح، فيها ست فيتامينات، فيها عشرة معادن، الحديد والفوسفات والكالسيوم والمغنزيوم، وإن شاء الله في لقاء قادم آتيكم بالتفاصيل.

لذلك أكبر خطأ يرتكبه الإنسان حينما يأكل الخبز الذي نُزع عن قمحه قشره، وقشر القمح هو الذي ينظم حركة الأمعاء، بل إن كل الأدوية التي تسهل الهضم مأخوذة من قشر القمح، وهناك خمسين مرضاً يسببه الإمساك، وأنك إذا أكلت الخبز الأسمر أي الخبز الذي بقي قشره أثناء الطحن، نجوت من هذه الأمراض الخمسين التي يسببه الإمساك.

لذلك أيها الأخوة، أول بدعه أبدعها المسلمون بعد وفاة رسول الله نخل الدقيق أول بدعة نخل الدقيق.

4.على الإنسان أن يشرب و يبعد القدح عن فيه من أجل ألا يكون التنفس في الإناء:

أيها الأخوة، لو عدنا إلى موضوع الشرب يقول عليه الصلاة والسلام:

((إذا شَرِبَ أحدُكم فلا يتنفَّس في الإناء))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي قتادة]

الآن ثبت في الإسلام أن هناك عدوى يسببها الزفير، بعض الأمراض قد تنتقل من إنسان إلى إنسان عن طريق الزفير، فإذا تنفست في الإناء، وشربت جزءاً من ماء الكأس وجاء إنسان وشرب البقية لعل في هذا الماء شيء من أسباب المرض.

لذلك النبي الكريم يقول:

((فأبن القدح عن فيك))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري]

اشرب وأبعد القدح عن فيك من أجل ألا يكون التنفس في الإناء.

الدقة في تناول الطعام لئلا ينتقل لعاب الإنسان إلى شيء لم يأكله:

لفت نظري مره أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما كان يأكل التمر، لو أنه أمسك تمرة وأكلها بقي يخرج النواة من فمه، أمسك النواة ووضعها على طرف المائدة، ثم أمسك تمرة ثانيه وجدها قاسية فتركها، ما الذي حصل ؟ أكل تمرة، ثم أخرج نواتها بإصبعيه، وضع النواة على طرف المائدة، وتناول تمرة ثانية، الثانية قاسية لم تعجبه فتركها، واختار تمرة ثالثة، ما الذي حصل ؟ انتقل لعابه إلى تمرة لم يأكلها، فكأن عليه الصلاة والسلام إذا أكل التمر وضع النواة هنا، أرأيتم إلى هذه الدقة في تناول الطعام؟ لتبقى أطراف أصابعه جافه لا تنقل لعابه الشريف إلى تمره لم يأكلها.

5 ـ ألا يشرب الإنسان إلا و هو جالس:

وفي موضوع الشرب يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا يَشْرَبَنَّ أحد منكم قائما))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

من توجيهات النبي في النوم أن ينام الإنسان على شقه الأيمن:

توجيهات النبي في النوم، يقولون إن الأغنياء ينامون على جنبيهم الأيسر، وأن الملوك ينامون على ظهرهم، وأن الشياطين ينامون على بطونهم، وأن المؤمنون ينامون على شقهم الأيمن، مره عثرت على بحث علمي عن فوائد النوم على الشق الأيمن، فوائد كبيرة جداً، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

((إذا أتيتَ مَضْجعكَ فتوضَّأ وُضُوءك للصلاة، ثم اضْطجعْ على شِقِّك الأيْمن فقل: اللَّهمَّ أسْلَمْتُ نَفْسي إليك، ووجَّهْتُ وجهي إليك، وفوَّضْتُ أمْري إليك، وألجَأْتُ ظَهْري إليك، رَغْبة ورَهْبة إليك، لا مَلْجأ، ولا مَنْجَا منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ، وبنبيِّك الذي أرسلتَ، فإنكَ إنْ مُتَّ في ليلتك مُتَّ على الفِطْرَةِ واجْعَلْهُنَّ آخرَ ما تقول))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن البراء بن عازب]

المغزى من هذا الحديث أن تنام على شقك الأيمن، وكان عليه الصلاة والسلام يضع كفه تحت خده إذا أوى إلى فراشه.

على الإنسان ألا يحقد على أحد نقل المرض إليه:

أيها الأخوة، النبي عليه الصلاة والسلام أشار إلى العدوى فمن توجيهاته عليه الصلاة والسلام: أنك إذا علمت أن طاعون في بلدٍ ينبغي ألا تدخلها، وإذا كنت في بلدٍ مصاب بطاعون ينبغي ألا تخرج من هذا البلد، هذا أحدث مفهوم للعدوى، هناك إنسان يحمل المرض وليس مريضاً، هناك مريض وهناك حامل، فإنسان أحياناً في طور من الأطوار يحمل هذا الجرثوم، فالنبي عليه الصلاة والسلام يؤكد أن العدوى حق، لكنه يقول: لا عدوى كيف نوفق ؟ إن كنت في بلدٍ، وقد أصيب أهله بالطاعون، فلا تخرج منه ؟ وإن علمت أن بلداً أصيب بالطاعون لا تدخل إليه ؟ النبي الكريم يؤكد العدوى، ثم يقول: لا عدوى، هنا العدوى ؛ أي أنت لا تحقد على أحد نُقل المرض منه إليك، الله عز وجل قدر هذا المرض لئلا تحقد عليه، فهو العدوى حاصلة ولكن لا ينبغي أن تسبب لك حقداً أو ألماً من إنسان نقل مرضه إليك.

وقال عليه الصلاة والسلام:

((وفِرَ من الْمَجْذُومِ كما تَفِرُّ من الأسد))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة]

إذا إنسان مجذوم ينبغي أن نبتعد عنه من دون أن نؤذيه، أما الحديث الواضح:

((لا يُورِدَنّ مُمْرِض على مُصِحّ))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة]

قد يكون ليس مريضاً ممرض أي حامل للمرض.

الأمراض من السهل على الإنسان أن يتلافاها و لكن بقليل من الوعي:

بالمناسبة أيها الأخوة، لعلي ذكرت هذا في لقاء سابق: عندنا مرض التليسيميا هذا المرض يصيب الدم، المريض يحتاج تبديل دمه كل أسبوعين مرة، إلى أن يموت، وعندنا في هذا البلد الطيب ألفا حالة، فإذا

عاش المريض عشرين سنة كلفة تبديل الدم يقترب من مئه وستين ملياراً، هذا المبلغ الضخم لو أن وفرناه لإنشاء مدارس ومستشفيات، طرقات، مشاريع إنتاجية، نكون في حال غير هذا الحال.

ببلد آخر في سبعين مليون عندهم أربع حالات، هذا المرض العضال التليسيميا ما سببه ؟ أن شاباً يتزوج، الشاب حامل المرض، فإذا تزوج فتاة حاملة للمرض يأتيه أولاد مصابون هذا المرض مئة بالمئة، كم إنسان ببلدنا الطيب حامل هذا المرض ؟ مليونان، مليونان من حاملي هذا المرض، وألفا مصابان، وألفا إنسان أصيبوا بهذا المرض، ويكفي أنك إذا زوجت ابنتك أن تطلب من الخاطب شهادة صحية من هذا المرض، فإذا ما كان حامل لا يوجد مشكلة، لو أن أحدهما حامل لهذا المرض يعيشان عمراً مديداً بصحة تامة، أما المشكلة أن يقترن حامل بحامله، عندئذٍ لابد أن يكون في الذرية من أصيب بهذا المرض، هذه مشكله كبيرة.

والله من أيام اطلعت على إحصاء آخر أدهشني، عندنا ثلاثون ألف مصاب ببلدنا وليس ألفان، الألفين يكلفان160 مليار عدا الضيق النفسي، والشدة النفسية التي تصيب الأهل.

على الطبيب أن يحسن وصف الدواء للمريض ويبقى بعد ذلك توفيق الله عز وجل:

أيها الأخوة، من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((لكلِّ داء دواء))

ماذا يفعل هذا الحديث ؟ في نفس المريض ماذا يفعل

((لكلِّ داء دواءً))

يعطيه ثقة بالشفاء، يعطيه أملاً، الآن أحياناً تأتي أخبار طيبة جداً، فيما سمعت الآن سرطان الدم له علاج ناجح

((لكلِّ داء دواء))

وهناك أمراض كثيرة جداً الآن اكتشف لها دواء، هذا الحديث

((لكلِّ داء دواء))

يعطي المريض أمل، ثقة، وإذا قرأه الطبيب يعطيه حافزاً ليبحث

((لكلِّ داء دواء فإذا أُصِيبَ دواءُ الدَّاءِ))

مهمة الطبيب أن يحسن تشخيص المرض، ومهمة الطبيب أن يحسن وصف الدواء، ويبقى بعد ذلك توفيق الله عز وجل

((فإذا أُصِيبَ دواءُ الدَّاءِ بَرَأَ بإذن الله))

المؤمن عليه أن يأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ثم يتوكل على الله وكأنها ليست بشي:

في حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

((تداووا عباد الله فإن الله تعالى لم ينزل داء إلا وقد أنزل له شفاء))

[أخرجه الحاكم عن أسامة بن شريك مرداس الأسلمي]

((تداووا))

وكل أمر في القرآن والسنة يقتضي الوجوب، تهمل نفسك وتقول الشافي الله، الشافي الله، لكن الله أمرك أن تأخذ بالأسباب، والمؤمن الكامل يأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، ثم يتوكل على الله وكأنها ليست بشيء، هذا المؤمن، أنا أرى لا سمح الله ولا قدر لو أن إنساناً مرض يبحث عن أفضل طبيب، ويأخذ أفضل دواء، ويأخذ الدواء بدقة بالغة، ويتصدق، ويدعو الله بالشفاء، الدعاء بالشفاء ، والصدقة:

((داووا مرضاكم بالصدقة))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

وبالمعالجة المتقنة.

الابتعاد عن الفاكهة غير الناضجة كيلا نصاب بالأمراض:

الآن هناك توجيه بتناول الفاكهة، قال تعالى:

(كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ)

(سورة الأنعام الآية: 141)

معنى لابدّ من أن يكون الثمر يانعاً، هناك أمراض كثيرة سببها أن تأكل الفاكهة قبل نضجها

(كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ)

و هناك توجيهات أخرى:

((من أكل الطين فكأنما أعان على قتل نفسه))

[أخرجه الطبراني عن سلمان]

من يأكل التراب ؟ يعني من أكل فاكهة دون أن يغسلها، كأنه أكل التراب.

((من أكل الطين فكأنما أعان على قتل نفسه))

ومن أجل النظافة التامة ورد في بعض الأحاديث عند الترمذي:

((بركة الطعام الوُضُوء قبلَه، والوضوء بعدَه))

[عن سلمان الفارسي]

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

من متممات العبادة أن يتأدب الإنسان مع قوانين الجسم:

إخوانا الكرام، هناك تعليق دقيق جداً: أنت تعبد الله، تصلي، تصوم، تحج تزكي، لكن جسمك له قوانين من يعرفها ؟ الطبيب، أنا أرى أنه من متممات العبادة أن تتأدب مع قوانين الجسم، تأكل ما يحلو لك بلا حساب ؟ بلا قاعدة ؟ بلا اهتمام ؟ والله الشافي ! أو تأكل فاكهة دون غسيل ؟ سم لا يضر مع اسمه شيء، هذا موقف غير إسلامي وغير صحيح، خذ بالأسباب وكأنها كل شيء، ثم توكل على الله وكأنها ليست بشيء.

أيها الأخوة الكرام، لا تنتظر أيها المؤمن أن تخرق لك النواميس، هناك قوانين لهذا الجسم، ما لم تتأدب مع هذه القوانين لن تكون عابداً لله عز وجل، فلما الأب والأم يطبقان هذه القوانين يشيعان في البيت احترام هذه القوانين، الأكل معتدل فرضاً، الرياضة، الحركة، شرب الماء الكثير، الآن أكثر حالات الفشل الكلوي أسبابها شرب الماء القليل الكلية الواحدة صيانتها الأولى بشرب الماء الكثير، أنا أعرف أناساً كثيرون أصيبوا بهذا المرض بسبب عدم رغبتهم بشرب الماء، مع أن الكلية صيانتها الوحيدة شرب الماء.

مرة طبيب قال: كُلْ كلّ شيء، وكُلْ باعتدال، وابذل جهداً، ولا تقع تحت تأثير الشدة النفسية، وكأن بهذه النصائح الأربع جمع الطب كله، كل كلّ شيء، كل شيء خلقه الله له فائدة في الجسم، هناك أغذية تفيد الدماغ، أغذية تفيد العظام، أغذية تفيد العضلات، أغذية تفيد الأغشية المعينة، كل غذاء له فائدة متعلقة بنسيج معين، أو بجهاز معين، إذاً كل كلّ شيء، وكل باعتدال.

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا)

(سورة الأعراف الآية: 31)

وابذل جهداً، المؤمن يبذل جهداً، مرة قلت لطبيب: الحد الأدنى من الرياضة الأدنى الأدنى ؟ طبيب قلب، قال لي: من يخدم نفسه في البيت قام بالحد الأدنى الأدنى من الرياضة، يعني قمت إلى المطبخ شربت كأس ماء وعدت إلى مكانك، الحد الأدنى من الرياضة أن تخدم نفسك في البيت، وكان عليه الصلاة والسلام يخدم نفسه، يرفو ثوبه، يعقد بعيره، يحلب شاته، يكنس داره، وكان في مهنة أهله، بذل الجهد رياضة.

أيها الأخوة، هذه بعض توجيهات النبوية في شأن الطعام والشراب، وشأن الصحة، ومع الدرس الأول يتكاملان، هناك حقائق عامة، وحقائق تفصيلية.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (10-36) : التربية الصحية -3- ظاهرة التدخين

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 31-05-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

صحة الإنسان وعاء عمله:

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس العاشر من دروس تربية الأولاد في الإسلام، ولازلنا في التربية الصحية، لأن صحة الإنسان وعاء عمله، والصحة مطلوبة لغيرها، لا لذاتها، لأنك خلقت في الدنيا من أجل العمل الصالح، والعمل الصالح يحتاج إلى صحة.

مرة إنسان قال لي: أليس الأجل محتوماً ومحدداً، لا يزيد ولا ينقص ؟ قلت له: بلى، ولكن بين أن تعيش سبعين عاماً واقفاً، متحركاً، نشيطاً، وبين أن تعيش سنوات مديدة طريح الفراش، الأجل لا يتغير، بل إن النعمة الثانية بعد نعمة الهدى هي نعمة الصحة.

وهذا الموضوع دقيق وخطير، ويلامس شغاف قلب كل إنسان.

ظاهرة التدخين:

في هذا الدرس اخترت لكم ظاهرة مرضية خطيرة منتشرة في العالم الإسلامي، وهي ظاهرة التدخين، بل إن العالم الإسلامي نسب المدخنين فيه أعلى نسب في العالم، وهذا مع الأسف الشديد، شركة دخان واحدة أرباحها في اليوم الواحد من مبيعاتها للعالم الإسلامي 110 ملايين دولار يومياً 12 ألف دولار يذهب لإسرائيل يومياً، أعلى نسب المدخنين في العالم بين المسلمين، وهذه والله وصمة عار بحق المسلمين، والله عز وجل يقول:

(وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً)

(سورة النساء)

والله الدخينة قتل بطيء، والرصاصة قتل سريع، وقال تعالى:

(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)

(سورة البقرة الآية: 195)

وقال تعالى:

(وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)

(سورة الأعراف الآية: 157)

العاقل من يتعامل مع النص لا مع الواقع:

بطولتك كإنسان عاقل أن تتعامل مع النص لا مع الواقع، الآن أي إنسان لا سمح الله ولا قدر أصيب بورم خبيث في رئتيه بسبب التدخين قطعاً يقلع عن التدخين، لكن متى ؟ بعد فوات الأوان، أما الإنسان العاقل إما لحكم شرعي، أو لبحث علمي يقلع عن التدخين، والمثل الذي أردده كثيراً:
لك مبلغ كبير في حمص، ركبت مركبتك، وتوجهت إلى حمص في أحد أيام الشتاء، وجدت لوحة في ظاهر دمشق كتب عليها: الطريق إلى حمص مقطوع بسبب تراكم الثلوج في النبك، أنت إنسان عاقل، من ظاهر دمشق تعود، ما الذي جعلك تقود مركبة ضخمة وزنها ثلاثة طن أن ترجع ؟ أربع كلمات، لأنك عاقل، الطريق إلى حمص مغلقة أنت هدفك حمص والإغلاق في النبك، لو أن دابة تمشي أين تقف؟ عند الثلج، ما الذي حكم الدابة ؟ الواقع، ما الذي حكم العاقل ؟ النص.
الفرق بين العاقل وبين غير العاقل، العاقل يحكمه النص، يحكمه التحريم

(وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)

وغير العاقل يحكمه الواقع، يقلع عن التدخين قطعاً بعد أن يصاب بورم خبيث في رئتيه، أو باحتشاء في قلبه، أو بموات في قدميه أو، أو، هناك موضوعات لا تنتهي عن مضار التدخين.
لكن في مجلة بدمشق قدموا لي نسخة منها، هذه المجلة عنوان المقالة فيها أن قرصاً مدمجاً حمل بائع دخان على ترك بيع الدخان، وحمل أكبر موزع دخان في دمشق على الإقلاع عن هذه الحرفة بسبب مقالة ألقيتها في حفل إشهار جمعية مكافحة التدخين، وأنا عضو مؤسس فيها.

الأدلة الفطرية على حرمة الدخان:

أيها الأخوة، هناك أدلة فطرية، هل سمعتم في حياتكم أن مدخناً أمسك الدخينة وقال بسم الله الرحمن الرحيم ؟ أنت بالماء تسمي، بتناول الطعام تسمي، إلا بالتدخين لا تسمي، فإذا انتهت هذه الدخينة هل تقول: يا رب لك الحمد، يا رب أدم فضلك علينا مستحيل، هل تجرؤ أن تدوس قطعة خبز بقدميك ؟ لا تجرؤ، لكنك ببساطة تضع عقب الدخينة في الأرض وتسحقها بقدمك، أليست هذه أدلة كافية ؟.
هل تصدقون أيها الأخوة أن عالماً من علماء مصر ذهب إلى أمريكا، ورأى بأم عينه كيف أن ورق التبغ ينقع في الخمر، كيف تشتعل الدخينة إلى نهايتها دون أن تنطفئ ؟ لأنها منقوعة بالخمر، هذا كلام علمي، شركات الدخان عندي أسماؤها، حتى في شركات بالمنطقة (بالشرق الأوسط)، ينقع ورق التبغ

بالخمر، فإذا سمعت المعلن يقول: تعال إلى حيث النكهة، إنها نكهة الخمر، وهذا المعلن المشهور الذي يظهر، ويرتدي ثياب الكوبوي، ويدخن وكأنه بطل مات بسرطان الرئة، وقال وهو على فراش الموت: كنت أكذب عليكم، الدخان قتلني.

أضرار التدخين على الفرد و المجتمع:

إخوانا الكرام، هناك حقيقة أتمنى أن تكون واضحة لديكم، نسبة الإدمان في الدخان 85%، نسبة الإدمان في الخمر 15%، كيف ؟ يعني مئة مدخن لا يستطيع أن يقلع عن التدخين منهم إلا 15%، بينما مئة شارب خمر يستطيع 85% أن يقلعوا عن شرب الخمر، شيء خطير جداً.
أيها الأخوة، شركات التبغ تسمى بعالم الصحة شركات القتل، أو شركات تتجر بالموت، هذه الشركات تنتج دخينتين لكل إنسان في الأرض يومياً، مجموع إنتاج هذه الشركات 12 مليار دخينة كل يوم، ما في هذه الدخائن من سموم لو حقنت دفعة واحدة بأهل الأرض لماتوا جميعاً، بالدخان يوجد ثلاثمئة مادة سامة، طبعاً هذه المعلومات من أدق المصادر.
قالوا: أثر هذه السموم في الجنس البشري أخطر من أثر قنبلة الذرة، إن الذين يلقون حتفهم من أثر الدخان يفوق عدد الذين يموتون بسبب الطاعون، والكوليرا، والجدري والسل، والجذام، التيفوئيد مجتمعين.
هناك في بلد غربي ألف وفاة يومياً بسبب التدخين، هذا العدد يزيد سبعة أضعاف عن الذين يلقون حتفهم بسبب حوادث السير، وأعلى نسبة موت في العالم بسبب حوادث السير، والمدخنون يموتون بسبعة أضعاف من حوادث السير

(وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً)

النيكوتين أخطر مادة في الدخان:

والله كلمة مؤلمة وقاسية جداً أتحرش أن أقولها دائماً: ما رأيت مدخناً عاقلاً إنسان ينتحر ؟ يقتل نفسه ؟ يعرض نفسه للجلطة ؟ لاحتشاء القلب ؟ لمرض الغر غرين الموات ؟.
إحصاء في بلد غربي بعيد، إن إحصاء للذين يموتون بسبب التدخين في دولة واحدة في الغرب أربعمئة ألف إنسان، الواقع ألف وفاة كل يوم، بين كل ثلاثة مدخنين يلقى أحدهم حتفه بسبب الدخان.
الآن مجموع الأرباح التي تحققها شركات التبغ للدولة أقل بكثير من الإنفاق الحكومي على معالجة المدخنين، طبعاً أخطر مادة في الدخان هي النيكوتين، أما يقول لك: دخينة مفلترة، الدخينة المفلترة لا

تمنع النيكوتين تمنع القطران فقط، مفلترة لأنها تمنع القطران، أربع قطرات من النيكوتين، أربع قطرات لو حقنت في حصان قتلته فوراً.

أخطر شيء عند المدخن أن سم الدخان ينسحب مع دم الكريات الحمراء فيعطل مفعولها، وأخطر شيء بالجسم الكريات الحمراء عن طريقها يتم تبادل الأوكسجين، وطرح غاز الفحم.

طبعاً في الدخان غازان سامان مسرطنان، فيهما فحوم مسرطنة، دراسة في بريطانيا أجريت على ثلاثة و ثمانين رجلاً مدخناً، أكدت أن ثلاثة أشخاص من كل عشرة يلقون حتفهم بسبب التدخين.

أثر التدخين على أجهزة الإنسان:

1 ـ تأثير التدخين على دماغ الإنسان و ضعف ذكائه:

الآن سنبدأ بالتفاصيل، هذا موجز، تفاصيل الدماغ: سموم التدخين يتلقطها الدماغ بشره عجيب، بقبول فائق، لماذا ؟ لأنه تنشطه، وتخدره، يوجد بالتدخين مادة منشطة ومادة مخدرة، هذا السم في الدماغ يصيب خلايا الدماغ بالالتهاب، أجريت دراسة علمية على ستة آلاف و ثمانمئة حالة تدخين من نتائجها أن هناك علاقة صارخة وواضحة بين التدخين وضعف الذكاء، في الأعم الأغلب المدخن إنسان أقل ذكاء من الذي لا يدخن، هذا بالدماغ.

2 ـ إضعاف الدخان لجهاز التنفس و التهاب الأنف والبلعوم المزمنين:

جهاز التنفس: جهاز التنفس كعنقود العنب، كل حبة سنخ رئوي، هذه الأسناخ عبارة عن فراغ، عنقود عنب لكن حباته فارغة، في هذا الفراغ يتم تبادل الأوكسجين تأخذه الكريات، ويطرح غاز الفحم في الزفير، هذه الحوصلات لو مدت لكانت مساحتها مئتي متر قال: سموم الدخان تخرب هذه الأنسجة المبطنة للأسناخ الرئوية، وتضعف وظائف التنفس وتؤدي إلى التهاب الأنف، والبلعوم المزمنين، والتهاب الحنجرة، والقصبات الرئوية، ونسبة سرطان الرئة عند المدخنين 8 أضعاف غير المدخنين. فرضاً إذا بالمئة إنسان غير مدخن يصاب عشرة بسرطان الرئة، المئة إنسان المدخنين 80% يصابون بسرطان الرئة، هذه محاضرة كلفتني تقريباً عشرة أيام، كلها من مراجع دقيقة جداً.

3 ـ أمراض القلب الوعائية من جلطات وغيرها بسبب التدخين:

القلب، أقسم لي طبيب جراح قلب من أخواني، أقسم لي بالله العظيم له في هذا البلد ثماني سنوات، يجري تقريباً كل يوم عملية قلب، أو بالأسبوع أربع عمليات، يقسم بالله العظيم ما أجرى عملية قلب مفتوح إلا لمدخن، حتى هناك طبيب صديقي متخصص بالحنجرة والبلعوم، والأنف، يأتيه مريض مصاب بورم خبيث في حنجرته، قال لي: دون أن أشعر أضع يدي على صدره فإذا بجيبه علبة دخان، يقول له: هذا من هذا.

يا أخوان نحن عقلاء، الصحة غالية جداً، الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراها إلا المرضى، أكثر أمراض القلب الوعائية من جلطات بسبب التدخين، 80% من مرضى القلب مدخنين.

احتمال الجلطة للمدخن كبيرة جداً لأن المدخن ضغطه مرتفع دائماً و دمه لزج:

طبعاً الآن بعد قليل ترون السبب، السبب أن الإنسان إذا رأى ثعباناً، وذكرت هذا من قبل ما الذي يحصل بجسمه ؟ يحصل تبدلات مدهشة، صورة الثعبان تنطبع على شبكية العين، تنتقل للدماغ، والدماغ تقرأ الصورة، الدماغ ملك الجهاز العصبي، يدرك الخطر بملفات الثعبان، يتوسط لدى ملكة الجهاز الهرموني، زميلته الملكة الغدة النخامية الغدة النخامية وزنها نصف غرام، تعطي أمراً للكظر ليواجه الخطر، الآن الكظر يعطي أمراً للقلب يرفع النبض لمئة و ستين، وأمر للرئتين يرفع الوجيب، وأمر للكبد يطرح كمية سكر إضافية، وأمر للأوعية المحيطة بالجلد لتضيق لمعتها، وأمر إلى الكبد أيضاً لإفراز هرمون التجلط، فالخائف دمه لزج، وضغطه مرتفع، ضاقت الأوعية، ووجهه أصفر اللون، ونبضه مرتفع، ووجيب رئتيه مرتفع، هذه حالة تحصل بالشهر مرة، بالسنة مرة بالخمس سنوات مرة، حالة خوف شديد، المادة التي يفرزها الكظر وتُحدث كل هذه الآثار هي نفس المادة التي تحدثها سموم النيكوتين في الجسم، المدخن دائماً أوعيته ضيقة، ولونه أصفر، المدخن دائماً ضغطه مرتفع، المدخن دائماً دمه لزج، لذلك احتمال الجلطة للمدخن كبيرة جداً.

أنا لي صديق طبيب، أحد من يرتاد عيادته مدخن، والله قال له أمامي، قال له: أنت لا من باب علم الغيب، لكن من باب القوانين، أنت معرض لجلطة بوقت قريب والله بعد ستة أشهر أصيب بجلطة، لأن هرمون التجلط يفرزه الكبد بحالات الخوف النيكوتين يحث هذا الهرمون على الإفراز، فدم المدخن لزج.

أفضل طريقة في تربية الأبناء أن تكون أنت قدوة لهم:

أيها الأخوة، عندي شيء كثير عن مضار التدخين، لكن حينما أرى إنساناً يعطل عقله، أنا أخاطب الآباء الآن، درس تربية الأولاد، ظاهرة التدخين متفشية جداً بالمدارس والأب المدخن قدوة لابنه. مرة إنسان مدخن وشاعر، كتب هذه الأبيات قال:

أما أنا فـاسمع بداية قصتي ... منذ الـتحقت بشلة الأقران
لـم يعلم الأبوان أين تسكعي ... بحثاً عن الأعقـاب والعيدان
لم تمض إلا أشهر حتى غدت ... سيجارة الشيطان طـوع بناني
في العيد كانت فرصتي ذهبية ... الـجيب مملوء أبـي أعطاني

* * *

تابعت أفلام الـبطولة مغرماً ... ومشاهد التدخين كل ثـواني
أيقنت أن الـتبغ شرط لازم ... كي أنتمي لـفصيلة الشجعان
سيجارة الأستاذ فـي مدرستي ... كانت كوحي الـجن والشيطان

* * *

الأستاذ يدخن، لا تدخن يا بني، أنت تدخن، شيء مضحك، بعد مرحلة من هذه الدروس ترون أن أفعل طريقة في تربية الأبناء أن تكون أنت قدوة له.

أذعنت للتدخين دون تردد ... وبدأت بعد السر بالإعلان

* * *

ضرورة دروس العلم للإنسان ليتحرك حركة صحيحة و يصحو من غفلته:

والله أتمنى ألا أكون قاسياً على المدخنين، أحياناً ألتقي بإنسان، يحتل مكانة رفيعة، معه شهادات عالية، أجلس معه أمتلئ احتراماً له، فإذا بدأ يدخن والله يسقط من عيني، ما رأيت مدخناً عاقلاً:

أذعنت بالـتدخين دون تردد ... وبدأت بعد الـسر بالإعلان
فـأبي يدخن والمعلم قدوتي ... وكلاهما بسـلوكه أغواني
وطبيبنا في الـحي كان مدخناً ... فجعلـته ترساً لمن ينهاني

* * *

جاوزت مرحلة الـــشباب وبعدها مالت بصدري كفة الميزان

أصبحت ألهث إن مشيت بسرعة والـــقلب يخفق والسعال أتاني

أنفقت أموالـــي أهنت إرادتي كي لا يصاب الـــتبغ بالخذلان

* * *

هذا اللدود جعلته لـــي صاحباً أردفته خلـــفي فباع حصاني

لــم أتعظ مما جرى للسابقين وصمدت لكن خفت مــن خسراني

هذه حكاية من يذوب نـــدامة فـــاحذر صديقي أن تكون الثاني

** *

تهتز أنمـــله فتحسبـــها ورق الخريف أصيب بالـــبرد

ويمـــــج أحياناً دماً فـــعلى منديله قطع من الكبد

قطع تقول تمــــوت غداً وإذا تـــــرق تقول بعد غد

* * *

مـــات الفتى فأقيم فـي جدث مستوحش الـــــرجاء منفرد

كتبوا على حجراتـــــه بدم سطراً به عظـــة لذي رشدِ

هذا قتيل هـــوىً ببنت هوى فإذا مـــــررت بأختها فحدِ

* * *

لماذا دروس العلم ضرورية ؟ كي تصحو من غفلتك، كي تتحرك حركة صحيحة.

أثر التدخين على كل أفراد الأسرة:

إخوانا الكرام، الدخان يضيق الأوعية، تضيق الأوعية أو تنسد، يتحول الإنسان إلى مرض اسمه الذبحة الصدرية، أو احتشاء القلب، أو جلطة، أو الغر غرين (الموات) تضيق الأوعية، تضعف التروية، تسود القدم، لابدّ من بترها.

الآن اسمعوا نقص الوزن في المولود، التشوهات الخلقية، الوفاة في المهد ربو الأطفال، الصمم، يعزى كله إلى الأم المدخنة، الأم المدخنة ترسل سموم دخانها عبر حليبها إلى رضيعها، الآن المولود حديثاً في حليب أمه سموم الدخان، الإقياءات المتكررة التشنجات، تسرع قلب الوليد، من آثار سموم الدخان.

الآن كثافة سموم الدخان في ثدي المرأة أحد أسباب سرطان الثدي.

الآن هذه الزوجة البريئة، وهذا الطفل الوديع، وهذه البنت الساحرة، ما ذنبهم ؟ 38 % من أخطار الدخان تصيب غير المدخنين مما يلوذ بالمدخن، يعني بالكلمة الصريحة القاسية: أنت أيها الأب المدخن مجرم بحق زوجتك وأولادك، هذا اسمه التدخين السلبي.

تصدير أسوأ أنواع التبغ إلى الشرق الأوسط:

إخوانا الكرام، موضوع الدخان والخمر الدكتور عبد الصبور شاهين، أحد كبار علماء مصر، ألّف كتاباً عن نقع أوراق التبغ بالخمر، والكتاب عندي، واشتريته من معرض الكتاب من مكتبة الأسد في المعرض، ذهب إلى أمريكا، ورأى بعينه كيف تنقع أوراق التبغ بالخمر.

إخوانا الكرام، شيء آخر مؤلم جداً: هل تصدق أن أسوأ أنواع التبغ تصدر في الشرق الأوسط، أسوأ أنواع التبغ بالتعبير الدارج زبالة التبغ تصدر للشرق الأوسط، نحن مع الأسف الشديد أعلى نسبة مدخنين في العالم، وندخن أسوأ دخان في العالم، والأسوأ من هذا أن نسب المدخنين ترتفع، بينما نسب المدخنين في الغرب بهبوط مستمر.

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسؤول

* * *

صدق الإرادة وقوتها في الإقلاع عن التدخين أمر مهم جداً:

هذه حقائق، أيها الأخوة، تقول لي: لا أقدر، أنا أقول لك حجة قاطعة، كيف تقدر في رمضان ؟ أنت مسلم، تصوم، كيف أن الدخان ينزع من كل اهتماماتك في أثناء شهر رمضان ؟ إذاً تقدر، وحقيقة دقيقة: الذي تتوهم أنك لا تستطيعه هو الذي لا تريد أن تفعله.

أنا أعرف أخاً يدخن في النهار خمس علب، مدمن، سمع شريطاً واحداً، سورة يس، أخذ قراراً، وترك الدخان كلياً، وأنا أبشر كل أخ يزمع على ترك الدخان يرى النتائج سريعة جداً.

الجسم نبيل، لما أنت تأخذ احتياطات تجد رد الفعل للجسم عجيب، تجد نفسك أصبحت خفيفاً، نفسك صار هادئاً، قلبك مرتاح، ارتد لونك، صار لجسمك لون مختلف تراه سريعاً.

لذلك: صدق الإرادة وقوتها في الإقلاع عن التدخين أمر دقيق جداً، والذي ليس له إرادة ليس من بني البشر، إن القرار الذي يتخذه الإنسان في شأن مصيره قلما تنقضه الأيام إذا كان صادقاً حقاً عن إرادة وإيمان.

بكل مجتمع يوجد مدخنون، والله الذي لا إله إلا هو لما أرى إنساناً يلوذ بي وهو يدخن والله أتألم من

أجله ألماً لا حدود له، لكن لا أقول هذا عذر، لكن أنا عندي معلومات دقيقة أن المدخن صار مصنفاً مع المرضى، قد تكون قناعته أشد من قناعتي، لكنه أدمن وكلما طال أمد التدخين صار الإقلاع عنه أصعب، والوعي الصحي، أنت إنسان الله أعطاك عقل، والعقل أداة رائعة جداً، في تحريم شرعي، وفي بحث طبي، يجب أن يكون البحث رادعاً، والتحريم رادعاً، مؤمن ؟ في تحريم، علماني ؟ في بحث علمي.

لذلك: تعميق الوعي، أنا أتمنى إذا كان ابنك دخن ليس موضوع ضرب موضوع إقناع، أعطيه هذا الدرس، أسمعه هذا الدرس، من أجل صحتك يا بني، من أجل مستقبلك، من أجل زواجك.

بصراحة الآن في عدة اتجاهات رائعة جداً حينما تعلم المخطوبة أن خاطبها يدخن لا تقبل.

نحن نكافئ بعض المعامل المعمل الذي يمتنع عن توظف إنسان مدخن له تقدير عندنا، ونثني عليه، المعمل الذي يرفض قبول عامل مدخن له عندنا تقدير، الآن في معامل تعطي تعويض خاص لكل عامل مدخن سابقاً يقلع عن التدخين.

حتى مرة زرت معمل لفت نظري غرفة من البلور لها مدخنة، ممنوع أن تدخن إلا في هذه الغرفة، انتظر دورك، تدخل كأن الواحد جالس بغرفة إعدام، يدخن السيكارة والدخان طالع بالبوري، بعدها يخرج.

نحن نشجع المعامل، طبعاً العالم الغربي كله ما ممكن بمكان عام فيه تدخين مستحيل، لا بطائرة، ولا بمجمع، ولا بسوق، أبداً.

النصيحة الثالثة، أول نصيحة أنت بحاجة إلى قوة إرادة، النصيحة الثانية أنت بحاجة إلى تعميق الوعي.

إنسان يبيع الدخان في دمشق، واحد قدم له شريط لهذه المحاضرة بالذات أعطاه الشريط سمعه، المحل فيه شريكين، الشريك الأول سمع الشريط تأثرَ تأثر بالغ، أخذ قرار بإيقاف بيع الدخان، شريكه ما وافق، قال له: أنا شريك، جمعوا الأرباح الناتجة عن بيع الدخان، فكانت خمس وعشرون ألف فقال له الشريك التائب: أنا أعطيك أثنى عشر ألف وخمسمئة من ربحي، قال له: إن كان هكذا انتهى ما في مشكلة، يعني بالمنطق ما دام ربحت خمس وعشرون ألف تقريبي كل شهر، أنا أريد إيقاف بيع التدخين، وأنت شريك معي لك النصف، أنا أتعهد لك أدفع لك أثنى عشر ألف وخمسمئة كل شهر، فوافق، أوقفوا بيع التدخين، يأتي يوم السبت الموزع، الموزع دافع خمسة ملايين تأمين عند شركات الدخان مثل العادة، كم طلبكم هذا الأسبوع ؟ قال له: والله طلبنا أن تأخذ الذي عندنا، نحن أقلعنا عن بيع الدخان، ما السبب ؟ قال له: هذا الشريط، خذ اسمعه، هذا سمعه قنع، ثاني يوم أخذ قرار بإيقاف توزيع الدخان على مئتي وخمسون محل بدمشق، وحول شركته إلى شركة توزيع أغذية له سيارات، واسترد خمسة ملايين تأمين، وتحول إلى موزع مواد غذائية.

نحن نتمنى، هذا الدرس أو أصل الدرس يكون في سيديات في هذا الجامع إذا طلبه نعطيه، مجاناً هدية، إذا عندك قريب مدخن أعطيه هذا الشريط يسمعه، وهذا ينطبع من دون قيد أو شرط، وحقوق الطبع غير محفوظة، وهي حق لكل مسلم.

الآن: لا تفقد الأمل إن حاولت مرة ولم تفلح، طبعاً هذه طرفة، واحد قال:

واحد قال: من قال إن الإقلاع عن التدخين شيء صعب ؟ من قال هذا الكلام ؟ أنا أقلعت عنه عشرين مرة.

لا تخاف من زيادة الوزن، إذا واحد ترك الدخان، يأكل بنهم، لا تقلع بالتدريج أخي أنا أدخن خمس علب، هذا الشهر أربعة، لا، ما لها نهاية هذه، تحتاج قرار حاسم، لا تقلع بالتدريج بل أقلع نهائياً، واستفد من خبرات الذين أقلعوا، وأقلع، وقل أنا أقلعت، حتى تنحرج لو دخنت مرة ثانية، تجد تعليقات كثيرة، قل أنا أقلعت عن التدخين.

اسمعوا الآية:

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)

(سورة الأعراف الآية: 157)

ألم يثبت بالدليل العلمي القطعي أن الدخان من الخبائث ؟.

أيها الإخوة، طبعاً في بعض المحاضرات ذكرت الفتاوى التي صدرت بدءاً من شيخ الإسلام بالدولة العثمانية، وحتى شيخ الأزهر، وحتى مجلس الإفتاء الأعلى في سوريا وأنا عضو فيه، أصدرنا فتوى رسمية وأذيعت وعممت بتحريم الدخان قطعياً.

أيضاً في لوحة كبيرة جداً تبين مضار التدخين لعل الله سبحانه وتعالى ينفع إخوتنا المؤمنين في هذا الموضوع، وهذا من موضوعات تربية الأولاد في الإسلام، ويجب الأب أن ينتبه إلى أولاده إذا سار الابن في هذا الطريف فالنهاية وخيمة.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (11-36) : التربية العقلية -1- العلم
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 07-06-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

الجانب العلمي أخطر جانب في حياة الإنسان:

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الحادي عشر من دروس تربية الأولاد في الإسلام وننتقل اليوم إلى التربية العقلية، فالإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، غذاء العقل العلم، وغذاء القلب الحب، وغذاء الجسم الطعام والشراب.

إذاً جانب خطير وكبير من جوانب الإنسان الجانب العلمي، والذي لا يبحث عن الحقيقة ولا يلبي القوة الإدراكية التي أودعها الله فينا، فقد هبط عن مستوى إنسانيته إلى مستوىً لا يليق به.

لا تنسوا أن الجماد شيء، له وزن، وله أبعاد ثلاثة، ويشغل حيزاً هذا الجماد.

النبات: شيء، له وزن، وله أبعاد ثلاثة، ويشغل حيزاً، لكنه ينمو، تميز النبات عن الجماد بالنمو.

الحيوان: شيء له وزن، ويشغل حيزاً، وله أبعاد ثلاثة، وينمو كالنبات، لكنه يتميز عن الجماد والنبات بأنه يمشي، يتحرك.

الإنسان: شيء، له وزن، وله أبعاد ثلاثة، ويشغل حيزاً، هذا كالجماد، وينمو كالنبات، ويتحرك كبقية المخلوقات، بماذا يتميز ؟ بأنه يفكر.

أنت تتميز عن كل الكائنات لأنك تفكر، أعطاك الله عقلاً، فإذا عطلنا هذا الجانب إن عطلنا القوة الإدراكية، إن لم نبحث عن الحقيقة هبطنا من مستوى إنسانيتنا إلى مستوى لا يليق بنا.

الناس ثلاثة: عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع:

أنت حينما تطلب العلم، تحضر درس علم، تبحث عن الحقيقة، تقرأ كتاباً، تتابع ندوة، تتابع مناظرة، تحضر خطبة، تسأل، تستفهم، تبحث، تدرس، تفكر، تعقل، أنت بهذا تؤكد أنك إنسان، وما لم يكن الفرق عندك كبيراً، العلم والجهل.

الناس ثلاثة، عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، أتباع كل ناعق، هذا يسمى الخط العريض في المجتمع، يسمى أيضاً دهماء الناس، سوقتهم، وهمج رعاع، أتباع كل ناعق، لم يستضيؤوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق فاحذر أن تكون منهم يا بني.

سمعت مرة نشيداً تأثرت له.

نســمات هواك لها أرجٌ   تحيا وتعيش بها المهج

ما الناس سوى قوم عرفوك   و غيرهم همجٌ همجُ

* * *

هل يمكن أن يكون الإنسان همجياً وراكب مركبة غالية ؟ ممكن، ويرتدي أغلى ثياب، ويتعطر بأغلى العطور، ممكن، حينما لا يعرف الله فهو همجي، حينما يبني حياته على أنقاض الناس فهو همجي، حينما يبني أمنه على إخافتهم فهو همجي، حينما يبني غناه على فقرهم فهو همجي، حينما يبني عزهم على إذلالهم فهو همجي، البشر إما أنه همجي، أو إنساني، المؤمن إنساني.

من عرف ربه و استقام على أمره شعر بسعادة لا توصف:

والله أيها الأخوة، المشاعر التي يتمتع بها المؤمن الناتجة عن معرفته بربه، وعن معرفته بمنهج ربه، وعن طاعته لربه، والله لا توصف.

ولو يعلم الملوك (أنا هذا القول أرويه كثيراً) إلا أنني من سنوات عدة دققت في الذي قاله، من قاله ؟ قاله ملك (إبراهيم بن الأدهم)، كان ملكاً فترك الملك، وتعرف إلى الله وقال: (لو قاله غيره لما صدقته) لو يعلم الملوك ما نحن عليه لقاتلونا عليها بالسيوف.

والله يوجد بنفس المؤمن من السعادة والطمأنينة، بأي وضع، فقير، غني، صغير، كبير، مدني، ريفي، المؤمن يتمتع بسعادة لو وزعت على أهل بلد لكفتهم.

ما الإيمان ؟ الإيمان مرتبة كبيرة جداً، الإيمان مرتبة علمية، الإيمان مرتبة أخلاقية، الإيمان مرتبة جمالية، والله المؤمن يتمتع بأذواق، بطعامه، وشرابه، وملبسه ونزهاته، ولقاءاته لا يتمتع بها غيره، اتصل بالله، وذاق طعم القرب.

العلم غذاء العقل:

أيها الأخوة، لذلك عقلك يحتاج إلى غذاء، غذاؤه العلم، فإذا أن تكون عالماً أو متعلماً، أو مستمعاً نعمة، أو محباً، ولا تكن الخامسة فتهلك.

ما الناس سوى قوم عرفوك   وغيرهم همجٌ همجُ

* * *

قد يكون إنسان همجي فقير، وهناك همجي غني، و همجي متعلم يتفنن بصنع أدوات الدمار، الأسلحة الجرثومية، الأسلحة الكيماوية، الأسلحة الخارقة، الحارقة الفتاكة، القنبلة العنقودية، القنبلة الانشطارية، القنبلة التي تقتل البشر، وتبقي الحجر، أنواع منوعة من الأسلحة، صنع من ؟ صنع علماء كبار أذكياء، لذلك:

ما الناس سوى قوم عرفوك   وغيرهم همجٌ همجُ

* * *

على كل إنسان أن يقرأ من أجل معرفة ربه و الإقبال عليه:

أيها الأخوة، الدرس اليوم التربية العقلية، لكن الموضوع الأول في هذا اللقاء الطيب أن أول كلمة في أول آية، في أول سورة في القرآن الكريم:

(اقرَأ)

(سورة العلق الآية: 1).

أليس كذلك

(اقرَأ) (اقرَأ)

ماذا ؟.

أيها الأخوة، الآيات التي تلي هذه الآية لها أبعاد رائعة جداً:

(اقرَأ باسْمِ رَبِّكَ)

(سورة العلق الآية: 1)

يعني

(اقرَأ)

من أجل أن تعرف ربك

(اقرَأ)

من أجل أن تؤمن

(اقرَأ)

من أجل أن تقبل على الله

(اقرَأ)

من أجل أن تسلم

(اقرَأ)

من أجل أن تسعد،

(اقرَأ)

يعني اطلب العل

م (اقرَأ)

تعلم

(اقرَأ)

لبِ حاجة عقلك

(اقرَأ)

كن مستمعاً

(اقرَأ)

كن عالماً

(اقرَأ)

كن متعلماً،

(اقرَأ)

كن محباً،

(اقرَأ)

لا يوجد قراءة غير هادفة ؟.

مرة ركبت طائرة إلى بلد بعيد، لفت نظري أن معظم الركاب يقرؤون، والله بادئ ذي بدء أكبرتهم، مثقفون، ثم فوجئت أن كل هذه القراءات قصص، وقد تكون ليست كما ينبغي.

(اقرَأ)

من أجل أن تؤمن

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)

(الَّذِي خَلَقَ)

(سورة العلق)

هذه القراءة يمكن أن أسميها قراءة البحث والإيمان

(اقرَأ)

من أجل أن تؤمن وادعُ ابنك إلى أن يقرأ، من أجل أن يؤمن.

القراءات التي ينبغي على الإنسان أن يتعلمها:

1 ـ قراءة البحث و الإيمان:

مرة علمت أن بعض الأوقاف في بلد إسلامية أحد فروع هذا الوقف تحبيب القراءة للصغار، يوزعون على الصغار قصصاً رائعة جداً، هادفة، أخلاقية، قصص للصحابة الكرام، بأحلى طباعة، بأجمل صورة، حتى يحب الصغار القراءة، يعني أعلى هواية، أعلى نشاط يتجاوز كسب الطعام والشراب أن تقرأ.

(اقرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)

أول قراءة نسميها قراءة البحث والإيمان، هل تفكرنا في خلق السماوات والأرض ؟ هل قرأنا القرآن الكريم ؟ هل قرأنا السنة المطهرة ؟ هل قرأنا ؟

(اقرَأْ)

أي تعلم، هل بحياتك وقت لطلب العلم ؟ لحضور دروس العلم ؟ هل في برنامجك اليومي ساعة أو ساعتين لقراءة كتاب ؟ لقراءة بحث ؟ لمطالعة موضع ؟ للقاء مع إنسان تنتفع من علمه ؟

(اقرَأْ)

من أجل أن تؤمن، القراءة الهادفة، القراءة الإيمانية، قراءة البحث والإيمان، هذه قراءة.

جسم الإنسان أقرب آية عظيمة دالة على عظمة الله:

(اقرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)

أقرب آية إليك، أقرب شيء تتعرف منه إلى الله جسمك

(اقرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)

(سورة العلق)

ممكن باللقاء الزوجي هناك ثلاثمئة مليون نطفة، والبويضة حجمها كحبة الملح ضع على إصبعك شيئاً من لعابك، ولا تضغط على كمية من الملح، أقل مس، وجيء بمكبر، ترى ذرات الملح، أقل ضغط، طبقة واحدة من ذرات الملح، مع المكبر ترى ذرة الملح، البويضة في المرأة حجمها كحجم ذرة الملح، هذه تحتاج إلى حوين، الحوين لا يرى بالعين، له رأس، الرأس فيه مادة نبيلة، وهذه المادة النبيلة مغلفة

بغشاء رقيق إذا اصطدم هذا الحوين بالبويضة يتمزق الغشاء، والمادة تذيب جدار البويضة، ويدخل إليها.

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)

هذه البويضة الملقحة تنقسم عشرة آلاف قسم دون أن يزيد حجمها، وهي تمشي في قناة فالوب، ما الذي يحركها في هذه القناة ؟ قال:أشعار تنقلها من المبيض إلى الرحم، وهي تنقسم

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)

(مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ)

(سورة الحج الآية: 5)

ثم تتشكل العظام، ثم تكسى العظام لحماً، ثم رأس ودماغ، مئة و أربعون مليار خلية سمراء، لم تُعرف وظيفتها بعد، عينان، بالشبكية يوجد مئة و ثلاثون عصية ومخروط، العصب البصري تسعمئة ألف عصب، ثلاثمئة ألف شعرة، لكل شعرة وريد، وشريان، وعصب، وعضلة، وغدة دهنية، وغدة صبغية، بالمعدة هناك 35 مليون عصارة هاضمة، القلب يضخ باليوم ثمانية أمتار مكعبة، في عمر متوسط يضخ القلب من الدم ما يملأ أكبر ناطحة سحاب في العالم، اللسان، الأسنان، المريء، الأمعاء، المعدة، الكليتان، الرئتان، القلب.

على الإنسان أن يقرأ القراءة الهادفة من أجل أن يؤمن:

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)

أقرب آية عظيمة دالة على عظمة الله جسمك، أقرب شيء إليك جسمك، ألم تفكر مرة لِمَ لم يكن في الشعر أعصاب حس ؟ لو في أعصاب حس تُسأل إلى أين أنت ذاهب ؟ والله إلى المستشفى، لأجري عملية خلاقة، إذا في أعصاب حس، قص الشعرة تطير من الألم، لكن لا يوجد أعصاب حس، لو فكرت بشعرك، بعينيك، بأنفك، بأذنيك، الحديث طويل.

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)

هذه قراءة إيمانية، عود نفسك تفكر، أحياناً الإنسان يسمع صوت مركبة ينزاح نحو اليسار، كيف عرفت أن المركبة على اليمين ؟ هي وراءك، قد يغيب عن ذهنك أن هناك جهاز بالإنسان يقيس تفاضل وصول الصوتين إلى الأذنين، المركبة هنا، الصوت الأول دخل إلى هنا، والثاني دخل إلى هنا، هذه أقرب إلى المركبة من هذه، المسافة الزمنية واحد على ألف و ستمئة و عشرين جزءاً من الثانية، من آيات الله الدالة على عظمته. إذاً أول قراءة قراءةٌ إيمانية

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)

الله عز وجل منح الإنسان نعمة الإيجاد و الإمداد و الرشاد:

الآن:

(اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ)

(سورة العلق)

هذه قراءة ثانية، الله عز وجل منحك نعمة الإيجاد، أنت موجود، ومنحك نعمة الإمداد، أمدك بالهواء، بالماء، بالطعام، بالشراب، بالزوجة، بالأولاد، بالسماء، بالأرض، بالبحار، بالأنهار، بالأسماك، بالأطيار، بالكواكب، بالثمار، هذه قراءة ثانية قراءة الشكر والعرفان.

أول قراءة، قراءة البحث والإيمان، وأقرب آية لك:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)

الثانية:

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)

(اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ)

منحك نعمة الإيجاد ومنحك نعمة الإمداد، ومنحك نعمة الهدى والرشاد، إيجاد، إمداد، هدى ورشاد.

مرة فكر بالكون، مرة فكر بالنعم، هذا الماء من جعله عذباً فراتاً وقد كان ملحاً أجاجاً ؟ من قنن قانون التبخر ؟ من قنن قانون أن الهواء يحمل بخار الماء ؟ من قنن قانون التقطير ؟ من قنن قانون التبخر ثم تحول البخار إلى سائل ؟ من ؟ من أودع الماء في الينابيع ؟

2 ـ قراءة الشكر و العرفان:

(اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ)

جلست إلى الطعام، هذا اللبن من أين ؟ من معمل لا في صوت، ولا في ضجيج، ولا في دخان، ولا في مدخنة، ولا في شيء، بقرة تأكل الحشيش تعطيك الحليب، هل هناك جهة بالأرض تستطيع أن تصنع من الحشيش حليباً ؟ الدجاجة تأكل كل شيء تعطيك البيض.

يقول بعض العلماء: شدة القرب حجاب، فكر، فكر بالبيضة، بكأس الحليب.

(اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ)

قراءة الشكر والعرفان، مرة بالآيات الدالة على عظمته ومرة بنعمه.

الكليتان تفرزان كل عشرين ثانية قطرة بول، قطرة بقطرة، كل عشرين ثانية بالدقيقة ثلاث قطرات، بالعشر دقائق ثلاثين قطرة، النتيجة، لو لم يكن هناك مثانة، من الكليتين إلى الإفراز يحتاج الإنسان إلى

فوط ساعتئذ، فوط الرجل السعيد لا الطفل السعيد، من جعل المثانة مستودعاً ؟ سبع ثماني ساعات يتجمع فيها البول، كرامتك موفورة.

لو فكرت بجسمك أنت وجهاً لوجه أمام عظمة الله، المثانة وحدها، تصفية الدم آية، جهاز الهضم آية، البنكرياس آية، الكبد يقوم بخمسة آلاف وظيفة آية، الرئتان، لو الأسناخ الرئوية مدت لكانت مساحتها مئتي متر مربع، رئتان، وقلب، القلب بالقفص، والدماغ بالجمجمة، والنخاع الشوكي بالعمود الفقري، والجنين بعظام الحوض، وأخطر معمل بالجسم معامل كريات الدم الحمراء وسط العظام، الأجهزة الخطيرة، القلب، العين، الدماغ، النخاع الشوكي، الجنين، معامل كريات الدم الحمراء، أخطر الأجهزة في أماكن حصينة، صنع من ؟، تقدير من ؟.

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)

قراءة البحث والإيمان،

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)

(اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ)

قراءة الشكر والعرفان.

3 ـ قراءة الوحي و الإذعان:

(الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)

(سورة العلق)

هذا الوحي، قراءة الوحي والإذعان، كم قراءة عندنا ؟ ثلاثة، قراءة البحث والإيمان، قراءة الشكر والعرفان، قراءة الوحي والإذعان، أي شيء عجز فكرك عن إدراكه أخبرك الله به، أخبرك أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض، أخبرك:

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ)

(سورة المعارج)

أخبرك أنه خلقك لجنة عرضها السماوات والأرض، أخبرك أن هذه الدنيا دار التواء، دار فانية، حياة دنيا وليست عليا، كل شيء عجز عقلك عن إدراكه أخبرك الله به القراءة الثالثة ما هي ؟ قراءة الوحي والإذعان.

أيها الأخوة الكرام، هذه السورة أول سورة نزلت، وأول آية، وفيها أول كلمة اقرأ، قراءة البحث والإيمان، نوع من القراءة، قراءة الشكر والعرفان، التفكر بالنعم، قراءة الوحي والإذعان، قراءة القرآن

والسنة، القرآن فيه كليات، والسنة فيها جزئيات، أنت بين التفكر في خلق السماوات والأرض، والتفكر في نعم الله، وبين تدبر آيات القرآن الكريم، وأحاديث المصطفى عليه أتمّ الصلاة والتسليم، ثلاثة قراءات، قراءة بحث وإيمان بالكون، قراءة شكر وعرفان بالنعم، قراءة وحي والإذعان بالقرآن والسنة.

4 ـ قراءة العدوان و الطغيان:

لكن العالم اليوم يئن من قراءة رابعة، كم قراءة يوجد ؟ أربعة، الأولى والثانية والثالثة قراءات رائعة، واحدة بحث وإيمان، الثانية شكر وعرفان، والثالثة وحي وإذعان، الرابعة قراءة العدوان والطغيان.

(كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى)

(سورة العلق)

يتقوى الإنسان، يحمل شهادات عليا، يخترع أسلحة فتاكة تدمر البشرية، تقوى أمة بأسلحتها، تفرض ثقافتها وإباحيتها على بقية الأمم، لذلك العلم أحياناً يأخذ مساراً خطيراً جداً.

حاجة المسلمين إلى القراءة الرابعة من أجل الدفاع عن النفس:

لكن يا ترى المسلمون بحاجة إلى هذا العلم الرابع ؟ بحاجة:

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)

(سورة الأنفال الآية: 60)

بحاجة لهذا العلم الرابع لا من أجل العدوان، بل من أجل الدفاع عن النفس.

أنا حدثني أخ جاءنا من الهند، قال لي: نحن 90 مليون مسلم بالهند، قال لي: مضطهدون جداً، تكلم أشياء غريبة جداً عن اضطهاد هؤلاء في الهند، قال: عندما صنع الباكستان قنبلة نووية اختلفت المعاملة 180 درجة، صار في دولة تحمل سلاحاً نووياً ونحن في أمس الحاجة إلى سلاح يردع، والدليل:

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)

(سورة الأنفال الآية: 60)

كل مشكلات الشرق الأوسط لمنع بلد من تصنيع سلاح نووي، أليس كذلك ؟ هذه مشكلة، يريدون السلاح معهم فقط، ويطغون به العالم.

أنواع الجهاد:

كذلك كلكم يعلم أن هناك جهاد النفس والهوى، هذا الجهاد الأساسي، هذا التعليم الأساسي، وهناك جهاد دعوي:

(وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً)

(سورة الفرقان)

وهناك جهاد بنائي

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)

والحقيقة المؤلمة أنهم أعدوا لنا ولم نعد لهم، لمئتي عام سبقت استفادوا من الاستقرار، والرخاء الاقتصادي، وصنعوا، وتفوقوا، واخترعوا أسلحة سيطروا بها على العالم، وبعدها فرضوا علينا ثقافتهم هذه الصحون ثقافتهم، وإباحيتهم، وتفلتهم.

قوم عاد مثال للأمم الطاغية التي استخدمت القراءة للعدوان والطغيان:

لذلك أيها الأخوة، القضية خطيرة جداً، لما الله عز وجل يأمرك أن تقرأ:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)

ثم يقول الله عز وجل

(كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى)

الإنسان إذا قوي يستغني عن الله بحمقه، ويغيب عنه أنه في قبضة الله دائماً هذه الأمم القوية التي استغنت، فطغت، وبغت، من يمثلها ؟ يمثلها قوم عاد، هؤلاء القوم مثال للأمم الطاغية التي استخدمت القراءة للعدوان والطغيان، قوم عاد قال الله عنهم إنهم متفوقون في كل المجالات:

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ)

(سورة الفجر)

تفوقوا في شتى المجالات، وتفوقوا في العمران:

(أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آَيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ)

(سورة الشعراء)

تفوق حضاري، بنائي، عمراني، تفوق صناعي، تفوق عسكري، وتفوق علمي:

(وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ)

(سورة العنكبوت)

تفوق قوم عاد في شتى المجالات ومع تفوقهم استعلاء و كبر و غطرسة:

أربع أنواع بالتفوق،

(لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ)

ومع التفوق الغطرسة والكبر، والاستعلاء والدليل:

(وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً)

(سورة فصلت الآية: 15)

تفوق عمراني، صناعي، عسكري، علمي، وغطرسة

(مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً)

وهؤلاء القوم دققوا الآن: ما أهلك الله قوم إلا ذكر أنه أهلك من هو أشد منهم قوة، إلا قوم عاد حينما أهلكهم قال:

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً)

(سورة فصلت الآية: 15)

أي ما كان فوق عاد إلا الله، ماذا فعلت عاد ؟ قال: طغت في البلاد، ما قال طغت في بلدها، طغت في البلاد، طغيان شمولي.

فرض الدول العظمى إرادتها على الشعوب بشتى الوسائل:

أحياناً تكون أطماع الدول العظمى لا في بلادها في كل البلاد، يتدخلون بكل بلد، يفرضون إرادتهم على كل شعب.

(الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ)

(سورة الفجر)

بالقصف والأسلحة المدمرة.

(فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ)

(سورة الفجر)

بالأفلام، الطغيان بالقصف، والإفساد بالأفلام.

(فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)

(سورة الفجر)

بماذا أهلكهم ؟

(بريح صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)

(سورة الفجر)

وقال:

(وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى)

(سورة النجم)

ماذا يفهم من كلمة الأولى ؟

(وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى)

يعني في عاد ثانية أنا كنت مرة مسافراً إلى بلاد بعيدة، فلما سُئلت أين كنت ؟ قلت: في عاد الثانية.

انتصار المسلمين على أعدائهم يكون بالإيمان بالله و اليوم الآخر وإعداد القوة المتاحة:

أيها الأخوة الكرام، هناك قراءة بحث وإيمان، قراءة شكر وعرفان، قراءة وحي وإذعان، قراءة عدوان وطغيان، نحن نحتاج إلى الرابعة لنكون أقوياء، لنردع، (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ) السلاح من أجل ألا نستخدمه، قد لا نستخدمه أبداً، ولكن نريد سلاحاً قوياً عندنا هذا يجعل الطرف الآخر يهابنا، توجيه قرأني.

لذلك المسلمون لن ينتصروا إلا إذا قدموا لله أسباب النصر، أسباب النصر إيمان بالله يحملك على طاعته، وإيمان باليوم الآخر، يردعك أن تؤذي مخلوقاً، وإعداد العدة المتاحة لا المكافئة، الدليل

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)

والله الذي لا إله إلا هو لو طبقنا هذين الشرطين لكنا في حال غير هذا الحال إيمان يحملنا على طاعة الله، وإعداد يؤهلنا كي ننتصر على أعدائنا.

اعتماد القرآن على قيمتي العلم و العمل للترجيح بين البشر:

أيها الأخوة، العلم قيمة كبيرة جداً:

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

(سورة الزمر الآية: 9)

القرآن الكريم اعتمد قيم مرجحة، الناس فيما بينهم يرجح بعضهم بعضاً بالمال أحياناً، هذا غني، أحياناً بالجمال، وسيم، أحياناً بمنصب رفيع، أحياناً بالقوة، أحياناً بالوجاهة، أحياناً بالنسب، اعتمد الناس قيماً

عديدة للترجيح فيما بينهم، لكن الله عز وجل في قرآنه الكريم بين دفتيه ما القيم التي اعتمدها ؟ اعتد قيمة العلم، وقيمة العمل، ليس غير.

كان تابعي جليل اسمه الأحنف بن قيس، تروي الروايات أنه كان قصير القامة، أسمر اللون، أحنف الرجل، مائل، ضيق الكتفين، ناتئ الوجنتين، غائر العينين، لم يكن شيء سلبي في صفات الإنسان إلا تمثل به، وكان مع ذلك سيد قومه، قال: إذا غضب غضبَ لغضبته مئة ألف سيف، لا يسألونه فيما غضب، وكان إذا علم أن الماء يفسد مروءته ما شربه، وكان سيد قومه.

إذاً القرآن اعتمد قيمتين فقط، قيمة العلم في قوله تعالى

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

وقيمة العمل:

(وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا)

(سورة الأحقاف الآية: 19)

وأية أمة تريد أن تنهض ينبغي أن تعتمد قيمتين اثنتين لا ثالث لهما، ينبغي أن يحترم من يطلب العلم، وأن يحترم أيضاً من يعمل.

تشجيع الطفل المتفوق و إكرامه طريق لنهضتنا و قوتنا:

أيها الأخوة، قضية العلم قضية واسعة جداً، ولابدّ من أن نعتمده كطريق لنهضتنا وقوتنا.

صلاح الدين الأيوبي حينما واجه أوربا بأكملها واجهها بشباب متعلمين، فلذلك أمضى سنوات طويلة في تأسيس المدارس، وفي الصالحية شارع اسمه المدارس هذا من نتائج عمل صلاح الدين الأيوبي.

إذاً الناس اعتمدوا قيماً عديدة للترجيح فيما بينهم، لكن الله جلّ جلاله في قرآنه الكريم هناك قيمتان للترجيح بين خلقه قيمة العلم، وقيمة العمل.

ونحن في تربية أولادنا حينما نكرم الابن المتفوق، حينما نشجعه، حينما نكافئه، حينما نسأله ماذا تعلمت اليوم ؟ هناك أسر كثيرة في لقاء يومي بين الأب والأم والأولاد والحديث اللطيف ماذا تعلمت اليوم في المدرسة ؟ ماذا قال لك الأستاذ ؟ كم مادة عندك اليوم ؟ ماذا فهمت بالفيزياء مثلاً ؟ عندما يكون في البيت حوار علمي يغدو العلم ذا قيمة في البيت، أما حوار يومي في الطعام والشراب، والأخبار الطريفة والطرف من دون معالجة موضوعات علمية فالطفل ينصرف عن العلم، وينبغي أن يكرم الطفل إذا تفوق في دراسته، التشجيع مهم جداً.

العلم هو الطريق المثالي لتقدم الأمة و نهضتها:

أيها الأخوة الكرام، للموضوع تتمة طبعاً، التربية العقلية تحتاج إلى جلسات كثيرة كي تنهض هذه الأمة، ما من طريق إلى التقدم والنهوض إلا بالعلم، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظنّ أنه قد علم فقد جهل.

آخر كلمة: طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معاً، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً.

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

منهج التلقي في الإسلام :

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الثاني عشر من دروس: " تربية الأولاد في الإسلام"، ونتابع موضوع:" التربية العقلية".

أيها الأخوة، موضوع دقيق اسمه منهج التلقي في الإسلام، أو منهج البحث في الإسلام، الأب الذي يحرص على أولاده، أولاده يعيشون في مجتمع فيه طروحات لا تعد ولا تحصى، طروحات، مقولات، أفكار، فلسفات، أشياء لا أقيّمها الآن أبداً، كمٌّ كبير من الفلسفات، والتصورات، والطروحات، والشبهات، والافتراءات، هذه الابن في المدرسة له صديق طرح عليه فكرة في الدين، له صديق آخر طرح فكرة مناقضة، كيف يستطيع أن يتوازن مع هذه الطروحات المتناقضة؟ مع هذه الفلسفات المعاصرة؟ مع هذه الشبُهات على الإسلام؟

أيها الأخوة الكرام، لا أعتقد أن هناك مرحلة مرت على الأمة الإسلامية كهذه المرحلة من الضياع، نحن معنا وحي السماء، معنا قرآن كريم:

(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ)

[سورة فصلت الآية:42]

نحن معنا كلام من المعصوم:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)

[سورة النجم]

ولكن الإسلام يواجه الآن معركة، معركة مصيرية، كانوا قبل خمسين عاماً ينالون من فروع الدين، الآن النيل من أصول الدين، من القرآن الكريم، من سيد المرسلين.

المقياس الذي يجب أن يوضع بين يدي الإنسان لتقبل فكرة ما أو رفضها :

لذلك وجدت أن من المناسب أن يكون الموضوع الأخير في التربية العقلية منهج التلقي في الإسلام، الأب عليه أن يتعلمه، وعليه أن يعلمه لابنه بشكل مبسط، مثلاً: لو دخلت إلى غرفة فيها مئة ألف قطعة صفراء، بعضها من أخف المعادن، وبعضها نحاس ملمع، وبعضها نحاس مغطى بالذهب، وبعضها

قطع ذهبية عيار16، وبعضها قطع ذهبية عيار21، وبعضها قطع ذهبية عيار 24، مئة ألف قطعة، مئة قطعة ذهب خالص، فأنت بطولتك أنت تكتشف مئة قطعة من الذهب الخالص.

ما السبيل؟ ما المقياس؟ هنا موضوع درسنا، طروحات، مقولات، أفكار، افتراءات، تصورات، فلسفات، مثلاً: قبل سنة وجدت كتاباً، هذا الكتاب يقول: :إن إله محمد قمعي لأنه لم يقبل إلهاً معه ـ لا إله إلا الله ـ بينما آلهة قريش آلهة ديمقراطيون، لأن كل واحد منهم قبل الآخر".

الطروحات الآن تفوق حدّ الخيال، كيف أحصن نفسي كمؤمن؟ وكيف أحصن أولادي؟ هل هناك منهج بحث في الإسلام؟.

بالمناسبة بطولة الأب، وبطولة المعلم، وبطولة الشيخ والداعية، لا أن يعطي مفردات العلم، قضية سهلة، البطولة أن يعلمه منهجاً في التلقي، ميزاناً في البحث، أي هناك خطأ بالميزان، و خطأ بالوزن، الخطأ في الميزان لا يصحح، ائتِ بميزان الكفة الأولى تزيد خمسين غراماً عن الثانية، لو استخدمت هذا الميزان مليون مرة، المليون وزنة خطأ، الخطأ بالميزان لا يصحح، بينما الخطأ في الوزن لا يتكرر، لو أنك توهمت أن هذا الوزن يقدر باثنين كيلو غرام وهو في الأصل كيلو غراماً واحداً، مرة واحدة.

أعيدها ثانية: الخطأ في الميزان لا يصحح، والخطأ بالوزن لا يتكرر، فالبطولة أن أعطي المتعلم منهج بحث، أي لا تطعمني سمكاً علمني كيف أصطاد السمك، البطولة أن تعلم ابنك منهج البحث في الإسلام، متى يقبل؟ ومتى يرفض؟ نحن أمام كم من المقالات، هناك صحف، ومجلات، وطروحات، وافتراءات، وندوات بالفضائيات، فأنت كأب، أو كمعلم، أو كداعية، وأنت أيها الشاب كابن، ما المقياس الذي يوضع بين يديك لتقبل هذه الفكرة أو لترفض هذه الفكرة؟ ما الدليل؟ هذا هو محور هذا الدرس؛ منهج البحث في الإسلام، أو منهج التلقي.

دور المؤمن الوحيد أن يحاول فهم النصوص وفق علم الأصول :

أيها الأخوة، نحن كمسلمين عندنا نص قرآني، القرآن وحي السماء، وقد تولى الله بذاته حفظه، ومن لوازم حفظ كتابه أنه يحفظ شرحه من قبل المعصوم، فحفظ الأحاديث الشريفة، وتصنيفها، ثم الانتهاء من تصنيفها في الصحاح، هذا من لوازم حفظ الله لكتابه، تماماً كما لو صدر قانون ثم قلنا: وسيصدر مرسوم تشريعي في تفسير هذا القانون، فهل إذا حفظنا القانون وأهملنا التفسير نكون قد حافظنا على القانون؟ أبداً، لا بدّ من أن يكون من لوازم القانون حفظ المرسوم التشريعي الذي يفسره.

إذاً عندنا وحي السماء؛ كلام الله، وعندنا بيان المعصوم، فلا بدّ من أن يحفظ كلام الله كما نزل، ولا بدّ من أن يحفظ كلام المعصوم، والله عز وجل هيأ علماء كباراً، آتاهم قدرات تفوق حدّ الخيال، وحفظوا الحديث، وميزوا الحديث المتواتر الصحيح الحسن من الحديث الضعيف، وشديد الضعف، والموضوع، نحن أمة معنا وحي السماء، ومعنا بيان المعصوم، أول نص عندنا النص القرآني، النص القرآني يوصف بأنه قطعي الثبوت، أنت كمؤمن دورك الوحيد أن تحاول فهم هذا النص وفق علم الأصول، أن تحاول فهم النص لا فهماً مزاجياً، أن تحاول فهم هذا النص وفق علم الأصول، و الذي عنده رغبة بأن يأخذ فكرة عامة عن علم الأصول، هناك كتاب في الصف العاشر بالتعليم الشرعي عن مادة الأصول، و في الصف الثاني عشر، والثالث عشر، ثلاثة كتب تقرأ في أسبوع، تأخذ فكرة كبيرة حداً عن علم الأصول، النص، العام، الخاص، المقيد، المطلق، المعنى الأصلي، المعنى الفرعي، هذا علم لطيف حتى إنهم قالوا: علماء الدين عوامٌ أمام علماء الأصول، أي القواعد القطعية في فهم النصوص القرآنية والنبوية.

لابدّ للإنسان من أن يحفظ كلام الله كما نزل و كلام المعصوم كما ورد :

إذاً منهج البحث، أنا عندي قرآن:

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)

[سورة الأحزاب الآية:36]

إذا الله عز وجل حرم علينا الخمر، تقول لي: هناك دراسات معاصرة تقول: إن القليل منه ينعش القلب، أنا معي نص قرآني الخمر فيه محرم، معي نص نبوي مثلاً الغيبة فيها محرمة،

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)

أحياناً بالمفاوضات، باللقاءات، يكون هناك جدول أعمال، يقولون: هناك عدة نقاط ليست خاضعة للبحث، هذه مقطوع بها، مُسلّم بها، فأنت كمؤمن الأحكام التي وردت في القرآن الكريم سلباً نهي، أو إيجاباً أمر، ليست خاضعة للبحث إطلاقاً، هذا كلام الخالق.

لي قريب يعمل في إصلاح المركبات، أخذت له مركبتي لإصلاحها، بعد أن هيأ ما تحتاجه المركبة، هناك قطعة حديد تأتي خلف المكبح، رماها أرضاً قال لي: هذه ليس لها فائدة، وأنا لا يوجد عندي إمكانية لأن حاوره أو أناقشه، الموضوع ليس لي خبرة به، لكن قلت له: شركة كبيرة جداً، عملاقة، فيها خمسة آلاف مهندس، أنا لا أصدق أنك أشد فهماً منهم، أنا لم أتمكن أن أناقشه بآلية القطعة، لكن ناقشته بفكرة أصولية، أنت إنسان مقيم في بلد تصلح هذه المركبة، لكن الذين صنعوها مهندسون كبار، خمسة آلاف مهندس في هذه الشركة، وعمرها مئة عام بصنع السيارة، أنت أفهم من هؤلاء؟ أرجعها.

علاقة الأمر أو النهي بالنتيجة إن كانت علاقة علمية فالأمر أو النهي من عند الله :

مبدئياً هذا الكلام كلام الله، كلام خالق السموات والأرض، فإذا حرم شيئاً فهذا التحريم فيه أذى كبير لنا لو فعلناه، شيء محرم، أي بالتعبير المعاصر يحرمنا السعادة، وهناك فرائض بالضبط أنا أقول: شرب الماء فرض على بقاء الإنسان، هل فهمتم ما معنى فرض؟ أي إن لم أشرب الماء سأموت، شرب الماء فرض على بقاء الإنسان، بقاؤه حياً، تنفس الهواء فرض، تناول الطعام فرض، هذه الفروض تتوقف عليها سلامتنا، تتوقف عليها سعادتنا، هذا الفرض، أما الحرام لو إنسان زنى، أو شرب الخمر، أو لعب القمار.

إنسان مسلم بأمريكا زار مدينة القمار، وقامر، وخسر بليلة وحدة اثنين ونصف مليون دولار، ذهب إلى البيت أطلق خمس رصاصات على زوجته، وأولاده، ثم السادسة على نفسه، وقال: ليغفر لي ما صنعت.

هو الداء الذي لا بُرء منه ... وليس لذنب صاحبه اغتفـــارُ

تشـاد له المنـازل شـاهقـاتٍ ... وفي تشييد ساحتها الدمـارُ

نصـيب النـازلـين فيهـا سـهـادٌ ... فإفـلاسٌ فيـأسٌ فانتـحارٌ

* * *

اثنان ونصف مليون دولار خسرهم في ليلة واحدة، فيئس وأطلق الرصاص على زوجته وعلى أولاده ثم انتحر، هذا القمار.

فلذلك نقطة دقيقة جداً أيها الأخوة، أن بين الشيء الذي أمرك الله به وبين النتائج التي تترتب عليه علاقة علمية، أي علاقة سبب بنتيجة.

مدفأة مشتعلة وضعت يدي عليها فاحترقت، أقول: هناك علاقة علمية بين احتراق اليد و وضع اليد على المدفأة، علاقة سبب بنتيجة.

أما لو أن هناك إعلاناً مكتوب فيه: يرجى الخروج من هذا الباب لا من هذا الباب، هذه علاقة وضعية، فمن خرج من هذا الباب عليه غرامة مثلاً، لا يوجد علاقة علمية بين دفع الغرامة وبين خروج الإنسان من باب مصمم للخروج، هناك علاقة وضعية.

لذلك أنت حينما تؤمن أن علاقة الأمر بالنتيجة علاقة علمية، وأن علاقة النهي بالنتيجة علاقة علمية، تعتقد أن هذا الأمر من عند الله.

ديننا الإسلامي ليس دين كرامات وشطحات إنما دين نصوص وعلوم :

أول ملاحظة: القرآن الكريم، نص قطعي الثبوت، مهمتك مع القرآن الكريم أن تفهمه وفق علم الأصول.

النص النبوي: ما كل حديث شريف صحيح، إنسان دجال يدّعي أن كل إنسان خطر بباله أن يُقيّم حديثاً يسأله، حيث يدعي أنه ينام فيرى النبي عليه الصلاة والسلام ويسأله فيقول له: أنا قلته فهو صحيح، فهناك إنسان أراد أن يضعه في موقف حرج، جاء له بحديث صحيح، قال له: أجبنا، هذا كذاب، لا يرى النبي، فتح فوجده صحيحاً، ففي اليوم التالي قال: رأيت النبي في المنام، وقال لي: أنا قلته، ثم أعطاه حديثاً موضوعاً أيضاً هذا بحث فوجده موضوعاً، قال له: رأيت النبي في المنام فقال لي: لم أقله، المرة الثالثة أعطاه حديثاً ضعيفاً، فتح فوجده ضعيفاً، فجاءه في اليوم التالي و قال له: رأيت النبي الكريم في المنام وقال لي: حديثٌ ضعيف، قال له: لا، عند النبي لا يوجد ضعيف، إما أنه قال الحديث أو لم يقله، فكُشف بهذه الطريقة.

كان عندنا وزير أوقاف، قال له هذا الدجال: رأيت النبي الكريم يأمرك أن تعينني عندك كموظف في هذه الوزارة، قال له: في أي ساعة رأيته؟ قال له: رأيته الساعة الثانية عشرة ليلاً، قال له: وأنا رأيته الساعة الرابعة في المنام، قال لي: كذاب لا تصدقه.

نحن ديننا ليس دين كرامات، ولا دين شطحات، دين نصوص ودين علوم.

النص القرآني قطعي الثبوت والنص النبوي ظني الثبوت علينا التأكد من صحته :

إذاً: أول نص القرآن، هذا النص قطعي الثبوت، لك أن تفهمه فقط وفق علم الأصول، فإن لم تفهم الآية ماذا تفعل؟ قال تعالى:

(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

[سورة النحل]

من هم أهل الذكر؟ أهل القرآن، أحياناً إنسان يطبخ طبخة بيده، وأحياناً يشتري طعاماً جاهزاً، فإن سألت أخذت الجواب جاهزاً من عالم، وإن تأملت أخذته من بحثك، على كلٍّ:

(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

[سورة الملك]

نسمعُ كلاماً جاهزاً، أو نعقل، ونتأمل، فالنص القرآني قطعي الثبوت، والنص النبوي ظني الثبوت، فأول عمل مع الحديث الشريف لابدّ من أن تتأكد من صحته، حديثٌ شريف: "كل الناس هلكى ـ أعوذ

بالله ـ قال: إلا العالمون، قال: و العالمون هلكى، ما هذا الكلام؟ قال: إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم".

حديث موضوع وضعته الزنادقة للتزييف، كل الناس هلكى إلا العالمون، و العالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، حديث موضوع وضعته الزنادقة، حتى هناك من قال: هناك أربعمئة ألف حديث موضوع، لكن علماء الحديث الكبار نقوا الصحاح من هذه الموضوعات، أنت يكفيك كتاب رياض الصالحين فكل أحاديثه صحيحة وهو كتاب للنووي ـ رحمة تعالى ـ وهو من أبرك كتبه، أي لا بدّ من أن يكون في البيت كتاب صحيح كحد أدنى، واختر كتاباً صحيحاً، رياض الصالحين كتاب مناسب جداً للبيوت، مقسم إلى أبواب لطيفة جداً.

أيّ نص لأي إنسان على وجه الأرض أول عمل أتأكد من صحة نسبته لقائله :

إذاً النص القرآني، محاولة فهم النص فقط، النص النبوي محاولة التأكد من صحة النص أولاً، ثم فهم النص ثانياً وفق علم الأصول، هناك نص ثالث، نصُ أي إنسان على وجه الأرض، من آدم إلى يوم القيامة، نص القرآن وحي السماء، النص النبوي الصحيح شرح المعصوم، وما سوى ذلك هم رجالٌ ونحن رجال، وكل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه، إلا صاحب القبة الخضراء.

النص الثالث أول شيء تفتح نهج البلاغة، مثلاً الأمام علي ـ رضي الله عنه ـ هكذا سمعت يقول: "المرأة شرٌ كلها، وشرٌ ما فيها أنها لا بدّ منها"، كلام غير صحيح، يناقض القرآن الكريم، دُس على الأمام علي، أنت عندك موضوع ثالث، النص الثالث على الإنسان التأكد من صحة نسبته إلى قائله، ثم فهمه، ثم عرضه على الكتاب والسنة، فإن وافقه فعلى العين والرأس، وإن خالفه نركله بأقدامنا، هذا اسمه منهج البحث في الإسلام، أو منهج التلقي، وهذا يعني علمني كيف اصطاد السمك، لا تقل: هذا حديث صحيح وفقط، لماذا هو صحيح؟ لا تقل: هو موضوع، لماذا هو موضوع؟ لا تقل: هذا شديد الضعف، علمني كيف أقبل وكيف أرفض، أول نصيحة، وأبرز نصيحة في هذا اللقاء الطيب، لا تقبل شيئاً من دون دليل ولا ترفض شيئاً من دون دليل، ولولا الدليل لقال من شاء ما شاء.

هناك رجل علم صالح جداً كان مفتي دمشق، توفي رحمه الله، كان له مكتب بوزارة الأوقاف، في الطابق العاشر، مرة داعبني مداعبة، قال لي: هذه الشام كلها ملكي، لكن بلا دليل، لولا الدليل لقال من شاء ما شاء، عود نفسك إن سمعت مقولة في الدين ما الدليل؟ أين قرأتها؟ في أي كتاب قرأتها؟ هذا الحديث مخرّج، عندك تخريجه؟ من أي كتاب قرأته؟.

"إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم "

((عمر، دينك، دينك، إنه لحمك ودمك، خذا عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا))

[العلل لابن أبي حاتم]

إذاً النص الثالث أي نص آخر لأي إنسان على وجه الأرض، من آدم إلى يوم القيامة، أول عمل أتأكد من صحة نسبته لقائله.

خطوات البحث في الإسلام :

بالمناسبة هناك بحث اسمه الدس على علماء المسلمين، دسوا على أبي حنيفة النعمان، دسوا على أحمد بن حنبل، دسوا على علماء كبار، تقرأ كتاباً تجد شيئاً مدسوساً ليس من أصل الكتاب.

مرة أحد الدارسين أمسك كتاباً لعالم، رأى فيه كلمات الكفر ـ والعياذ بالله، قصة قديمة طبعاً ـ ذهب إلى مكة المكرمة حاجاً، والتقى بأحد علمائها، فشكا له ما في هذا الكتاب من كلمات تتناقض مع القرآن، قال: دخل إلى مكتبته وجاء بكتابٍ مخطوط بخط يد هذا العالم وقرأه لم يجد فيه شيئاً مما ذكر الضيف، معنى ذلك أن هذه الكلمات دست عليه.

بمجلة ثقافية بحث عميق جداً اطلعت عليه، دس على كبار العلماء، دس على كبار الفقهاء، كلام لا يعقل أن يقبل، فأنا أي نص آخر لعله مدسوس .

بالمناسبة: لو أن هناك عالماً مشبوهاً وجدنا بكتابه كلاماً يتناقض مع القرآن، ماذا نفعل؟ أنا لي منهج، أولاً: أحسن الظن بهذا العالم، هناك من يسارع إلى تفسيره، أقول: لعل هذا الكلام دس عليه، هذا موقف، وكبار العلماء قالوا: دس علينا كتب ما فكرنا فيها، ولا ألفناها، وقد نسبت إلينا، فأول موقف حسن الظن، لعل هذا الكلام دس عليه، فإن ثبت أنه قاله لعله أراد معنىً نحن ما فهمناه.

لذلك أنا أرى أن كل كلام يحتمل معنيين ينبغي ألا تقوله، خاطبوا الناس بما يفهمونه، أنت تقول مثلاً تمدح أناساً: لله رجالاً إذا أرادوا أراد الله، ما هذا الكلام؟ هو ماذا يقصد؟ أنهم مستجابو الدعاء، إذا كان قصدك أنهم مستجابو الدعاء فالقضية سهلة جداً، لكن لماذا تحرجنا وتدعونا إلى أن نفهم فهماً آخر؟ أي كلام يحتمل معنيين ينبغي ألا تلفظ به.

مرّ سيدنا عمر بقوم يشعلون النار أمامهم، قال: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، ولم يقل السلام عليكم يا أصحاب النار، أصحاب النار كلمة مُشْكلة تعني شيئاً آخر.

فلذلك عليك ألا تقل كلاماً يحتمل معنيين، معنى واحداً فقط، فهناك كلمات لها معان كثيرة، فهذا الذي قال: "معبودكم تحت قدمي" أخطأ، وخالف السنة، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((أتُحِبُّونَ أن يُكذَّبَ الله ورسولُهُ؟ قالوا: لا، قال خاطبوا الناس بما يفهمون))

[أخرجه البخاري عن علي بن أبي طالب]

فحسن الظن الثانية أن هذا العالم الكبير الشهير جاء في كتابه كلام يناقض القرآن، أول حسن ظن لعله دس عليه، فإن ثبت أنه قاله لعله أراد معنى نحن ما فهمناه، فإن ثبت أنه أراد المعنى الذي أنكرناه، لعله قبل أن يموت تاب منه، فإن ثبت أن مات عليه، أخطأ، نحن بحياتنا هناك إنسان واحد معصوم، هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نعتقد بإنسان آخر معصوم، حتى قيل: النبي عليه الصلاة والسلام معصوم بمفرده، وأمته معصومة بمجموعها.

إذاً أول حسن ظن لعله ما قاله، دس عليه، ثبت أنه قاله لعله أراد معنى نحن ما فهمناه مع أنه أخطأ وخالف السنة، حسن الظن الثالث لعله تاب منه قبل أن يموت، هناك تفسير، هناك انحراف في العقيدة، قالوا: قبل أن يموت تاب مؤلفه من هذه الأفكار، فرد عليهم بعضهم: لكن الكاتب لم يتب، لأن الكتاب مطبوع.

الابتعاد عن طبع كتب فيها ضلالات وعليها رواج كبير :

أقول لكم كلمة: لا تفكر أن تعمل دار نشر تطبع أي كتاب، إن طبعت كتاباً فيه ضلالات وعليه رواج كبير، أي إنسان قرأه وضلّ في صحيفتك، لو ارتكبت الكبائر أهون من أن تطبع كتاباً فيه ضلالات وينتشر، لذلك:

((إنَّ رُوح القُدس نَفثَ في رُوعي أنه لن تَمُوتَ نفس حتى تستكمل رزْقها فأتقوى الله عباد الله، وأجبروا في الطلب، واستجملوا مهنكم))

[أخرجه زيادات رزين عن أنس بن مالك]

لا تختر مهنة فيها إلقاء الرعب في قلوب الناس، لا تختر مهنة فيها ابتزاز أموال الناس، لا تختر مهنة فيها إضلال الناس.

أقول لكم هذه الكلمة الدقيقة الدقيقة: الآن بعصر العدوان على المسلمين هناك حرب عالمية ثالثة معلنة على هذا الدين، إن لم تكن طرفاً في مؤامرة قذرة هدفها إفقار المسلمين، وإضلالهم، وإفسادهم، وإذلالهم، وإبادتهم، فأنت في بحبوحة، وأنت ملك، إن لم تكن طرفاً، إياك أن تكون طرفاً في مؤامرة قذرة هدفها إفقار المسلمين، أو إضلالهم، أو إفسادهم، أو إذلالهم، أو إبادتهم.

الإنسان أمام ثلاثة نصوص؛ نص قرآني و نص نبوي و نص لأي إنسان :

أيها الأخوة، منهج البحث في الإسلام، أنت أمام ثلاثة نصوص، نص قرآني من عند الخالق، لك أن تفهمه فقط وفق منهج علم الأصول، نص نبويٌ لك أن تتأكد من صحته ثم أن تفهمه، نص آخر لأي

إنسان آخر، من آدم إلى يوم القيامة، هم رجالٌ ونحن رجال، ما اجتهاد بأولى من اجتهاد، كل شيء جاءنا من صاحب القبة الخضراء على العين والرأس، وما جاءنا عن غيره فهم رجالٌ ونحن رجال، ودائماً هناك احتمال الدس، احتمال الفهم الخاطئ.

إنسان قال: أنا أصلي بغير وضوء ـ أعوذ بالله ـ هو يقصد أن الصلاة على النبي لا تحتاج إلى وضوء فعلاً، قال: وأنا أفرّ من رحمة الله، رحمة الله هي المطر، إذا كان هناك مطر شديدة وثيابه غالية يركض، يفر من رحمة الله، أنا أصلي بغير وضوء، وأفر من رحمة الله، وأنا أحب الفتنة:

(إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ)

[سورة التغابن الآية:15]

أي هناك كلام يحتمل عدة معان.

إن كان الإنسان ناقلاً فعليه بالصحة و إن كان مدعياً فعليه بالدليل :

الآن تتمة هذا الموضوع إذا كنت ناقلاً فالصحة، مبتدعاً فالدليل، قبل أن تقول: قال عليه الصلاة والسلام، هل أنت متأكد من هذا النص؟ لعل النبي ما قاله أبداً ، منسوب لصحابي، فتأكد من صحة النقل، إن كنت ناقلاً فالصحة، مدعياً فالدليل، لولا الدليل لقال من شاء ما شاء.

بالمناسبة أنا أنصحكم أن تقتنوا كتاب فقه كل حكم معه دليل، كتاب الفقه يعلمك الفقه، أما هناك كتب فقه من دون دليل، أنصح باقتناء كتابٍ في الفقه كل حكم شرعي لقول النبي كذا، ما ورد عن أبي حنيفة ودليله كذا، فأنت حينما تقرأ الحكم الشرعي مع الدليل، ينشأ عندك ما يسمى بالفكر الفقهي.

فمنهج البحث إن كنت ناقلاً فالصحة، مدعياً فالدليل، إن أرت أن تدعي شيئاً ائتِ بالدليل، هناك دليل عقلي، و دليل نقلي، و دليل واقعي، و دليل فطري، ما هو الدليل الفطري؟ أرى إنساناً يدخن، يقول لي: ليست السيجارة ضارة لهذه الدرجة، يريد أن يرش على الموت سكراً، أنا أقول له: هل هناك إنسان في الأرض قبل أن يدخن يقول: بسم الله الرحمن الرحيم؟ أما أنت قبل أن تشرب تقول: بسم الله، وقبل أن تأكل تقول: بسم الله، وهل هناك إنسان بعد أن ينتهي من طعامه يقول: الحمد لله؟ أو إنسان بعد أن يدخن هذه الدخينة يا ربي لك الحمد؟ يا ربي أدم فضلك علينا؟ ليست واردة أبداً، هذا أكبر دليل فطري، وإذا وجد إنسان خبزاً على الأرض هل يستطيع أن يدوسه؟ أما عندما ينتهي من الدخان يلقيه السيجارة على الأرض ويدوسها بقدمه، معنى هذا أنها ليست نعمة، هي دليل فطري، هناك دليل فطري، و دليل واقعي، و دليل علمي، و دليل نصي.

الدليل أساس التوجيهات التي تعطيها لمن تحت يدك :

أيها الأخوة، هذا منهج البحث بالإسلام، منهج التلقي، عود نفسك أيها الأب! وأيها المعلم! وأيها الداعية! أن تقول لابنك: هذا حرام، لماذا حرام؟ لأن هناك آية، أو حديث، تعطيه فكراً فقهياً، عيب، فقط عيب؟ عمل غلطاً أضربه فقط، لا هذه حرام لأن الله نهى عنه، تكلم على رفيقه، لا يا بابا، الله عز وجل قال:

(وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً)

[سورة الحجرات الآية: 12]

فلذلك كلما أعطيت توجيهات لأولادك مع الأدلة تعلمهم، والنبي قال:

((علموا ولا تعنفوا ، فإن المعلم خير من المعنف))

[أخرجه الحارث في مسنده عن أبي هريرة]

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (13-36) : التربية العقلية 3 ـ قيمة العلم

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 21-06-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام ، مع الدرس الثالث عشر من دروس تربية الأولاد في الإسلام ولازلنا في التربية العقلية .

العلم قيمة كبيرة تجعل المسلمين في المستوى الأعلى :

بادئ ذي بدء : الآيات التي تضمن التفكر ، والعقل ، والعلم ، في القرآن الكريم تقترب من ألف آية ، لأن الإنسان كرّمه الله بالقوة الإدراكية ، وحينما يبحث عن الحقيقة يؤكد حاجته العليا ، ويؤكد إنسانيته ، وأحياناً ، ومع أن الدرس يتجه إلى التربية ، إلى تربية الأولاد في الإسلام ، من حين إلى آخر يتجه إلى الكبار ، إلى الآباء كي يقتنعوا بقيمة العلم .

شريحة كبيرة جداً من المسلمين يرى أن العلم لا يجدي ، ولا يطعم خبزاً على حدّ تعبيره ، فإذا أبقى ابنه جاهلاً ، كلكم يعلم الآن إنسان لا يحمل أي مؤهل ، في أي معمل راتبه لا يزيد عن سبعة آلاف ، بينما أي إنسان يحمل شهادة عليا ذات اختصاص دقيق دخله يزيد عن مئتي ألف ، إلى متى نرى المسلم مستخدماً ؟ ضارب آلة كاتبة ؟ موظفاً بسيطاً ؟ يشكو الفقر ، هذه مشكلة ، المال قوام الحياة .

فأنت حينما تهيئ لابنك مستوىً تعليمياً راقياً أنت ترفع من سرية المسلمين ، تجعل المسلمين في المستوى الأعلى .

اعتماد القرآن الكريم على قيمتي العلم و العمل للترجيح بين البشر :



أنا أحياناً لابدّ من تبيين قيمة العلم ، أولاً المجمع عليه في القرآن والسنة أن القيم التي اعتمدها الناس للترجيح فيما بينهم قيم لم يعترف بها القرآن إطلاقاً ، لم يعترف بقيمة الغنى ، ولا قيمة الذكاء ، ولا قيمة الوسامة، في القرآن الكريم اعتمد قيمتين ، لا ثالث لهما اعتمد قيمة العلم ، فقال :

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

(سورة الزمر الآية : 9)

وقال :

(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)

(سورة المجادلة الآية : 11)

فأعلى مرتبة عند الله مرتبة العلم ، بل الآية التي تلفت النظر :

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)

(سورة النساء)

إله عظيم يقول فضله عليك عظيم إذا كنت عالماً ،

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)

أنواع العلم :

أخوتنا الكرام ، هذا يستدعي أن تُكتب لوحة في أقدم ثانوية في دمشق عندما تدخلها : رتبة العلم أعلى الرتب .

الذي أتمنى أن يكون واضحاً أن هناك علماً متعلقاً بكسب الرزق ، هذا لا يزيد عن حرفة ، لأن هناك علما آخر متعلقاً بالحلال والحرام ، هذا أصل في العبادة ، هناك علم بخلقه ، أصل في صلاح الدنيا، وهناك علم بأمره أصل في العبادة ، وهناك علم به وهو العلم الذي أراده الله جلّ جلاله في القرآن ، وأراده النبي عليه الصلاة والسلام في السنة .

هناك علم ممتع غير نافع ، الذي عنده ميل أدبي إذا قرأ قصيدة الإلياذة ، والأوديسة لهوميروس ، قد يستمتع بها ، قصيدة طويلة جداً ، وفيها ذكر الآلهة ، وعقائد الإنسان القديم ، ومشكلات الإنسان القديم ، وهناك علم ممتع ، وليس نافعاً .

هناك اختصاص يدر على صاحبه أموالاً طائلة ، هذا علم ممتع نافع ، لكنك إذا عرفت الله ، وعرفت منهجه ، وتقربت إليه هذا علم ، ممتع ، نافع ، مسعد .

الجهل هو العدو الأول للأمة الإسلامية :

العلم يحرسك وأنت تحرس المال

لذلك الكلمة الرائعة التي قالها الإمام علي كرم الله وجهه : يا بني العلم خير من المال، لأن العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلو يزكو على الإنفاق .

إنسان ثري ذهب إلى إيطاليا ، وفي أثناء الليل طُرق بابه ، وفتح الباب ، وارتكب الفاحشة ، واستيقظ على كلمات كتبت على مرآة : مرحباً بك في نادي الإيدز فانتحر ، جاهل ظنها مغنماً ، فإذا هي مغرم كبير .

أي لو درست الأمر جلياً لا تجد مشكلة في الأرض من آدم إلى يوم القيامة إلا بسبب خروج عن تعليمات الصانع الخالق ، لو حللت كل مشكلة ، بسبب خروج عن منهج الله وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب الجهل ، والجهل أعدى أعداء الإنسان .

والله أيها الأخوة ، نحن ألفنا في الثقافة المعاصرة أنه هناك أعداء تقليديون الاستعمار والصهيونية ، العدو الأول للأمة الإسلامية هو الجهل ، الجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به .

الآن لو درست المشكلات الزوجية ، من دون استثناء بسبب الجهل ، جهل الزوج أو الزوجة ، أو كليهما .

((مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا))

[رواه أحمد عن ابن عمر ، وإسناده حسن]

وأنت اسأل ، هل هناك من مشكلة مررت بها إلا بسبب أن الحكم الشرعي غاب عنك ؟ لم تأخذ إيصالاً، الله قال لك :

(فَاكْتُبُوهُ)

(سورة البقرة الآية : 282)

واثق ، توفي فجأة بحادث ، الابن ما اعترف راح لك مليون ، تتألم ، تندم ، الله عز وجل قال :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ)

(سورة البقرة الآية : 282)

ما من مشكلة تصيب الإنسان إلا بسبب خروج الإنسان عن تعليمات الصانع :

لو إنسان في عنده وقت ، وعنده نفس طويل ، حلل أي مشكلة على الإطلاق في العالم بسبب خروج الإنسان عن تعليمات الصانع ، وما من خروج عن تعليمات الصانع إلا بسبب الجهل ، والجهل أعدى أعداء الإنسان ، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به ، وهل من عقاب أشد من أن يكون الإنسان في النار إلى أبد الآبدين ؟ .

(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

(سورة الملك)

يا أخي الكريم ألا تحب نفسك ؟ ألا تحب سلامتك ؟ ألا تحب سعادتك ؟ ألا تحب سلامة وجودك ؟ كمال وجودك ؟ استمرار وجودك ؟ اطلب العلم ، وعلم من حولك ، وأقرب الناس إليك أولادك .

من تعلّم ينفق وقته إنفاقاً استثمارياً لا استهلاكياً :

أنا أرى أناساً كثيرين يقنع أن ابنه إذا عمل بسن مبكرة يصبح شيئاً مذكوراً ، لابدّ من أن تطلب العلم ، لك ولأولادك .

الآية الأولى :

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

حتى أنه قد قيل : العالم شيخ ولو كان حدثاً ، والجاهل حدث ولو كان شيخاً .

أحياناً بالمؤسسات ، بالشركات ، تجد شاباً

يحمل شهادة عليا عمره بالخامسة والعشرين ، بالثالثة والعشرين ، بالثمانية والعشرين ، تحت يده أشخاص بالسبعين ، بالستين ، بالخامسة والأربعين ، كلهم كبار في السن لكن لم يتعلموا ، أنا أرى أن هذا الدين دين العلم ، الدليل أن أول كلمة في أول آية ، في أول سورة :

(اقْرَأْ)

(سورة العلق الآية : 1)

تعلم ، في نقطة دقيقة جداً : أنت حينما تتعلم لا تنفق الوقت إنفاقاً استهلاكياً ، بل إنك تنفق الوقت إنفاقاً استثمارياً ، لأن التعلم يضمن لك نجاحات كبيرة في الحياة .

من علا شأنه و ذاع سيطه و لم يكن مستقيماً يعقب هذا الارتفاع انـهيار مفاجئ :

لذلك : أنا أرى أن الأب الذي يهمل تعليم أولاده ، يهمل تعليمهم التحصيلي ، وتعليمهم الديني ، وتعليمهم الأخلاقي ، نحن أحياناً الأب يهمه أن يأخذ ابنه شهادة فقط ، صلى ما صلى ، عرف الله ، لم يعرف الله، أهم شيء أنه أخذ علامات دخل بها كلية الطب ، هذا خطأ كبير ، لما الإنسان لا يعرف الله يرتكب أخطاء فاحشة ، والأخطاء الفاحشة قد تهلكه في الدنيا قبل الآخرة .

ومرة ثانية : ما من مشكلة تصيب الإنسان إلا بسبب جهل في طاعة الله عز وجل .

أيها الأخوة ، يعني لما الله عز وجل يقول :

(لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ)

(سورة البلد)

الإنسان لو علا شأنه ، وذاع سيطه ، ولم يكن مستقيماً على أمر ربه ، أي لم يعرف ربه كي يستقيم على أمره ، هذا الارتفاع المفاجئ قد يعقبه انهيار سريع .

دائماً وأبداً خط المؤمن البياني خط صاعد صعوداً مستمراً ، والموت نقطة على هذا الخط ، والصعود مستمر بعد الموت ، بينما الإنسان حينما يتألق في الدنيا بماله ، أو بمنصبه ، قد يصعد صعوداً حاداً ، ويسقط سقوطاً مريعاً ، فالبطولة أن تستمر .

العطاء الإلهي عطاء مستمر يبدأ في الدنيا ويستمر إلى أبد الآبدين :

بالمناسبة : العطاء الإلهي عطاء مستمر يبدأ في الدنيا ، ويستمر إلى أبد الآبدين ولا يليق بكرم الله أن يعطيك عطاءً ينتهي عند الموت .

أيها الأخوة ، لذلك :

(مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ)

(سورة النساء الآية : 77)

الآن معظم الناس تعنيهم الدنيا فقط ، استقام ، لم يستقم ، عرف الله ، لم يعرف الله ، كان دخله حلالاً ، حراماً ، بنى مجده على أنقاض الآخرين ، بنى غناه على إفقارهم ، بنى قوته على ضعفهم ، مستقيم ، غير مستقيم ، معتدٍ ، غير معتدٍ ، المهم أن يصل إلى ثروة تجعل حياته مريحة ، وهذا الذي دخل الشاعر من أجله السجن ، ببيت قاله :



دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك

أنت الطاعم الكاسي

* * *

من طلب العلم سلم و سعد في الدنيا و الآخرة :

أيها الأخوة ، النقطة الدقيقة الآن : إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، الذين يحكمون العالم من حولهم ؟ خبراء ، لا يتخذون القرار إلا باستشارة خبرائهم ، ففي النهاية الذي يحكم العالم هم العلماء ، الذين هم خبراء عند أصحاب القرار ، فإذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً .

من طلب العلم سعد في الدنيا والآخرة

أنا مرة إنسان شكا إلي مشكلة في بيته خطيرة جداً ، هي خيانة زوجية ، وبكى سألته مع من ؟ قال لي : مع جارنا ، كيف عرفت الجار ؟ قال لي : كان جارنا في البيت يزورني ، قلت لزوجتي : تعالي واجلسي معنا ، مثل أخيكِ ، من هنا بدأت المشكلة ، قلت له : لو كنت تحضر دروس العلم ، وتعلمت أن الاختلاط محرم ما وقعت في هذه الورطة .

دقق ما من مشكلة تقع في المجتمع إلا بسبب مخالفة لتعليمات الخالق ، وهذه المخالفة بسبب الجهل ، فأنت حينما تحضر درس علم ، وتعرف ما ينبغي ، وما لا ينبغي ، ما يجوز ، وما لا يجوز ، ما يصح ، وما لا يصح ، ما هو محرم ، وما هو محلل ، ما هو الخير ، وما هو الشر ، ما هو الجمال ، وما هو القبح ، عندئذٍ الثمرة الأولى أنك تسلم وتسعد .

شعار الجامعة "وقل ربي زدني علما"

لذلك : جامعة دمشق لها شعار ، تحت الشعار كُتب :

(وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً)

(سورة طه)

من عرف الله عرف كل شيء :

لا أنسى هذه الآية التي ينبغي أن يخفق قلب المؤمن لها ،

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)

حتى إن الله عز وجل حينما قال :

(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً)

(سورة الكهف)

بعض العلماء قال :

(الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ)

سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، يعني إذا سبحته ، وإذا كبرته ، وحمدته ، ووحدته ، فقد عرفته ، وإن عرفته عرفت كل شيء ، وإن فاتتك معرفته فاتك كل شيء ، والله أحب إليك من كل شيء .

الآية الأولى :

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

القيمة الوحيدة التي اعتمدها القرآن للترجيح بين خلقه قيمة العلم .

الآية الثانية :

(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)

هذه الآية الثانية التي تؤكد أن القيمة الأولى في التفاضل بين الناس هي قيمة العلم .

عندنا قيمة ثانية ، أساس الترجيح وهي العمل ، قال تعالى :

(وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا)

(سورة الأنعام الآية : 132)

العلم ما عُمل به فمن تعلم أصبح العلم حجة عليه لا حجة له :

لكن بادئ ذي بدء : لا يمكن أن يكون العلم في الإسلام مقصوداً لذاته ، العلم ما عُمل به ، فإن لم يُعمل به كان الجهل أولى ، الذي تعلم أصبح العلم حجة عليه ، لا حجة له .

لذلك قالوا :

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن

* * *

ما معنى قوله تعالى :

(غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)

(سورة الفاتحة)

(الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ)

هم الذي عرفوا وانحرفوا ، والضالون هم الذين لم يعرفوا وانحرفوا ، هناك إنسان ينحرف وقد علم ، و إنسان ينحرف ولم يعلم .

أيها الأخوة ، دققوا في هذا الحديث ، أنت جئت من مكان بعيد ، وتجشمت ركوب عدة مركبات ، وفي ازدحام ، وقد يستغرق الوقت لحضور هذا الدرس ساعة أو ساعتين يقول عليه الصلاة والسلام :

((وَمَن سلكَ طريقا يَلْتَمِسُ فيه عِلْما سَهَّلَ اللهُ لهُ بِهِ طريقا إلى الجنَّةِ))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

يعني أنت جالس في البيت ، ومرتاح ، ولك مقعد وثير ، أمامك زوجتك ، أولادك ، كل حاجاتك مؤمنة، فأنت قمت من هذا المكان المريح ، وارتديت الثياب ، وركب المركبات ووصلت إلى المسجد ، وجلست على الأرض ، وضيافة ما في ، وانتهى الدرس ، وعدت بساعة ثانية ، في ثلاث ساعات تقريباً ، لوجه الله ، هذا الوقت الذي تنفقه في طلب العلم ليس استهلاكاً للوقت ، ولكنه استثمار له ، أي إذا تركت شيئاً محرماً نجوت ، إذا عملت عملاً صالحاً فزت وتفوقت ، لذلك :

((وَمَن سلكَ طريقا يَلْتَمِسُ فيه عِلْما سَهَّلَ اللهُ لهُ بهِ طريقا إلى الجنَّةِ))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

من لم يعمل بالعلم الذي تعمله فالجهل أولى له :

الطفل الذي ينشأ على طاعة الله قرة عين والديه

أنت لاحظ بالمعاني المادية المحدودة ، إنسان دخل كلية الطب ، وعانى ما عانى في السنوات السبع ، مدرسون أشداء في الامتحانات ، كلفوا الطلاب بأعمال صعبة جداً ، يعني معاناة سبع سنوات مع الأساتذة، والمدرسين ، وكتابة الأطروحات ، والامتحانات الشفهية ، والكتابية ، ثم نال شهادة طب ، وتابع دراسته ، وحصل على شهادة عليا ، وفتح عيادة ، دخله وفير ، هذا الدخل الوفير بالمعنى المادي ، هيأ له بيتاً مريحاً ، هيأ له مركبة مريحة ، هيأ له مكانة اجتماعية ، الآن كلما مرّ أمام الجامعة يشكر هذه الجامعة على أنها نقلته من إنسان عادي ، إلى إنسان ذو مكانة جيدة في المجتمع .

وأنت أيها المؤمن حينما تطلب العلم ، وتعرف الحلال والحرام ، وتحسن تربية أولادك ، وتنشئهم على طاعة الله ، وكانوا قرة عين لك ، تحمد هذه الأوقات المديدة التي أمضيتها في معرفة الله .

أي لا يوجد علم لذاته ، علم للعلم ، بالإسلام غير وارد ، العلم ما عُمل به ، فإن لم يُعمل به كان الجهل أولى ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((الدُّنيا مَلْعُونَة))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

أحبّ البلاد إلى الله مساجدها و أبغض البلاد إلى الله أسواقها :

مرة ذكرت ببعض الأحاديث :

((أحب البلاد إلى الله مساجدها و أبغض البلاد إلى الله أسواقها))

[صحيح عند ابن خزيمة عن أبي هريرة]

لأن المسجد ينقلك إلى الله ، إلى الدار الآخرة ، إلى طلب العلم ، إلى التوبة ، إلى الطاعة ، إلى السعادة، الأسواق بضائع جميلة جداً ، وغالية جداً ، ولك دخل محدود ، فكنت أضرب هذا المثل مداعباً الأخوة الكرام ، يأتي مع امرأته إلى المسجد تسمع حقوق الزوج فتزداد طاعة لزوجها فيحبها ، ويسمع حقوق الزوجة فيزداد إكراماً لها فيحبها ، فالمجيء إلى المسجد متن علاقة الزوجين ، يذهب معها إلى السوق تطلب منه حاجة فوق دخله يتشاجروا .



((أحب البلاد إلى الله مساجدها و أبغض البلاد إلى الله أسواقها))

[صحيح عند ابن خزيمة عن أبي هريرة]

لذلك :

((الدُّنيا مَلعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ ما فيها ، إلا ذكرُ الله ، وما والاهُ))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

معنى ملعونة تبعدك عن الله ، تبعدك عن طريق الجنة .

لقطتان رائعتان من سيرة النبي الكريم :

هناك لقطتان رائعتان من سيرة النبي :

رأى النبي صلى الله عليه وسلم شاباً يتعبد الله في وقت العمل ، قام سأله من يطعمك ؟ قال : أخي ، فقال عليه الصلاة والسلام : أخوك أعبد منك ، الذي يعمل هو العابد أكثر ،الذي كانت يده هي العليا ، لم يكن عالة على أحد ، لم يتكفف الناس .

((ولا فتح عبد بابَ مسألة ، إلا فتح الله عليه بها باب فقر))

[أخرجه الترمذي عن أبي كبشة الأنماري]

الآن مشهد آخر ، شريكان ، أحدهما طالب علم ، فالشريك الآخر الذي يعمل شكا للنبي شريكه الذي يقدم جهداً أقل من جهده ، باللقطة الأولى قال النبي الكريم : أخوك أعبد منك الذي يعمل ، ومن ينفق عليك أعبد منك ، الثاني شيء آخر ، قال : لعلك ترزق به ، اختلف الموضوع ، اختلف الحكم ، أو اختلف 180 درجة ، الأول كان عابداً ، الذي يعبد الله لنفسه ، أما الثاني كان طالب علم ، يطلب العلم لغيره ،

فالنبي طمأن الشريك أن أحد أسباب رواج هذه الشركة ، وتقدمها ، هو أنك تسمح لشريكك أن يطلب العلم ، لعلك ترزق به .

الفرق الكبير بين أن يموت الإنسان ويستريح الناس منه وبين أن يتألم الناس عليه :

المؤمن الذي عرف الله ، إذا توفاه الله ، ماذا قال الله في حقه ؟ قال في حق الكافر :

(فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ)

(سورة الدخان الآية : 29)

العلماء أكدوا أن هناك معنى مخالف معاكس ، المؤمن إذا مات ماذا يقول ؟ بكت عليه السماء والأرض، فرق كبير بين أن يموت الإنسان ويستريح الناس منه ، وبين أن يكون الإنسان ويتألم الناس أشد الألم .

لذلك رأى النبي صلى الله عليه وسلم جنازة فقال :

((مستريح ، أو مُسْتَرَاح منه ، فقالوا : يا رسول الله ما المستريحُ ، وما المستَرَاح منه ؟ فقال : العبد المؤمنُ يستريح من نَصَب الدنيا ، والعبد الفاجرُ : يستريح منه العبادُ والبلادُ ، والشجر والدواب))

[أخرجه البخاري ومسلم والنسائي ومالك عن أبي قتادة]

هؤلاء الطغاة إذا ماتوا تستريح منهم البلاد ، والعباد ، والشجر ، والدواب .

الأب المؤمن هو الأب الذي ربى أولاده على طاعة الله :



الآن الأب الذي يُعلم أولاده ، لنرسل له هذا الحديث الشريف :

((إنَّ الله وملائِكَتَه ، وأهْلَ السماوات والأرض ، حتى النَّملة في جُحْرها والحيتان في البَحْر ، لَيُصَلُّون على مُعَلِّم الناس الخيرَ))

[أخرجه الترمذي عن أبي أمامة الباهلي]

يعني الأب حينما يعلم أولاده تصلي عليه الملائكة ، والنملة في جحرها ، والحيتان

في البحر ، الأب المعلم أب عظيم ، أنا أقول دائماً : لك أب أنجبك ، هذا أبوك النسبي ، ولك أب زوجك، هذا عمك ، ولك أب دلك على الله ، والبطولة أن تكون أيها الأب أباً أنجبته ، وأباً دللته على الله، الأب المؤمن الذي ربى أولاده على طاعة الله أب مقدس .

حجم الإنسان عند ربه بحجم عمله الصالح وأعظم عمل صالح تربية الأولاد :

إخوانا الكرام ، سامحوني بهذه الكلمة : الثقافة الإسلامية بثقافة بلادنا كل أب محترم ، هكذا العادات والتقاليد ، لكن ما كل أب يُحب ، إذا كنت محسناً ، إذا دللته على الله ، تكون أباً محترماً بحسب الثقافة العامة ، ومحبوباً بحسب توجيهك لهذا الابن .

أنا أقول دائماً : الأب البطل يكون العيد في بيته إذا دخل ، والأب المخفق يكون العيد في بيته إذا خرج ، فالعيد متى يكون ؟ بدخولك أم بخروجك ؟ .

شيء آخر يا إخوان : بعد أن تعرف الله ، علة وجودك العمل الصالح ، وأعظم عمل صالح بشكل مطلق من دون استثناء تربية أولادك لقول النبي صلى الله عليه وسلم :

((أفضل كسب الرجل ولده))

[أخرجه الطبراني عن أبي بردة بن نيار]

خير اسم تفضيل ،

((أفضل كسب الرجل ولده))

لذلك :

((إذا مات الإنسان انقطع عمله))

علة وجودك في الدنيا بعد أن تعرف الله العمل الصالح ، لأنه العمل الصالح ثمن الجنة ، وأنت في الأصل خلقت للجنة ، علة وجودك في الدنيا ، بعد معرفة الله العمل الصالح بل حجمك عند الله بحجم عملك الصالح ، وأعظم عمل صالح تربية أولادك ، لأنهم أقرب الناس إليك ، يعني الآخر أنت له ، وغير له ، أما أولادك من لهم غيرك ؟ .

((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ـ الشاهد ـ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

والله الذي لا إله إلا هو كلما رأيت أباً ربى ابناً صالحاً ، ومات الأب ، أقول بأعماقي : الأب لم يمت ، لأنك في الأصل مفطور على حبّ وجودك ، وعلى حبّ سلامة وجودك ، وعلى حبّ كمال وجودك ،

وعلى استمرار وجودك ، سلامة وجودك بطاعة الله ، وكمال وجودك بالعمل الصالح ، واستمرار وجودك بتربية أولادك .

هل تعتقد معي أيها الأب أنه في شعور أمتع ، وأشد إسعاداً للإنسان من أن ترى ابنك صالحاً ، ابنك يصلي ، سمعته طيبة ، ناجح في عمله ، ناجح في زواجه ، يربي أولاده .

((أو ولد صالح يدعو له))

طريق معرفة الله التفكر في خلق السماوات والأرض :

أيها الأخوة الكرام ، مرة ثانية : هناك علم به ، هو الأصل ، أن تعرف الله ، إنك إن عرفت الله ، ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الآمر ، أما إذا لم تعرف الله ، وعرفت الأمر تفننت في التفلت من الأمر، إنك إن عرفت الله ، فالعلم به أصل في الدين ، كيف ؟ في التفكر في خلق السماوات والأرض .

كلكم يعلم أنك إذا قرأت آية في كتاب الله تتحدث عن الجنة ، ما موقفك منها ؟ أن تسعى إلى الجنة ، وإن قرأت آية في كتاب الله تتحدث عن النار ، ما موقفك منها ؟ أن تفر منها ، وإذا قرأت آية فيها أمر إلهي ما موقفك منه ؟ أن تأتمر ، وإذا قرأت آية فيها نهي إلهي ما الموقف الكامل ؟ أن تنتهي ، وإذا قرأت قصة أقوام سابقين أهلكهم الله عز وجل ما الموقف من هذه الآية ؟ أن تتعظ ، وإذا كان بالقرآن آيات كثيرة جداً تقترب من ألف آية عن الكون ما الموقف منها ؟ أن تتفكر ، لأن طريق معرفة الله التفكر في خلق السماوات والأرض .

لذلك : كلما ازددت تفكراً في خلق السماوات والأرض ، ازددت مع التفكر معرفة بالله جلّ جلاله ، أصل الدين معرفة الله ، العلم به لا يكفي ، أنت حينما تعرف إنساناً وتتمنى أن تتقرب إليه ، تبحث عن أوامره ، يأتي علم الشريعة ، التفكر في خلق السماوات والأرض ، أو التفكر في أفعال الله ، في أفعاله التكوينية ، أو التفكر في كلامه ، أو التدبر هذا طريق معرفته .

الاستقامة على أمر الله و القيام بالأعمال الصالحة طريقا الإنسان للتقرب من الله :

الآن طريق التقرب منه بشيئين أن تستقيم على أمره أولاً ، وأن تعمل الأعمال الصالحة ثانياً هذا علم بأمر الله .

لكن حتى تكون مواطناً صالحاً ، وتملك مهنة راقية ، تدر عليك دخلاً معقولاً يجب أن تتعلم علماً متعلقاً بخلقه ، طبيب ، مهندس ، مدرس ، فروع الجامعة ، فيزياء ، كيمياء ، رياضيات ، في اختصاصات ،

فأنت ينبغي أن تسعى إلى أن تتعلم وأن تُعلم أولادك ، علماً به ، وعلماً بأمره ، وعلماً بخلقه ، كي تجمع المجد من كل أطرافه .

أحياناً تجد إنساناً يحمل أعلى شهادة لكن في الدين أمي ، لا يفرق بين الحلال والحرام .

إنسان ذهب للحج ، لكن ضعيف في الثقافة الإسلامية ، ضعيف في الثقافة كثيراً ، قال لو عملوا الحج على خمس دورات ، ما كان في ازدحام ، بعيد عن روح الدين .

حتى جيء للمملكة بخبراء من أجل تنظيم السير ، فدرسوا الأمور دراسة مستفيضة ، وقدموا تقريراً ينصحون بأن يكون الحج على خمس دورات ، كل شهرين في موسم حج حتى يخف الازدحام .

فيكون الإنسان بعيد عن حقيقة الدين ، عن العبادات ، عن المعاملات .

العاقل من جمع بين مصالحه في الدنيا و مصالحه في الآخرة :

لابد من أن تعرف الله عز وجل من خلال خلقه ، ومن خلال كلامه ، ومن خلال أفعاله ، هذا العلم به ولابدّ من أن تعرف منهجه من خلال أمره ونهيه ، ولابدّ من أن تتعلم علماً كونياً يرقى بك إلى خدمة نفسك وأمتك ، فاجهد أيها الأب أن تعلمه علماً متعلقاً بالذات الإلهية ، وعلماً متعلقاً بالأمر والنهي ، وعلماً متعلقاً بشؤون الدنيا ، حتى يجمع الإنسان بين مصالحه في الدنيا وبين مصالحه في الآخرة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم من أدعيته :

((اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إلينا مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر))

أيها الأخوة الكرام ، لازلنا في تربية الأولاد في الإسلام ، ولازلنا في التربية العقلية ، لأن الإنسان عقل يدرك ، وقلب يحب ، وغذاء العقل العلم ، وغذاء القلب الحب .

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (14-36) : التربية العقلية -4- طلب العلم فرض على كل مسلم

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 28-06-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

العلم الشرعي فريضة على كل مسلم:

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الرابع عشر من دروس تربية الأولاد في الإسلام ولازلنا في التربية العقلية، ولابدّ من مقدمة من موضوع من أدق الموضوعات في التربية العقلية.

هذه المقدمة: لو أن رجل دين، في أعلى المستويات، أعطيته تخطيط قلب لا يفهم منه شيئاً، نقول هذا الرجل رجل الدين، المتبحر، المتعمق، أُمّي في قراءة هذا التخطيط، أليس كذلك ؟ مهما كان متبحراً، مهما كان متفوقاً، هو في هذا الموضوع أُمّي انظر إلى تخطيط قلب، ترى خطوط بزوايا حادة، لكن الطبيب حينما يطلع عليه يكتشف أشياء كثيرة، في خوارج انقباض، في تسرع اشتدادي، أكثر أمراض القلب تظهر في التخطيط، لكن رجل الدين مهما كان متفوقاً في هذا الموضوع أُمّي، هذا تمهيد.

وأي إنسان آخر يحمل أعلى شهادة، الطب بورد، بأمريكا بورد، في بريطانيا (إف آر إس)، بفرنسا (أك ري جي)، عندنا بورد عربي والحمد لله.

فأعلى طبيب قد يكون في الدين أُمياً، فأنت إذا قلت علم، العلم مطلق، فطلب العلم فريضة على كل مسلم، العلم الشرعي فريضة، طبيب، مهندس، طيار، معك اختصاص نادر، معك دكتوراه بالفيزياء النووية، أنت في الدين إن لم تطلب العلم فأنت أمي في الدين.

الدين فرض عين على كل مسلم لتعلقه بسلامته وسعادته ومستقبله الأخروي:

لذلك: إذا قلنا التربية العقلية، العقل جهاز، مضمونه قد يكون معلومات بعيدة عن الدين، من هنا قيل: ما كل ذكي بعاقل، إنسان يتمتع بدرجة عالية جداً من الذكاء ويأتي بأعلى شهادة في العالم باختصاص نادر، وهذه الشهادة تدر عليه دخلاً فلكياً، ومعنى ذلك هو في الدين أُمّي، وليس بعاقل، لأنه ما عرف الله، ولا عرف سرّ وجوده، ولا عرف غاية وجوده.

أنا أريد من هذه المقدمة ألا يشعر المثقف أنا طبيب، أنا مهندس، أنا معي معلوماتية، دكتوراه في المعلوماتية، أنا اختصاصي نادر، هذه علوم أرضية، هي حرف راقية، أما الدين فرض عين على كل مسلم، لأن الدين متعلق بسلامتك وسعادتك، ومستقبلك الأخروي.

مرة رجل يحتل منصباً رفيعاً جداً في دولة عربية، فذهب إلى الحج، في طريق العودة يقول لصاحبه إلى جواره بالطائرة، قال له: والله لو كان الحج على خمس دورات على مدار السنة، والله أريح، لا يعرف ما هو الحج، لو كان على مدار السنة أفضل وأريح ما كان في ازدحام.

فتجد أحياناً إنسان يحمل شهادات عالية، هذه المقدمة ملخصها أنه لو حرصت على أن يكون ابنك في أفضل مدرسة، يقول لك: ثلاث لغات، فرنسي، إنكليزي، عربي، كمبيوتر، معلوماتية، ترجمة، مناشط، لكن ما فيه دين إطلاقاً، ما كل ذكي بعاقل، العقل شمولي، والذكاء جزئي، أي إنسان أوتي فكراً متألقاً، قدرات عامة، قد ينال أعلى شهادة ويبقى في الدين أُمّياً، يرتكب المبيقات، يرتكب المعاصي والآثام.

البعيد عن الله عز وجل يرتكب المعاصي و الآثام و هو لا يدري:

فلذلك الأب الذي يتصور إذا علّم ابنه، وأخذ دكتوراه، وتعب عليه، ووضع له مدرسين خاصين، وضعه بأفضل مدرسة، أتقن عدة لغات، أخذ اختصاصاً نادراً، إدارة أعمال، معلوماتية، حاسوب، يظن الأب أنه قدّم واجبه، لم تقدم له شيئاً، قدم له شيئاً متعلق بآخرته.

أنا أقول لابدّ من أن تتعلم، هذا العلم الآن من أجل أن تكون بعمل فيه بعض الراحة، وفيه دخل معقول.

أحياناً سمعت عن طبيب في بلد عربي مجاور، أجرى عملية زرع كلية، أخذ مليوني ليرة، في ساعتين الساعة بمليون، يأتي إنسان غير متعلم، يعمل ثماني ساعات بثلاثمئة ليرة، أربعمئة، خمسمئة، ثماني ساعات بخمسمئة ليرة، وساعة بمليون، فإنسان يأخذ دكتوراه بالطب، بالهندسة، بالمعلوماتية، هذه شهادات تدر عليه دخلاً كبيراً، هذه حرفة من الحرف، فلان تاجر، مهندس، محامي، طبيب، حرف راقية، راقية أي فيها جهد معقول، وفيها دخل كبير، هذه معنى راقية.

لكن عندما يكون الإنسان بعيداً عن الله عز وجل قد يرتكب المعاصي والآثام وهو لا يدري.

أنواع الذكاء عند الإنسان:

أنا من هذه المقدمة أريد أنت حينما تعتني بدراسة ابنك، هذا يسمونه الذكاء التحصيلي، هناك ذكاء فطري، و ذكاء تحصيلي، و ذكاء عاطفي، هناك إنسان علاقاته الاجتماعية في أعلى درجة من النجاح، نقول يتمتع بذكاء عاطفي، يحترم الناس، يرضيهم، لا يستفزهم، يحتويهم، يتكيف معهم، يتلاءم معهم،

يلتفون حوله، هذا يتمتع بذكاء عاطفي وهناك إنسان عنده ذكاء مجرد، يصلح للرياضيات، علوم بحتة، رياضيات، فلك مثلاً، الذي يتمتع بذكاء مجرد يصلح لفروع فيها علوم بحتة، وهناك إنسان عنده ذكاء عملي، يبدع بتفكيك آلة، بتعديل آلة، هذا الذكاء العملي، والذكاء النظري، والذكاء العاطفي، وهناك ذكاء تحصيلي، إنسان درس، الدراسة ضرورية بسبب.

سمعت تعليقاً أعجبني أنه: يعد أينشتاين أعلى علماء الأرض في الفيزياء، جاء بالنظرية النسبية التي قلبت مفاهيم الفيزياء، الآن يرى بعض العلماء أن دماغ أنيشتاين يحتاج إلى دراسة، يعني يتمتع بذكاء يفوق حدّ الخيال، لو أنيشتاين ولد من أب بالبادية، ما في مدارس، في جمل، في خيمة، وفي صحراء، ماذا يكون أينشتاين ؟ يكون بدوياً، ذكياً قليلاً أعطاه أبوه الغنم ليرعاها مثلاً، يعرف كم غنمة بالضبط، يعرف كل غنمة وضعها الصحي تماماً، لكن يبقى راعي غنم فقط، أما أنيشتاين الذي أعطاه التفوق دراساته أيضاً.

الدين شيء عظيم ومن كان له مظهر ديني غير صحيح فهو لا يمثل الدين:

أنا مضطر أن أقول لكم: إن لم تضع ابنك في المدرسة لينال شهادة عليا سأقول كلمة قاسية: أنت في حقه مجرم، لأنه عطلت عليه كل منجزات العصر، لكن هذا من أجل كسب رزقه فقط، أما آخرته لابدّ من أن يكون جزء من تربيتك أن تربيه إيماناً، أن تعطيه حقائق دقيقة عن الكون، عن القرآن، عن النبي العدنان، عن سيرة الصحابة الكرام، عن العلماء الكبار، أن تجعله ينتمي لأمته، أن تجعله يعتز بدينه، أن تجعله يفرق بين الإسلام والمسلمين.

عندنا مشكلة هذه المشكلة مؤلمة جداً، تجد معظم المثقفين ما عنده إمكان أن يفرق بين إسلام عظيم، منهج حكيم، من عند رب العالمين، وبين مسلم مقصر، يرى الإسلام من خلال المسلمين، فيزهد في الإسلام، هذا خطأ كبير، مهمة الأب أن يكون وراء ابنه، هذا الموقف من هذا الإنسان الذي له مظهر ديني غير صحيح، لا يمثل الدين، الدين منهج آخر.

لذلك بعض العلماء قال: من دعا إلى الله بمضمون سطحي، مضمون غير متماسك، بمضمون ساذج، هناك دعوة أكثرها منامات، ومقامات، وشطحات، وقصص الدين منهج عظيم، قال من دعا إلى الله بمضمون سطحي غير متماسك، ليس فيه عمق وبأسلوب غير علمي، وغير تربوي، هذا المدعو بهذا المضمون، وبهذا الأسلوب لا يعد مبلغاً عند الله، وفي أعماق الإنسان الدين شيء عظيم.

العاقل من يوضح لابنه التناسب بين عظمة الله عز وجل وعظمة منهجه:

عفواً، هذا الدين من عند من ؟ من عند خالق السماوات والأرض، يجب أن يكون هناك تناسب بين عظمة الله عز وجل، وعظمة منهجه، التناسب يجب أن توضحه لابنك بين عظمة الخالق، وبين عظمة دينه، فلو رأيت موقفاً في غيبية، موقف في شطحة، موقف في كرامة غير منطقية، غير واقعية.

مثلاً: لما أنت تقرأ كتاباً قديماً أن فلان الفلاني، أبو حنيفة النعمان رحمه الله تعالى صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين عاماً، هذه قصة، أنت بذهنك تثني على أبي حنيفة تقدمه لمن تُعلمه على أنه إنسان عظيم، لكن النبي كان ينام، قال:

((......أمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

[البخاري عن أنس بن مالك]

هذه قصة أنه أربعين سنة صلى الفجر بوضوء العشاء غير معقولة، صار الدين شيء غير واقعي، خيالي، من يستطيع ألا ينام يومين وراء بعضهم ؟ من يستطيع ؟ جربوا، النوم أساسي.

(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً)

(سورة النبأ)

لا تجعل المؤمن سوبر مان، لا إنسان عادي، يأكل، ويشرب، وينام، يحتاج إلى زوجة، إلى أولاد، إلى بيت، يعمل بالتجارة، بالصناعة، مدرس، مهندس، طبيب، اجعل الإسلام واقعي، تفوق وأنت واقعي، الأنبياء عاشوا في أبراج عاجية أخلاقية، لكن عاشوا مع الناس.

كان عليه الصلاة والسلام يصغي لمحدثه، صغيراً كان أو كبيراً، كان يضحك مما يضحك منه أصحابه، عايش الحياة، عايش الظروف، عايش المعطيات، عايش الضغوط، عايش المغريات، عايش الصوارف، عايش العقبات.

على كل إنسان أن يضيف لاختصاص ابنه الدنيوي معرفة بالله عز وجل و معرفة بنبيه:

أتمنى أن تربي ابنك ليكون واقعياً، يدرس، يأخذ شهادة عليا، لكن وفق منهج الله، يتعلم دينه، يتعلم قرآنه، يتعلم سنة نبيه، ينتمي لأمته، لا تكتفي أيها الأب وأنت تربي ابنك تربية عقلانية أن تعتقد أنه مادام معه شهادة عليا، انتهى، أنا علمته، لا، ما علمتهُ علمته حرفة راقية، علمته اختصاصاً يدر عليه دخلاً كبيراً، لكن ما علمته الخوف من الله، ما علمته أن هناك آخرة، ما علمته أن هناك إله عظيم، ما علمته أن هناك منهج قويم، ما علمته أن هناك نبي كريم، هو قدوتنا.

فلذلك الذي أتمناه أنك إذا أردت أن تتوهم أنك حينما تعلم ابنك في جامعة راقية باختصاص نادر، طبيب من الناحية العلمية أديت واجبك، لم ينتهِ شيء، لابد من أن تضيف إلى اختصاصه الدنيوي معرفة بالله عز وجل، معرفة بنبيه، معرفة بآل بيت نبيه، ومعرفة بصحابته الكرام، هؤلاء أعلام.

على كل أب أن يستغل طاقة ابنه و يوجهه إلى مثل أعلى يقتدي به:

الآن الشباب في سن المراهقة، الشاب يتعلق بمثل أعلى، يكون المثل الأعلى لاعب كرة، أو ممثل، الآن أو يكون صحابي كبير، فالطاقة هذه، والتوجه إلى مثل أعلى يجب أن تستغل هذا التوجه إلى أن تجعل أمامه مثل عليا.

والله بالمناسبة: يمكن درست كتاباً مرات ثلاث، في جامع النابلسي، ثلاث مرات، صور من حياة الصحابة، رجل توفي رحمه الله أوتي قلماً رائعاً جداً، أسلوب أدبي رائع، و تدقيق بالتفاصيل، ولا يوجد أشياء لا يقبلها العقل، فابنك عندما يقرأ عن الصحابة صحابة شباب، صحابة كبار في السن، صحابة صغار، أطفالهم، نساؤهم، يختار الصحابة قدوة له، يعني مسافة كبيرة جداً بين أن يكون قدوة الشاب ممثلاً، أو لاعب كرة، وقد يكون منحرفاً أخلاقياً، في لاعبين كرة معهم انحراف أخلاقي، وضبطوا بحالات، وعوقبوا وحوكموا، وبينما أن يكون المثل الأعلى لابنك صحابي جليل، شاب نشأ في طاعة الله.

مسؤولية الآباء عن تربية أبنائهم العقلية و الدينية:

إذاً أريد بهذه المقدمة أن أؤكد لكم: لا تعفى أبداً من مسؤولية التربية العقلية إذا اكتفيت بتحصيل شهادة عليا تدر عليه دخلاً كبيراً، لابدّ من أن تعلمه أمور دينه، لذلك:

((أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن))

[رواه الطبراني عن علي]

أيها الأخوة، مرة ثانية: نحن عندنا بالمصطلحات الشرعية، فرض عين وفرض كفاية، فرض الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الكل، من فروض الكفاية أن يكون في الأمة علماء كبار، علماء متعمقون، علماء متفرغون، علماء متبحرون، علماء يستطيعون أن يردوا على كل شبهة تطرح في الساحة العامة، يستطيعون أن يقدموا الأدلة الناصعة القوية على وجود الله، ووحدانيته، وكماله، وعلى أحقية هذا الوحي، وعلى أحقية هذا القرآن، وعلى عصمة النبي العدنان، هؤلاء العلماء المتبحرون، المتفرغون، المتعمقون، وجودهم فرض كفاية، إذا قام به البعض، سقط عن الكل.

لكن طلب العلم فرض عين على كل مسلم، وجود عالم متبحر فرض كفاية، أما طلب العلم فرض عين على كل مسلم، من أي اختصاص، معه اختصاص أدبي، علمي، طب، هندسة، لابد من أن يعرف دينه فطلب العلم واجب على كل مسلم.

العقيدة أخطر ما في الدين الإسلامي:

الآن هذا الدين مما يتألف ؟ طبعاً في ملايين، ملايين المؤلفات الإسلامية، لكن لو أردت أن أجمعها في مخطط، هذا الدين يبدأ بالعقيدة، والعقيدة أخطر ما في الدين، إن صحت العقيدة صحّ العمل، وإن لم تصح لم يصح العمل.

كيف أن الطيار إذا أخطأ في تحديد الهدف بميلي في جهاز الطائرة، هذا الميلي في جهاز الطائرة ينعكس في الأرض كيلو متر، الميلي بتحديد الهدف بجهاز الرادار الذي في الطائرة ينقلب على الأرض واحد كيلو متر.

وكذلك الإنسان بالعقيدة، إذا في خطأ بالعقيدة يكون في خطأ بالسلوك مئة ضعف تقريباً، يعني يكفي أن تتوهم مفهوم الشفاعة بشكل ساذج، أن النبي يشفع لأمته يوم القيامة، فلا يوجد أي داعٍ لاستقامة الإنسان، هذه الفكرة الساذجة الغير الصحيحة تدعوه إلى عدم الاستقامة، لذلك: أي إنسان يغش في البيع والشراء يتلق بهذا الحديث، يقول لك:

((شفاعتي لأهل الكبائر مِنّ أُمَّتي))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أنس بن مالك]

إذاً أعمل كم كبيرة، هذا خطأ كبير، أنا أقول لكم كلمة: لو كان ممكناً أن تعتقد شيئاً دون أن ينعكس هذا الاعتقاد سلوكاً اعتقد ما شئت، لكن لأنني متأكد مئة بالمئة ما من شيء تعتقده إلا وينعكس سلوكاً على صاحبه.

مثلاً: في عالم الطلاب، لو طالب توهم أن هذا الأستاذ قبل الامتحان بيومين يطرق بابه، يقدم له هدية ثمينة، والده غني، هذا المعلم يعطيه الأسئلة، هذه الفكرة هل تجعله يدرس أثناء العام الدراسي ؟ فكرة خطيرة جداً، هي فكرة، سمع من طالب أن هذا الأستاذ بهدية ثمينة يعطيه السؤال، لا داعي لئن يدرس، كل يوم في وظائف، وفي مطالعة، وفي مراجعة، وفي قراءة، أمضى العام الدراسي كله باللعب مع أصدقائه، في حضور بعض الأفلام، في الطرقات يتسكع، يتابع الفتيات، ارتاح، لأنه لا يوجد عنده دراسة، الأستاذ يعطي السؤال، قبل الامتحان بيومين طرق باب المعلم، وقدم له الهدية، وطلب منه الأسئلة، فتلقى صفعتين على خديه أنسته والديه، فهذه الفترة كانت سبب هلاكه.

العقيدة لا تقبل عند الله تقليداً بل تحقيقاً:

أقسم لكم بالله هناك آلاف الأفكار تطرح في الحقل الديني ليس لها أصل، وتسبب شللاً، ما في داعي يستقيم، يعني:

((إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها))

[متفق عليه عن عبد الله بن مسعود]

جيد أقضي حياتي كلها بالمعصية، يأتي حديث:

((لو لم تكونوا تذنبون لخشيت عليكم ما هو أكبر منه))

[أخرجه البزار عن أنس بن مالك]

((لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم))

[أخرجه البزار عن أبي سعيد الخدري].

جيد لحق حالك بكم ذنب، هناك نصوص إذا فهمتها خطأ تنشل حركتك، يكفي أن تعتقد أن الله أجبر عباده على أعمالهم.

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

* * *

انتهيت، أي فكرة منعكس سلوكي، لو لم يكن هناك منعكس سلوكي للأفكار يقول لك اعتقد ما شئت، لكن لا يمكن أن تتوهم شيئاً إلا وأن ينعكس على سلوكك سلوكاً منحرفاً من هنا كان أخطر شيء في الدين العقيدة، إن صحت العقيدة صح العمل، إذا في مثلث مقسم إلى أربعة أقسام القسم العلوي هو العقيدة، إن صحت صح العمل، لذلك الآية الكريمة:

(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

(سورة محمد الآية: 19)

(فَاعْلَمْ ـ ما قال فقل قال ـ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

أكد العلماء أن العقيدة لا تقبل عند الله إلا تحقيقاً، لا تقليداً، لا تقبل العقيدة تقليداً ولو أنها صحيحة، لو أن الله قبل اعتقاداً تقليداً لكانت كل الفرق الضالة ناجية عند الله، وأنهم سمعوا ممن يعلمهم كلاماً فرددوه تقليداً، العقيدة لا تقبل عند الله إلا تحقيقاً

(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين:

عندي مثلث أول قسم العقيدة، القسم الثاني العبادات، أركان الإسلام، الصلاة، يعني ممكن هذا الإله العظيم الذي خلق السماوات والأرض يطلب منك أن تغسل أعضاءك، وتقف، وتقرأ الفاتحة، وشيء من القرآن، وتركع، وتسجد، وأنت تعمل حساب الصندوق الذي يخصك ؟ هناك فرق ثمانية آلاف أين ذهبوا؟ ولا الضالين، تجد شخصاً صلاته كلها خواطر متعلقة بدنياه، بمشاكله، بامتحانه، بتجارته، بمستودعاته، وهو بالصلاة.

قال له: أنت صليت المغرب ركعتين، قال له: أبداً ثلاثة، متأكد، قال له: ما الدليل ؟ أنا عندي ثلاثة صناديق، فيهم مشاكل حللت في كل ركعة صندوق، ثلاثة صلى.

ممكن الإله العظيم يطلب منك الصلاة هذه الشكلية ؟ تتناسب مع عظمته ؟.

مدير مؤسسة يقول لك اذهب إلى حمص وقف بالساحة ربع ساعة وارجع إلى الشام فقط، ما هذا الأمر؟! تقبلها أنت من مدير عام ؟.

قبلت من الله عز وجل تكون الصلاة هكذا بهذا الشكل الساذج ؟ يجب أن تعرف أن الصلاة اتصال.

(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

(سورة العنكبوت الآية: 45)

أنت في الصلاة تذكره، والله عز وجل إذا أقبلت عليه يذكرك، يا الله ! ذكر الله لك أكبر من ذكرك له، إنك إن ذكرته أديت واجب العبودية، لكن إذا ذكرك الله منحك الحكمة، منحك الأمن، منحك الرضا، منحك التوفيق، منحك سداد الرأي، منحك صواب القول، أودع في قلب الناس محبتك، ثمار مذهلة من الصلاة، فلذلك:

((الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين))

[رواه الطبراني عن معاذ]

الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين:

أول شيء العقيدة، الله موجود، واحد، كامل، بعض الأمثلة:

بأوربا فكرة شائعة جداً ومريحة، بالمناسبة: ما كل شيء صحيح مريح قد يكون الغلط هو المريح، فكل شخص معه شذوذ متوهم بأوربا أن عنده جينات شاذة، أنه هو إنسان سوي، يستحق أن يكون له مكانة اجتماعية، فالآن ببعض البلاد مسموح الزواج المثلي، لذلك يكون بمنصب رفيع، وزير مثلاً، سفير معه شريك، ما معه زوجة، المنطلق الغير صحيح أن جيناته خاصة، لكن إيماناً أنت تقبل إله عظيم يخلق

جينات خاصة تدعو صاحبها للشذوذ ثم يحاسبه في جهنم ؟ أنت تتوازن بهذه الفكرة ؟ الفكرة ما لها أصل. لما كلينتون بآخر أيامه في رئاسته أعلن (أنا أسميها قنبلة علمية)، أعلن الخارطة الجينية، أهم شيء في هذه الخارطة لا علاقة بين السلوك والجينات إطلاقاً، هذا شيء مذهل.

أحياناً الإنسان يعتقد أشياء مريحة لكن غير صحيحة، كمثل أوضح: إذا شخص رغب أن يشتري سيارة و لم يشترِ، وله صديق رغب أن يشتري واشترى، بعد فترة سمع الاثنان إشاعة: هناك تخفيض للرسوم بالـ50%، الذي اشترى يكذب الإشاعة من دون تحقيق، لأنه إذا كذبها يرتاح، والذي لم يشترِ يصدقها من دون تحقيق. فأنت بحالات كثيرة تصدق شيئاً غير صحيح، لكن يريحك، وتكذب شيئاً صحيحاً لكن يزعجك، فالإنسان يميل لحديث أنه:

((شفاعتي لأهل الكبائر مِنّ أمَّتي))

[الترمذي و أبو داود عن أنس بن مالك]

هذا مريح الحديث، وافعل ما تشاء، وغش الناس، واكذب عليهم، ابتز أموالهم، والنبي يشفع لك، الخطأ بالعقيدة، انقلبت سلوكاً منحرفاً، أو أنه:

((لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون))

[رَوَاهُ مُسلِمٌ عن أبي أيوب خالد بن يزيد]

معناها الذنب شيء من خصائص الإنسان، اختلاط، مصافحة، يملأ عينيه من محاسن المرأة، يأكل مالاً حراماً، يكذب، يغش، لأنه هكذا سمع. والوفاء بالوعد، وإنجاز العهد، والرحمة، والإنصاف، ماذا قال سيدنا جعفر للنجاشي ؟ قال له أيها الملك:

((كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لتوحيده، ولنعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء))

[أخرجه الإمام أحمد عن أم سلمة أم المؤمنين]

هذا الإسلام منهج أخلاقي.

العقيدة العبادة المعاملة و الأدب أربعة أشياء من طبقها كان راقياً في حياته:

عندنا العبادات، والمعاملات، والحقيقة التي ألح عليها كثيراً: ما لم تصح العبادات التعاملية من صدق، وأمانة، وإنصاف، وعفة، لا تقبل ولا تصح العبادات الشعائرية، صار في عقيدة، عبادات، معاملات.

آخر شيء الآداب، آداب الضيافة، آداب السفر، آداب الزوج، آداب الزوجة، آداب الابن، آداب الأب، بحث الآداب بحث رائع جداً، تجد المسلم كاملاً، لطيفاً، صادقاً، أميناً، عفيفاً، متواضعاً، منصفاً، يحب الخير.

والله أيها الأخوة، للتقريب أحياناً، تموت غنمة في طرق السفر أحياناً، و لا أحد يزيلها من مكانها، بعد فترة تنشأ رائحة لخمسين أو مئة متر من هذه الجيفة، الإنسان يخرج من جلده منها، والعياذ بالله رائحة اللحم المتفسخ، رائحة الجيف لا تقابل، هذا لحم، وأحياناً تكون جائعاً جداً وتأكل لحماً طازجاً مشوياً تقول أكلت أكلة لا أنسها مدى الحياة، هذا لحم وذاك لحم.

الإنسان الذي لم يعرف الله عز وجل يصبح مثل الجيفة، نتن، كلامه بذيء، مزحه سيء، مزحه قاسٍ، لئيم، أناني، يحب ذاته، شهواني، كذاب، دجال، منافق، تجد كتلة أخطاء، شيء لا يحتمل، يدعو للقرف.

المؤمن إن لم تعشقه فليس مؤمناً، من تواضعه، من إنصافه، منصف، من محبته للناس، من استقامته، من صدقه، من أمانته، إن لم تعشقه فليس مؤمناً.

بالعقيدة الصحيحة، والعبادات الصحيحة، والمعاملات الصحيحة، والآداب، هذا الإسلام شَكّل إنساناً راقياً جداً.

من لم يربِ ابنه تربية إيمانية صحيحة ليس مقبولاً عند الله عز وجل:

نحن نريد في التربية العقلية ألا تتوهم إذا ابنك صار طبيباً انتهى، ما انتهى شيء.

والله أيها الأخوة، الإنسان إذا ما عرف الله، يفعل أشياء يندى لها الجبين، تصدق يكون هناك دواء للورم الخبيث، يعطى في المستشفيات العامة مجاناً للفقراء، يقدم للفقير ماء مقطر على أنه دواء السرطان، وهذا الدواء يؤخذ إلى عيادة خاصة ويباع بمئة ألف، تصور إنساناً يفعل هذا ؟ ممكن، ومعه أعلى شهادة، ممكن.

الإنسان إذا ما عرف الله وحش، أناني، يريد أن يعيش وحده، أن يجمع أموالاً طائلة، والله هناك قصص يندى لها الجبين تظهر من مثقفين، فإذا أنت ما تربيت تربية إيمانية، عقيدتك سليمة، عباداتك صحيحة، معاملاتك منضبطة، تطبق آداب الإسلام، لا تقبل عند الله عز وجل.

من يحب ابنه يضيف إلى اختصاصه الجامعي مرجعاً دينياً:

الذي أريد في هذا الدرس الأخير من التربية العقلية: إياك أن تظن أن ابنك إذا علمته أخذ شهادة عليا، طبيب، مهندس، درس ببريطانيا، ما معك شهادة ؟ والله (إف آر إس)، لا يتكلم العربية، بورد، ما

انتهى شيء، قد يكون طبيباً ومعه بورد وليس مستقيماً طبعاً، تريد أن تصل لله عز وجل، وتؤدي واجبك تجاه هذا الدين العظيم ؟ هل تكتفي أن يحصل ابنك علماً كونياً يعد الآن ؟ أحد وسائل كسب الرزق الراقية، أضف إلى اختصاصه الجامعي أن يعرف الله، يكون له مرجع ديني، يكون له مسجد، يكون له درس علم، هذه دروس العلم، ماذا يوجد في الجامعة ؟ مُحاضر، وكلام يلقى، دروس المساجد دروس علم، وعلم عميق، ومتين، وله أصول، ومسجل الدرس وممكن أن تراجعه.

لذلك ما لم تلحق ابنك بمسجد تثق بخطيبه، بمدرسه، مسجد نظيف، عقيدة سليمة، علاقات واضحة، نظيفة، لا تطمع أن يكون ابنك يكون صاحب دين إذا ما له مرجع

أنت تصدق إنساناً ينام يستيقظ معه دكتوراه بالطب، يقول لك أنا 33 سنة درست و تعبت حتى أخذت الشهادة، يحتاج إيمان وجنة من دون درس علم، من أين يأتي العلم ؟ تجد خرافات الناس مذهلة، ما في علم، لا يعرف الحلال والحرام إطلاقاً.

كل إنسان عليه أن يعرف الله و أن تستقيم على أمره و لو حصل على أعلى شهادة:

على كلٍ نحن بحاجة ماسة إلى أن نعطي الابن العلم الديني الصحيح، إذا أنت عالم دين أيها الأب بارك الله بك أنت علّمه، لك ثقة بمسجد، تعرف الدعوة واضحة تماماً مؤصلة، مدللة بالأدلة الصحيحة، ما في شطح، ما في انحراف، ما في اهتزاز، تعرف مسجداً فيه خطيب ممتاز، فيه مدرس ممتاز ضعه فيه، يكون له أصدقاء مؤمنين، أما يهمك شهادته، يهمك معه ليسانس، معه دكتوراه، فقط، لا يتعلم.

بصراحة الذين معهم ثقافة عالية يستطيعون أن ينحرفوا مليون ضعف عن أناس لا يحملون هذه الشهادة، إذا أنت مثلاً زرت طبيباً لا يعرف الله أبداً، كتب لك اثني عشر تحليلاً، وأنت بحاجة إلى واحد، متفق مع مخبر، أول واحد تحلله، والباقي اكتب أجوبة خلبية، الربح بيننا أنا وأنت، هل تستطيع أن تكشفه أنت كمريض ؟ لا تستطيع، لا يستطيع إنسان أن يكشف طبيب قلب يضع دساماً صينياً ثمنه 35 ألفاً، وكتب بالفاتورة أمريكي ثمنه 65 ألفاً بعدما العملية انتهت، والدسام صار داخل القلب، وخيطه فيك هل تستطيع أن تكشف الحقيقة أنت ؟. أحياناً الذي معه شهادة عليا يستطيع أن ينحرف انحرافاً مذهلاً، ولا أحد يكشفه أبداً لا يكفي أن يكون معك دكتوراه، وأنت بحاجة أن تعرف الله، أن تستقيم على أمره، أن تكون وقافاً عند حدود الله.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (15-36) : التربية النفسية -1- ظاهرة الخجل

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 05-07-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

الخجل و الحياء:

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الخامس عشر من دروس تربية الأولاد في الإسلام.

واليوم ندخل في التربية النفسية، وهذه التربية النفسية واسعة جداً، ونكتفي في هذا اللقاء من التربية النفسية بظاهرة هي (الخجل)، الخجل نقيصة، والحياء فضيلة، وفرق كبير بين الخجل وبين الحياء، الحياء من الإيمان، أما الخجل من تربية قاسية، من تربية كلها شتائم، ضرب، وإهانة، هذه التربية القاسية التي يسلكها الآباء مع أبنائهم، من نتائجها الوبيلة أن هذا الطفل ضعيف الشخصية، يخجل أن يتكلم، وقد يصاب بحبسة في نطقه، التأتأة من خوفه، فالأب القاسي الذي يسارع في ضرب ابنه، وشتمه أمام إخوته أو أصدقائه هذا الطفل يتحطم، فلذلك لا يستطيع أن يقول كلمة، أحياناً يجبن عن أن يطالب بحقه، يجبن عن أن يدافع عن نفسه.

فالأب الذي لا يعرف أصول التربية، والأبوة كما تعلمون مسؤولية، قد يسبب لابنه متاعب كبيرة جداً حينما يكبر.

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ)

(سورة يس الآية 12)

استمرار أثر التربية القاسية في الطفل إلى سن متأخرة جداً:

أثر التربية القاسية في الطفل قد تستمر نتائجها إلى سن متأخرة جداً، فضعف شخصية الطفل، خوفه من العقاب، أحياناً يكذب، والكذب من نتائج القسوة، أحياناً يركن إلى أصدقائه وأصدقائه أكبر خطر عليه، لأن تأثير الصديق على صديقه يزيد عن تأثير الأب، والأم، والأخوة الكبار، والأخوات الكبار، والمعلم، والشيخ، تأثير صديق على صديقه يزيد عن تأثير كل هؤلاء مجتمعين.

فيا أيها الأخوة، ساعة غضب، ضرب مبرح، إهانة، شتيمة، دائماً يشتم الأب ابنه، أنت غبي، وقد يكون ذكياً جداً، لكن كلمة غبي حطمت معنوياته.

التقيت بعالم كبير في بلد إسلامي، يحمل أعلى شهادة، وله إنتاج كتابي ودعوي كبير جداً، أقسم لي بالله أن سرّ تفوقه، وهو في قرية من قرى حمص، سرّ تفوقه أن له قريباً غير متعلم، قال له مرة وهو صغير، قال له: أنت يا بني سوف تكون عالماً كبيراً، كلمة، كلمة ملأت نفسية هذا الصغير ثقة بنفسه.

حدثني طبيب، له ابن، فمن أجل أن يحثه على أن يكون طبيباً، قال له: الخطاط الفلاني من كبار خطاطي سوريا تقدمت به السن، وأخاف أن يتوفاه الله دون أن يكتب لك لوحة الطبيب فلان، وهو في الصف السابع ذهب إلى الخطاط، وكتب لوحة الطبيب فلان الفلاني، وضعها في غرفة ابنه، فهذا الطفل الصغير يستيقظ فإذا اسمه الدكتور فلان، والآن من كبار أطباء دمشق، مختص بالعمود الفقري.

كلمة تشجيع، كلمة ثقة ترفع معنويات ابنك، لا تنسوا أن الفضيلة وسط بين رذيلتين، في خجل، وفي وقاحة، فالجرأة، وقوة الشخصية بين الخجل كنقيصة، وبين الوقاحة كنقيصة.

سيدنا عمر يمشي في الطريق، رأى غلماناً يلعبون، له هيبة كبيرة، لما رأوه تفرقوا، إلا واحداً منهم، بقي واقفاً بأدب، لفت نظره، قال له: يا فلان لِمَ لم تهرب مع من هرب ؟ قال له: أيها الأمير ! لست ظالماً فأخشى ظلمك، ولست مذنباً فأخشى عقابك والطريق يسعني ويسعك، أرأيت إلى هذه الجرأة، وهذا الأدب.

الأبوة مسؤولية و قوة شخصية الابن بسبب حسن تربية الأب:

لذلك: قوة شخصية الابن بين الوقاحة والتطاول وعدم الأدب، وبين الخجل والتطامن المرضي، هذه بسبب حسن تربية الأب.

والله أيها الأخوة، لو تأملتم الأخطاء التي يرتكبها الآباء بحق أولادهم، وكيف سيحاسبون عليها في المستقبل، الأبوة مسؤولية، قبل أن تتزوج، وقبل أن تنجب اطلب العلم لأن الإنسان بنيان الله، وملعون من هدم بنيان الله، طفل بريء له كرامته، له مشاعره، نمي له مشاعره، نمي له كرامته، أعطه حماساً، أعطه حناناً، أعطيه محبة، أعطه عطفاً، أخطأ، ممكن يخطئ، سامحه، دعه يصدق، إن ضربته لن يصدق مرة ثانية، دعه يصدق.

والله أنا لست مبالغاً لكنني أؤمن أن معظم أخطاء الطلاب من المعلمين، وأن معظم أخطاء الصغار من آبائهم وأمهاتهم، بيوت فيها قسوة، فيها ضرب، فيها شتائم، خصومات بين الأب والأم، هذه الخصومات تنعكس على الصغار.

فلذلك: الإنسان بنيان الله، وملعون من هدم بنيان الله، هذا ابنك، هذا سيكون رجلاً، علمه الأدب، علمه الحياء، علمه أن يقف عند حده، ألا يتجاوز حده.

بنود التربية النفسية:

1 ـ أن يعالج الأب ابنه على انفراد:

أنا أول ملاحظة: أتمنى على كل أب، وعلى كل أم، أن يعالج الأب ابنه على انفراد، بينه وبينه، ومهما كان قاسياً إذا تمت هذه المعالجة بين الأب وابنه على انفراد كرامة الصغير محفوظة، والصغير لا يتألم من أبيه لو قسا عليه لأنه أبوه، لأنه يتألم أشد الألم حينما يصغره أمام أصدقائه.

كنت مرة في أمريكا، وحدثني طبيب هناك، له ابن، هذا الابن في المدرسة دعا زنجياً إلى البيت (صديقه في المدرسة)، الذي حصل كشأن أي أسرة مسلمة تحب أولادها فالأم هيأت طعاماً لصديقه، رأى هذا الصديق الزنجي، رأى ابن يحترم أمه وأباه احتراماً بالغاً، ورأى الأم تعتني بصديق ابنها، هيأت له طعاماً، في عناية بالغة، هذا الطفل الزنجي لما رأى هذه الأسرة المتماسكة كان سبب إسلامه، كانت مواقف هذه الأسرة من ابنها سبب إسلامه والله شيء جميل !.

عفواً، نحن في بلادنا من فضل الله هناك أسر تعتني بأولادها عناية بالغة، وتعتني بأصدقائهم، صديق الابن إذا كان من أسرة مربى تربية عالية محترم جداً.

فيا أيها الأخوة، أول بند في التربية النفسية ينبغي أن تعالج ابنك فيما بينك وبينه من أجل أن تحفظ له كرامته، ألا تخدش بين أصدقائه، أو أمام إخوته.

2 ـ أن يكون قدوة له:

النقطة الثانية: ما في طريقة للتأثير في الصغير كأن تكون قدوة له، يعني لو أن الأب قال لابنه: قل له: أنا لست في البيت، هذا الكذب العملي يلغي ألف محاضرة في الصدق، عود نفسك أن تكون صادقاً أمام ابن ينظر إليك هكذا، الأب يكذب ! الأب يدخن ! الأب يرفع صوته في البيت ! حتى رفع الصوت في البيت حتى يسمع من في الطريق هذا الصوت هذا مما يجرح العدالة، طبعاً أشياء كثيرة تجرح العدالة، منها:

من مشى في الطريق حافياً، منها تطفيف بتمرة، منها أكل لقمة من حرام، منها من تنزه في الطرقات، منها من كان حديثه عن النساء، منها من أكل في الطريق، منها من قاد جرذوناً، منها من أطلق لفرسه العنان، ومنها من علا صوته في البيت.

البيت المؤمن بيت هادئ، صوت عالٍ لا يوجد، هناك ود، محبة، تسامح، معالجة الأمور بالكلام، لا بخبط الأبواب، و بتكسير الأواني، و بالسُباب، بالشتائم، البيت الهادئ، الأولاد ينشؤون على الهدوء.
الملخص: إن كنت مع الله هداك الله إلى الطريق المستقيم.

الإسلام منظومة قيم أخلاقية و بطولة الأب أن يربي أولاده على هذه القيم:

التربية النفسية تربية على الفضائل، ينبغي أن تربي ابنك على الصدق، وأن تعلمه أنه إذا كان صادقاً لن تعاقبه، ينبغي أن تربيه أن يكون صديقك، يبوح لك بكل شيء، وأنت إذا أخطأ يا بني هذا خطأ، هذا الخطأ يسبب لك سمعة سيئة، هذا الخطأ قد ينعكس على مستقبلك انعكاساً سلبياً.
ملخص التربية النفسية: أن تنشئ ابنك على الفضائل، على الصدق، والأمانة والعفة، والاستقامة، واحترام الآخر، وإنجاز الوعد، والوفاء بالعهد، هكذا الإسلام.

((أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لتوحيده، ولنعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء))

[أخرجه الإمام أحمد عن أم سلمة أم المؤمنين]

الإسلام بنيان أخلاقي، الإسلام منظومة قيم أخلاقية، فبطولة الأب أن يربي أولاده على هذه القيم، أن ينتبه لحديثهم، هل هو صادق أم كاذب، أن ينتبه لأمانتهم، أن ينتبه لوعودهم.
طبعاً مرة ثانية: التربية النفسية تعني أن تربي ابنك على الفضائل الأخلاقية لأن الإيمان هو الخلق فمن زاد عليه في الخلق زاد عليك في الإيمان، ولأن النبي عليه أتمّ الصلاة والسلام قال:

((وإنما بعثت معلماً))

[أخرجه الحارث عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))

[أخرجه البزار في مسنده والإمام أحمد عن أبي هريرة]

فلذلك محور التربية النفسية التي بدأناها في هذا الدرس أن تربي ابنك على مكارم الأخلاق، من هذه النقاط النفسية الضعيفة في حياة الابن (الخجل).

الحياء من الإيمان وأعلى حياء أن تستحي من الله:

فهذا اللقاء مخصص لموضوع الخجل، وكما تعلمون الخجل ظاهرة مرضية ويقابله الحياء، والحياء من الإيمان، الحياء أن تستحي أن تقترف معصية، أن تستحي أن تتطاول على من هو فوقك، الحياء أن تستحي أن تأخذ ما ليس لك، الحياء أن تستحي من الله.

((اسْتَحْيُوا مَنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، قُلنا: إنَّا لَنسْتَحيي من اللَّه يا رسولَ اللَّه والحمدُ للَّه، قال: لَيس ذَلِكَ، ولكنَّ الاسْتِحياءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَياءِ: أنْ تَحْفَظ الرَّأسَ ومَا وَعى))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن مسعود]

في نظر، هل تغض البصر ؟ في أذن، هل تمتنع عن سماع مالا يرضي الله ؟ في يد.

((أنْ تَحْفَظ الرَّأسَ ومَا وَعى، والْبَطْنَ ومَا حَوى))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن مسعود]

هل تأكل طعاماً ثمنه مال حرام ؟ هل تقودك قدماك إلى معصية ؟ هل تبطش بيدك ؟ هذا حق الحياء، وأعلى حياء أن تستحي من الله، لأن الله حيي:

((يَستَحي من عبده إذا رَفَعَ إليه يديه أنْ يَرُدَّهُما صِفْرا خَائِبَتَيْن))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن سلمان الفارسي]

((عبدي كبرت سنك، وضعف بصرك، وانحنى ظهرك، وشاب شعرك، فاستحي مني فأنا أستحي منك))

[ورد في الأثر]

الحياء فضيلة عظيمة فعلى الآباء أن يربوا أبناءهم على ستر عوراتهم:

الحياء فضيلة فيجب أن تربي ابنك على الحياء، الحياء يتمثل في أن الطفل ينبغي ألا يخلع ثيابه أمام إخوته، أو أمه وأبيه، والله في أسر ما شاء الله ! موضوع خلع الثياب يتم على انفراد، في غرفتها، وهناك أسر غير منضبطة، طفل يقوم بثيابه الداخلية أمام أخواته البنات، والنبت تقوم بثياب شفافة أمام إخوتها الذكور، والأبواب مفتوحة، وما في انضباط، هناك ظواهر و انحرافات خطيرة جداً بين أفراد الأسرة سببها الأول هذا التفلت.

مرة وجه النبي أصحابه إلى أن يستأذن الرجل على أمه إذا دخل عليها، فصحابي جليل قال: إنها أمي ! قال له: أتحب أن تراها عريانة ؟.

من البديهيات ألا تدخل على ابنتك قبل أن تستأذن، لعلها نائمة، لعلها متكشفة في أثناء النوم، يدخل أخ على أخته من دون استئذان ممنوع، يدخل الأب على ابنته من دون استئذان ممنوع، حينما تحفظ

العورات في البيت يكون في حياء، أما إذا في تفلت، في إهمال، في ثياب متبذلة، يرتديها الشباب والشابات في البيت أمام أمهم وأبيهم، وأمام بعضهم بعضاً، هذا الوضع المتفلت قد يؤدي إلى انحراف لا تحمد عقباه.

إذاً أولاً: أن نربي الابن على ألا يظهر عورته أمام إخوته، ولا أمام أمه وأبيه.

المؤمن منضبط الكلام ليس بفاحش ولا متفحش:

أيها الأخوة، الآن الكلمات، هناك كلام يسمعه الصغير من الطريق، يجب أن ينبه هذه كلمة بذيئة، البيت المنضبط يعيش الابن مع أمه وأبيه سنوات طويلة، لا يستمع ولا إلى كلمة بذيئة واحدة، ولا إلى ذكر العورات، ولا إلى سُباب فاحش، فكلما سعيت إلى أن يكون سمع ابنك منزهاً عن كل كلمة بذيئة فهذا من فضل الله عليك.

الآن خلع الثياب أمام الكبار والصغار، من دون تحفظ، واستخدام كلمات ليست تليق بالإنسان، البيت المنضبط.

((لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه))

[أخرجه الإمام أحمد عن أنس بن مالك].

والمؤمن ليس بفاحش ولا متفحش، منضبط الكلام.

قوة شخصية الابن تنتج من حسن تربية أبيه:

أيها الأخوة، هناك حديث شريف قد يفهمه الناس خطأ، الحديث:

((إذا لم تَسْتَحِ فافعلْ مَا شِئْتَ))

[أخرجه البخاري وأبو داود عن أبي مسعود الأنصاري]

من أدق معاني هذا الحديث، يعني إذا لم تستح من الله فافعل ما تشاء، ولا تعبأ هذا يعطيك قوة شخصية، نحن تحدثنا قبل قليل عن أن قوة شخصية الابن ناتجة من حسن تربية أبيه، فبين أن يكون الأب قاسياً فينشأ على الخجل، وهو نقيصة، وبين أن يعلو صياح الابن فالأهل يفرحون، يتكلم بكلمة بذيئة يضحكون، يتطاول على ضيف يهللون، تعلّم على الوقاحة، يتطاول على ضيف، يضرب الضيف، وإن كان صغيراً، يتكلم كلمة بذيئة، والكل يضحكون، معنى ذلك أنت السبب أيها الأب في أن يتعلم الوقاحة والتطاول، فلابد من أن يكون التوجيه متوازناً بين أن يكون خجولاً، وبين أن يكون وقحاً، فالحياء فضيلة بين رذيلتين، بين رذيلة الوقاحة، ورذيلة الخجل.

((إذا لم تَسْتَحِ فافعلْ مَا شِئْتَ))

[أخرجه البخاري وأبو داود عن أبي مسعود الأنصاري]

ما دمت واثقاً أن هذا العمل وفق منهج الله، ويرضي الله، لا تعبا بكلام الناس وأحد أسباب ضعف الشخصية الخوف من كلام الناس، وأحد أسباب قوة الشخصية الأمر واضح، الهدف واضح، الوسيلة مشروعة، امض بما أردت ولا تعبأ بكلام الناس، ومن عرف نفسه ما ضرته مقالة الناس به.

من لم ينهَ عن المنكر و يأمر بالمعروف فقد خيريته:

موضوع الحياء من الله: مرة استنصحني موظف في التموين، التقى بي صدفة، قال لي: انصحني، أنا أردت أن استفزه، قلت له: اكتب الضبوط، وأودع الناس في السجن، قال لي: ما هذا الكلام ؟! قلت له: إذا كنت بطلاً هيئ لأي شيء تفعله جواباً لربك، لا لمن هو فوقك، هذا هو الحياء، أنا سوف أحاسب عن هذا العمل، هل موقفي أمام ربي سليم ؟ هل معي جواب يا رب أنا فعلت هذا ابتغاء مرضاتك.

أي أحد أسباب قوة الشخصية هذا الإنسان ينطلق من مبادئ، من قيم يؤمن بها، لكن أحياناً المجتمع يرفض بعض القيم، يرفض قيم النصيحة أضرب مثلاً على هذا:

تأتي ابنة أخيك إلى البيت لزيارة عمها، وهي ترتدي ثياباً فاضحة، ثيابها تصف كل خطوط جسمها، والعم يرحب بها أشد الترحيب، ويثني على دراستها، وذكائها وجمالها، أين النصيحة ؟ لأنه لو نصحها تنزعج، وإذا نصحها قد لا تعود ثانية لزيارته.

(كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ)

(سورة المائدة الآية: 79)

فأحياناً توجه نصيحة لابنة أخيك، وهي متألقة، متشوفة بشخصيتها، ترتدي ثياباً فاضحة، أهلها لا يهتمون بمظهرها، وتبقى ساكتاً أنت ؟! إذا لم تستح من الله في توجيه هذه النصيحة فافعلها.

والله مرة دخلت إلى إنسان، محسوب على المسلمين، عنده موظفة بوضع لا يرضي الله عز وجل نصحته، قال لي: والله جاءني مئات الأشخاص ما أحد نصحني هذه النصيحة، هي واجب، والأمر تلافاه، إن لم تنصح أين قيمتك ؟.

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)

(سورة آل عمران الآية: 110)

إن لم ننهَ عن المنكر، وإن لم نأمر بالمعروف، فقدنا خيريتنا، وأصبحنا أمة كأية أمة لا فضل لها على أحد.

المؤمن ليس بالخب ولا الخبُ يخدعه:

الآن الحياء والخجل، قال تعالى:

(وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ)

(سورة الشورى)

عنده قوة شخصية، إنسان تطاول عليك، إنسان يقود مركبة قيادة رعناء، أنا أخجل أن أحاسبه، حسبي الله، لا، يجب أن تقف موقفاً حازماً من تفلته من قواعد السير، وإلا لست مؤمن

اً (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ)

الناس آخذون فكرة أن المؤمن تأخذ حقه فيسكت، تتطاول عليه فيسكت، تسحقه فيسكت، مؤمن ! يعني درويش، يعني أجدب، لا.

يقول سيدنا عمر: لست بالخب ولا الخبُ يخدعني، لست من السذاجة أن أجبن ولست من الخبث أن أخدع، لا أخدع، ولا أُخدع، المؤمن كيس، فطن، حذر، فإذا في تطاول ينبغي أن توقفه عن حده،

(وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ)

من غلب على ظنه أن عفوه عن إنسان يصلحه فليعفُ عنه:

شاب يقود مركبته قيادة رعناء، وسبب حادثاً لطفل، لكن الحمد لله الطفل لم يمت، لكن في رضوض، وفي كسور، يصطفل، له رب يحاسبه، لا، كلما فعلنا معه هذا تطاول أكثر، لابدّ من أن تأخذ بحقك منه. لكن أحياناً يكون سائق المركبة رجل وقور يمشي بسرعة معتدلة جداً، فالطفل يقفز أمامه، صار مسؤولاً، مع أن الحق على الطفل، لكن مسؤول، فإذا عفوت عنه قربته إلى الله

(وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ)

(وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا)

(سورة الشورى الآية: 40)

فإذا غلب على ظنك أن عفوك عنه يصلحه فاعفُ عنه.

(فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ)

(سورة الشورى الآية: 40)

أي أصلحه بعفوه:

(فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ)

(سورة الشورى الآية: 40)

أحياناً يُتهم في المدرسة ظلماً يسكت، إن ربيته تربية قاسية يسكت، لا يرفع إصبعه، لم أفعل هذا أنا، فلما الطفل يدافع عن نفسه بأدب، بجرأة، تكون قد ربيته تربية بين الخنوع والخجل، وبين الوقاحة والتطاول.

من استشار ابنه أشعره بقيمته و مكانته:

بعض الأمثلة: هل تصدقون أن يجلس النبي عليه الصلاة والسلام بين أصحابه وعن يساره أشياخ كبار، كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعن يمينه طفل صغير، جاء شراب بحسب السنة ينبغي أن يبدؤوا برسول الله ثم من على يمين رسول الله، وطفل صغير قال له: يا غلام أتأذن لي أن يشرب الأشياخ ؟ قال له: لا والله، لا آذن لك، لا آذن لأحد بحقي أن أشرب بعده، اعتبره حقاً مكتسباً.

أرأيتم إلى هذا التوجيه ؟ كيف أنه استأذن طفلاً، بالاستئذان أعطيته شخصيته، أعطيته حقه، والنبي الكريم سمح له أن يشرب قبل الأشياخ، وما اعتبرها تطاولاً، اعتبرها شرفاً له أن يكون دوره في الشرب بعد رسول الله.

كيف علمنا ؟ أنت لما تستشير ابنك أيضاً شيء كبير جداً، يا بابا نريد أن نفعل كذا ما قولك ؟ يا لطيف! يشعر بقيمته، بمكانته، أبي يستشيرني، وقد تستمع إليه برأي حصيف وهو صغير.

يروى أن أبا حنيفة النعمان يمشي في الطريق رأى طفلاً أمامه حفرة، قال له: إياك يا غلام أن تسقط، قال له: بل إياك يا إمام أن تسقط، إني إن سقطتُ سقطت وحدي، وإنك إن سقطت سقط معك العالم، أنا سقوطي لا شيء، أما الإنسان القدوة إذا سقط سقط معه العالم.

أمثلة من التاريخ عن صغار في منتهى الأدب:

سيدنا عمر بن عبد العزيز، دخل عليه وفد المهنئين، تقدمهم صبي صغير انزعج، قال له: أيها الغلام اجلس، وليقم من هو أكبر منك سناً، غلام فصيح متكلم فقال: أصلح الله الأمير، المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا وهب الله عبداً لساناً ذاكراً، وقلباً حافظاً، فقد استحق الكلام، ولو أن الأمر كما تقول لكان في الأمة من أحقّ منك بهذا المجلس، أُعجب به.

موقف آخر، عبد الملك بن مروان دخل عليه وفد المهنئين، يتقدمهم صبي صغير، فانزعج أيضاً، قال لحاجبه: ما شاء أحد أن يدخل عليّ حتى دخل ؟ حتى الصبية ؟ فقام هذا الصبي الصغير وقال: أيها الأمير ! إن دخولي عليك لم ينقص من قدرك ولكنه شرفني، أصابتنا سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة دقت العظم، يبدو في جفاف فأصبحوا على شفا الموت جوعاً، ومعكم فضول أموال، فإن

كانت هذه الأموال لله فنحن عباده، تصدقوا بها علينا، وإن كانت لكم أيضاً تصدقوا بها علينا، وإن كانت لنا فعلامَ تحبسوها عنا ؟ فقال هذا الخليفة: والله ما ترك هذا الغلام لنا في واحدة عذراً.

مرة شاب يلقي درساً في مسجد، شاب ناشئ، تحلق الناس حوله وأحبوه كثيراً، هذا أثار حفيظة كبار العلماء، التقليل يُهين، فجاء أحدهم كي يُصغره، فجلس في مجلسه فلما انتهى الدرس قام هذا العالم المشهور، وقال: يا هذا، هذا الذي قلته ما سمعناه، فالشاب أديب جداً، قال له: سيدي وهل حصّلت كل العلم ؟ إذا قال نعم يكون أخطأ خطأ كبيراً، قال له: لا، قال له: كم حصلت منه ؟ قال له: شطره، قال له: هذا الذي قلته من الشطر الذي لا تعرفه.

أحياناً الإنسان أديب لكن يجيب إجابة رائعة، هذا من الشطر الذي لا تعرفه.

هناك شاب صغير يقوم بعمل (يقوم به الكبار عادة)، فرجل أراد أن يُصغره، فقال له: يا غلام، كم عمرك ؟ قال له: عمري كعمر سيدنا أسامة بن زيد الذي قاد الجيش، وفيهم أبو بكر، وعمر، وعثمان.

من ربى ابنه على الجرأة و الصدق و الأمانة فقد نمى شخصيته ورباه تربية حسنة:

لذلك أيها الأخوة الكرام، الأدب رائع جداً، سيدنا يوسف قال:

(وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ)

(سورة يوسف الآية: 100)

أيهما أخطر السجن أم الجب ؟ الجب أخطر، الجب احتمال الموت مئة بالمئة أما السجن الحياة مضمونة، لكن لو قال وقد أحسن بي إذ أخرجني من الجب ذكر إخوته بخطئهم الكبير.

لذلك ورد في بعض الآثار:

((لا تحمروا الوجوه))

لا تخجل إنساناً، تجاوز موضوع الجب، وشكر الله على أنه خرج من السجن.

في آخر الزمان والعياذ بالله كما ورد في الحديث الصحيح:

((وإذا كانت أمراؤُكم شِرارَكم، وأغنياؤُكم بُخَلاءَكم، وأمورُك إلى نسائكم فبطنُ الأرض خير لكم من ظهرها، إذا كانَت أمراؤُكم خيارَكم، وأغنياؤُكم سُمحاءَكم وأمورُكم شورَى بينكم، فظَهْرُ الأرضِ خَير لكم من بطنها))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

يعني بشكل أو بآخر أنت حينما تربي ابنك أن يكون جريئاً، أن يكون صادقاً، أن يكون أميناً، أن يكون واضحاً، أن يطالب بحقه، ألا يقبل الذل، ألا يرضى أن يكون مهاناً هذه التربية تنمي شخصيته، وتجعله بين الخجل المذموم وبين الوقاحة التي لا تحتمل.

العاقل من استنكر المواقف التي لا يرضي الله عز وجلّ:

الآن الذي يُرى إما من شدة الضرب والشتائم الطفل خجول، ضعيف الشخصية، يخجل أن يطالب بحقه، أو من شدة الإعجاب به على خطئه، وعلى بذاءة لسانه، وعلى تطاوله يصبح وقحاً لا يحتمل.

يروى أن شخصاً أراد أن يكسب رهاناً على حلم معاوية، فدفع غلاماً إلى أن يغمزه من مؤخرته حينما يصعد المنبر، فكان سيدنا معاوية ذكي جداً، حينما غمزه هذا الطفل علم أن هناك مراهنة فقال: اكسب الرهن يا غلام، يعني الذي راهن على حلمه نال هذا الرهن، هذا الطفل ألف أن يفعل هذا مع غير معاوية، فعلها مع آخر فقتله، فقالوا: حلم معاوية قتل الغلام.

لما طفل يتطاول تبقى ساكتاً له، يفعلها مع إنسان ظالم يسحقه، فلما تقف موقف الناصح، المستنكر لموقف لا يرضي الله عز وجلّ هذا موقف حكيم.

العاقل من ربى أولاده على الحياء لأن الله سبحانه وتعالى يحب الحياء:

لذلك تربية الأولاد فيما يتعلق بظاهرة الخجل تجعلهم أصحاب شخصية قوية بين الخجل كنقيصة، وبين الوقاحة كرذيلة، والحياء كما قال عليه الصلاة والسلام:

((الحياءَ من الإيمان))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ومالك عن عبد الله بن عمر]

((الإيمان بضع وسبعون شُعبة، وأفضلها قول: لا إله إلا الله، والحياءُ شُعْبَةٌ من الإيمان))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

فنربي أولادنا على الحياء، لأن الله سبحانه وتعالى يحب الحياء.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (16-36) : التربية النفسية -2- ظاهرة الخوف

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 12-07-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الأكارم ، مع الدرس السادس عشر من دروس تربية الأولاد في الإسلام ، ولازلنا في التربية النفسية .

ظاهرة الخوف عند الأطفال :

كان الموضوع في الدرس السابق ظاهرة الخجل ، وهو مرض يصيب عدداً كبيراً من الصغار بسبب قسوة والديهم ، وتعنيفهم .

واليوم ننتقل إلى ظاهرة الخوف ، والخوف أيضاً حينما تخوف الأم ابنها بمخلوقات لا معنى لها ، الغول ، تقول له : جاء الغول يأكلك ، بالبعبع ، كلمات ما لها معنى تُنشئ عند الطفل أوهاماً ، وخيالات، يصبح يخاف من الظلام ، يخاف من أن يبقى وحده ولو دقيقة ، يخاف من بيت فارغ ، مجموعة مخاوف تنشأ عند الطفل من جهل الآباء والأمهات حينما يريدون أن يحسموا مشكلة بالتخويف .

بعض المخاوف التي تنشأ في سن مبكرة تصاحب الإنسان حتى الموت :

إخوانا الكرام ، مع الشيء المؤلم جداً أن بعض المخاوف تصاحب الإنسان حتى الموت ،.

والحقيقة والأكثر خطورة وهي حقيقة متفق عليها أن كل الأمراض النفسية ، وأن كل المشكلات الاجتماعية ، وأن كل التصورات الغير صحيحة ، إنما تترسخ في الطفل من السنة الأولى حتى السابعة، وفي هذه السنوات في عالمنا الإسلامي الطفل مهمل ، في هذه السنوات قد يترك لمعلم غير ناضج ، قد يترك لخادمة في البيت ، من أجل أن ترتاح تخيفه بشيء وهمي ، فالأب لا يعلم الخطر الذي ينتظر ابنه في المستقبل ، حينما يوكل تربيته لخادمة ، أو حينما يوكل تربيته لإنسان جاهل ، أو حينما يتولى معلم الصف تربية أطفال كالبراعم صغار ، يعاملهم بقسوة بالغة ، ويخيفهم ، ويتوعدهم ، هناك أمراض نفسية لا تعد ولا تحصى تنشأ من هذه الحالة .

الله عز وجل خلق الإنسان ضعيفاً ليفتقر بضعفه فيسعد بافتقاره :

أخوتنا الكرام ، أريد أن أعالج موضوع الخوف بشكل أصلي للكبار حتى هذا الكبير ، الأب الناضج يعلم ابنه ما الخوف .

أولاً أيها الأخوة ، الله عز وجل يقول :

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً)

(سورة المعارج)

في أصل خلقه ، هلوع ، يعني الله عز وجل تفضّل علينا ، فخلقنا ضِعافاً نحاف من أجل أن نفتقر في ضعفنا ، فنسعد بافتقارنا ، الذي خلقنا ضعافاً .

(وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً)

(سورة النساء)

من أجل أن نفتقر بضعفنا فنسعد بافتقارنا .

من عرف الله عز وجل واتصل به تلافى الضعف البشري :

لو أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان قوياً لاستغنى بقوته فشقي باستغنائه ، في أصل الخلق هناك نقطة ضعف عند الإنسان ، ما الذي يؤكدها في القرآن الكريم ؟

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً)

(إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ)

(سورة المعارج)

معنى ذلك الإنسان حينما يعرف الله عز وجل ، ويتصل به يتلافى هذا الضعف البشري ،

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ)

الحقيقة : هذه نقطة الضعف الهلع ، وهي الخوف الشديد لمصلحة الإنسان تشبه تماماً آلة ضعيفة جداً ، إذا جاء التيار قوياً بدل أن يحرق الآلة تسيح هذه الوصلة فينقطع التيار ، فتسلم الآلة ، يسميها البعض الفيوز ، الفيوز نقطة وصل ضعيفة جداً ، أي تيار كهربائي عالٍ تسيح هذه الوصلة ، وينقطع التيار ، وتسلم الآلة .

لذلك الله عز وجل جعل الإنسان ضعيفاً ، لو لم يجعله كذلك ما تاب إنسان ، ما خاف إنسان ، ما ارتعدت فرائص إنسان ، ما استسلم لله إنسان ، ما ندم إنسان ، هو الإنسان أحياناً يقوى ، ويغتني فينسى الله .

(كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى)

(سورة العلق)

أكبر نعمة تفضل الله بها على المؤمنين أنه منحهم نعمة الأمن التي يتفردون بها :

أنا أعالج الخوف بادئ ذي بدء للكبار ، أنت كائن ، الإنسان يخاف على صحته ، يخاف على دخله ، يخاف على وظيفته ، يخاف على زوجته ، يخاف على أولاده ، يخاف على مستقبله ، يقول : الأخبار كانت فيها تهديدات ، فيها حصار ، فيها مقاطعة ، فيها عدوان ، فيها هجوم ، فيها توعد ، يخاف من حرب أهلية ، يخاف من نقص المواد ، يخاف من رفع الأسعار ،

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً)

هذا أصل تركيبه ، ولصالحه ، حقيقة ، نقطة ضعف في خلق الإنسان .

الإنسان ضعيف

(وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً)

هكذا خلق ، والضعف هو الخوف يخاف ، يخاف على رزقه ، على صحته ، على حياته ، على أهله ، على أولاده ، على تجارته ، على عمله ، على مستقبله ، وعلى بلده أيضاً يخاف ،

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً)

شديد الجزع ،

(وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً)

يبخل ،

(إِلَّا الْمُصَلِّينَ)

معنى أنت حينما تربي ابنك على أن يتصل بالله ، الله عز وجل يمنحك نعمة لا تمنح إلا للمؤمن ، هذه النعمة اسمها نعمة الأمن ، قال تعالى :

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

(سورة الأنعام)

(أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ)

لهم وحدهم ، لم يقل الله عز وجل أولئك الأمن لهم الأمن لهم ولغيرهم أما

(أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ)

لهم وحدهم .

إذاً أكبر نعمة يتفضل الله بها على المؤمنين أنه منحهم هذه النعمة التي ينفردون بها ، من بين كل الخلق، لذلك الله عز وجل قال :

(سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا)

(سورة آل عمران الآية : 151)

لو كنت أقوى الأقوياء ، ومتلبس بالشرك فأنت خائف ، ولو كنت أغنى الأغنياء ومتلبس بالشرك فأنت خائف ،

(سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا)

النعمتان الكبيرتان اللتان تفضل الله بهما على المؤمن الأمن والشبع :

لذلك المؤمن يتمتع بحالة أمن عجيبة ، أقسم لكم بالله أن هذه الحالة لو وزعت على أهل بلد لكفتهم ، قد يكون المؤمن ضعيفاً ، قد يكون فقيراً ، قد يكون دخله محدوداً ، لكن الله سبحانه وتعالى ألقى في قلبه نعمة الأمن .

لا تتصوروا المؤمن شخص عادي ، شخصية فذة لأنها عرفت ربها ، شخصية تتمتع بصفات ثلاثة ، تتمتع بالعلم ، عرف الحقيقة العظمى ، عرف خالق السماوات والأرض تتمتع بصفة الخُلق ، المؤمن أخلاقي ، تتمتع بصفة الجمال ، أذواقه عالية جداً ، أذواقه في بيته ، في علاقاته ، في نزهاته ، في حلّه، في ترحاله عالية جداً ، شخصية جمالية ، شخصية أخلاقية ، شخصية علمية .

لذلك هذه النعمة يتمتع بها المؤمن وحده ،

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

بل إن من أجلّ النعم على الإنسان نعمة الشبع ، ونعمة الأمن ، والدليل أن الله تفضل على قريش وقال لها :

(أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)

(سورة قريش)

إذا أراد الله أن يعاقب جماعة ، أو قوماً ، أو بلداً ، قال :

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)

(سورة النحل)

والنعمتان الكبيرتان الأمن والشبع .

من اصطلح مع الله و خطب وده تمتع بنعمة عظيمة ألا وهي نعمة الأمن :

إذاً أنت حينما تعرف هذه الحقيقة تعلمها لابنك يا بني لا تخاف ، أنت إذا كنت متصلاً بالله فالله سبحانه وتعالى يلقي في قلبك الطمأنينة ، يلقي في قلبك الراحة ، التفاؤل ، المؤمن سعيد ، سعيد حقيقة ، هذه أول حقيقة بالأمن ، الخوف يقابله الأمن ، فالذي يقع في بعد عن الله ، يقع في الشرك ، يقع في المعصية، يُحجب عن الله ، أول صفة يخاف ظلّه .

الآن في أمراض قلب سببها الخوف من أمراض القلب ، إنسان معه ورم خبيث قال له الطبيب : معك أربعة أشهر ، بحسب علمه أربعة أشهر ، صفي علاقاتك ، مات ثاني يوم ، ما تحمل أربعة أشهر ، الإنسان ضعيف ، ضعيف جداً .

لذلك أيها الأخوة ، أنت حينما تصطلح مع الله ، وحينما تتصل به ، وحينما تخطب ودّه ، وحينما تطيعه، يعطيك عطاء قد لا تنتبه إليه ، يعطيك نعمة الأمن ، لا تخاف ، أنت مع الإله ، أنت مع القوي ، أنت مع من بيده ملكوت كل شيء ، أنت مع الذي من هو أقوى منك ، ومن هو أضعف منك ، ومن هو أقرب إليك من حبل الوريد ، أنت مع القوي ، إذاً قوي أنت .

الأمن يتأتى من قناعات متراكمة لا من كلمة تقولها :

الآن المؤمن كيف يخاف ويقرأ قوله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ)

(سورة فصلت)

إله عظيم ، يطمئنك أنك لا تخاف مما سيأتي في المستقبل ، ولا تندم على ما فات

(أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا)

غطى لك الماضي والمستقبل ، أنت الآن هنا ، غطى لك المستقبل

(أَلَّا تَخَافُوا)

وغطى الماضي

(وَلَا تَحْزَنُوا)

شيء آخر : الله عز وجل طمأنك ، قال :

(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا)

(سورة التوبة الآية : 51)

فالأب المؤمن ، المستقيم يتمتع بهذه النعمة ، الآن يبلغ ابنه ، أنت يا بني حينما تتصل بالله عز وجل ، يلقي في قلبك الأمن ، الثقة ، لا تخاف ، كل مخلوقات الله بيد الله حتى إنسان نام بالبرية ، العقرب بيد الله ، والأفعى بيد الله ، في حالة أمن عجيبة عند المؤمن فالأمن قضية معقدة ، الأمن لا يتأتى من كلمة تقولها ، يتأتى من قناعات متراكمة ، تبثها في نفوس أولادك ، قناعات متراكمة .

على الآباء أن يبينوا لأبنائهم أن طاعة الله عز وجل مرتبطة بتأييده و حفظه لهم :

إخوانا الكرام ، الإنسان عنده هلع غير طبيعي ، يخاف من كل شيء ، يخاف من تهديد ، يخاف من وعيد ، يخاف من خبر سيء ، يخاف من شبح مصيبة ، يخاف من شبح ورم ، هذا الخوف المرضي بسبب البعد عن الله ، لما الإنسان يصلي الله عز وجل يلقي في قلبه الأمن .

فلذلك ، ابنك : يا بابا إذا عملت عملاً صالحاً الله يحفظك ، إذا أنقذت حيواناً من أن يُدهس الله يحفظك ، إذا أطعمت هرة الله يحفظك ، اربط له العمل الصالح بالحفظ الإلهي ، اربط له الطاعة بالحفظ الإلهي ، اربط له أداء العبادة بالحفظ الإلهي .

هل تصدقون أنه في حديث شريف أقسم لكم بالله لو تأملتموه تأملاً دقيقاً لألقي في القلب أمن لو وزع على أهل بلد لكفاهم ، النبي الكريم ، أردف وراءه سيدنا معاذ :

((قال له : يا معاذ ! ما حق الله على عباده ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، سأله ثانية وثالثة ، ثم أجابه عليه الصلاة والسلام ، قال : يا معاذ حق الله على عباده أن يعبدوه ، وألا يشركوا به شيئاً ، سأله يا معاذ : ما حق العباد على الله إذا هم عبدوه ؟))

[متفق عليه عن معاذ بن جبل]

يعني هذا الإله العظيم أنشأ لك حقاً عليه ، لك عليّ حق يا عبدي .

((قال : الله ورسوله أعلم ، أجابه ، قال له : يا معاذ ! حق الله على العباد إذا هم عبدوه ألا يعذبهم))

لك حق عنده ، في أمراض وبيلة ، في شلل ، في حادث سير ، في ورم خبيث ، في احتشاء ، في فشل كلوي ، في تشمع كبد ، في فقر ، في سجن .

((حق الله على العباد إذا هم عبدوه ألا يعذبهم))

المؤمن له على الله حقوق بأن يحفظه و يؤيده و ينصره إذا عبده :

اسمع الآيات :

(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ)

(سورة السجدة)

(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)

(سورة القلم)

(أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ)

(سورة القصص)

أدق آية :

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

(سورة الجاثية)

بربكم هذه الآيات ألا تلقي في النفس الأمن ؟ أنت من ؟ أنت مؤمن لك على الله حقوق ، أنت مؤمن الله يحفظك ، الله يدافع عنك ، الله يعينك ، الله ينصرك ، الله يؤيدك ، هذه المعاني إذا عرفها الأب والأم بسهرة ، أثناء الطعام ، بنزهة ، يا بني أنت إذا أطعت الله حماك من كل سوء ، أنت إذا أطعت الله متعك بالصحة ، أنت إذا أطعت الله ألقى محبتك في قلوب الخلق ، أنت إذا أطعت الله ، اربط له الطاعة بالأمن، اربط له الطاعة بالثقة بالله عز وجل ، اربط له الطاعة بالحفظ ، اربط له الطاعة بالتأييد ، بالنصر ، يقابل النصر الخوف ، والفزع والتشاؤم ، والسوداوية ، والإحباط ، والارتباك ، والسأم ، والضجر ، هذه كلها مشاعر مؤلمة جداً .

من عمل صالحاً ألقى الله في قلبه أمناً لا يزعزعه أحد :

لذلك أيها الأخوة ، الشيء المؤلم جداً :

(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)

(سورة يوسف)

الحقيقة عندنا آية دقيقة جداً ، أنا أجعلها منهجاً لكل شاب ، قال تعالى :

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)

(سورة النحل الآية : 97)

إله ، هذه الحياة الطيبة فوق الظروف ، فوق المعطيات ، فوق الظروف الدولية الصعبة ، فوق التهديدات ، فوق الفقر ، فوق نقص المواد ، فوق انعدام فرص العمل ، فوق غلاء البيوت ، إله يقول :

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)

والله أيها الأخوة ، والله الذي لا إله إلا هو يكفي أن تقرأ القرآن كل يوم حتى يلقي الله في قلبك أمناً لا يزعزعه تهديدات أهل الأرض ، مؤمن أنت ، بالتعبير الدارج غالٍ على الله .

من استقام على أمر الله عز وجل أتته الخيرات من كل جانب :

أيها الأخوة ، الآية هذه :

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)

كان لي أستاذ (قديماً توفي رحمه الله) من عادته إن رأى شاباً مستقيماً يؤدي الصلوات ، يغض بصره ، يضبط لسانه ، يبر والديه ، يقول له : لا تخاف ، الله مهيئ لك زواجاً ناجحاً إن شاء الله ، وسكناً مريحاً، ودخلاً جيداً ، غالٍ على الله أنت .

والله مرة شخص ضيفته قطعة كاتو ، عمره تسعون سنة ، قطع أول لقمة ، وقبل أن يأكلها قال : سبحان من قسم لنا هذا ، ولا ينسى من فضله أحد .

والله يا أخوان أتمنى كل شاب يتفاعل مع هذا الدعاء ، ولا ينسى من فضله أحد لا ينساك ، أنت عليك أن تطيعه فقط ، دقق في هذه الآية :

(بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)

(سورة الزمر)

سوف تأتيك الخيرات من كل جانب ، والدليل :

((استقيموا ولن تُحْصُوا))

[أخرجه الحاكم عن ثوبان]

(بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)

أنت مهمتك أن تعبده ، وانتهت مهمتك ، الله يهيئ لك مكاناً معيناً ، دخلاً معيناً ، زوجة معينة ، بيتاً معيناً ، هذه المعاني أنا الحقيقة أنا حينما أردت أن أعالج موضوع الخوف عند الصغار أردت أن أنتزع الخوف من الكبار ، وجدت لابدّ من أن أنتزع الخوف من الأهل ، الأب مقطوع قلبه ، الأب خائف ، والأم كذلك هذا الخوف بسبب الشرك الخفي ،

(سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا)

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)

الأمن حالة بالنفس و المؤمن متفائل دائماً :

إخوانا الكرام ، المؤمن متفائل ، تقول لي الظروف صعبة ، تهديدات ، ارتفاع أسعار ، نقص مواد ، شح بالمياه ، حصار ، تهديد ، حروب ، حروب أهلية ، إذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا كان عليك فمن معك .

أنا أضرب مثلين ، وكل مثل وحده كافٍ ، هناك مصائب كثيرة ، المصائب لا تعد ولا تحصى ، هي سبب الخوف ، واسمعوا هذه القاعدة : توقع المصيبة مصيبة أكبر منها توقع المصيبة هو في حدّ ذاته مصيبة أكبر منها .

شخص انطلق بمركبته من دمشق إلى حمص ، العجلة الاحتياط فاسدة ، يقضي ساعتين بقلق شديد ، لو صار معه فساد بالعجلة ، إذاً هو وصل إلى حمص سالماً ، لكن فقد الأمن ، لو كان ابنه أصلح العجلة وما أبلغه ، لا يوجد عنده أسباب القلق لكنه عاش القلق ، الفكرة دقيقة ؟ راكب مركبته متوهم أن العجلة الاحتياط غير صالحة ، لكن انطلق الساعة الخامسة صباحاً ، المحلات كلها مغلقة ، يقضي ساعتين بقلق شديد ، لو أن إحدى العجلات أصابها خلل .

حالة ثانية : لو شخص انطلق إلى حمص ، وعنده وهم أن العجلة الاحتياط جيدة هي بالحقيقة لم تكن جيدة ، تمتع بنعمة الأمن من دون أسباب موجبة ، الأمن حالة بالنفس .

قد تكون فقيراً وعندك أمن ، شخص عنده ملايين مملينة وخائف .

لذلك احفظوا هذه الآية :

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

من كان مع الله كان الله معه :

هناك لقطة بسيطة : أحد الصحابة الكرام قيل له : احترق محلك ، قام وقال : ما كان الله ليفعل ، يبدو أنه واثق من الله ، يؤدي زكاة ماله ، والنبي قال :

((ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة))

[أخرجه الطبراني عن أبي هريرة]

احترق محلك ، قام وقال : ما كان الله ليفعل ، فلما ذهب إلى المحل وجد أن محل جاره قد احترق ، أنت كمؤمن عندك يقين أن هناك مصائب كبيرة جداً ، أنت معافى منها .

في لقطة من السيرة : أن النبي عليه الصلاة والسلام أعطي دواء ذات الجنب قبل أن يتوفاه الله ، فغضب ، قال : ذلك مرض ما كان الله ليصيبني به .

الملخص : أنك إذا كنت مع الله ألقى الله في قلبك الأمن ، فإذا الأب واثق من عطاء الله ، واثق من حفظ الله ، واثق أن الطاعة لها ثمار يانعة نفسية ، واثق بأن الاستقامة تنعكس شعوراً بالأمن ، الآن الأب تمتع بالأمن ، ممكن أن يقنع ابنه الصغير أنه لا تقلق يا بني كن مع الله ولا تبالي ، إذا كان الله معك فمن عليك ، تغرز في نفس ابنك الأمن ، لا تقلق ، الله عز وجل موجود .

من تولاه الله عز وجل حفظه من كل مكروه :

المثل الصارخ : أكبر مصيبة لا ترقى إلى مستوى أن تجد نفسك فجأة في بطن حوت ، الحوت وجبته المعتدلة بين الوجبتين هذه عصرونية ، أربعة طن ، فلإنسان وزنه 80 لقمة واحدة ، الحوت وزنه 150 طناً ، في خمسين طن عظم ، وخمسين طن لحم ، وخمسين طن دهن ، ويستخرج منه 90 برميل زيت ، وجبته المعتدلة أربعة طن ، يرضع وليده ثلاثمئة كيلو كل رضعة ، ثلاث رضعات طن حليب يومياً ، نبي كريم وجد نفسه في بطن حوت ، هل هناك من مصيبة أشد من هذه المصيبة ؟ الأمل صفر، هو في ظلمة بطن الحوت ، وفي ظلمة الليل ، وفي ظلمة البحر ، في ظلمات ثلاث :

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)

(سورة الأنبياء)

في كل زمان ، في كل مكان ، في كل عصر ، في كل مصر ، في كل ظرف ، في كل بيئة ، في بلاد الشرق ، وفي بلاد الغرب ، وتحت البحر ، وفوق البحر .

إنسان راكب طائرة تطير فوق جبال الألب ، وانفجرت ، انظر إلى الحكمة انشطرت عند مقعده ، هو ارتكب مخالفة لم يضع حزام الأمان ، فوق من الطائرة ، وقع من أربعين ألف قدم ، نزل فوق غابة من غابات جبال الألب ، فوق الشجر في خمسة أمتار ثلج والأغصان ماصة الصدمة ، نزل واقفاً .

وإذا العناية لاحظتك جفونها   نم فالمخاوف كلهن آمان

* * *

والله أيها الأخوة ، هناك حالات إنقاذ إلهي العقل لا يصدقها ، إذا الله حفظك يحفظك من كل مكروه .

من عرف الله وأدى ما عليه ألقى الله في قلبه الأمن :

درسنا اليوم مرض الخوف الذي يصيب الصغار لسوء تربية الكبار لهم ، هذا موضوع البعبع ، وموضوع الغول ، وجاء الحرامي يأكلك ، هذه كلها موضوعات ما لها معنى إطلاقاً ، هذه تسبب الخوف ، أنا قلت قبل أن أعالج الخوف عند الصغار ، سأعالجه عند الكبار ، الأب يخاف لأنه ما عرف الله ، أما إذا عرف الله وأدى ما عليه ألقى في قلبه الأمن .

هناك مصائب معقولة ، لكن في مصائب ماحقة ، مصائب مدمرة ، لأنه يمشي وفق منهج الله هو بعيد عن هذه المصائب .

أيها الأخوة ، هذه آية واحدة ، الآن المعيشة الضنك معيشة الخوف والقلق ، أنت من خوف الفقر في فقر ، وأنت من خوف المرض في مرض ، وتوقع المصيبة مصيبة أكبر منها .

بالمناسبة : ما الفرق بين الأمن والسلامة ؟ السلامة عدم حصول الخطر ، أما الأمن عدم توقع الخطر، المؤمن يتمتع بالسلامة ، وفوق السلامة الأمن .

فأنت هذه المعاني الدقيقة التي تعرفها عن الله ، إذا بسّطها لأولادك ، الطفل يثق بالله عز وجل ، بابا ادفع صدقة ، والله أيها الأخوة ، أشهد الله ، ما في أخ من إخواني استرضى الله بصدقة وخيب الله ظنه ، الله يسترضى .

((صدقة السر تطفئ غضب الرب))

[أخرجه الطبراني عن معاوية بن حيدة]

((باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها))

[أخرجه الطبراني عن علي بن أبي طالب]

عود ابنك يدفع صدقة ، من دخله المحدود ، هذه الصدقة يأخذها الله بيمينه ويحفظه بها .

مشاعر الكبار الإيمانية التي تعطيهم حالة الأمن عليهم أن يبثوها في الصغار :

أنا أتمنى الطفل اربطه بالله عز وجل ، دعه يخاف منه ، دعه يتقرب منه ، دعه يطمع بعفوه ، يطمع بحفظه ، تشعر أن الله معك ، هو وليك ، يدافع عنك ، يوفقك ، يدعمك يؤيدك ، ينصرك ، يحفظك ، يرزقك .

أب قال لابنه : خذ هذه المئة ليرة وادفعها لفلان كصدقة ، قال له : الله عز وجل يجازي على الصدقة بعشرة أمثالها ، طفل صغير ، أخذ المئة ليرة ودفعها للفقير ، قال له : أين الألف بابا ؟ قال له : أي ألف؟ قال له : دفعنا مئة ، قلت عشرة أضعاف ، نريد ألفاً ، قال له : هذه المئة لي وليست لك ، طفل

صغير قال له أبوه : الصدقة بعشرة أمثالها ، يقسم بالله الأب ماشي مع ابنه ، التقى بصديقه ، فالتفت إلى الصغير فأحبه ، قبّله أعطاه ألف ليرة .

إله عظيم ، أراد أن يشجع هذا الصغير ، أبوه قال له : الصدقة بعشرة أمثالها القصة مؤثرة جداً ، الله عز وجل ، لما الطفل سأل والده أين الألف بحسب ما قلت لي ؟ الله ما خيب ظنه .

فأنت يجب أن تربط ابنك بالله عز وجل ، أن الله يحفظ ، الله يوفق ، الله يعطي ، ما عاد يخاف من تهديد ، ما عاد يخاف من وعيد ، ما عاد يخاف بالطريق من شخص عمل له كميناً ، هدده ، رفيق كبير بالسن ، قوي ، يبدو أنه استفزه بالمدرسة قال له : الآن بفرجيك يشعر الطفل بالأمن .

أنا أتمنى مشاعر الكبار الإيمانية ، التي تعطيك حالة الأمن تبثها في الصغار ، دع ابنك لا يخاف من الظلام ، لا يخاف من الليل ، لا يخاف أن يكون وحده بالبيت ، لا يخاف من كلام ما له معنى إطلاقاً ، ساعة بعبع ، وساعة غول .

فالأمهات الجاهلات يرتكبن حماقات لا تنتهي ، ينشأ عند الابن عقدة خوف ترافقه طول حياته .

الإعراض عن ذكر الله أحد أكبر أسباب الخوف :

أيها الأخوة ، الآن إذا الله عز وجل قال :

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً)

(سورة طه الآية : 124)

الآن عندنا أحد أكبر أسباب الخوف الإعراض عن ذكر الله .

والله أيها الأخوة ، الذي أعلمه أن قلق الناس على صحتهم يفوق حدّ الخيال ، في خوف ، يقول لك كل سبع نساء الثامنة معها سرطان ثدي ، هذه الفكرة ينخلع لها قلب المرأة دائماً في قلق ، أما إذا امرأة محجبة ، مستقيمة ، صائمة ، مصلية ، ومطيعة لزوجها ، وترعى أولادها لها ثقة بالله عز وجل ، أن الله يحفظها من هذا المرض ، والله عز وجل حيي كريم .

((يَسْتَحي من عبده إذا رَفَعَ إليه يديه أَنْ يَرُدَّهُما صِفْرا خَائِبَتَيْنِ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن سلمان الفارسي]

جوهر الدين الاتصال بالله عز وجل :

لذلك يجب أن نناجي الله عز وجل ، ونطلب منه ، ونعتذر أحياناً ، نستغفر ، نتوب ، نعاهده ، افتح خطاً ساخناً مع الله ، تجد مؤمناً يشبه هاتف ما في ونة ، جيد وغالٍ لكن ما في خط ، وفي مؤمن آخر الهاتف متواضع جداً ، لكن في خط ، يرفع السماعة في ونة ، يجب أن يكون لك خط ساخن مع الله ،

تحدث خط ساخن مع الله ، بالدعاء ، بالاستغفار ، بالمناجاة ، بتلاوة القرآن ، أتحب أن يحدثك الله عز وجل ؟ اقرأ القرآن ، أتحب أن تحدث الله ادعُه ، ناجِه ، تحدثه بالدعاء ، ويحدثك بتلاوة القرآن ، جوهر الدين هذا الاتصال بالله عز وجل ، ما دمت متصلاً به ألقى في قلبك الأمن .

فلذلك مرة أخيرة : الله عز وجل يلقي في قلب المؤمن من الأمن ما لو وزع على أهل بلد لكفاهم.

وآخر شيء ، وأدق شيء :

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (17-36) : التربية النفسية -3- الحكمة في تربية الأبناء

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 26-07-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس السابع عشر من دروس تربية الأولاد في الإسلام ولازلنا في التربية النفسية.

من اتصل بالله عز وجل قُذف في قلبه نور يرى به الحق حقاً والباطل باطلاً:

بادئ ذي بدء: هذه الحكمة التي وعد الله بها المؤمن وحده، في قوله تعالى:

(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً)

(سورة البقرة الآية: 269)

لأن الإنسان إذا اتصل بالله عز وجل امتنّ الله عليه الحكمة، الحكمة تؤتى ولا تؤخذ، قد تكون أذكى الأذكياء ترتكب حماقة ما بعدها حماقة، لأن الحكمة حُجبت عنك، فالمؤمن باتصاله بالله عز وجل يقذف الله في قلبه النور، يرى به الحق حقاً، والباطل باطلاً، يرى به الخير خيراً، والشر شراً أضرب مثلاً بسيطاً:

قصة سمعتها، إنسان تزوج امرأة، بعد خمسة أشهر كانت على وشك الولادة إذاً هذا الجنين ليس منه قطعاً، بإمكانه أن يطلقها، والناس جميعاً معه، والشرع معه، وأهلها معه، لكن الله سبحانه وتعالى ألهمه الحكمة، تمنى على الله أن يحملها على توبة نصوح فأخذ هذا الجنين ووضعه تحت عباءته، وانتظر أمام جامع الورد في سوق ساروجة، إلى أن نوى الإمام الفريضة، ودخل وضعه في طرف المسجد، والتحق بالمصلين، بعد انتهاء الصلاة بكى هذا الوليد، فتحلق المصلون حوله، تأخر عنهم كثيراً، إلى أن اجتمع كل من في المسجد حول هذا الوليد الذي ألقي في طرف المسجد، تقدم منهم وسأل ما الخبر ؟ قال: تعال انظر، وليد ! قال: أنا أكفله، أعطوني إياه، فأخذه وردّه إلى أمه وتابت على يده توبة نصوحة. القصة أولها: هناك إمام مسجد له جار بقال، رأى النبي عليه الصلاة والسلام في رؤيا صالحة، قال له (لهذا الإمام خطيب المسجد): قل لجارك فلان إنه رفيقي في الجنة، كسب رضاء الله، وأنقذ امرأة من الزلل، وربت ابنها عنده.

أسعد الناس من كان حكيماً:

أخوانا الكرام، صدقوا ولا أبالغ، أنت حينما تتصل بالله عز وجل، وتتقن صلواتك مع الله يقذف الله في قلبك نوراً، ترى به الحق حقاً، والباطل باطلاً، الخير خيراً، والشر شراً، والجميل جميلاً، والقبيح قبيحاً.
لذلك أنت بالحكمة تسعد بزوجة من الدرجة الخامسة، ومن دون حكمة تشقى بزوجة من الدرجة الأولى، أنت بالحكمة تجعل أبناءك أبراراً، ومن دون حكمة تجعل أولادك عاقين، أنت بالحكمة تعيش بدخل محدود، ومن دون حكمة تبدد الدخل الغير المحدود.
صدقوا ولا أبالغ إذا سمح الله أن تكون حكيماً أنت أسعد الناس في بيتك، أنت أسعد الناس مع زوجتك، أنت أسعد الناس مع أولادك، أنت أسعد الناس في عملك، أنت أسعد الناس في صحتك، أسعد الناس في علاقاتك، أسعد الناس في حلك وفي ترحالك

(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً)

هذه الحكمة تتأتى من الاتصال بالله عز وجل.

أكبر قرار حكيم في تربية أولادك يبدأ من اختيار أمه:

لذلك نحن في تربية الأولاد النفسية، الأب في أمس الحاجة إلى الحكمة، لذلك أكبر قرار حكيم في تربية أولادك، والله ما عرفه العالم أبداً، يبدأ قبل ولادة الطفل، يبدأ من اختيار أمه، النبي عليه الصلاة والسلام يقول لك:

((خذ ذات الدين والخلق تربت يمينك))

[أخرجه أبو يعلى وابن حبان عن أبي سعيد الخدري]

هذه أم أولادك، هذه سوف تربيهم، تربيهم على الصدق، على الأمانة، على العفة.
درسنا سابقاً أن طفلاً صغيراً سرق بيضة وجاء بها إلى أمه، فقبلته، وباركت عمله، ثم بدأ يزداد في انحرافه إلى أن استحق الإعدام، وهو قبل أن يُشنق طلب أن يرى أمه جاؤوا له بأمه، قال: يا أمي مدي لسانك كي أقبله، فلما مدت لسانها قطعه، وقال: لو لم يكن هذا اللسان مشجعاً لي في الجرائم ما فقدت حياتي.
أم أولادك هل أحسنت اختيارها ؟ الآن هناك ظاهرة عجيبة، الشاب يريد جمالاً فقط ويريد صفات قلّما تتوافر في خمسة بالمئة من الفتيات، يريد الزواج للمتعة، وينسى أن هذه التي سيتزوجها هي أم أولاده، هي التي تربيهم، تعلمهم على الصدق والأمانة، والعفة والاستقامة.

لذلك أنا أقول أخاطب الأمهات: أعلى شهادة تحملينها أولادك، أعلى من الدكتوراه، شهادة الأم أولادها، إن ربتهم على الفضيلة والاستقامة دفعت بهؤلاء الأولاد إلى المجتمع.

بنود التربية النفسية:

1 ـ حسن اختيار الأم:

لذلك من أجل أن تحسن تربية أولادك يجب أن تتعامل معك امرأتك، والله أيها الأخوة، كم من أب يبني وزوجته تهدم، يا بني قم فصل، تعبان اتركه، كلما وجّه ابنه توجيهاً تأتي الزوجة لتبطل هذا التوجيه، لأنه ما أحسن اختيارها، أما الأم المؤمنة، الطاهرة لذلك أنا أخاطب الشباب:

((خذ ذات الدين والخلق تربت يمينك))

[أخرجه أبو يعلى وابن حبان عن أبي سعيد الخدري]

هي أم أولادك، تعيش معهم، تربيهم، من أجل أن تفلح في تربيتهم لابدّ من أن تتعاون معك امرأتك، وتعاونها معك بسبب دينها، وحرصها على طاعة ربها، وحرصها على تربية أولادها.

لذلك يكاد يكون أول بند من التربية النفسية أن تحسن اختيار الأم.

2 ـ عدم محاسبة الطفل قبل تكليفه:

شيء آخر: يا أخوان عندنا قاعدة، لا محاسبة قبل التكليف، آباء كثيرون يرون من أولادهم تصرفاً يغضبهم فيضربونهم، اسأل نفسك، حاسب نفسك، هل بلغت ابنك مرة أن هذا العمل لا يعجبك ؟ ما بلغته، هو بريء، الطفل لا يعلم، لا تضطر تضربه، ولا توبخه، ولا تشتمه، ولا تحقره أمام أخوته، أنت يا بني أنت لك عندي خمس فرص في هذا العام استنفذت فرصة فقط، وأنت هادئ، ومرتاح، هو ينتبه، اخطأ مرة ثانية، انظر يا بني أصبحوا اثنتان، بقي ثلاث، لأنهم قالوا: من أطاع عصاك فقد عصاك، يده والضرب، يده والسُباب والشتائم، صار البيت مكان موحش.

3 ـ الابتعاد عن العنف في المنزل:

اسمعوا هذا الكلام أعيده كثيراً: لابدّ أن يكون عيد في بيتك، لكن بينما يكون العيد حينما تخرج، وبينما يكون العيد حينما تدخل، بشكل أو بآخر، الأب العنيف يضرب، ويشتم، ويسب، وابنه الأكبر عنيف مع

الابن الأصغر، والبنت الكبرى عنيفة مع الصغرى والأصغر عنيف مع الأصغر، وأصغر ولد عنيف مع القطة، بيت كله عنف، كله صياح، كله سُباب، كله تكسير، هذا بيت فيه شيطان.

(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا)

(سورة طه الآية: 132)

يا أخوان في بيوت هادئة جداً، فيها روح التعاون، فيها محبة، والله كلما رأيت إنساناً ببيته متماسك، في ود بالغ، والله أكبر تصرفه، أكبر حكمته، أكبر عقله، أكبر ذكاؤه يجب أن يكون البيت جنة.

إذاً بدل الضرب والشتم، سجل، طرق التربية متعبة، تحتاج إلى نفس طويل أما الضرب أريح، معظم الآباء يرى أنه أخطأ يضربه ضرباً مبرحاً حتى يرتاح، لكن ما أدبه بهذه الطريقة، لم يؤدبه إطلاقاً، بالعكس فصله عنه، انعتق الابن عن أبيه، هذه نقطة ثالثة.

4 ـ عدم محاسبة الأبناء أمام أصدقائهم أو أقربائهم أو أخواتهم:

النقطة الرابعة: أتمنى عليكم جميعاً ألا تحاسبوا أبناءكم أمام أصدقائهم، ولا أمام أقربائهم، ولا أمام أخواتهم، بينك وبينه، بينك وبينه يحتمل ابنك أقسى ملاحظة، لأنه يوقن أن هذه الملاحظة خارجة من محبة، أنت ما فضحته، لكن نصحته، عنفته عن محبة، أما أمام أخواته البنات، أمام أصدقائه، أمام أخوته الذكور أنا لا أنصح بهذا أبداً، وهذا تشهير وفضيحة وليست نصيحة.

على الإنسان أن يُعلم ابنه لا أن يعنفه لأن المعلم خير من المعنف:

تعلموا أيها الأخوة، من رسول الله، تصور سيد الخلق وحبيب الحق، وسيد ولد آدم، جاءه شاب بكل بساطة، ولعلها بكل وقاحة، قال له: ائذن لي بالزنا، ما ضربه، ولا شتمه، ولا قال له أنت كافر، يا كافر، يا خبيث، لا، الصحابة ضجروا، هاجوا وماجوا، منتهى الوقاحة، قال له: تعال يا عبد الله، انظر المناقشة ! أتحبه لأمك ؟ شاب تصور والدته تزني، فغلى الدم في عروقه، قال له: لا، قال له: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، أتحبه لأختك ؟ قال له: لا، قال له: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، أتحبه لابنتك ؟ قال: لا، يقول هذا الشاب: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شيء أحب إلي من الزنا وخرجت من عنده وما شيء أبغض إلي من الزنا.

يا أخي ناقشه، بيّن له الأخطار، بيّن له مصلحته تتهدم، بيّن له مستقبله، بيّن له مكانته، سمعته، بيّن هذا فيه إغضاب لله عز وجل، ناقشه، لا تعنف، علم ولا تعنف يقول عليه الصلاة والسلام:

((علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف))

[أخرجه الحارث عن أبي هريرة]

على الكبير استيعاب الصغير و الصبر عليه:

الكبير ينبغي أن يستوعب الصغير، مرة كنا في مؤتمر على المائدة معنا قارئ كبير توفي رحمه الله، و طالب من البوسنة، هذا القارئ له مكانة كبيرة عنده، أراد أن يتقرب إليه، يمكن ضعيف باللغة العربية، فهناك بيت قاله الشافعي:

أحب الصالحين ولستُ منهم لعلي أن أنال بهم شفاعة

وأكره من بضاعته المعاصي ولو كنا سواء في البضاعة

* * *

من باب التواضع، هذا الطالب البوسني قال له: أحب الصالحين ولستَ منهم يا لطيف هذا القارئ غضب غضباً شديداً، وعنفه تعنيفاً شديداً، مسكين هذا الشاب يكاد يموت خجلاً، هو بحسب تصوره أنه تقرب إليه بهذا البيت، لكن هي فرق حركة واحدة، أحب الصالحين، هي ولستُ منهم، قال له: ولستَ منهم.

لغتنا دقيقة جداً، نحن لغتنا العربية يا أخوان بحركة واحد ينتقل الإنسان من الجنة إلى النار. ولستُ أبالي حين أقتل مسلماً، إلى جهنم، على أي جنب كان في الله مصرعي، أما هو البيت:

ولستُ أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

* * *

الابن يرتكب حماقة عن غير قصد، يجب أن تستوعبه.

العاقل من ربى ابنه تربية قائمة على الثقة:

أنا بصراحة لو أن أباً سألني، أو أم سألتني بالهاتف أنه أخذ مالاً من دون إذننا، يسرق، لا، لا تقول سرقة، لا تقولي يسرق، السرقة موضوع ثانٍ، هذا بيت أبيه وأمه ولا يعرف حدوده، حتى أنا لي رأي ما الذي يمنع أن تربي ابنك تربية قائمة على الثقة ؟ تضع مبلغاً من المال بالدرج ليأخذ كل حاجته، أنت حينما تمنح ثقتك لابنك ينضبط، بابا هناك مبلغ خمسمئة ليرة، ويوجد ورقة وقال، خذ واكتب فقط، والله طبقوها أناس نجحت معهم نجاحاً كبيراً، الطفل يستحي من والده، يأخذ حاجته، المال بين يديه، ما في شيء ممنوع عنه، يأخذ ويسجل، يكتب ماذا اشترى فيه ؟ عود ابنك تتفاهم معه تفاهماً، ابتعد عن القمع، وعن الضرب، وعن السب، وعن الشتم، هذه أساليب بادت ولم تفد إطلاقاً.

اللهم صلِ عليه روى لنا حديثاً: هذا الذي ركب ناقته، وعليها طعامه وشرابه، أراد أن يقطع بها الصحراء، هذا الأعرابي أصابه التعب جلس ليستريح، أخذته سنة من النوم، استيقظ فلم يجد الناقة،

فبكى، وبكى، وبكى لأنه أيقن بالموت، ثم أخذته سنة من النوم، فاستيقظ فرأى الناقة أمامه، من شدة الفرح قال: يا رب أنا ربك وأنت عبدي، النبي ما علق، هذه كلمة الكفر، لكن قال بعض العلماء الكبار: ما كل من وقع في الكفر وقع الكفر عليه، النبي ما علق أبداً، ما قصد معناها، من شدة الفرح قال: يا رب أنا ربك وأنت عبدي.

العنف و السباب و الشتائم أساليب بادت ولم تفد إطلاقاً:

أحياناً الابن يتكلم كلمة قاسية، كن أوسع، أبو حنيفة النعمان له جار أقلقه إقلاقاً لا يُحتمل، طوال الليل يغني، (له جار شاب مغنٍّ معه طنبور عود، وأغنيته المفضلة: أضاعوني وأي فتىً أضاعوا، فمرة فقد هذا الصوت، معنى جاره في مشكلة، سأل عنه، قالوا له: إنه مسجون، أبو حنيفة النعمان بمكانته، ومقامه الكبير، وعلمه الغزير توجه إلى صاحب الشرطة، متوسطاً أن يطلق سراحه، صاحب الشرطة أطلق سراحه، أركبه أبو حنيفة وراءه على الدابة، قال له: يا غلام هل أضعناك ؟ فقال: هذا المغنى الشاب قال: عهداً لله ألا أعود للغناء، أبو حنيفة النعمان على علو مقامه استوعب هذا الجار المغني. استوعبه، ابنك، استوعبه، أما العنف، والضرب، والسُباب، والشتائم هذا لا يربي شاباً.

الرد العنيف والسخرية الكبيرة تقيم بينك وبين المتعلم حاجزاً فعليك الابتعاد عنهما:

يا إخوان، أحياناً الطفل يسأل سؤالاً، أو الابن، وقد يكون السؤال سخيفاً، سخيفاً جداً، إياك، ثم إياك، ثم إياك أن تسخر من سؤاله، إنك إن سخرت من سؤاله لن يسألك بعد اليوم أبداً، وهذه النصيحة أقدمها للمعلمين، سؤال سخيف، اجلس، أنت أحمق، أنت لا تفهم شيئاً، لا، لن يسألك بعد اليوم، لا، أجب عن سؤاله بأدب، رفيقكم معه حق، نقطة غير واضحة بذهنه، أنا سأجيبه عنها، شجع الناس يسألوك، شجع الحوار، شجع التعامل مع الآخر تعاملاً هادئاً.

والله أعرف معلمين إذا أخطأ الطالب، أنت غبي، أنت كذا، أنت كذا، يحمل هذه الفكرة لعشرين سنة قادمة، عقدته، الإنسان بنيان الله، وملعون من هدم بنيان الله، والأطفال أحباب الله، على الفطرة.

فالرد العنيف، السخرية الكبيرة، مرة كنا في الجامعة، وطالبة كان سؤالها سخيفاً، و كان عميد الكلية عندنا قاسياً جداً، سخر منها سخرية حطمتها، فقالت له: دكتور رفقاً بالقوارير، هكذا قال النبي، فهي صحتها مليحة، قال لها: قال رفقاً بالقوارير، ولم يقل رفقاً بالبراميل، أساء إساءة ثانية، إنسان أمامك، احترمه، قالت: رفقاً بالقوارير، قال لها: صح، ولم يقل رفقاً بالبراميل، حطمها، أنا هكذا أقول هذا الإنسان بنيان الله، وملعون من هدم بنيان الله.

لا تحرجه، كان عليه الصلاة والسلام من شمائله أنه كان لا يحمر الوجوه، لا تخجله، لا تضعه بزاوية ضيقة، تغافل، تغافل ولا تكن غافلاً، الرد العنيف يمنع السؤال الرد العنيف يمنع انتشار العلم، الرد العنف يقيم بينك وبين المتعلم حاجزاً.

من أراد أن يملك قلوب الآخرين فليبتعد عن السخرية و التنفير:

أنا أذكر هناك أناس جهلاء، أعتقد جامع في صلاة العصر و هناك سبعة أشخاص بينهم طفل صغير، هذا المصلي متعلم غلط، أن هذا الطفل يجب أن يرجع للصف الخلفي ما في صف خلفي، سبعة، فريضة، فدفعه من صدره إلى الوراء، يقسم بالله العظيم أنه ترك الصلاة خمسة و خمسين عاماً، بعد هذه الدفعة أقام حاجزاً بينه وبين المسجد.

بالمقابل حدثني أخ، قال لي: دخل إلى مسجد عقب أحد الأعياد، فطفل والده اشترى له حذاء جديداً، وهو فرح به، فسُرق، بكى بكاء مُراً، هذا الرجل أخذ هذا الطفل إلى محل أحذية، واشترى له حذاء أغلى، يقسم بالله هذا الطفل قال: على أثر هذا الموقف حافظت على الصلاة طوال حياتي، لا تكن منفراً، كن مقرباً.

((يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك]

((سَدِّدُوا وقارِبُوا))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن عائشة أم المؤمنين]

((بَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري]

هناك شخص منفر، الرد العنيف، السخرية، السُباب يقيم حاجزاً بينك وبين ابنك، وبينك أيها المعلم وبين تلميذك.

مرة سمعت عن أحد الملوك دعا رؤساء القبائل ليراهم، واضع فواكه، في وعاء لغسيل العنب، أحد شيوخ القبائل لم يعرف، فظنه للشرب، فشرب هذا الماء من هذا الوعاء، فكل الشيوخ الآخرين ابتسموا سخرية من هذا الشيخ، هو شيخ قبيلة، فالملك بذكائه وحنكته وحكمته تناول الوعاء وشرب منه، كله جمد.

قدر ما تستطيع لا تحرج إنساناً، كن معه، برر عمله، أحياناً هذا الكلام يملك القلوب.

قانون الالتفاف والانفضاض:

بالمناسبة: أنا أقول لكل أخ له منصب قيادي، من ؟ الأب، الأب قائد بالبيت المعلم، المدرس، صاحب المحل التجاري عنده ثلاثة موظفين، هو قيادي، رئيس الجامعة، مدير مستشفى، وزير، أي منصب قيادي، من أجل أن ينصاع كل الذي حولك لابدّ من أن يلتفوا حولك، إذا التفوا حولك أعانوك، وكانوا حراساً لك، ونفذوا لوح قراراتك، ما هو قانون الالتفاف والانفضاض ؟ هذه الآية:

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

(سورة آل عمران الآية: 159)

يعني بسبب رحمة استقرت في قلبك يا محمد كنت ليناً لهم، هذه الرحمة انعكست ليناً في المعاملة.

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ)

(سورة آل عمران الآية: 159)

ولو كنت منقطعاً عنا، لامتلأ القلب قسوة، و لانعكست القسوة غلظة، فانفضوا من حولك، معادلة رياضية، اتصال، رحمة، لين، التفاف، و انقطاع، قسوة، غلظة، انفضاض، الأب بحاجة إلى هذه الآية، والأم، والأخ الأكبر، والمعلم، وصاحب المتجر، وكل إنسان له منصب قيادي.

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)

(سورة آل عمران الآية: 159)

أعرابي، قال للنبي الكريم: أعطني من هذا المال، فهو ليس مالك ولا مال أبيك، قال له: صدقت إنه مال الله.

على الإنسان ألا يكون عنيفاً و لا متساهلاً فابنه أغلى من كل شيء:

أيها الأخوة، أنا أذكر قصة مؤلمة جداً، إنسان اشترى أثاثاً جديداً، غرفة ضيوف، ابنه معه شفرة عمل هكذا، فتح القماش، لعبة جميلة، خلال دقائق، أفسد الطقم كله، أبوه عنيف ما تحمل، وضع يداه على الطاولة وضربه بالمسطرة، حتى ازرقت يداه ضربه بحرف المسطرة، ثم تفاقم الأمر، واسودت كفاه، أخذه إلى الطبيب لابد من قطعهما فقال له: بابا ممكن ألا يقطعوا يداي ؟ فالأب ما تحمل، معه مسدس انتحر.

لا تكن عنيفاً، أنا لا أدعيك للتساهل، لا أبداً، لكن ابنك أغلى من الطقم، فخطأ كبير، لكن هدئ من حالك.

((علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف))

[أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة، وابن عدي في الكامل]

أعرابي بال بالمسجد، قال عليه الصلاة والسلام: لا تزرموا عليه بوله دعه يكمل، غير معقول ! بالمسجد، لا تزرموا عليه بوله.

أعرابي أثناء الصلاة عطس، قال له شخص: يرحمك الله، حديث عهد بالإسلام فالصحابة ضربوا على أرجلهم، قام وخاف، أمامه توبيخ بعدما ينتهوا، النبي قال له: اقترب يا عبد الله، إن هذا الكلام لا يكون في الصلاة، قال له: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، من شدة فرحه أنه لا أحد قتله.

الحكيم من كان مصدر أمن و طمأنينة و حب للآخرين:

كن مصدر رحمة، مصدر حب، مصدر طمأنينة، مصدر أمن.

((إنَّ اللهَ رَفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ويُعطي على الرِّفْقِ ما لا يُعْطي على العنفِ))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن عائشة أم المؤمنين]

ماذا قال سيدنا معاوية ؟ مرة جاءته رسالة من مواطن، هو أمير المؤمنين حاكم بلاد لا يعلمها إلا الله، شرقاً قريب من الصين، وغرباً، قال له هذا المواطن: أما بعد فيا معاوية (باسمه، لا في أمير مؤمنين، ولا في أحد)، إن رجالك قد دخلوا أرضي فانهاهم عن ذلك، وإلا كان لي ولك شأن والسلام، عنده ابنه يزيد، قال له: ماذا نفعل ؟ غلى الدم في عروقه، قال له: أرى أن ترسل له جيشاً أوله عنده وآخره عندك يأتوك برأسه، قال له: غير هذا أفضل، جاء بالكاتب قال له: اكتب، أما بعد: فقد وقفت على كتاب ولدي حواري رسول الله، هو عبد الله بن الزبير، ولقد ساءني ما ساءه، والدنيا كلها هينة جنب رضاه، لقد نزلت له عن الأرض ومن فيها، يأتي الجواب، اسمعوا الجواب، أما بعد: فيا أمير المؤمنين، اختلف الوضع، أطال الله بقاؤك، ولا أعدمك الرأي الذي أحلك من قومك هذا المحل، فجاء بابنه يزيد وقال له: اقرأ الجواب، أردت أن تبعث له جيشاً، أوله عنده، وآخره عندي ليأتوا برأسه، قال له: يا بني من عفا ساد، ومن حلم عظُم، ومن تجاوز استمال إليه القلوب.

لي صديق وصل والده للثامنة و التسعين، يخدمه خدمة تفوق حدّ الخيال، ينام إلى جانبه طوال الليل، يجلب له كأس العصير، كأس الماء، شيء عجيب، محبته لوالده غير معقولة إطلاقاً سببها، استعار سيارة والده وعمل فيها حادثاً كبيراً، وهرب، توقع أن يقتله والده، الأب ما فعل شيئاً، لما رآه بعد ثلاثة أيام، قال له: أنا بابا السيارة بعتها لا تأكل هم، الحادث وقع ووقع، يقول لي: لا أنسى هذا الموقف، يعني للثامنة و التسعين يخدمه، معقول ! ما فعل شيئاً معه، أنا لا أقول لكم افعلوا هكذا، لا، لكن شيء وقع وانتهى، يتم ابنك ثروة، خليه من طرفك، عاتبه، لكن هذا الموقف العنيف، يقول لي والله لا أنسى هذا الفضل.

بطولة الإنسان أن يكون محبوباً من أولاده:

إخوانا الكرام اسمحوا لي بكلمة دقيقة: الثقافة الإسلامية بثقافة بلادنا، كل أب محترم، لكن ما كل أب يحب، بطولتك لا أن تحترم، أن تحب، فرق دقيق، بالثقافة الدينية ثقافة هذه البلاد الأب مقدس، فلو أساء يسكت الابن، هذه ثقافتنا، لكن بطولتك كأب لا أن تُحترم من قبل أولادك، أن تُحب، أن يحبك أولادك، هذه بطولة.

على الإنسان أن يُعلّم ابنه التواضع ليكسب محبة الآخرين:

هناك ملاحظة أخيرة: النبي قال:

((اخشوشنوا، وتمعددوا فإن النعم لا تدوم))

[من كشف الخفاء عن عمر]

أنت ميسور بحبوحة، لكن علم أولادك أنه في أسر ما عندهم فواكه، لا تحضر الفواكه يومين ثلاثة لا يحصل شيئاً، كأس شاي، وطن نفسك أنه في أسر ما عندها أنه كل يوم يوجد طبخة درجة أولى، اعمل يوماً أكلة بسيطة جداً معكرونة فقط ما في غيرها، خلي ابنك متواضعاً، يعرف أن هناك أسر فقيرة. والله أنا أعرف شخصاً الحمد لله في بحبوحة، اليوم ما في مصروف بابا، من أجل أن تشعر بشعور رفاقك الفقراء، تأدب، اليوم ما في فواكه، أما كلما طلب تعطيه صار لا يحتمل، يوجد شخص بالتعبير الدمشقي: يَقرف ويُقرف، كل شيء مُؤَمَّن، ما عاد يقبل شيئاً دون طموحه، وبهذا الكبر الناس انفضوا عنه.

((اخشوشنوا))

ولو كنت غنياً

((اخشوشنوا، وتمعددوا فإن النعم لا تدوم))

أيضاً الأب الحكيم، مرة أكلة درجة أولى، مرة أكلة وسط، مرة أكلة بسيطة جداً، مرة في فواكه، مرة ما في فواكه، وأنت مليونير، دع ابنك يحس أن الحياة فيها فقر، فيها حرمان، ولا تعطي ابنك على المدرسة أكلة غالية كثير، لا، يأكلها في البيت، أما في المدرسة مثل أفقر طالب، تفاحة، أو أشياء خفيفة فقط، أحياناً هناك أكلات ثمنها مئتي ليرة ومعه خمسمئة بالحضانة، لا يصح، تعمل فساداً بالمدرسة. هذا جزء من التربية النفسية لابنك.

أيها الأخوة، أنت حينما تبيّن، لا تحرمه من البيان، بيّن، اليوم لا يوجد خرجية، أو لا يوجد مبلغ من المال مقابل أن تشعر بشعور صديق لك أبوه ما أعطاه شيئاً، يُعاش من دون هذا المبلغ من المال يومياً، يعاش من دون فواكه بعد الأكل.

((اخشوشنوا، وتمعددوا فإن النعم لا تدوم))

[من كشف الخفاء عن عمر]

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (18-36) : التربية النفسية -4- ظاهرة الحسد

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-08-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الثامن عشر من دروس تربية الأولاد في الإسلام ولازلنا في التربية النفسية.

التفرقة في المعاملة تصيب الصغار بالحسد:

أيها الأخوة، مشكلة كبيرة جداً تصيب الصغار حينما لا تكون معاملة الأب والأم عادلة بينهم، التفرقة في المعاملة تصيب الصغار بما يسمى بالحسد، والحسد قد يدفع إلى العنف، فالإنسان على سجيته يحب الطفل الأصغر، والطفل الأجمل، والطفل الأذكى، يحب الذكي، والصغير، والجميل، من دون عمل إرادي اهتمامه، وابتسامته، ومداعبته، لهذا الصغير، أو لهذا الأذكى، أو الأجمل.

الآخر قد يكون أقل ذكاء، أو أقل جمالاً، أو أقل وداً، يغرس الأب في نفس ابنه عقداً قد تستمر طوال حياته.

مرة ثانية: الأبوة مسؤولية كبيرة جداً، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((إن الله تعالى يحب أن تعدلوا بين أولادكم، حتى في القبل))

[ابن النجار عن النعمان بن بشير تصحيح السيوطي: ضعيف]

على كل إنسان أن يُطبق الإسلام بشكل صحيح كيلا ينفّر الناس منه:

مرة طُرح موضوع التعدد، وقد نصّ الفقهاء على أنه لابدّ من عدل تام، ماذا يعني العدل التام ؟ يعني السكن متساوي، الوقت ليلة بليلة، ليلتان بليلتين، أسبوع بأسبوع الوقت متساوي، والسكن في مستوى واحد، والإنفاق واحد، والله أنا اجتهدت فأضفت بنداً رابعاً، في المودة، عند القديمة متجهم، عابس، كلامه قاسٍ، عند الجديدة في أعلى درجة من الود، لماذا كره الناس التعدد ؟ لأنهم ما رأوا تعدداً رائعاً أبداً، رأوا التعدد الظالم، رأوا انحياز الزوج بكليته إلى الجديدة، وأم أولاده الزوجة الوفية، الأولى، التي أفنت حياتها من أجل زوجها مهملة، مع أولادها.

لذلك الناس حينما يساء تطبيق الإسلام ينفر الناس من الإسلام، أنا يمكن أن أقول: هناك محبب، وهناك منفر، هناك إنسان مسلم، وله زي إسلامي، ويؤدي الصلوات الخمس، ومع ذلك فهو منفر من الدين،

فأنا أضفت إلى العدل التام بين الزوجتين مستوى السكن، مستوى الإنفاق، الزمن، والود، ابتسامة بابتسامة، كلام معسول بكلام معسول، أما عدل القلب لا أحد يملكه ولا النبي يملكه، قال عليه الصلاة والسلام:

((اللهم هذا قسْمي فيما أملك. فلا تَلُمني فيما تَملك ولا أملك))

[أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن عائشة أم المؤمنين]

وأنت مع أولادك، الأذكى، الأجمل، الأصغر محبب، أنت مؤمن يجب ألا تفرق أبداً بين الصغير والكبير، والذكي والأقل ذكاء، والجميل والأقل جمال.

كان عليه الصلاة والسلام يضع الحسن في حضنه، ويضع أسامة بن زيد، وكان أسود اللون، أفطس الأنف، ويضمهما معاً، ويشمهما.

بطولة الأب أن يكون محبوباً و محترماً في الوقت نفسه بين أولاده:

بطولتك أيها الأب ألا تفرق ولا بقبلة، ولا بابتسامة، الكلام موحد، الابتسامة موحدة، الاهتمام موحد، الهدايا موحدة، في نزهة بالقرعة، ما في شيء يُطمئن الإنسان كالعدل، في آباء كل نزهة، أو كل سفرة يختار أحد أولاده بالقرعة، ما في واحد معه دائماً والثاني مهمل.

مرة ثانية، وثالثة، ورابعة: بالثقافة الإسلامية، بثقافة بلادنا، الأب محترم لكن ما كل أب محبوب، وبطولتك لا أن تكون محترماً، أن تكون محبوباً، هذه بطولتك.

لذلك ينشأ عند الصغار حالة نفسية خطيرة جداً، الحسد، الحسد قد يدعوه إلى العنف، إلى الإيذاء، إلى جريمة أحياناً، أكبر دليل أخوة يوسف، وضعوه في غيابت الجب أرادوا أن يموت، ليس هذا الكلام يعني أن سيدنا يعقوب كان ظالماً، لا، حاشا لله، لكن أريكم ماذا يفعل الحسد، في آباء لكن هم قلة.

بطولة الأب أن يعدل بين الذكور و الإناث:

أيها الأخوة الأكارم، تأتيني مئات الاتصالات، من فتاة منبوذة عند أهلها، لها أخت لعلها أجمل، لعل زوجها أغنى، تجد الاحتفال، والترحيب، والتكريم، والموائد لزوجها لأنه غني، والأخت الثانية مهملة هي وزوجها.

والله حدثني أخ زوجته لها أب من أهل اليسار في هذا البلد، وساكن في أرقى أحياء دمشق، وله سكن في المصيف، في صبيحة أيام العيد توجهت ابنته إلى بيت أبيها هناك أخوة لها من أم جديدة، من زوجة جديدة، أعطى ابنته من الأم القديمة مبلغاً بسيطاً قال لها: حاجة انصرفي، إرضاء لزوجته الجديدة،

فالمائدة العامرة، والاحتفال، والتكريم، والترحيب ببنات الزوجة الجديدة، والعبوس والجفاء والأمر بالانصراف لابنته من الزوجة القديمة، أقسم لكم بالله بلغني أن سنوات وسنوات تبكي هذه البنت بكاء مراً من ظلم أبيها.

إن أردت أن تسترسل مع مصالحك، ومع عواطفك، ومع الأذكى، ومع الأجمل، ومع الأصغر، ترتكب خطأ قد يستمر مع أولادك إلى سنوات وسنوات، وقد يسبب لهم عقدة كبيرة، بطولتك أيها الأب أن تعدل.

((يا رسول الله إني نحلت ابني حديقة، فاشهد على ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: ألك ولد غيره ؟ قال: نعم، قال: أنحلته مثل ما نحلته ؟ قال: لا، قال: أشهد غيري فإني لا أشهد على جور))

[متفق عليه عن النعمان بن بشير]

والله مع الأسف الشديد هناك أسر تسمى عريقة في هذه البلدة تحرم البنات، يأخذ الأخ الأكبر وكالة، وكالة عامة من أخوته البنات، ولا يعطيهم شيئاً، عندنا جاهلية أيها الأخوة، جاهلية في صفوف المسلمين، في صفوف رواد المساجد، لا يتمنى أن يعطي البنت شيئاً، هذا المال للذكور، ليبقى المال في الأرومة الذكورية لهذه الأسرة، أما البنات ! ابنتك من صلبك.

عدم العدل بين الأولاد يسبب عقداً وأمراضاً قد تنتهي بإيذاء الأخوة:

أيها الأخوة، عدم العدل بين الأولاد إن في الصغر، بالابتسامة، والقبلة، والضم، والشم، والاهتمام، وإن في الكبر، أقول لكم هذه الكلمة: أنت تظن الطفل فقط بحاجة إلى الطعام والشراب، والله الذي لا إله إلا هو، هو بحاجة إلى أن يضمه أبوه، وأن يقبله، وأن يشمه، وأن يداعبه، وأن يضاحكه كما هو محتاج إلى الطعام والشراب.

والدليل عليه الصلاة والسلام، كان يرتحله الحسن والحسين، يركبان على ظهره وهو يصلي بالمسلمين، فيطيل السجود، فيقلق المسلمون، ثم يفاجؤون أن الحسن والحسين ارتحلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالابن يتحاج رحمة، يحتاج محبة، يحتاج ابتسامة، يجب أن تضمه، وتشمه، وتدلله، حتى يُشد لك، حتى يحب البيت، البيت جنة، أما الظلم، ابن مهمل، وابن مرحب به، ابن له أفضل غرفة، وابن مع ثلاثة أُخر، ابن يأخذه أبوه معه، وابن يتركه بالبيت.

أخجل أن أقول بعض الكلمات القاسية: مثل هذا الأب مجرم في حق ابنه حطمه، عن غير قصد، الأذكى، الأجمل، الأصغر، محبوب، معزز، مكرم، يداعبه أبوه، يبتسم له، والكلمة القاسية والتجهم، مع ابنه الآخر.

هذا يسبب عقداً وأمراضاً قد تنتهي بإيذاء الأخوة، وقد تنتهي بإيقاع أذى كبير من هذا المقهور من الابن المدلل.

مستويات الحسد:

1 ـ تمني زوال النعمة عن الآخر كي تنصرف إليك:

أيها الأخوة، هو الحسد مع الصغار والكبار ثلاث مستويات، أول مستوى تمني ـ تمني فقط ـ زوال النعمة عن الآخر كي تنصرف إليك، هذا حسد، هذا مستوى.

2 ـ تمني زوال النعمة عن الآخر دون أن تصل إليك:

هناك مستوى أعلى، تمني زوال النعمة عن الآخر دون أن تصل إليك، لمجرد أن يُدمر هذا الإنسان، لذلك في آية قرآنية دقيقة جداً:

(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ)

(سورة النور الآية: 19)

ما فعل شيئاً، ما تكلم، ما غمز، ما لمز، ما اغتاب، ما تكلم ولا كلمة، لكن حينما يُدمر مؤمن يرتاح، راحة الإنسان حينما يُدمر المؤمن أي أحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، أحب أن يسقط المؤمن مئة بالمئة حتماً كان في خندق المنافقين.

(إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا)

(سورة آل عمران الآية: 120)

فأنت حينما تتمنى أن يقع أخوك، أن يُدمر أخوك، فأنت في صف المنافقين قولاً واحداً، لأن علامة الإيمان أن تفرح لأخيك بنعمة ساقها الله إليه، وتكون في صف المنافقين إذا آلمك أن ينال نعمة من الله عز وجل.

أول مستوى تمني زوال النعمة عن أخيك، وأن تصل إليك، المستوى الأسوأ تمنى زوال النعمة عن أخيك دون أن تصل إليك، المهم أن يُدمر.

3 ـ أن تسعى كي تحطم أخاك:

المستوى الأسوأ والأسوأ أن تكتب تقرير، أن تسعى كي تحطم أخاك، ثلاث مستويات.

فهذا الموضوع ينطبق على الصغار والكبار، أحياناً طفل عمره سنة ونصف تنجب أمه طفلاً صغيراً، الاهتمام، والزيارات، والحمل، والتقبيل، هذا الصغير أصبح درجة ثانية، يتألم، فأنا أتمنى على الآباء أن يكونوا عقلاء، إذا في حمل، في مولود جديد الأول نبقى على محبته، ومودته، وضمه، وشمّه، وملاعبته، ومداعبته، حتى لا يشعر بالتفرقة.

الظلم ظلمات يوم القيامة:

أنا يمكن بتاريخ الدعوة كلها لا أروي أي منام، ليس من خصائص دعوتي المنامات، ولا الكرامات، ولا الشطحات، لكن اسمح لنفسي مرة واحدة أروي هذا المنام سمعته من أخ، له عمة، توفيت، يراها في المنام تلتهب، مرة، اثنتين، ثلاثة، خلال سنوات ثمانية، شاعلة، وتقول كلمة واحدة: الحليبات، هذه الكلمة دفعته إلى التحقق، ثم فهم أن لها أولاداً، وأن لها أولاداً من زوجها، فإذا سقت أولادها الحليب كان الكأس حليباً كامل الدسم، أما إن سقت أولاد زوجها الحليب نصف الكأس حليب ممزوج بنصفه ماءً لأولاد زوجها، أما أولادها حليب كامل.

الظلم ظلمات يوم القيامة، الإنسان حينما يفرق بين أولاده، أو بين أولاد زوجته الجديدة والقديمة، هؤلاء المودة والمحبة، وهؤلاء التجهم والقسوة، وقع هذا الأب في شر عمله.

العاقل من جعل مقاييس التفوق في الأسرة الصلاة وحفظ القرآن و ليس الجمال والذكاء:

مرة ثانية أيها الأخوة، الإنسان من دون جهد يميل إلى الأذكى، للأجمل، للأصغر، أما بجهد إيماني يضبط مشاعره، يحاول ألا يفرق أبداً بين طفلين.

وهناك قضية أخرى متعلقة بالبنات، قد تكون بنت أجمل من بنت، فإذا كان الأب سمح لبقية أولاده أن يصفوا الأخت الأقل جمالاً بصفات تعقدها، وتزعجها، أقول هذا الأب ليس أباً إطلاقاً، يعني هناك خطوط حمراء أن أب يغمز، ويلمز بجمال أختهم الأقل جمالاً مثلاً هذا شيء من أخطاء الأسر الكبيرة جداً، فالبنت الأقل جمالاً تتعقد، ينشأ عندها عقدة، أما لما نعمل مقاييس التفوق في الأسرة هي الصلاة، حفظ القرآن، نعمل وسائل موضوعية للتفرقة بين الأولاد بالترجيح، بقدر الطاعة لله، بقدر الحفظ لكتاب الله، ما لم يكن هناك محفزات لتفوق موضوعي ما له علاقة بالخلق.

يعني بصراحة من منا مسؤول عن شكله ؟ هكذا الله خلقه، أنت لما تعير إنساناً بشكله يكون هذا المعيار في حضيض الجهل، هذا الذي أعطاه الله قواماً حسناً والثاني أعطاه قواماً أقل حسناً الثاني ما له علاقة.

يقولون: إنه كان أحد التابعين الأحنف بن قيس، كان قصير القامة، أسمر اللون، أحنف الرجل، فيه عرجة، كان ناتئ الوجنتين، غائر العينين، مائل الذقن، ليس شيء من قبح المنظر إلا وهو آخذ منه بنصيب، وكان مع ذلك سيد قومه، إذا غضبَ غضب لغضبته مئة ألف سيف لا يسألونه فيما غضب، وكان إذا علم أن الماء يفسد مروءته ما شربه، وكان سيد قومه.

بل إن معاوية بن أبي سفيان دعا علية القوم، ليبايعوا يزيداً، فكلهم أثنى على يزيد إلا الأحنف بقي ساكتاً، سكوته أحرج المجلس، قال: تكلم يا أحنف، قال: أخاف الله إن كذبت، وأخافكم إن صدقت، قالوا: كان التلميح أبلغ من التصريح.

الحكمة في معاملة أولادنا تكسبهم التألق و المحبة:

أيها الأخوة، مثلما قلنا، الأب على سجيته، على رغباته يميل لطفل دون طفل، الذي أهمله أبوه يعاني ما يعاني، أما الذي اهتم به أبوه اهتمام كامل هذا أب مؤمن، ناجح في تربيته، يتمتع أولاده بصحة نفسية، هذه الصحة النفسية لا تقدر بثمن.

صراحة الإنسان قيمته بمعنوياته، شخص معنوياته عالية، واثق من محبة والده له، من محبة والدته له، واثق من نجاحه.

هناك نقطة دقيقة: لما أنت تكون عادلاً تعمل محفزات لأولادك، هناك شيء اسمه التألق، التألق سببه العدل، ما في شعور بالظلم أبداً، ولا بالحرمان، ولا بالإهمال، له مكانة، للابن مكانة كبيرة جداً، هو وأخوته سواء، ذكور وإناث، والله في تفرقة في بلادنا بين الذكور والإناث لا يعلمها إلا الله، هذه التفرقة سببت نفور البنات بما يسمى بمنهج الله إساءة استعمال المسلمين لمنهج الله عز وجل ينفر الناس من هذا المنهج، من سوء التطبيق، لما الله عز وجل يقول:

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ)

(سورة الزلزلة)

يعني ابتسامة، مثقال ذرة من خير، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم.

((تَبَسُّمُكَ في وجه أخيك صدقة))

[أخرجه الترمذي عن أبي ذر الغفاري]

تربية الأولاد أعظم عمل على الإطلاق:

الترحيب الحار صدقة، ولما تحمل ابنك وتضمه وتشمه أيضاً صدقة، ولما تداعبه وأنت شخص كبير. مرة كنت عند شخص، يحتل منصباً رفيعاً جداً، قال لي: الأفندي اتصل بي قال له: بابا تعال أوصلني لعند رفيقي، ابنه عمره سنتان أو ثلاث، بالحضانة، هو يتمتع بمكانة كبيرة جداً، الابن يشعر أن أباه يحبه، هذا شعور صحي، تتنامى فيه قدراته.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن نرزق الحكمة في معاملة أولادنا، ابنك جزء منك، امتداد لك، أعظم عمل على الإطلاق تربية الأولاد.

((أفضل كسب الرجل ولده))

[أخرجه الطبراني عن أبي بردة بن نيار]

خير كسب.

(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً)

(سورة الفرقان)

عدم الموازنة بين الأولاد:

الآن ممنوع أن توازن بين ولدين، أخوك أذكى منك، الذكاء بيده ؟ يعني أنت غبي، ممنوع أن توازن بين أخوين، إلا بما يتاح له، في أشياء موضوعية، يعني أخوه تفوق، إن شاء الله أنت العام القادم تأخذ درجة أعلى منه، تعمل له محفزاً، أخوك جمع المجموع الفلاني، أنا أعرف أنك لا تقل عن أخيك لكن جاءتك ظروف استثنائية حالت بينك وبين المجموع المرتفع، يعني حاول أن تعطيه شعوراً أن مكانتهم واحدة.

أخوانا الكرام، هناك كلمة أرددها كثيراً: الآخرون أنت لهم، وغيرك لهم، أما أولادك من لهم غيرك ؟.

فلذلك الطفل لما تثق به، تعطيه معنويات عالية، أغلب الظن يصعب أن يخيب ظنك، في سر، أنت حينما تمنح إنسان الثقة، ولو كان صغيراً، يمكن يفاجئك بانضباط ما كنت تتوقعه منه.

أعرف جماعة عندهم بنت يعني مستوى جمالها دون الثلاثين، بكل قلة فهم، هذه البنت تركناها لكبرتنا، أي خادمة، أخوتها تزوجوا، ببيوت، عندهم أولاد، وأزواج وبيت، واستقبال، وغرف نوم، وضيوف، ولائم، أما هذه البنت الأخيرة تركناها لكبرتنا والله في كل كلمة من إنسانة جاهلة أنا أراها كالجريمة تماماً.

((إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً))

[الترمذي عن أبي هريرة]

إيمان الإنسان يمنحه حلماً و حكمة و نفساً رضية:

أنا حدثني أخ، يبدو من أقربائه في رجل عنده أخت تسكن عنده، يعني أخته فاتها قطار الزواج فهي عانس ما لها أحد إلا أخوها، عنده زوجة لئيمة، وقاسية جداً مع أخته، تعمل هذه الأخت ليلاً نهاراً كي تتقي شر أخيها وزوجة أخيها، في مرة جالس الأخ وأخته جالسة على الأرض ركلها بقدمه، قال لها: هاتِ لي كأس ماء، وزوجته شابة جالسة إلى جانبه، وركل أخته بقدمه، ائتني بكأس ماء، هذا القريب يقسم بالله العظيم ثاني يوم عنده سفرة إلى حلب، صار في حادث فقطعت رجله اليمنى من أعلى الفخذ، قطعت هذه الرجل التي ركل بها أخته، من أعلى الفخذ قطعت.

الإنسان أحياناً لا يعرف ماذا يفعل، فيحتاج إلى إيمان، الإيمان يعطي أفقاً واسعاً، يعطي نفساً رضية، يعطي حلماً، يعطي حكمة، لأن الله عز وجل قال:

(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً)

(سورة البقرة الآية: 269)

بالحكمة، بالحكمة تؤلف بين أولادك، تجعلهم جميعاً بالبر لك سواء، بالحكمة تحفز هممهم، بالحكمة تدفعهم إلى التفوق، بالحكمة تجعلهم يتحاببون بعد موتك، أنا ألاحظ كثيراً أب توفي إذا في تفرقة بحياته الأولاد بالمحاكم، والله في أسر وما أكثرها، الخلافات بين الأولاد إلى درجة المقاطعة التامة، ودعاوى، ومحاكم، حتى من حوالي سنة أب أعطى كل ما يملك لابن من أبنائه، وحرم الباقين، الباقون حقدوا عليه، وورطوه بإخباريات بالمالية لدرجة أنهم إلى درجة أنهم دفعوه إلى أن ينتحر، وانتحر، أحقاد. جاء شاب إليّ، قال لي: أبي ترك ألف مليون، تسعمئة مليون باسم واحد من أولاده، وعنده أخ يعمل على سيارة شاحنة، يأكل من عمل يده فقط، واحد معه ثمانمئة مليون وواحد يعمل على سيارة شاحنة، لكن هذا الأخ الذي معه ثمانمئة مليون ابن جوامع، ماذا فعل ؟ قسم كل شيء بحوزته على أخوته بالتساوي، نظرت إلى الإيمان ؟ وأنقذ أباه.

إيمان الإنسان ليس بصيامه و صلاته فقط بل بسلوكه اليومي أيضاً:

إخواني الكرام، أنا لا أنطلق من هواء، أنطلق من واقع، أنا أعاني في عملي بالدعوة من اتصالات من شباب، من شابات يتألمون أشد الألم، يبكون على الهاتف، من معاملة والديهم القاسية لهم، بلا مبرر، هكذا تمشي مع نزواته، قاسٍ مع واحد يرحب بالآخر، بنت زوجها غني لها معاملة خاصة، بنت زوجها موظف فقير لها معاملة خاصة.

فيا أيها الأخوة، ليس الإيمان أن تصلي، الإيمان بالسلوك اليومي، بالمعاملة الراقية، بأن تكون محبوباً عند كل أولادك، وعند كل بناتك، وعند كل أصهارك، عدل في معاملة الأصهار، عدل في معاملة الأولاد، عدل في معاملة الصغار.

أعقل الآباء هم الذين يبالغون بالعدل بين أولادهم:

أيها الأخوة، هناك حالة ثانية: ابن لو أخطأ في تسامح، الابن الثاني لو قال لا إله إلا الله عليه نقد، وأحياناً يلتزم ابن بجامع، التعتيم عليه، وكل المديح لغير الملتزم يكون بيت غير ملتزم، ينحازوا إلى الذي على شاكلتهم، يأتي الساعة الثانية ما في انتقاد أبداً، له صواحب، له صاحبات، اتصالات، علاقات مشبوهة، معزز، مكرم، محترم، مبجل والملتزم المستقيم مهمل، أي خطأ يُبكر، وتضاعف له الانتقادات، هذا موقف خطير جداً.

بصراحة الآباء والأمهات بشر يرتكبون أخطاء فاحشة جداً، بحق أولادهم أنا لي رأي وأصرّ عليه، أنا أرى أن معظم أخطاء الأولاد من آبائهم وأمهاتهم، وأن معظم أخطاء التلاميذ من معلميهم، كن جريئاً وقل أنا أخطأت بحق أولادي، كان من الممكن أن يكون الأولاد في وضع آخر.

يعني ممكن أن نستنبط أن أعقل الآباء هم الذين يبالغون بالعدل بين أولادهم، حتى إنه في رأي فقهي: إذا الإنسان أعطى أولاده بحياته يعطيهم بالتساوي بين الذكور والإناث، كل واحد بيت، البنت بيت، والذكر بيت، عندنا هبة، وعندنا مواريث، المواريث وفق أحكام الشريعة.

(لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ)

(سورة البقرة الآية: 11)

أما الهبة بالتساوي، البنت كالذكر تماماً بالهبات، أحياناً يكون عند الأب بنتان بنت يزوجها بإنفاق، وعناية بالحفلات، والهدايا الثمينة، وبنت يزوجها بتقشف ما بعده تقشف، تقول لك: البنت الثانية عندها عقدة حتى الموت من أبيها.

عضل الفتاة عمل كبير جداً يحاسب الإنسان عليه يوم القيامة:

ورد في بعض الآثار أن البنت حينما تتأذى من أبيها تأذياً شديداً قد تقول يوم القيامة يا رب لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي.

والله سمعت بأذني بنت يبدو موظفة، ولها دخل جيد، وأهلها يأخذون أموالها فكلما جاءها خاطب صرفوه، افتعلوا عيباً فيه، هو بعقلهم الباطن ينبغي أن تكون عندهم ليأخذوا راتبها، وتخدمهم، فكل

خاطب يصرفونه، إلى أن أصابتها العنوسة، لذلك قالت كلمة، أنا والله أترفع عن أن أقولها على لسان بنت تجاه أبيها، حقدت عليه حقداً لا حدود له، عضل الفتاة عمل كبير جداً، لذلك الآية الكريمة المدهشة:

(وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ)

(سورة النور الآية: 33)

بربكم هل يوجد بالأرض أب مسلم يجبر ابنته على الزنا ؟ ما في، شيء ما دخل ببرنامجنا إطلاقاً، والآية هكذا، (وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ)، قال علماء التفسير: حينما يأتي الخاطب فلا تقبله، كلما جاء خاطب بحثت عن عيب فيه، ثم رفضته إلى أن دخلت البنت في مرحلة العنوسة، وأصبحت بلا زوج، وبلا أولاد، حينما تزل قدمها بعد ذلك تكون أيها الأب أنت السبب، وكأنك أكرهتها على الزنا بهذه الطريقة

(وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ)

(إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً)

(سورة النور الآية: 33)

هذه البنت التي تقول أمها دائماً: هذه لكبرتي، الله بعث لها زوجاً، وتزوجها من أخوانا، وأحبها محبة كبيرة، وهو أفضل من كل أزواج أخواتها، هي دون الثلاثين، الله كريم، والله جبار الخواطر.

لا يسمى النجاح نجاحاً إلا إذا كان شمولياً:

الإنسان بقدر ما يستطيع يتأدب مع الله عز وجل، ولا يتكلم كلمة.

مرة ثانية:

((إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً))

[الترمذي عن أبي هريرة]

كلمة تجرح، كلمة تحطم، كلمة تنشئ عقداً كبيرة عند البنت أو الابن، الأب يجب أن يكون عالماً، كل واحد منا أب، اطلب العلم، كيف عامل النبي بناته ؟ كيف عامل أصهاره ؟ كيف عامل أخوانه ؟ كيف عامل جيرانه ؟ الإيمان هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان.

مرة ثانية، وثالثة: أنا لا أسمي النجاح نجاحاً إلا إذا كان شمولياً، نجحت في تجارتك وأخفقت في بيتك، لست ناجحاً، نجحت في تجارتك ولم تنجح مع ربك، لسن ناجحاً، نجحت في تجارتك ونجحت مع ربك، ولم تنجح مع صحتك، لست ناجحاً، أربع محطات، علاقتك بالله عز وجل، وعلاقتك بأهلك وأولادك، وعلاقتك بعملك، وعلاقتك بصحتك، هذه نجاحات متكاملة، لن تكون ناجحاً إلا إذا نجحت بها جميعاً، على نسق واحد فهناك ساعة لله عز وجل، وساعة لأهلك، وساعة لعملك، وساعة لقضاء حاجاتك.

أخطر أنواع التربية هي التربية النفسية:

أيها الأخوة، درس اليوم في تربية الأولاد في الإسلام متعلق بالحسد بين الصغار والكبار، بين الشباب والشابات، في حياة الأب والأم، وبعد حياة الأب والأم، هذا الحسد سببه التفرقة، وعدم العدل، والعدل بين الأولاد له نصوص كثيرة جداً، والله عز وجل لا يقبل ولا يرضى أن لا تكون عادلاً بين أولادك، وأقرب الناس لك أولادك، الآخرون أنت لهم وغيرك لهم، أما أولادك من لهم غيرك ؟.

أيها الأخوة الكرام، لازلنا في التربية النفسية، وسوف ترون معي أنه من أخطر أنواع التربية: التربية النفسية، إنسان تكون معنوياته عالية، متكامل، جريء، شجاع، أمين، صادق، عادل، ورع، عفيف، أخلاقي، لأن الأب اعتنى بتربيته.

بالمناسبة: فاقد الشيء لا يعطيه، معنى ذلك أنك أيها الأب ينبغي أن تطلب العلم حتى تمنحه لأولادك.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (19-36) : التربية النفسية -5- سبب الأمراض النفسية عند الأطفال

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 01-11-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

التفرقة بين الأولاد وعدم العدل بينهم يخلق فيهم الحسد و العقوق:

أيها الأخوة الأكارم مع الدرس التاسع عشر من دروس تربية الأولاد في الإسلام، ولا زلنا في التربية النفسية، وقد بينت لكم أن الشعور بالنقص، والعقد النفسية، وما إلى ذلك من أمراض نفسية تنشأ عند الصغار هي بسبب التفرقة بين الأولاد، وعدم العدل بينهم، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((سووا بين أولادكم في العطية))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

((رجل كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء ابن له فقبله وأجلسه على فخذه، وجاءته بنت له فأجلسها بين يديه ـ الابن في حجره، والبنت بين يديه ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا سويت بينهم))

[أخرجه البزار عن أنس بن مالك]

إذا أجلست ابنك على فخذك الأيمن فأجلس ابنتك على فخذك الأيسر، إن ضممت ابنك ضمّ ابنتك، إن قبلت ابنك قبل ابنتك، هلا سويت بينهم، حتى في القبل، حتى في الابتسامة، حتى في الضم، حتى في الشم، أنت حينما تعدل بين أولادك تعينهم على برك، وعندما لا تعدل بينهم تعين الشيطان عليهم بالعقوق، إن عدلت بينهم أعنتهم على الشيطان وإن لم تعدل بينهم أعنت الشيطان عليهم في العقوق.
لذلك من أروع الأحاديث الشريفة:

((رحم الله والداً أعان ولده على بره))

[أبو الشيخ عن علي وابن عمر]

أي سوى بين أولاده، لم يفرق واحداً عن واحد، عدل بينهم فأعانهم على بره:

((رحم الله والداً أعان ولده على بره))

[أبو الشيخ عن علي وابن عمر]

لذلك أنت حينما لا تعدل بين أولادك تخلق فيهم الحسد، الحسد الشديد الذي قد يؤدي إلى الأذى، وقد يؤدي إلى الجريمة.

فلذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

((إيَّاكم والحَسدَ، فإنَّ الحَسَدَ يَأْكُلُ الْحسنَاتِ كما تأْكُلُ النَّارُ الْحَطب))

[أخرجه أبو داود عن أبي هريرة]

مستويات الحسد:

وقد بينت لكم أيضاً، هذا ملخص الدرس الماضي، أن الحسد مستويات ثلاث إما أن تتمنى زوال نعمة عن أخيك كي تتحول إليك، هذا مستوى، هناك مستوى أسوأ، أن تتمنى زوال نعمة عن أخيك دون أن تتحول إليك، الأسوأ والأسوأ أن تكتب تقريراً، أو أن تفسد، أو أن تتحرك لسلب نعمة عن أخيك، هذه أصبحت جريمة، الحسد ذنب كبير، أما أن تتحرك، أن تشي به، أن تعطي خبراً كاذباً عنه، كي يغلق محله، هذه جريمة، الحسد يأتي من التفرقة.

أذكركم ببعض كتب الحديث، تأتي الأحاديث مرتبة وفق الترتيب الهجائي.

براءة النبي الكريم ممن فرق بين الآخرين:

من أدق الأحاديث مجموعة لا بأس بها من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تبدأ بكلمة ليس منا، كلمة ليس منا ما سيأتي بعدها يُعد من الكبائر، نفى انتساب هذا الإنسان إلى النبي ليس منا.

((ليس منا من غَشَّ))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

فالغش كبيرة، من غشّ مطلقاً.

((لَيْسَ مِنا مَن لم يَرحَمْ صغيرَنا، ويُوَقِّرْ كَبيرنا ـ ولم يعرف لعالمنا حقه ـ))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

((ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية))

[البخاري عن ابن مسعود]

((لَيسَ مِنَّا مَنْ دَعا إلى عَصبيَّة، وليس منا من قاتل عصبيَّة، وليس منا من مات على عصبيَّة))

[أخرجه أبو داود عن خبير بن مطعم]

((لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امرأة على زوجها))

[أخرجه أبو داود عن أبي هريرة]

أفسدها، ليس منا من فرق بين أخ وأخيه، بين أخت وأخيها، بين شريك وشريك، بين أم وولدها، بين أب وولده، ليس منا من فرق، وليس مني إلا عالم أو متعلم، وليس مني اللعان ولا الطعان، كل إنسان يتهمه باتهام، لا يحلو له إلا أن يلقي تهمة ظالمة على إنسان تألق، ليس مني لا اللعان، ولا الطعان.

((ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به))

[أخرجه الطبراني عن أنس بن مالك]

هذه مجموعة أحاديث تبدأ بـ ليس منا، أما الحديث الذي يقصم الظهر:

((ليس مني ذو حسد))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن يسر]

الذي يحسد ليس منا.

ألا قل لمن بات لي حاسداً   أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في فعلـه   كَأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبْ

ملك الملوك إذا وهـب   لا تسألن عن الـــسب

* * *

خطأ:

ملك الملوك إذا وهـب   لا تسألن عن الـــسبب

* * *

لأن الله عادل:

الله يعطي مـــن يشاء   فقف على حّــد الأدب

* * *

من كان مؤمناً و لم يفرح لعطاء أصاب أخاه فهو على ثلمة من النفاق:

لذلك أيها الأخوة التفرقة بين الأولاد تسبب حسداً شديداً قد ينتهي بأذى أو بقتل أريد أن أبين حقيقة هي مقياس دقيق:

لك صديق مؤمن، لك أخ من أمك وأبيك، لك شريك، لك جار، لك ابن عم، لك قريب، لك زميل بالعمل، هؤلاء جميعاً لو أن واحداً اشترى بيتاً، أو اشترى مركبة، أو نال شهادة، أو أسس عملاً ونجح في عمله، إن كنت مؤمناً وكان مؤمناً إن لم تفرح بهذا العطاء لأخيك فالعلم والكلمة قاسية جداً أنك على ثلمة من ثلم النفاق، لأن من شان المنافق:

(إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ)

(سورة التوبة الآية: 50)

أقسم لك بالله لك أخ نال الدكتوراه، إن فرحت له من أعماق قلبك فأنت مؤمن ورب الكعبة، أنت حينما فرحت بهذه الشهادة التي نالها، أو بهذا الزواج الذي أكرمه الله به، أو بهذا البيت الذي اشتراه، أو بهذا المحل الذي عمل به، أو بهذه الوظيفة اللطيفة التي قُبل بها، إن فرحت هذه علامة إيمانك.

((ليس مني ذو حسد))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن يسر]

علامة إيمانك أن تفرح بنعمة ساقها الله لأخيك:

ما بعد ليس مني من الكبائر، لكن الأب الذي يعين ولده على بره و ذلك بالعدل بين أولاده ينطبق عليه الحديث الشريف:

((رحم الله والداً أعان ولده على بره))

[أبو الشيخ عن علي وابن عمر]

والأب الذي يفرق بين أولاده هو يعين الشيطان على عقوق أولاده، أقسم لكم بالله زارني شاب مؤمن، يملك والده (وقد توفي من أيام) ألف مليون، باسم هذا الشاب ما يقترب من ثمانمئة مليون، محاضر، وله ابن يعمل على سيارة أجرة، يأكل كل يوم من جهده وعرق جبينه، أما هذا الابن الأول الذي باسمه ثمانمئة مليون وزع ما باسمه على إخوته وعلى الورثة بحسب الحكم الشرعي، فكان بطلاً.

لذلك فرحك بنعمة ساقها الله لأخيك علامة إيمانك، وحسدك لنعمة ساقها الله إلى أخيك تتمنى أن تزول عنه وتأتي إليك، أو تتمنى أن تزول عنه دون أن تأتي إليك، أو توقع به، هذه علامة النفاق، هذه كلها علامات، النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((من حمل سلعته فقد برئ من الكبر))

[القضاعي والديلمي عن أبي أمامة]

((برئ من الشح من أدى زكاة ماله))

[أخرجه الطبراني عن جابر بن عبد الله]

((من أكثر من ذكر الله فقد برئ من النفاق))

[ابن شاهين في الترغيب في الذكر عن أبي هريرة]

مجتمع المؤمنين الكل لواحد والواحد للكل:

أنا أتصور أن مجتمع المؤمنين الكل لواحد، والواحد للكل، هذا مجتمع المؤمنين، يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا))

[أخرجه الطبراني عن ضمرة بن ثعلبة]

والله هناك عداوة، وأحقاد بين الأسر، وبين أفراد الأسرة الواحدة، وبين أفراد الأسرة الكبيرة، وبين أبناء قرية، وبين أبناء مصلحة.

والله أعرف رجلاً مستقيماً في عمله، لكن ناجح جداً، يؤدي زكاة ماله، يستقيم على أمر الله تماماً، مبيعاته ارتفعت إلى مستوى عالٍ جداً، جاره يصلي في المسجد علم أن عنده مخالفة بالبناء قدم شكوى ضده، والآن قريب على أن يدفع مليون ليرة، حتى يعيق نجاحه بالتجارة، هذا إيمان ؟ لا والله.

((ليس مني ذو حسد))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن يسر]

والأب الذي يعدل بين أولاده يعين أولاده على بره، والأب الذي لا يعدل بين أولاده يعين الشيطان كي يقوى على أولاده في العقوق.

أحد أسباب غضب الطفل أن حاجاته الأساسية غير جاهزة:

درسنا اليوم عندنا ظاهرة، ظاهرة الغضب، ولد غضوب، ردود فعله قاسية جداً، ينفجر لأتفه الأسباب، يعلو صوته على أمه وأبيه، قد يضرب أخوته الصغار ضرباً مبرحاً، قد يسب، قد يشتم، هذه الظاهرة، ظاهرة الغضب، ما أسبابها ؟ لا يوجد شيء ليس له سبب.

أيها الأخوة، هذه الحالة العدوانية الانفجار، الغضب الشديد، الصوت المرتفع، الضرب المتسرع، هناك أطفال بالبيت هكذا، عندهم حاجات أساسية لم تلبَ، الأب مدعو إلى طعام مع الأم، والبيت لا يوجد فيه أكل، ماما دبروا حالكم، لا يوجد شيء بالبيت، وجاء جوعان، لا يوجد أكل، الأب والأم ما عندهم مشكلة هم بدعوة، والابن ؟.

أنا لي كلام عندكم، اطلعت على بحث حول المطاعم في بلاد بعيدة، يعني مطاعم خمس نجوم، صار في تفتيش مفاجئ للمستودعات، كلام دقيق جداً عُرض بتحقيق رسمي، جرذان، صراصير، أكل المطاعم ليس كطعام البيت، أنا أعتبر من نجاح الأسرة أن يكون فيها أكل منتظم، أنا لا أقول أكل مرتفع ثمنه أقول أكل منتظم، بمواعيد محددة، طفل وجد حاجته من الطعام أكل، سُر بالأكل، أحد أسباب هدوء الطفل تكون حاجته الغذائية مؤمنة، أما أحياناً لا يوجد طعام، يرى الطعام لا يحبه، علامة المؤمن أنه يأكل بشهوة أهله بينما الأب المتكبر يجبر من حوله أن يأكلوا بشهوته، اسأل أهلك ماذا تحبون أن تأكلوا؟.

والله أعرف آباء لا يوجد طعام يأكله دعوة، أو وليمة، أو في مطعم عند الضرورة، أو عنده ضيف بالتجارة هيأ له طعاماً، هذا الطعام الذي أكله مع ضيفه يأتي به مساءً إلى البيت، ليأكل أهله كما أكل.

الأب العاقل الواعي يجمع أولاده ولا يفرقهم:

كلما شعر أهلك أنك جزء منهم، وأنك تحب لهم ما تحب لنفسك، وتشتهي لهم ما تشتهي لنفسك، وأن الأكلة التي طربت لها ينبغي أن تأتي بها إلى البيت ليأكلوا معك، يعني أنا أريد أسرة متماسكة، فيها حب، فيها تضحية، فيها إكرام، وهناك أسر كل واحد بجهة فالأب العاقل الواعي يجمع أولاده، أنا أقول لكم هذه نصيحة ثلاث وجبات منتظمة بالبيت نظيفة من صنع الأم، هذه أم صالحة، أضرب مثلاً يمكن أعدته مئة مرة:

أم تحب الله كثيراً، تصلي قيام الليل، الساعة الخامسة تعبت تعباً شديداً، فآوت إلى الفراش وطلبت من أبنائها أن يدبروا أنفسهم، الوقت شتاء، والغرفة باردة، الغرفة باردة جداً، والطعام غير جاهز، هذا أكل من الثلاجة مباشرة، هذا وضع طعام فيه زيت من دون كيس نايلون، انتقل الزيت للكتب والدفاتر، هذا صدريته وسخة، حذاؤه غير نظيف، الزر مقطوع، ولم يكتب وظيفته، الخمسة أولاد كلهم تلقوا ضرباً مبرحاً من أستاذهم، وهذا وظيفته لم يكتبها، وثيابه غير نظيفة، الشطيرة في محفظته نقلت الزيت إلى بقية الكتب، أنا أرى وهذا اجتهاد مني إن أصبت فمن توفيق الله، وإن أخطأت فمن تقصيري، أنا أرى أن هذه الأم التي صلت عشر ركعات قيام الليل، وبكت وسحت في البكاء، لو أنها استيقظت قبل الشمس بنصف ساعة، وصلت الفجر بوقته، ودفأت الغرفة، وهيأت طعاماً مرتباً، طعام الصباح مع شاي، تفقدت وظائف أولادها، تفقدت ثيابهم، نقلتهم إلى مجيء السيارة ثم ذهبت ونامت، أنا أرى أن هذه الأم أقرب إلى الله مليون مرة من التي صلت قيام الليل، ونسيت واجبها تجاه أولادها.

الأم المؤمنة تعبد الله فيما أقامها، أقامك أماً ؟ ينبغي أن تكوني أماً صالحة.

الدين ليس فقط أن نصلي و نصوم الدين في عملك و بيتك وعيادتك:

أنا أرى أن الجنة بحاجة إلى عمل، هذا العمل، الأم الصالحة في طريق سالك من بيتها إلى الجنة.

أنا صيدلي من الصيدلية للجنة، دواء ثمنه ألف و مئتا ليرة وانتهى مفعوله، تحك تاريخ الصلاحية، أنت ألغيت صلاتك، تحك بشفرة تاريخ الصلاحية، يأتي إنسان يطلب الدواء يعطيه إياه بألف و مئتي ليرة، هو انتهى مفعوله، وأنا كنت أتوهم أن الدواء الذي انتهى مفعوله لا يؤذي، ثبت العكس، الدواء الذي انتهى مفعوله يؤذي لأنه تفتت.

فهناك أعمال تلغي بها صلاتك، وصيامك، وحجك، وزكاتك، الناس فهموا الدين فهم طقوسي، جئنا إلى الجامع صلينا، وسمعنا خطبة، أما في غش بالبضاعة، في مادة محرمة، في مادة مبيضة، لكنها

مسرطنة، في هرمونات مسرطنة، في إعلان كاذب، البضاعة ألمانية وهي شغل الصين، يظن الدين ما له علاقة، الدين في عملك، في بيتك، في عيادتك، في صيدليتك.

مرة زرت معملاً يبيع مادة غذائية أقسم لي بالله صاحب المعمل ـ أظنه صالحاً ولا أزكي على الله أحداً ـ يضعون بهذه المادة الغذائية مادة مسرطنة، تستخدم في الدهانات تبيض هذه المادة، إذا ابيضت ارتفع سعرها، وفلاحون يضعون هرمونات على النباتات تأتي الحبة كبيرة وقاسية وذات وزن، ويربح أرباحاً طائلة، والهرمون محرم دولياً ممنوع بيعه، وأي صيدلية تبيعه تُغلق فوراً، أنا أرى الدين بالحقل، والدين بالعيادة، والدين بمكتب المحاماة، والدين بقاعات التدريس، والدين بالبيع والشراء، الدين بالوظيفة، عندما أقول الدين خمسمئة ألف بند لا أبالغ، تبدأ أحكام الدين من أشد العلاقات خصوصية، من فراش الزوجية وتنتهي بالعلاقات الدولية.

أحد أسباب غضب الطفل إذا حاجاته الأساسية غير جاهزة، الوقت برد شديد يحتاج لمعطف، ما في معطف، إذا في فقر موضوع ثانٍ، لكن لما الابن يرى من أبيه العناية، ثيابه جيدة، طعامه جيد.

العمل عبادة:

لذلك العمل عبادة أنا أعني ما أقول ولا أبالغ، إذا كان عملك في الأصل مشروعاً وسلكت به الطرق المشروعة، وابتغيت منها كفاية نفسك وأهلك، وخدمة المؤمنين، والناس جميعاً، ولم يشغلك عن واجب، ولا عن فريضة، ولا عن طاعة، انقلب عملك إلى عبادة، في عملك أنت في عبادة، نصحت المسلمين ما غششتهم، ما أوهمتهم، ما احتكرت بضاعتهم، ما دلست عليهم، في تدليس، يوهمك أن هذه البضاعة من منشأ معين، وهي ليست كذلك، لو صار تدقيق تجد نفسك مع الله دائماً، تدقيق في المعاملة ما في كلمة خطأ، ما في نظرة خطأ، ما في قرش تأخذه حراماً، إذا استقمت كما أراد الله انفتحت أبواب السماء، جاء التوفيق، جاء الدعم الإلهي، جاء التأييد، جاء النصر، جاء التفوق، جاءت السعادة، جاءت السكينة.

((استقيموا ولن تُحْصُوا))

[أخرجه ابن ماجه عن ثوبان]

على المؤمن أن يغضب إذا انتهكت حرمات الله عز وجل أما لنفسه فعليه أن يسامح:

النبي عليه الصلاة والسلام علمنا أن نغضب لله، أما لأنفسنا في تسامح، يعني زوجته بالشرفة بثياب فاضحة، والشرفة على الطريق لا تتحرك شعرة فيه، أما إذا الطعام ما كان جاهزاً تقوم الدنيا ولا تقعد، لا، أنت الآن تغضب لغير الله، تغضب لمصلحة لك، أما حينما تنتهك هذه الزوجة حرمات الله ولا تبالي

هذه حالة مرضية، أما المؤمن يغضب، يغضب إذا انتهكت حرمات الله عز وجل، أما لنفسه في تسامح، هكذا علمنا النبي عليه الصلاة والسلام، لذلك هناك حديث مختصر جداً:

((لا تَغْضَبْ))

[أخرجه البخاري والترمذي ومالك عن أبي هريرة]

أي لا تضع نفسك في أسباب الغضب.

((وإياك وما يعتذر منه))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عمر]

عمل يسبب لك إحراجاً شديداً مع مدير المدرسة، تأخرت نصف ساعة، فقسا عليك بالمعاملة أمام الطلاب، تبقى شهراً مزعوجاً، تغضب، تحاول تنتقم، أنت السبب وضعت نفسك في موضع تستحق اللوم، فلما جاءك اللوم لم تحتمل.

((وإياك وما يعتذر منه))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عمر]

الشدة النفسية وراء معظم أمراض الإنسان:

أخوانا الكرام، لا أعتقد واحداً منكم يغفل عن هذه الحقيقة، الآن وراء معظم أمراض الإنسان وراء معظم أمراض الإنسان، الشدة النفسية تسبب قرحة، تسبب التهاب أعصاب، أمراض لا تنتهي، ضيق شرايين، عندنا تضيق اختلاجي، عندنا تضيق وعائي، الشدة النفسية تضيق شرايين القلب، تصبح أعراض الذبحة القلبية، الشريان ما فيه شيء، لكن مع التشنج ضاقت لمعته، هذا تضيق تشنجي، هناك تضيق وعائي، الشدة النفسية قد تجعل الشرايين تتقلص، صداع، آلام، قرحة، أمراض لا تعد ولا تحصى، تأتي من الشدة النفسية، والشدة النفسية أساسها ضيق في البيوت، الأب الهادئ، الذي يعمل عملاً جيداً، يكسب مالاً حلالاً، يحل مشكلات أولاده، مشكلات بناته، مشكلات زوجته، هذا إنسان في أعلى درجة من العبادة.

من كان مع الله كان الله معه:

طبعاً هذه حالة نادرة، أن هناك صحابي سُرقت بعض حاجاته، لكن هدوءه عجيب قال: يا رب هذا الذي سرقها إن أخذها عن حاجة فبارك له فيها، أنا أسامحه، وإن أخذها بطراً فاجعلها آخر ذنوبه، ما هذا الهدوء ! تجد المؤمن هادئاً، جبلاً راسخاً، لا يوجد شيء يزلزله.

صحابي آخر، قالوا له: احترق دكانك، قال لهم: لا لم يحترق، يا أخي احترق، قال لهم: ما كان الله ليفعل، واثق، مؤدي زكاة ماله، فلما ذهبوا إلى الدكان وجدوا المحترقة دكان جاره، قال لهم: ما كان الله ليفعل.

أنت أيضاً غالٍ على الله، صعب الله يدمر بلا سبب، أنت في رعاية الله، وفي عين الله.

(فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا)

(سورة الطور الآية: 48)

البيت السعيد بيت فيه طاعة لله و محبة له:

أخوانا الكرام والله هذا الشعور أنه أنت غالٍ على الله، والله عز وجل ما كان ليفعل معك ذلك، هناك مصائب ماحقة، هناك إنسان يُستدعى ليستلم ابنته من قسم الشرطة، وقد ضبطت في دار دعارة، مثلاً، هناك إنسان يستدعى ليأخذ ابنه من مركز شرطة متلبس بجريمة، هذه مصيبة، أما البيت الذي فيه تقوى، فيه صلاة، فيه قرآن، فيه هدوء، بيت سعيد، نحن عندنا توهم أن البيت السعيد الكبير، لا، ليس شرطاً، الدخل، ليس شرطاً، بأرقى أحياء دمشق، ليس شرطاً، البيت السعيد بيت فيه طاعة لله.

والله مرة أذكر زرت صديقاً يسكن بالجادة الأولى لكن من الشمال، أي عاشر جادة، حتى وصلت بشق الأنفس، البيت متواضع جداً، لا يوجد به بلاط فقط إسمنت والأثاث أشد تواضعاً، أقسم لكم بالله شعرت هذا البيت أنه قطعة من الجنة، فيه تقوى، فيه حب، فيه أب يحب الله ورسوله، زوجة صالحة، أولاد أبرار، صغار، بيت متواضع، البيت الذي فيه طاعة جنة، وهناك بيوت يقول لك: مئة و ثمانون مليوناً، لا يوجد به سعادة، ليس فيه طاعة لله.

(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا)

(سورة طه الآية: 132)

لذلك من أين يأتي الهدوء ؟ من معرفة الله، من التوحيد، من الخضوع لله عز وجل.

أكثر المعاصي أسبابها الغضب:

أيها الأخوة، بالمناسبة أكثر المعاصي أسبابها الغضب، المعصية يتوهمها الغضوب أنها تخفف توتره، النبي سأل عليه الصلاة والسلام:

((ما تَعُدُّون الصُّرَعَةَ فيكم ؟ ـ الشدة، والقوة، البطولة ـ قالوا: الذي لا يصرعُه الرجال، قال عليه الصلاة والسلام: لا، ولكنَّه الذي يملك نفسه عند الغضب))

[أخرجه أبو داود عن عبد الله بن مسعود]

لكن هناك حالات أخرى، حالات دم بارد، قال: دخل إنسان بريطاني على جسر وحيد الاتجاه، ودخل إنسان فرنسي على جسر والتقيا بمنتصف الجسر، كل واحد أبى أن يرجع، فالفرنسي أراد أن يغيظ البريطاني، فتح قاموس لاروس، هكذا سماكته، الثاني قال له: عندما تنتهي أعرني إياه.

أما في حلم، الحليم، قال: كاد الحليم أن يكون نبياً، الحلم سيد الأخلاق، تجد أباً هادئاً بالبيت، كله هادئ، لا يوجد كلمة قاسية، لا يوجد صوت مرتفع، يقول لك الجار: كأنه لا يوجد أحد بالبيت، كلامه بصوت منخفض، كل قضية تحل بشكل سلمي لطيف، بملاحظة، بعتاب بسيط، أما بيت سُباب، وشتائم، وخبط أبواب، ومسبات دين، كلما كنت مع الله كان البيت فيه تجلٍّ، فيه رحمات، بيت مرحوم.

من عصى الله عز وجل اختل توازنه و أصبحت ردود فعله قاسية جداً:

أنا أتكلم كلاماً دقيقاً، هناك بيوت فيها غضب شديد، ضرب، سُباب، صوت مرتفع، الإنسان عندما يكون عاصياً لله يختل توازنه، أحد ظوهر اختلال توازنه ردود فعل قاسية جداً، الروح المرحة من الإيمان، أنت تمشي بشكل صحيح، وعندك إحساس، والله يحبك، والأمر بيده كله، وأنت عليك أن تطيعه، وتطيعه، هذه المعاني تعمل لك هدوءاً، استقراراً، سكينة، تجلياً، سعادة، رضا، إذا الأب بهذه الحال، البيت كذلك، الزوجة كذلك، لا يوجد كلمة اعتذار، يوجد حب، يوجد حياء، يوجد خجل، يوجد أدب، لذلك قال تعالى:

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ)

(سورة آل عمران الآية: 159)

قال لك قانون، معادلة رياضية

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ)

يعني بسبب رحمة استقرت في قلبك يا محمد كنت ليناً لهم، فلما كنت ليناً لهم التفوا حولك.

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

(سورة آل عمران الآية: 159)

أنت، أنت نبي ورسول، ويوحى إليك، ومعك القرآن، والوحي، معك معجزات، وسيد الخلق، وحبيب الحق، وسيد ولد آدم، وفصيح، قال له أنت، أنت مع كل هذه الخصائص

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

فكيف إذا شخص ما هو نبي، ولا رسول، ولا يوحى إليه، ولا معه القرآن، ولا فصيح اللسان، ولا جميل الصورة وغليظ، لماذا هذه

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

بطولة الأب لا أن يكون محترماً فقط بل أن يكون محبوباً أيضاً:

والله يا أخوان لي ملاحظة، أنا أتصور في ثقافة المسلمين ذكرتها سابقاً، بثقافة المسلمين الأب محترم، لكن بطولتك أيها الأب لا أن تكون محترماً فقط، أن تكون محبوباً والله هناك أب يدخل للبيت عيد بالبيت، الأولاد يتحلقون حوله، يُقبّلونه، ما حصل ؟ أب، أب رحيم، أب محب، أب حريص، أنا أرى أحد أكبر أسباب السعادة تكون أباً ناجحاً، تجمع الأسرة.

حدثني قريب، قل لي: أنا منذ خمس و ثلاثين سنة الغداء الساعة الثانية، وكل أفراد الأسرة على الطاولة، يجب أن تصر على وجبة طعام الكل يحضرها، و لتكن ساعة طعام وحديث، بابا أنت اليوم ماذا تكلم الأستاذ ؟ حدثنا، تجلس مع أولادك، تسمع منهم، يقال: أحد أسباب نجاح الزواج أن تصغي لامرأتك أقل شيء عشرين دقيقة، ماسك الجريدة، لا أترك الجريدة، اترك المجلة، اترك كل شيء وأصغ لها نصف ساعة، هذه النصف ساعة تمتن العلاقة بينك وبينها.

النبي الكريم على علو شأنه و مقامه كان من أحسن الناس مع أهل بيته:

لذلك النبي الكريم على علو شأنه، وعلو مقامه، كان يستمع للسيدة عائشة بحديث طويل، مرة حدثته عن أبي زرع، وعن أم زرع، القصة طويلة، كان أبو زرع شجاعاً، وكريماً، وشهماً، لكن تأسفت في نهاية القصة لأنه طلقها، فقال عليه الصلاة والسلام: أنا لك كأبي زرع لأم زرع ولكني لا أطلقك. أصغ، تدخل للبيت اجلس مع أولادك، مع زوجتك، تعبانة بالبيت، الله يعطيك العافية، ويخلي لنا إياك، نحن بدونكِ لا نساوي شيئاً، ماذا تكلفك هذه ؟ تعمل لها تألقاً، تعمل لها اندفاعاً لخدمتك، كلمة لطيفة، الله قال:

(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)

(سورة البقرة الآية: 83)

هذه زوجتك، أم أولادك، البيت نظيف، الأولاد مرتبون، كل شيء أحسنه، أين الأكل ؟ طول بالك، قل السلام عليكم، الله يعطيك العافية، الأب الناجح، كلام لطيف، الأسرة التم شملها.

أخطاء الآباء لها منعكسات عند الأبناء:

من أين يأتي الغضب ؟ من أب غضوب، من أين تأتي أمراض الصغار ؟ الأمراض النفسية ؟ من أب قاسٍ، من أب يسرع بالسُباب، والشتائم، والضرب، وهناك أب قناص، يتغافل عن كل ميزات أولاده، إذا أخطأ شخص تقوم الدنيا ولا تقعد، هذا ليس أباً، انظر إلى الآية ما أدقها:

(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)

(سورة الحجر)

وهناك آية:

(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)

(سورة الشعراء)

خفض الجناح تواضع، إذا أنت مكلف أن تتواضع لمؤمن، والأمر للنبي موجه

(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)

(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)

فكيف بأهلك ؟ كان عليه الصلاة والسلام إذا دخل إلى بيته واحداً من أهل البيت، يقول:

((فإنهن المؤنسات الغاليات))

[أخرجه الطبراني عن عقبة بن عامر]

أكرموا النساء فوالله ما أكرمهن إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم ويغلبهن لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً، من أن أكون لئيماً غالباً.

علامات نجاحك في الحياة نجاحك في البيت أولاً:

أنا أقول لكم بصراحة علامات نجاحك في الحياة نجاحك في البيت أولاً، قول النبي الكريم:

((خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي))

[أخرجه الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

فالأب الحليم البيت هادئ، سُباب لا يوجد، شتم لا يوجد، إغلاق الباب بعنف لا يوجد، هناك كلمة طيبة، ابتسامة، شكر، تسامح، اعتذار، تجد الجو روحاني، الكل تجدهم بهدوء، بخضوع، ممكن إذا في خطأ بالبيت، الابن الصالح يصحح هذا الخطأ.

أيها الأخوة، أردت بهذا اللقاء الطيب أن أبين أن أخطاء الآباء لها منعكسات عند الأبناء، فهناك بيت كله اعتذار، لطف، مودة، أنا أقول لكم كل واحد منكم يريد أن يعمل بيته جنة، كل واحد منكم، يدخل يسلم على والدته، إذا كان في عنده طرفة سمعها يحكيها، يضحكهم، النبي كان يمزح، ولا يمزح إلا حقاً، لا تكن كهنوتياً، عبوساً، قمطريراً، كن مرحاً، وكان عليه الصلاة والسلام يمزح مع أصحابه.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (20-36) : التربية الاجتماعية -3- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 08-11-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

التربية الاجتماعية من أهم أنواع تربية الأولاد في الإسلام:

أيها الأخوة الأكارم، مع الدرس العشرين من دروس تربية الأولاد في الإسلام، وننتقل في هذا الدرس إلى التربية الاجتماعية، وهي من أهم أنواع تربية الأولاد في الإسلام، وفي كل درس إن شاء الله نختار موضوعاً كبيراً من موضوعات التربية الاجتماعية، ولنبدأ بموضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

علة خيرية هذه الأمة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الإيمان بالله:

أخوتنا الكرام، هذا الحق متى ينمو ؟ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دوائر الباطل متى تتقلص ؟ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكاد العلماء أن يعدوه الفريضة السادسة، كيف أن هناك صوم، وصلاة، وحج، وزكاة، هناك أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، هذه فريضة سادسة، وأكبر دليل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى حينما أخبرنا فقال:

(كُنْتُمْ)

أي أصبحتم بهذه البعثة:

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)

(سورة آل عمران الآية: 110)

الأمة الأولى الآن كبا بها الجواد، لكل عالم هفوة، ولكل حسام نبوة، ولكل جواد كبوة، نحن في عصر كبا جواد هذه الأمة

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)

لماذا هي خير أمة ؟ قال:

(تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)

(سورة آل عمران الآية: 110)

تنامي الحق و تقلص الباطل عندما نربي أولادنا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

والله قبل أيام أحد أخوتنا الكرام له ابن بالحضانة، يعتني بتربيته عناية بالغة، والبيت منضبط انضباطاً شديداً، فالآنسة مع أنها من مظهرها اتجاهها إسلامي، وضعت لهم أغنية لمغنية لا أتكلم ولا كلمة، لمغنية، فالأطفال فرحوا، إلا أن هذا الابن قال للآنسة هذه المغنية ينبغي ألا نستمع لغنائها، لأن الله لا يحبها، ارتبكت الآنسة، والصف ارتبك، وأطفأت الأغنية، تصور طفل صغير.

حينما نربي أولادنا على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، الحق يتنامى والباطل يتقلص، أما الآن الذي يحصل قد تأتي إلى بيت إنسان محترم، مسلم، من رواد المساجد، ابنة أخيه ترتدي ثياباً فاضحة، يرحب بها، يثني على جمالها، وعلى أناقتها، وترتدي ثياباً فاضحة، ولا يخطر في باله أن يقول لها كلمة، أبداً.

فحينما لا نتناهى عن المنكر نستحق الهلاك، ما الذي جعل بني إسرائيل يستحقون الهلاك ؟ الله عز وجل يقول:

(كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ)

(سورة المائدة الآية: 79)

حدثني أخ سائق على خط دمشق بيروت، معلوماته محدودة جداً في الدين، لكنه مؤمن فيما أعتقد، ركب معه شاب وشابة من بيروت، وطلبوا منه أن ينتظر قليلاً ريثما تأتي محفظة، فجاء رجل كبير في السن في السبعين من عمره تقريباً، وعلى رأسه المحفظة، هذا الشاب وكزه على خده لمَ تأخرت ؟ أخذ المحفظة، وضعها والسيارة انطلقت، وصل هذا السائق إلى مشارف عاليه، تقول هذه الشابة (الزوجة لزوجها): لماذا ضربت أباك ؟ قام وقف قال له: أبوك هذا ؟ انزل، وهذه أجرتك، أبوك تضربه ؟!.

الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر واجب على كل إنسان:

عندما كل واحد منا طبعاً بأدب، بلطف، لكن يتكلم، ما أحد يتكلم كلمة، تجده يسب الذات الإلهية بأقذع أنواع السباب، والكل ساكت، لابدّ بأمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

أخت محجبة تركب مركبة عامة، وضع السائق أغاني ساقطة، قالت له: هذا الشريط تسمعه في بيتك، أما هذه مركبة عامة، هذه ليست لك، أطفئ الشريط.

تكلم كلمة، انصح نصيحة، يقول شخص: والله سبب توبتي عن الخمر أنني كنت أنتظر مركبة عامة، وبعد ساعة وقفت مركبة لي، لمح السائق زجاجات خمر معي، قال له: تفضل انزل، أنا لا أركب راكباً معه خمر، يقسم بالله أحد أسباب توبته هذا الموقف من هذا السائق.

عود نفسك تنصح، دخلت مرة لعند شخص، محسن كبير، وتاجر كبير، ومحسوب على المسلمين، عنده موظفة غير معقول وضعها إطلاقاً، نصحته، قال: والله دخل لعندي مئات الأشخاص، ما أحد قال لي كلمة، يعني صرفها طبعاً، أنت محسوب على المسلمين، إنسانه بهذا التفلت غير معقول تكون عندك موظفة هكذا، تكلم كلمة يا أخي، ربِّ ابنك على أن ينتبه، هذه غلط، هذا صواب، هذا يجوز، هذا لا يجوز، هذا حلال، هذا حرام.

من ينسحب من الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر يفقد خيريته:

لذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الفريضة السادسة، ولما الطفل ينمو على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحقيقة إذا في أمر بالمعروف في انضباط.

أحياناً بعض الثانويات ترسل للآباء يرجى الإفادة بهذه المعلومات، هل يصلي ابنك في البيت ؟ كم أب بدأ يصلي خجلاً من ابنه، الأب يُسأل عن صلاة ابنه، وهو لا يصلي، هذا السؤال لفت نظر لطيف، أن أيها الأب صلِّ، أحياناً تكون الملاحظة لطيفة جداً، رقيقة، مهذبة، بشكل أو بآخر ليست مباشرة ينتبه الإنسان، أما ليس له علاقة، لا يعنيه أمر الناس، هذا الذي ينسحب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد بنص الآية خيريته، واليهود أهلكهم الله لأنهم

(كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ)

شخص وجد عند أخته مخالفة شرعية، بكل لطف هذه مخالفة يا أختي، أنا ناصح لكِ.

الاستقامة سبب أساسي في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر:

لكن بالمناسبة لا يستطيع إنسان أن ينهى عن منكر إلا إذا كان مستقيماً، إذا في خطأ، في شطط، في تساهل، هناك من يسكته، وهناك من يعنفه، وهناك من يقول له يا طبيب طب نفسك.

إذاً أنا حينما أربي أولادي على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

حدثني أخ إمام مسجد، قال لي: تأخرنا بالاستيقاظ صباحاً، هيأت لابني شطيرة و قلت له: كلها في الطريق بابا، قال له: قال عليه الصلاة والسلام:

((الأكل في السوق دناءة))

[أخرجه الطبراني عن أبي أمامة الباهلي]

طفل صغير، ما أجمل طفل صغير ينطق بالحق، ربِّ ابنك، أراد أن يصلي يسأل أخته هل صليت ؟ قومي لنصلي معاً، ما دام في تناصح بالبيت، مادام في توجيه لطيف.

الابتعاد عن الغلظة و الفظاظة في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر:

أنا أبداً لا أقصد إطلاقاً الأمر بالعروف والنهي عن المنكر بغلظة، من أمر بالمعروف فليكن أمره بمعروف، ومن نهى عن منكر فليكن نهيه بغير منكر، وإذا نتج عن الأمر بالمعروف أو عن النهي عن المنكر منكر أشد من الذي تنكره ينبغي ألا تنكر.

سيدنا عمر له كلمة قال: ليس بخيركم من عرف الخير، ولا من عرف الشر، ولكن من عرف الشرين، وفرق بينهما، واختار أهونهما.

والآية الدقيقة:

(وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً)

(سورة الأنفال الآية: 25)

معنى ذلك أن هذه الفتنة تصيب المؤمنين المستقيمين، ما ذنبهم ؟ لم يكن هؤلاء ليأمرون بالمعروف، أو ينهون عن المنكر.

لذلك ورد في بعض الأحاديث أن الله أرسل الملائكة ليهلك بلدة، قالوا: يا رب إن فيها صالحاً (فيها رجل صالح)، قال: به فابدؤوا، لِمَ يا رب ؟ قال: لأن وجهه لم يكن يتمعر إذا رأى منكراً.

هناك شخص مستقيم، لكن لا يعنيه أمر الناس أبداً، لا أمر أهله، لا أمر أولاده، لا أمر أخته، لا أمر من حوله، يعنيه نفسه فقط، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خروج من الذات لخدمة الخلق، لكن مرة ثانية لا تستطيع أن تتكلم كلمة حق إن لم تكن مستقيماً، إن لم تكن مطبقاً، إذا في ثغرة هناك من يتطاول عليك عندئذٍ. إذاً علة خيرية هذه الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

التواصي بالحق أحد أركان النجاة:

الآن هل تصدقون أن التواصي بالحق ربع النجاة، أو أحد أركان النجاة، النجاة لها أركان، لها أربعة أركان، والدليل:

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

(سورة العصر)

فالتواصي بالحق أحد أركان النجاة، بل التواصي بالحق ربع النجاة، أحياناً وإن كان الموضوع تربية الأولاد في الإسلام حينما يقنع الأب بخطورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأب يمارس هذه العبادة في بيته، مع زوجته، مع أولاده، مع أخواته، الابن ينتبه، الأب قبل أن يصلي سأل من منكم لم

يصلِّ ؟ فلنصلِ جماعة، نوع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سأل ابنه وهو في فراشه يا بني أصليت العشاء ؟ صار في سؤال، في مسؤولية، في جواب، عود أولاد أن يتلقوا الأمر بالمعروف بصدر رحب، والنهي عن المنكر بصدر رحب، وعودهم أن يتكلموا كلمة.

الكلمة الطيبة صدقة:

أحياناً يكون الابن عند أبيه، والأب يرتكب مخالفات في البيع كبيرة جداً وخطيرة، الابن بأدب جمّ بابا هذه لا تجوز، هكذا قال الشيخ، تحب تسأله ؟ يجوز أنا فهمت منه غلط تحب أن تسأله، يحرجه، والله في أساليب بالأمر بالمعروف والنهي المنكر في منتهى الروعة، في منتهى الحكمة.

مرة الحسن والحسين رأيا شيخاً يتوضأ ويخطئ في الوضوء، فحكّماه في وضوئهما، وتوضأ كل منهما أمامه وسألاه أينا أفضل وضوءه من الآخر ؟ قال لهم: والله أنا الغلطان.

ممكن أن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر دون إحراج، والله سمعت عن عالم بمصر والده يدخن، والأب له مقام، والأب يحترم ابنه احتراماً كبيراً جداً، بل هو يظن أن ابنه لا يعلم أي لا يدخن أمام ابنه أبداً، فهذا العالم الجليل (الأب له مكانه ويدخن) رجا قريب لهم مدخن أن يزور أباه في وقت معين، في هذا الوقت كان هذا العالم عند أبيه، دخل الضيف وقال له: دخن أمامي، فالضيف دخن، وجه الابن رسالة للضيف، عن أخطار الدخان، يقسم بالله عندئذٍ الأب ترك الدخان، ولا جرحه أدباً، هناك طريقة تنبه ولا تجرح، كلف إنساناً يدخن من أقربائه، رجاه أن يأتي في وقت معين، دخن أمامه، عمل له محاضرة، الابن يخاطب هذا الضيف والأب هو المعني، الكلام هو للأب في الحقيقة، هذا أسلوب راقٍ جداً.

فكر أنت أنه يجب أن تقول كلمة، والكلمة الطيبة صدقة.

((إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ترفعه إلى أعلى عليين، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى يهوي بها إلى أسفل سافلين))

[ورد في الأثر]

الصالح و المصلح:

الآن قال تعالى:

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)

(سورة هود)

إن كانوا صالحين يهلكون، أما إن كانوا مصلحين لا يهلكون، الفرق بين الصالح والمصلح، الصالح في ذاته، أما المصلح لغيره، عود نفسك تستقيم من أجل أن يقوى مركزك، استقم، ثم وجه ملاحظة أنا

أنصحكم على انفراد، لا تنصح إنساناً أمام ملأ، زوج أمام زوجته، معلم أمام طلابه، صاحب محل تجاري أمام موظفيه، لا يتحمل، في إهانة، حاول أن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر فيما بينك وبين الآخر، على انفراد يقبلها منك، ويثني عليك، ويشكرك.

إذاً

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)

معنى ذلك أن المصلحين في منجاة من الله عز وجل، أما الصالحون لا ينجون.

من صفات المؤمنين أن بعضهم أولياء بعض:

بشكل أو بآخر تصور شارعاً، فيه عشرون بيتاً، احترق أول بيت، إن لم يسارع كل الجيران إلى إطفاء الحريق، الحريق ينتقل إليهم بيتاً بيتاً، هذه الفكرة ببساطة، وهذا معنى قوله تعالى

(وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً)

الفتنة إن لم تُحاصر تنتقل من بيت إلى بيت، من صفات المؤمنين قال تعالى:

(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)

ما صفاتهم ؟

(يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)

(سورة التوبة الآية: 71)

ألا تحب أن تكون مؤمناً كاملاً ؟ من صفات المؤمن الكامل:

(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

(سورة التوبة)

على المسلم أن ينطق بالحق و لو على حساب نفسه:

لذلك قال أحد الصحابة: بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان، ألا ننازع الأمر أهله إلا إذا رأيتم كفراً بواحاً، معنى ذلك ينبغي أن تنطق بالحق.

في بلد إسلامي في توجه إلى إلغاء الصيام كلياً، فحاولوا أن ينتزعوا فتوى من بعض العلماء، ما تمكنوا في عالم جليل له مكانة كبيرة، طبعاً طُلب منه اعتذر، أغري اعتذر، هُدد اعتذر، ثم وافق فجأة على

إصدار فتوى بإلغاء الصيام، القصة من عشرين ثلاثين سنة، موعد الندوة التي سيلقي فيها هذه الفتوى أخر كي تكون لها دعوة كبيرة ويشاهدها معظم الناس، فقال في هذه الندوة: يقول الله:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

(سورة البقرة).

وأي مسلم لا يصوم رمضان، بل يفطر بغير عذر فهو كافر بهذه الآية، طبعاً ثاني يوم انتهت حياته، لكن قطع الطريق على ضعاف النفوس أن يفتوا بإلغاء الصيام، أحياناً الكلمة:

(مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)

(سورة إبراهيم).

(مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ)

(سورة إبراهيم)

المؤمنون بعضهم أولياء بعض و الطرف الآخر بعضهم أولياء بعض:

أخوانا الكرام، الحقيقة هناك آية في سورة الأنفال، رقمها اثنان و سبعون، والله لا أعتقد في آية المسلمون اليوم في أمس الحاجة إليها كهذه الآية، الآية دقيقة جداً، فيها ملمح دقيق، الله عز وجل يقول:

(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)

(سورة الأنفال الآية: 72)

واضح الآية انتهت، من صفات المؤمنين أنهم يؤمنون، ويهاجرون، ويجاهدون

(وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)

اسمعوا الآية الثانية تأتي بعدها:

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)

(سورة الأنفال الآية: 73)

كما أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض يتعاونون، ويخططون، ويسهرون، ويحرصون على وحدتهم، وقوتهم، ونصرتهم، والطرف الآخر

(بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)

يتعاونون.

معاناة المسلمين من الفتن والفساد بسبب الابتعاد عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لذلك أنا سبحان الله هناك آية ألقيها في عقود القران وليس لها علاقة بالزواج إطلاقاً، هي هذه الآية:

(إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ)

(سورة النساء الآية: 104)

الطرف الآخر يسهر، ويجهد، ويتعب، ويتألم من أجل إبطال الحق، من أجل تقوية الباطل، من أجل تحبيب الناس بالمعصية، من أجل إطفاء نور الله.

(يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ)

(سورة التوبة الآية: 32)

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)

اسمعوا الآن

(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)

(إِلَّا تَفْعَلُوهُ)

(سورة الأنفال الآية: 72)

على من تعود هذه الهاء ؟ تعود هذه الهاء على الآية السابقة بأكملها، إن لم تؤمنوا، إن لم تجاهدوا، إن لم تهاجروا، إن لم تؤووا، إن لم تنصروا:

(إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)

(سورة الأنفال)

ونحن نعاني من فتنة في الأرض وفساد كبير بسبب عزوف المسلمين عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تعاون الطرف الآخر و تآمره على المسلمين:

ألا ترون إنسانة محجبة محترمة، ابنتها إلى جانبها ترتدي أفضح الثياب ؟ أين الأم ؟ أين الأب ؟

(إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)

نعيد الآية:

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)

اسمعوا الآن

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ * إِلَّا تَفْعَلُوهُ)

هذه الهاء تعود على الآية السابقة بأكملها

(إِلَّا تَفْعَلُوهُ)

إن لم تؤمنوا، إن لم تهاجروا، إن لم تجاهدوا بأموالكم، وأنفسكم، إن لم تؤووا، إن لم تنصروا، الطرف الآخر يتعاون، ويتآمر

(إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)

بطولة الإنسان ألا يدع الباطل ينفرد بالساحة:

هناك نقطة دقيقة جداً، أخوانا الكرام، الباطل قديم قدم الإنسان، لكن البطولة ألا ينفرد الباطل بالساحة، هناك فسق، هناك دور لهو، هناك دور فيها شراب، فيها خمور، هناك دور دعارة، في كل شيء، لكن يجب ألا ينفرد العصاة بالساحة، وهناك مساجد، و التزام، و عفة، و صدق، و أمانة.

والله سائق في هذه البلدة وجد في مركبته عشرين مليون ليرة، بحث أربعة أيام حتى عثر على صاحبها.

رجل ألماني زار تركيا نسي بمطعم خمسمئة ألف يورو، صاحب المطعم أبلغ الشرطة، والمبلغ أبقاه عنده أن ابحثوا عن صاحبه، بعد يومين وصل هذا السائح إلى المطعم وشكر هذا التركي بشكل كبير.

والله شخص أحياناً يرفع شأن الإسلام عند الطرف الآخر، واحد، فنشروها بالانترنيت هذه القصة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوام الدين، الفريضة السادسة، دع لسانك يتكلم، الساكت عن الحق شيطان أخرس، فالبطولة ألا ينفرد الباطل بالساحة، في دور لهو وفي مساجد، في كذب وفي صدق، في نفاق وفي إخلاص، في تفلت وفي انضباط، في بخل وفي كرم، في جبن وفي شجاعة.

والله دخلت لدائرة موظف مستقيم محبوب جداً، له أعمال طيبة جداً، أربك كل الموظفين أربكهم بأدب، كأن بهذه الدائرة هناك اتجاه لمعاونة المواطنين خجلاً من هذا الإنسان، مستقيم، لطيف، محسن، منضبط، يخدم المواطنين خدمة كبيرة جداً صار مثلاً أعلى.

مرة راكب إنسان فوق فرس يمشي في الصحراء، يبدو أن أحد لصوص الخيل كان بوضع مؤلم فدعاه لركوب الخيل، ما إن امتطى الجواد حتى دفع صاحب الفرس إلى الأرض وولى بفرسه لا يعدو على شيء، فخاطبه صاحب الفرس، قال له: لقد وهبت لك هذا الفرس ولن أسأل عنها بعد اليوم، ولكن إياك

أن يشيع هذا الخبر في الصحراء، فتفتقد المروءة، وبافتقاد المروءة يذهب أجمل ما في الصحراء.
فأنت ائمر بالمعروف، وانهِ عن المنكر.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة علينا الحفاظ عليها:

الحقيقة النبي عليه الصلاة والسلام أوتي جوامع الكلم، وعلمونا في الجامعة أن أفصح كلام بعد كلام الله هو كلام النبي عليه الصلاة والسلام، هذا مشهد، يقول عليه الصلاة والسلام:

((مَثَلُ القائِمِ في حُدُودِ اللَّه والْوَاقِع فيها، كَمثَل قومٍ اسْتَهَموا على سَفِينَةٍ ـ يعني كل واحد أخذ مكانه من السفينة ـ فأَصابَ بَعْضُهم أعْلاهَا، وبعضُهم أَسْفَلَهَا فكان الذي في أسفلها إذا استَقَوْا من الماء مَرُّوا على مَنْ فوقهمْ، فقالوا: لو أنا خَرَقْنا في نَصِيبِنَا خَرقا ولَمْ نُؤذِ مَنْ فوقنا ؟ ـ فتحوا فتحة ـ فإن تَرَكُوهُمْ وما أرَادوا هَلَكوا وهلكوا جَميعا، وإنْ أخذُوا على أيديهمْ نَجَوْا ونَجَوْا جَميعا))

[أخرجه البخاري والترمذي عن النعمان بن بشير]

أنا أقول دائماً نحن جميعاً في قارب واحد، كأمة، نحن في قارب واحد، فإذا في خطأ من واحد هذا الخطأ يعم على الآخرين، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة، أنت لماذا تصلي ؟ لأن الصلاة فريضة، لماذا تصوم ؟ الصيام فريضة، وأقول لك ينبغي أن تبادر إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه الفريضة السادسة.
أحياناً الأم تخطئ خطأ كبيراً، لا أحد يحاكيها، ولو أنها أم، ماما غلط هذا الشيء، هذا فيه مخالفة شرعية، في نهي عنه، القرآن نهى عنه، يمكن أول مرة لا تتقبلك، لكن مع الإعادة صار في انضباط.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب الانضباط في البيت وفي العمل:

صدقوا أيها الأخوة أن أحد أسباب الانضباط في البيت وفي العمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والآية ذكرتها قبل قليل:

(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ)

(سورة المائدة)

أحد أكبر هلاك بني إسرائيل

(كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ)

تفنن الغرب بإذلالنا و إفقارنا لابتعادنا عن المعروف و سكوتنا على المنكر:

لذلك هذا الذي حلّ بنا من مصائب، أراضي محتلة، خمس دول إسلامية محتلة، ثرواتنا منهوبة، العالم الغربي يتفنن في إذلالنا، وفي إفقارنا، يجتمع إلى تعليل ذلك، قال عليه الصلاة والسلام:

((لا إله إلا اللّه، ويلٌ لِلْعَرَبِ من شرّ قد اقْتَرَب، فُتِحَ اليوم من رَدْمِ يأجوجَ ومأجوجَ ـ وعقد بيديه عشرة قالت زينب زوجته: ـ يا رسول اللّه أنَهْلِكُ وفينا الصالحون ؟ قال: نعم، إذا كَثُرَ الْخَبَثُ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن زينب بنت جحش أم المؤمنين]

الصالحون قلة وساكتون، والمعاصي ترتكب كل يوم، قد يهلك هؤلاء الصالحون، أما إذا كانوا مصلحين الله عز وجل ينجيهم.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف ولَتَنْهَوُنَّ عن المنكر، أو لَيُوشِكَنَّ الله يبعثُ عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجيبُ لكم))

[أخرجه الترمذي عن الحذيفة بن النعمان]

بربكم في أيام المحن الظهر والعصر والدعاء والصوت مرتفع بالدعاء، والله عز وجل ما استجاب، هذه حالة خطيرة جداً

((ثم تدعونه فلا يستجيبُ لكم))

على الإنسان أن يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر بأدب و بدون فضيحة:

أيها الأخوة، قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الفريضة السادسة مارسها، وعلم أولادك أن يمارسوها لكن بأدب، من دون فضيحة، انصح الإنسان بينك وبينه وتلطف بالنصيحة، واستخدم ألطف عبارة.

((دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفت في وجهه أنه قد حفزه شيء فتوضأ ثم خرج فلم يكلم أحداً فدنوت من الحجرات فسمعته يقول: ' يا أيها الناس إن الله عز وجل يقول: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر من قبل أن تدعوني فلا أجيبكم، وتسلوني فلا أعطيكم، وتستنصروني فلا أنصركم))

[أخرجه البزار عن عائشة أم المؤمنين]

أليست هذه الحالة واقعة الآن

((من قبل أن تدعوني فلا أجيبكم وتسلوني فلا أعطيكم وتستنصروني فلا أنصركم))

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام أوتي جوامع الكلم، وأعلمه الله ببعض أشراط الساعة، دققوا الآن:

((كيف بكم إذا لمْ تأمروا بالمعروفِ ولم تَنْهَوْا عن المنكر ؟ قالوا: يا رسول الله، وإنَّ ذلك لكائن ؟ قال: نعم، وأشدُ، كيف بكم إذا أمرتُم بالمنكر، ونهيُتم عن المعروف ؟ قالوا: يا رسول الله وإنَّ ذلك لكائن ؟ قال: نعم، وأشدُّ كيف بكم إذا رأيتُمُ المعروفَ منكرا والمنكرَ معروفا))

[أخرجه زيادات رزين عن علي بن أبي طالب]

أيها الأخوة، للدرس بقية، وهذا من أدق الدروس في التربية الاجتماعية، اسلك هذا الأسلوب، ووجه أولادك كي يسلكوا هذا الأسلوب فلعل الله سبحانه وتعالى ينفعنا جميعاً في تأدية هذه العبادة السادسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (21-36) : التربية الاجتماعية -4- الحوار بين الأب وابنه

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 15-11-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

الحوار بين الآباء و الأبناء:

أيها الأخوة الكرام، مع درس جديد من دروس تربية الأولاد في الإسلام، والموضوع اليوم موضوع يمكن أن تلحقه بشتى الموضوعات السابقة واللاحقة، موضوع الحوار بين الأب وابنه، ذلك لأن معظم الآباء إما لغفلة، أو لعدم تقدير، أو لضعف في خبراته التربوية، يعطي الأوامر لأولاده ويعنفهم، وهذا شأنه في أكثر أوقات حياته مع أولاده.

ولكن لو كشف الأب أو الأم قيمة الحوار مع الأبناء، لوجدوا أن القائد الناجح لا الذي يأمر، بل الذي يُقنع، إنك إن أقنعت أولادك بشيء تبنوا هذا الشيء، وطبقوه نصاً وروحاً، أما إذا أمليته عليهم، وكنت قاسياً طبقوه شكلاً في وجودك، فإذا غبت عنهم لا يطبقوه أبداً.

شقاء الأولاد شقاء حكمي لآبائهم وأمهاتهم:

لذلك أول نقطة، اجلس مع ابنك، أي أنا أتمنى على كل أب وعلى كل أم أن يخصصا وقتاً للجلوس مع أولادهم، عندك مواعيد، عندك لقاءات، عندك محاضرة، في مهمة، أن تجلس مع أولادك هي أكبر مهمة، لأنهم جزء منك، لأن شقاءهم يشقيك، ولأن سلامتهم تسعدك، فالوقت الذي تجلس به مع أولادك هو وقت ثمين، وقت موظف لمستقبلك ومستقبلهم.

وقد أكدت لكم كثيراً أن الله عز وجل حينما قال:

(فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى)

(سورة طه)

ولم يقل فتشقيا، مع أن الصياغة اللغوية تقتضي أن تكون فتشقيا، لكن العلماء قالوا: شقاء الأزواج شقاء حكمي لزوجاتهم، ويقاس على ذلك أن شقاء الأولاد شقاء حكمي لآبائهم وأمهاتهم.

لذلك لو أن الإنسان خصص وقتاً في أسبوع جلسة، كل بضعة أيام جلسة، على الطعام ما في مانع، لابدّ من أن تجلس مع أولادك كي تحاورهم، وأنت لا تعلم كم يسعد الابن حينما يرى أباه الإنسان

العظيم، يسأله عن دراسته، عن أحواله، من أصدقاؤه ؟ كيف يمضي الوقت معهم ؟ بماذا يشعر في المدرسة ؟ أي أستاذ تأثرت به يا بني ؟ ماذا قال لك ؟ هذا الحوار موضوع هذا اللقاء الطيب.

الجلوس مع أولادك هي أكبر مهمة لأنهم جزء منك:

أول شيء اجلس معه، لكن لا ينبغي أن تكون واقفاً، وهو دون بكثير، تملي عليه الأوامر، ولا أن يكون هو واقفاً وأنت مضطجع، ينبغي أن تجلس معه، أن يكون إلى جانبك، أو أن يكون تجاهك، نوع الجلسة يختلف، لا تكون أعلى منه، ولا أعلى منك، اجلس معه إما إلى جانبك، أو باتجاهك.

الجلسة الودية أهم شيء أن لا تكون سريعة، قبل الدوام بعشر دقائق، قبل الطعام، قبل اللقاء، قبل مجيء الضيوف، الجلسة السريعة لا تثمر، اجلس معه وأنت تشعر أن الوقت بعد هذا اللقاء ممتد، لعل الحديث يكون ذا شجون، لعلك ترى ابنك قد تأثر تأثراً بالغاً، اجلس معه في جلسة مفتوحة، مفتوحة لساعة مثلاً، أما لدقائق، قبل المغرب، قبل الصلاة، قبل الطعام، قبل الموعد، قبل مجيء الضيوف، لا، اجلس معه في وقت مفتوح وحاول أن تحاوره، وحاول أن تأخذ منه، وأن تعطيه، وأقول لك بكل دقة حاول أن تجعله صديقك.

أعرف آباء كثيرين ألهموا هذه الطريقة بالمعاملة، فكان أبناؤهم أقرب الناس إليهم وكانوا معهم، وكانوا ظلهم.

الشروط الواجب تحقيقها أثناء جلوسك مع ابنك للحوار:

أين تجلس معه ؟ المكان، الهيئة، لا تكن أنت واقفاً، أو هو واقف، اجلس معه وجهاً لوجه، أو جنباً إلى جنب، لكن أين تجلس في مكان مألوف، مثلاً غرفة الجلوس فيها صخب، الأولاد صغار يضحكون، يتراكضون، هذا الجو ليس جواً صالحاً للحوار، اجلس معه في غرفته، أو في غرفتك، أو في غرفة خاصة، لعله أراد أن يقول لك شيئاً، لن يقوله أمام أمه، لعله أراد أن يقول شيئاً لن يقوله أمام إخوته، هيئ مكاناً على انفراد بينك وبينه، دائماً وأبداً النصيحة من الأب على انفراد مقبولة، النصيحة من الأب ولو مع التأديب على انفراد مقبولة، أما أمام إخوته الإناث تثور كرامته، أمام أصدقائه، لا، حاول أن يكون هذا اللقاء بينك وبينه، وفي غرفة مريحة، والوقت مفتوح، وإذا أمكن أفضل مكان خارج البيت، في مكان جميل، في جلسة مريحة، لا أقول نزهة لكن شبه نزهة، أحياناً في مكان منضبط لا يوجد ولا مشكلة، قد يكون مطعم مثلاً خذه، يشعر له شأن كبير عندك، هو غالٍ عليك، أنت حريص على أن تجلس معه، أنت لا تعلم كم هي الثمرة حينما تجلس مع ابنك، ويعلم ابنك علم اليقين أنك مشغول،

وعندك مهمات، لكن هناك عتب دائماً أنه: يا أبتِ أنت لنا، عملياً الأب ليس لأولاده للغريب، يتألمون، ويعتبون، نحن الأصل، غيرنا أنت لهم وغيرك لهم، أما نحن من لنا غيرك ؟ أنت تظن أنه أنا أمنت الطعام والشراب، أمنت الكساء، هذا شيء لابدّ منه، لكن هناك حاجة عند الطفل، أو عند الشاب إلى اهتمامك، كيف أن الابن بحاجة إلى الغذاء هو بحاجة إلى عطف أبيه، إلى اهتمام أبيه، إلى مودة أبيه، إلى وقت يجلسه مع أبيه، دائماً تسبه وتلعنه، دائماً تشهر به، وبين أن يكون كظلك، معك دائماً، بخدمتك، يدك اليمنى، فرق كبير، تتخذه صديقاً ولابدّ من جلسة حوار معه.

لابد من أن تجالسه على هيئة معينة، وفي مكان مريح، والوقت مفتوح، ولابدّ من أن تجالسه في وقت ليس هو مشغول فيه.

أحياناً تُدعى إلى نزهة، وعندك عمل مهم جداً، لابدّ من أن تنجزه، لن تسر بهذه النزهة ما دام في عمل، حينما تختار وقتاً مناسباً، مكاناً مناسباً، هيئة مناسبة، وقتاً مفتوحاً وتحاوره، تكون قد قطعت معه مراحل كثيرة.

أسلوب الزجر والشتيمة والنقد من أخطر أساليب الحوار بين الآباء و الأبناء:

هناك ملاحظة أحياناً أعد أخاً في الصباح، صباحاً الإنسان نشيط، استيقظ من النوم جسمه نشيط، أحياناً الموعد عقب يوم مليء بالمتاعب، تجد ما عندك إمكانية أن تحاور، ما عندك إمكانية أن تتابع الأمر متابعة دقيقة، ما عندك إمكانية التركيز، طبعاً الموضوع عام، إن أردت أن تلتقي بإنسان، والإنسان مهم طبق هذه الشروط نفسها، الحوار له شروط.

أولاً:

((علموا ولا تعنفوا))

[أخرجه البيهقي عن أبي هريرة]

أي أسلوب الزجر، والشتيمة، والنقد، هذا مع الأسف الشديد أكثر الاتصالات الهاتفية تؤكد هذا الموقف من الأب، ما عنده إلا السُباب، ما عنده إلا التشدد، ما عنده إلا اللوم، ما عنده إلا الدعاء على أولاده، البيت مكروه صار عند الابن، تجد الابن دائماً خارج البيت مع أصدقائه، لا يحتمل النقد، والتعنيف، والسُباب، والتجريح، إضعاف الثقة بالنفس، من لم يعرف الله عز وجل يكن أسوأ أب.

بطولة الإنسان لا أن يكون محترماً من أولاده فقط بل أن يكون محبوباً عندهم أيضاً:

أخوانا الكرام، هناك حقيقة سأقولها لكم ولكن مع التأكيد عليها، ثقافة الشرق أوسطية إن صحّ التعبير، الثقافة الإسلامية الآن محترمة، لكن ما كل أب محترم محبوب أنا أخاطب الآباء أحياناً، بطولتك أيها الأب لا أن تكون محترماً من أولادك، أن تكون محبوباً عندهم، فالحب يحتاج إلى بذل جهد، يحتاج إلى وقت، يحتاج إلى مال، يحتاج إلى أن يرى هذا الشاب أن أباه شيء مهم جداً بالنسبة إليه.

انطلاقاً من هذه الحقيقة أقول لكم: العمل عبادة، أنت حينما تتقن عملك، وتكسب مالاً معقولاً، وتنفقه على أولادك تشدهم إليك، الأب الذي ينفق على أولاده بالمعقول محترم جداً و محبوب، أولاده له، أما مقصر في عمله مع التقصير يوجد دخل ضعيف، مع الدخل الضعيف كل شيء طلبه ابني ما معي إياه، دائماً ما معك ؟ يقول لك: لماذا أنجبتنا إذاً يوجد سؤال كبير.

العمل عبادة:

فأنا من هذا المنطلق أرى أن العمل عبادة، أنت بالعمل الزوجة والأولاد إليك، أجمل كلمة قالها صحابي جليل: حبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي، حينما أقول حبذا المال لا أقصد به البذخ، لا أقصد الإتراف، التبذير، إطلاقاً، لكن جاء الشتاء الابن عنده معطف ؟ عنده كومبيوتر صغير ؟ يوجد أشياء بسيطة مؤمنة، حاجاته الأساسية مؤمنة، إذاً الابن مشدود إلى أمه وأبيه، إذاً لا تزجره.

((علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف))

[أخرجه البيهقي عن أبي هريرة]

أنا أذكر مُدرسة قالت لطالبة عندها: أنت غبية، هذه الكلمة سارت معها عشرين عاماً، عقدتها، يقسم بالله شاب، أو طفل أصح، دخل إلى المسجد وصلى بالصف الأول، هم كانوا سبعة، لكن الذي كان إلى جانب الطفل ما انتبه أنهم سبعة أشخاص، فدفعه نحو الخلف، هذا الطفل الذي دُفع نحو الخلف ترك المساجد لخمسة و خمسين سنة، يقول: من هذا الدفع لم أتجه إلى المسجد، طفل، الأطفال أحباب الله.

أولادنا الورقة الرابحة الوحيدة في أيدينا:

والله أيها الأخوة، أقول وقلبي يعتصر: لم يبقَ في أيدي المسلمين من ورقة رابحة إلا أولادهم، والأولاد يعني المستقبل، لا تعنف، لا تسب، لا تزجر، لا تضرب، هذه كلها أساليب لا تجدي، هذه الأساليب تجعل شرخاً كبيراً بينك وبين ابنك، هذه الأساليب تجعل ابنك ينافق لك، يقول لك ما يرضيك، وله أفكار أخرى، أما حينما يحبك يصارحك، هكذا قال لي صديقي، بابا ما قولك ؟ حينما تفلح أن يكون ابنك

صديقك فأنت أب مثالي، أحياناً يكون نبرة صوت حادة، كلام لطيف، كلام رقيق، يعني الكلمة الطيبة صدقة، الابتسامة صدقة، أن تربت على كتفه شيء مسعد، حديث لطيف مع ود، الوقت مفتوح، مرتاح أنت وهو، هذا اللقاء قد يكون له آثار كبيرة جداً.

الله عز وجل أوامره مشفوعة بالتعليل فعلى كل أب أن يعطي ابنه الأمر مع التعليل: احتراماً مثلاً هذا الإله العظيم الذي خلقنا له أن يأمرنا، طبعاً، أن يأمرنا وكفى، من دون تعليق، من دون تعليل، من دون حكمة، قال لنا:

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)

(سورة التوبة الآية: 103)

إله، يأتي الأمر مشفوعاً بالتعليل، بالحكمة، أراد أن يقنعك بهذا الأمر لا أن يأمرك.

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)

(سورة التوبة الآية: 103)

مثل آخر:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

(سورة البقرة)

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ)

(سورة العنكبوت الآية: 45).

(تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)

إله، كن فيكون، زل فيزول، أعطاك الأمر، أعطاك التعليل، فإذا أنت كلما أمرت ابنك أمراً قل له يا بني هذا الأمر لصالحك، من أجل مستقبلك، من أجل مكانتك، من أجل سمعتك، من أجل نجاحك في العمل، إله كن فيكون، زل فيزول، أعطانا الأمر مع التعليل، فأنت من باب أولى أنت أب أن تعطي الأمر مع التعليل، لأن التعليل احترام له.

أنا مرة كنت بمنصب قيادي، مدير ثانوية، عندي مئة و ثلاثة عشر مدرساً، وعندي موجهون، وعندي أمين سر، وعندي، فأجمع كل فئة على حدة، أقول لهم: نحن جميعاً فريق عمل، في موضوع، في عندنا مشكلة، ما الحلول عندكم ؟ إما أن أقنعكم بما عندي من حلّ، أو أن تقنعوني، هذا الحوار يعمل وداً، يعمل تألقاً، يعمل انتماءً، يعمل تطبيقاً.

الشدة تعلم الأولاد النفاق و الكذب:

أخوانا الكرام، هناك نقطة مهمة، لما غلط ضربته، أي خطأ جاءه الكف، انتهى، لا يأمنك أبداً، بدأ يكذب عليك بكل شيء، صار في موقفين، أنت بشدتك علمته النفاق، بشدتك علمته الكذب، بشدتك علمته

أن يكون هو بوادٍ وأنت في وادٍ، أما بالود والحوار تجعله صديقك، أنا أعرف أمهات كثيرات من قريباتي، البنات صديقاتها، ما الذي حدث في المدرسة يُبلغ للأم، والأم توجه، ماذا قيل لك ؟ أين ذهبت؟ ما الذي حصل معك؟.

أيها الأخوة، أنا أحياناً ألتقي بأخ كريم، في ود بالغ، في سلام بمنتهى الأدب، في ابتسامة، ومع ذلك يحضر عندي عشر سنوات أقول لا أعرفه، لماذا لا أعرفه ؟ ما سمعت منه كلمة، لما يتكلم أعرف مستوى وعيه، مستوى إدراكه، لغته، نصوصه، محاكمته، مهما إنسان داوم بجامع لسنوات تلوى السنوات ما دام ما تكلم ما احتككت فيه، أحياناً أسأل عن أخ من أجل الزواج، أقول والله لا أعرف شيئاً، عندي من ثمان سنوات لكن ولا مرة زارني بالبيت، ولا مرة جلست معه وحدثته، ولا حدثني، لا أعرف شيئاً عنه، إلا أنه لطيف، وسلامه حار، ومبتسم فقط.

عدم معرفة طريقة التفكير عند ابنك و ملاحظته و لغته إلا عند محاورته:

عندما ابنك يحكي لك، ترى لغته، تفكيره، قيمه، مبادئه، ما الشيء الذي لفت نظره ؟ لماذا حفظ هذه القصة ولم يحفظ تلك ؟ لما يحكي الابن تكشف كل شيء، دائماً الابن يتلقى تعليمات منك، وساكت، تعليمات وساكت، لا تعرف شيئاً عنه، لما تعطيه مجال يحكي، يشرح، يبين، يؤكد لك بعض الأشياء تنتبه أنت.

إذاً لن تعرف ابنك إلا إذا حاورته، طريقة تفكيره، ملاحظته، ذاكرته، لغته، نصوصه، مثلاً ممكن يكون موضوع الحوار مشكلة، أحياناً يكون كلاماً مفتوحاً، لا يوجد قاعدة، لا يوجد محور، لا يوجد بنود، لقاء عفوي، من قصة إلى قصة إلى قصة.

مرة قال لي أخ كريم: حضرت خطبة عند إنسان فتح 28 موضوعاً، ما أغلق ولا واحد، خواطر، خواطر، خواطر.

الحوار بين الأب و ابنه يقوم على النهوض بالابن و الاستماع إليه:

أحياناً اللقاء إذا لم يكن مُعَداً، خواطر عشوائية، أما لو فرضنا أنا جلست معه أحاوره في موضوع دراسته، موضوع الدراسة، هل هناك مواد صعبة عليك ؟ هل هناك مواد تحتاج إلى مدرس خاص ؟ أي مادة تعلقت بها ؟ تعرف أن هناك مواد تفوق بها، مواد لم يتفوق بها، أما أنه لا أعرف شيئاً عنه، اجعل باللقاء موضوع واحد، موضوع محدد، أو في مشكلة في البيت التأخر مثلاً صباحاً، كيف تعالج هذه

المشكلة ؟ يعني دائماً المدرسة تشكو لأولياء الصغار تأخرهم عن المدرسة، هذه مشكلة كيف تعالج ؟.
أنا أقدم لكم موضوعاً عن الحوار بشكل عام، ممكن تحاور زوجتك، أولادك أصدقاءك.
إذاً حبذا لو كان في موضوع محدد للحوار، ودائماً الموضوع عرض المشكلة، طرح حلول، مناقشة هذه الحلول، أو عرض البديل لهذه الحلول، أحياناً هناك إنسان دون أن يشعر عنده رغبة بتصيد الأخطاء، هذا نموذج موجود، إذا الأب هدفه الأول يتصيد أخطاء أولاده هذه مشكلة كبيرة، الحوار لا ينجح، ممكن يغلط بكلمة، ممكن يعطي رقماً غير صحيح، أنت تناسى سبعة ثمانية أخطاء، وحاسبه على واحدة، أما هذه غلط، هذه غلط، قام أسكته، انتهى، أنا أقول: الحوار قضية أن أنهض به لا أن أحاسبه.

الإصغاء للآخر بطولة وذكاء وأخلاق عالية:

سيد الخلق وحبيب الحق، هذا الإنسان العظيم كان مستمعاً من الطراز الأول، أكثر الأشخاص المثقفين اللسان طليق، لكن بطولتك كإنسان أن تتقن فن الاستماع، وتراه يصغي للحديث بسمعه وبقلبه، ولعله أدرى به، كان عليه الصلاة والسلام حينما يأتي إلى البيت قد تحدثه السيدة عائشة حديثاً طويلاً، مرة حدثته عن أبي زرع وأم زرع، قصة طويلة، ووقت طويل استغرق لروايتها، وهو يصغي لها، حدثته عن شجاعته، وعن كرمه، وعن محبته لزوجته، ثم إنها في النهاية قالت له: غير أنه طلقها، النبي علق على هذه القصة قال: وأنا كأبي زرع لأم زرع غير أني لا أطلقك.
أنت قد تكون عالماً كبيراً، مثقفاً ثقافة واسعة، الإصغاء للآخر بطولة وذكاء وأخلاق عالية.

آداب الحوار:

إذاً ابتعد عن تصيد الأخطاء، وابتعد عن المقاطعة، كن مستمعاً لبقاً له، أحياناً أخطأت، ارتكبت خطأ كبيراً، أنا أسأله ما قولك بهذا العمل يا بني ؟ هل تعتقد أنه صواب أم خطأ ؟ اجعله هو ينطق أنه خطأ، القصة كلها ممن يملي على الآخرين، أو ممن يحاورهم ليصل معهم إلى النتائج، يوجد بالقرآن أساليب كثيرة، فيها حوار مع الطرف الآخر كي يوصلهم ربهم إلى نتيجة كان من الممكن أن تفرض عليهم، هذه القواعد في الحوار تصلح مع كل الأطراف، مع زوجتك، حتى مع رئيسك في الدائرة، عود نفسك النفس الطويل بالحوار.
أحياناً في نظر حاد، وفي نظر لطيف، لا تشد نظرك إلى الآخر، نظر رفيق، أحياناً العين تنتقل يمنة ويسرة، علواً، وسفلاً، أما أحياناً التحديق المستمر بشخص هذا شيء يبتعد عن اللباقة في اللقاء، يجب أن يشعر وأنت تحاوره أنه في أمان، وأنه بالإمكان أن يدلي بآرائه، ولو أنها لا تعجبك، يعني أحياناً في

مدرس ديانة في سؤال من طالب ما عنده جواب له، لكن محرج مثلاً، يصب عليه نقمته، وغضبه، ويتهمه بالكفر ؟ لا.

قال له: ائذن لي بالزنا (والله لا يوجد أوقح من هذا السؤال) شاب قال للنبي الكريم ائذن لي بالزنا، الصحابة ضجروا، قال لهم: دعوه، تعال يا عبد الله، اقترب اِقترب، قال له: أتحبه لأمك ؟ قال: لا، قال: ولا الناس يحبونهم لأمهاتهم، لأختك ؟ لخالتك ؟ لعمتك ؟ لابنتك ؟ يقول هذا الشاب: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وما من شيء أحب إليّ من الزنا، وخرجت من عنده وما من شيء أبغض إلي من الزنا.

هذا حوار أيضاً.

تنمية الفكر عند الأبناء و تعليمهم الانضباط:

لو أن هناك مشكلة لها مجموعة طرق (حلول عديدة)، حاول أن تعينه أن يميز بين الحلول، ما قولك في الحل الأول ؟ الثاني ؟ الثالث ؟ أيهما أفضل ؟ أنت تنمي له فكره، تعلمه أنه قد يكون للمشكلة حلّ، وقد يكون لها أكثر من حل، فالآن المهمة أن توازن بين الحلول، هذا أيضاً شيء مهم في الحوار. هناك ثانوية، في بكل صف قائمة بالأخطاء المألوفة، التأخر، عدم إحضار الكتاب، التكلم من دون إذن فرضاً......، فكل خطأ إلى جانبه رقم 10، وباليسار التفوق، حصل على علامة تامة بمادة الرياضيات مثلاً، مذاكرته الشفهية كانت بعلامة تامة، إلى جانب هذا البند 20، ففي بطاقة فيها مئة نقطة فكلما أصاب يضاف إلى هذه النقط نقاط، وكلما أخطأ يحذف منها نقاط، فتجد الانضباط بهذه المدرسة شيء لا يصدق، أن هذه البطاقة في آخر العام جمع ألف نقطة، أو ألفي نقطة، يستطيع أن يأخذ مقابل الألفي نقطة كومبيوتر محمول، صار الخطأ محسوب، الخطأ يخسره نقاطاً، والصواب يضيف له نقاطاً، في أساليب لا تضطر تضرب، ولا تزعج صوتك، ولا تبلغ أهله.

التربية علم قائم بذاته:

دائماً التربية علم قائم بذاته، التربية علم، حبذا لو أتقن الآباء والأمهات قواعد التربية، تجد البيت انتظم بلطف، وبلا صخب، وبلا ضجيج، وبلا رفع أصوات، في بيوت فيها اضطراب شديد، في بيوت من حكمة الأب والأم وإتقانهما لقواعد التربية تجد البيت الحركة فيه تتم بسلاسة.

بعد ذلك دائماً وأبداً إذا كل عمل مكافأة، وكل عمل سيء له ثمن، لا أقول ضرباً لكن هناك ثمن، مادام الأعمال مقيّمة ومبرمجة، مكافآت، وفي عمل آخر له عقوبات، صار في انضباط، إذا أنت مدرس

أعطيت وظيفة تفقدت من كتب أو من لم يكتب، اليوم الثالث لا أحد يكتب الوظيفة، ما دام في متابعة، عود نفسك المتابعة، إذا ابنك وعدك بشيء سجلها عندك، بعد يومين هل فعلت هذا ؟ أبي لا ينسى، إذا وعدك بشيء سجله عندك، حاول أن تتابع الأمر، المتابعة جزء من التربية، بنهاية الحوار وعدك بشيء، أنت نسيت تسأله أول مرة نسيت تسأله، والمرة الثانية نسيت تسأله، يقول أبي لا يتذكر شيء، التغى الحوار، إذا اتفقت مع ابنك على خطوة يفعلها وسجلتها عندك، وبعد يومين طالبته بها على عدة مرات يقول لك: أبي لا ينسى أبداً، هذه نقطة مهمة تعينك بعملك مع الموظفين، مع أي إنسان لو تعطي أمراً ولا تتابعه تلتغى مكانة أمرك كلياً.

الأب العاقل يعطي ابنه فرصة ثانية إذا أخطأ ليعود إلى الصواب و يترك الخطأ:

أحياناً يكون العقاب أن تحرمه من شيء تحبه كثيراً، يعني في نزهة يوم الجمعة فرضاً، فإذا في خطأ تقول له أنت محروم من النزهة، ليس هناك داعٍ للتعنيف، الشيء المحبب له ممكن أن يكون وسيلة لتأديبه، له مبلغ كل يوم، إذا أخطأ، ليس هناك داع لأن تضربه، أو ترفع صوتك، اليوم القادم ما في مبلغ مقابل الخطأ الذي ارتكبته، أصبح الخطأ له ثمن، الأب الناجح يعطي فرصة لابنه أن يتوب، فإذا تاب كأنه لم يفعل هذا الذنب إطلاقاً، عندما يشعر الابن أن كل خطأ ارتكبه وتركه انتهى لم يعد يحاسب عليه سيشعر بالراحة.

أعطِ فرصة للتائب أن يتوب، بلغني ببعض البلاد المتقدمة طبعاً مادياً، لكل مواطن صحيفة اجتماعية، فإذا أخطأ ولو مخالفة سير تسجل، إذا مضى سنتان دون أن تكرر تمحى المخالفة آلياً.

أعطِ فرصة لابنك إذا أخطأ أعطيه فرصة، يقول لك: أنا لم أعد أعيدها، وإذا ما عادها ارجع معه تماماً كما كنت من قبل، هذه نقطة مهمة جداً، في مجتمعات لا ترحم إذا إنسان أخطأ هذا الخطأ دائماً يُذكر به، أما إذا في خطأ وفي عودة إلى الصواب ينبغي ألا يذكره بخطئه إطلاقاً.

أحياناً الأب يدعو لأولاده، الله يوفقك يا بني، إن شاء الله أراك في المستقبل من ألمع الأشخاص، كلمات لها أثر كبير، أنت لن تصبح إنساناً، كل يوم، كل يوم، يتحطم يكون الابن ذكياً لكن الأب عصبي، كل كلمتين أنت مالك مصير، بعد ذلك سيصدق.

من زاد في تعنيف ابنه أضعف ثقته بنفسه:

الآن نحن كمسلمين من كثرة ما قالوا عنا إرهابيين، إرهابيين، صدقنا، اتهامات يومية، صار الواحد يشك بنفسه، كمثل، لكن مثل كبير جداً.

فكلما كان تعنيفك للابن كثيراً، أضعفت ثقته بنفسه، أنا أحياناً أجد طالباً ضعيفاً في مادة، أنا أعطيه سؤالاً سهلاً جداً، يجيب عنه إجابة تامة أثني عليه، هذا الثناء يعمل له معنوية عالية، رأساً يذهب للبيت يكتب الوظيفة، يحاول أن يتابع، فإذا وجدت من ابنك تفوقاً بسيطاً أثني عليه، وتكلم لأمه أمامه، اليوم هكذا فعل فلان، لأخوته، دعه يشعر أنه تفوق، هناك شخص همه أن يحطم أولاده عن غير قصد، لكن تربية سيئة جداً يحطمهم، يحطمهم، أنا أرى أن الابن قدم شيئاً جيداً أثني عليه، وأذكر هذا الشيء مرات عديدة لأخوته، لأقاربه، جاء أقرباؤه ذكر لهم هذا الشيء، فيشعر بالاعتزاز.

الحقيقة التربية فن، والتربية بطولة، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن نطبق هذا الموضوع في الحوار مع من نحب.

والآن الحديث في العالم كله عن الحوار، والأولى الحوار مع الأولاد، مع الزوجة، مع الأقارب، مع الأصحاب.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (22-36) : التربية الاجتماعية -5- فن الحديث

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 22-11-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

تعلم الابن فن الحديث من أبرز موضوعات التربية الاجتماعية:

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الثاني والعشرين من دروس تربية الأولاد في الإسلام، ولا زلنا في التربية الاجتماعية، ومن أبرز موضوعات التربية الاجتماعية أن تُعلّم ابنك فن الحديث، لأن الإنسان كرمه الله بنعمة البيان، حينما قال الله عز وجل:

(الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)

(سورة الرحمن)

والذي يلفت النظر أنه في دولة عظمى، في أقصى الغرب، في كل جامعاتها (عندها بضع آلاف من الجامعات) مادة الخطابة تدرس في كل الفروع، وفي كل الكليات، وفي كل المستويات، وفي كل السنوات، فلما سألت إنساناً درس هناك، قال: هم ينطلقون من أن كل إنسان يدرس ويتعلم لابدّ من أن يلقي هذا العلم.

إذاً فن الإلقاء جزء من العلم، فأحياناً تجد شاباً أكرمه الله بالذكاء، والذاكرة القوية، لكن لا يستطيع أن يقول كلمة.

جمال الرجل فصاحته والفصاحة من خصائص الإنسان المثقف:

لذلك من ألوان التربية الاجتماعية أن تعلم ابنك فن الحديث، كيف يتكلم ؟ كيف يعبر عن آرائه ؟ كيف يتصرف ؟ وقد قال سيدنا عمر رضي الله عنه: تعلموا العربية فإنها من الدين.

يعني أنا أعجب أشد العجب من شاب يحمل شهادة عليا، إجازة، أو بكالوريوس، أو لسانس، لا يستطيع أن يقرأ صفحة من كتاب الله، من دون عشرات الأخطاء.

كما يقولون: جمال الرجل فصاحته، والفصاحة من خصائص الإنسان المثقف، فلذلك حينما يهمل الأب أولاده من حيث لغتهم، وتعبيرهم، يستخدمون كلمات عامية، أو كلمات لا تليق، أو تعبيراً خشناً، أو أسلوباً قاسياً، أو أسلوباً عامياً، هذا الشاب فقد اعتباره من بين المثقفين، فلذلك الأب المؤمن و لأن القرآن عربي يعتني بلغته ولغة أولاده.

إرشاد الأولاد و الطلاب إلى استخدم لغة عربية بسيطة غير متقعرة وليست عامية:

الموضوع اليوم: كيف توجه ابنك إلى حسن إلقاء الكلام ؟ نحن طبعاً هناك لغة عربية فصحى بسيطة، وهناك لغة عربية متقعرة، أنا أرفض أن تستخدم اللغة العربية المتقعرة، إنسان وقع من على دابته، فتحلق الأطفال حوله، فقال لهم: ما لكم تكأكأتم عليّ كتكأكؤكم على ذي جِنَّة افرنقعوا عني، هذه لغة متقعرة.

هناك لغة عامية ممجوجة، مرفوضة، وهناك لغة فصحة متقعرة مرفوضة، أنا حينما أتحدث أتحدث عن لغة فصيحة بسيطة وواضحة نستخدمها في حياتنا.

ضرب له تلفون ! لا، اتصل بي هاتفياً، هناك كلمات لا تحتمل موغلة في العامية، فالإنسان مهما كان مثقفاً حينما تضعف لغته كثيراً يهبط مستوى ثقافته.

إذاً لابدّ من أن أرشد أولادي، أو طلابي إلى استخدم لغة عربية بسيطة غير متقعرة وليست عامية هذه الحقيقة الأولى.

الكلام الفصيح البليغ يراعي مقتضى الحال:

لكن هناك قاعدة في الكلام البليغ، الكلام الفصيح البليغ يراعي مقتضى الحال أوضح مثل:

أنت حينما تكلف طفلاً صغيراً أن يشتري طابعاً بريدياً، وأن يضعه فوق رسالة، ويضعه في صدوق البريد، تقول له: اذهب إلى المكان الفلاني، واشتر بليرة وربع طابعاً بريدياً، وبله بلعابك، وضعه فوق الظرف، واضغط عليه جيداً، واذهب به إلى صندوق البريد، وتأكد من إسقاطه في اللوحة، الآن تكلف إنساناً راشداً تعطيه الرسالة مع المبلغ تقول هذه من فضلك، الراشد لا يحتاج إلى هذه التفاصيل.

أساس الخطاب ينبغي أن تراعي مقتضى الحال، إنسان سألك ما الساعة ؟ تقول له: والله العظيم الساعة الثامنة، هو ما كذبك أساساً، حينما تراه يكذبك تقسم بالله العظيم، فاستخدام القسم، استخدام التأكيد، التفصيل الممل، الإيجاز المخل، هذه كلها من عيوب الكلام، الإنسان أحياناً يتكلم عن تفاصيل لا قيمة لها إطلاقاً، قال لك: أنا قابلت الوزير انتظرت ساعتين، وجلست بغرفة الانتظار، وفلان تكلم كذا، أنا يعنيني حينما دخلت عليه ماذا قلت له ؟ يتكلم دقائق طويلة عن تفاصيل ليس لها علاقة بالموضوع إطلاقاً.

اللغة العربية لغة القرآن فعلى الإنسان أن يبتعد عن الأخطاء فيها:

نحن الأب الواعي المثقف حينما يسمع حديث أولاده، يرشدهم، يا بني اختصر، هذه التفاصيل عبء على الموضوع، استخدم هذه الكلمة، يعني هناك أخطاء شائعة كثيرة جداً، مثلاً يقول لك أنا مولّع بكذا، ما معنى مولّع ؟ قال: الثور الأحمر، ينبغي أن يقول مُولَع الفرق كبير جداً بين مولع وبين مولّع.
يقول لك مثلاً: أنا عندي تجارُب، التجارُب: العدوى بالجرب فقط، ينبغي أن يقول عندي تجارِب، يقول أخي طبيب أخصائي، يعطيها رنة، أخصائي يعني يخصي ينبغي أن يقول اختصاصي.
فهناك أخطاء شائعة كثيرة، اللغة العربية لغة القرآن، لغة الإسلام، لغة هذه الأمة التي اختارها الله وسطاً بينه وبين عباده.

الفصاحة ترفع قيمة المثقف و تعلي شأنه:

مرة ثانية سيدنا عمر يقول: تعلموا العربية فإنها من الدين، قد يقول أحدهم أنا لست أستاذ لغة عربية، ومن قال لك إنك أستاذ لغة عربية ؟ أنت مسلم، مؤمن، يجب أن تتقن العربية.
فأنا أتمنى أن يكون في كل بيت بعض الكتب في الأدب، في النحو، يهتم الأب بلغة أولاده، الفصاحة ترفع قيمة المثقف.
لكن مقتضى الحال كلام لطيف جداً، يوجد حوله بحوث في البلاغة كثيرة، أحياناً تجلس مع أشخاص بسطاء، هؤلاء لا يستطيعون أن يفهموا عليك قضية فكرية معقدة، يفهمون عليك قصة بسيطة، فأنت بإمكانك أن تعبر عن أفكارك من خلال قصة، وهناك قصص لها تأثير كبير جداً، فأحياناً يستخدم المتكلم أسلوب القصة، وأحياناً يستخدم أسلوب المثل.

من أتاه الله قوة البيان يستخدم ألوان التعبير كافة:

أنا أقول النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار))

[رواه ابن المنذر والديلمي عن ابن عباس]

أنا أقول لأخوتي الكرام طريق عريض جداً، عن يمينه وادٍ سحيق، وعن يساره وادٍ سحيق، وأنت تركب مركبة على هذا الطريق، الصغيرة أن تحرف المقود سنتيمتر واحد لو ثبت هذا الانحراف لابدّ من أن تقع في الوادي، مع أنه سنتيمتر واحد، هذا السنتيمتر ينقل المركبة خلال دقائق من منتصف هذا

الطريق، إلى قسمه الأيمن، إلى الوادي، أما لو حركت المقود تسعين درجة فجأة بإمكانك أن تعيده، وتبقى المركبة على الطريق، هذا مثل يوضح قول النبي الكريم:

((لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار))

[رواه ابن المنذر والديلمي عن ابن عباس]

مرة حدثني أخ، قال لي: امرأة تزوجت (طبعاً زوجها من الصالحين)، ففي الشهر الخامس كان حملها في التاسع، معنى ذلك أنها أخطأت، بإمكانه أن يفضحها، بإمكانه أن يسحقها، بإمكانه أن يطلقها لأن القانون معه، والشرع معه، والمجتمع معه، وأهلها معه، لكن هذا الإنسان الصالح أراد أن يحملها على التوبة، فجاء لها بقابلة، ولدها، وأخذ الغلام، ووضعه تحت العباءة، ودخل المسجد بعد أن نوى الإمام الفرض، وضع الغلام وراء الباب والتحق بالمصلين، بعد انتهاء الصلاة، بكى الغلام، توجه المصلون حوله، وتحلقوا حوله ودهشوا من وضعه هنا ؟ هو تأخر حتى وصل إليهم، قال: ما القضية ؟! قالوا: غلام، قال: أنا أكفله أعطِني إياه، أخذه أمام أهل الحي على أنه لقيط، وتكفل بتربيته، ودفعه إلى أمه، هو بقال، تتمة القصة أن خطيب هذا المسجد رأى النبي عليه الصلاة والسلام بالرؤيا، قال له النبي الكريم: قل لجارك فلان إنه رفيقي في الجنة.

أنا أي إنسان يشكو لي شكه بزوجته، أسوق له هذه القصة.

أحياناً القصة بليغة جداً، في مثل، في قصة، في حكمة، في قول مأثور، في أبيات من الشعر، في سرد، في حكاية، فالإنسان إذا أتاه الله قوة بيان يستخدم ألوان التعبير بدءاً من حكمة، إلى قصة، إلى مثل، إلى دليل، إلى شاهد، إلى حكاية، يستخدمها كإطار لكلامه.

اللغة العربية واسعة المعاني علينا إتقانها لأنها لغة القرآن:

أنا أتمنى عليكم أن تعتنوا باللغة ولو كنت مهندساً، ولو كنت طبيباً، هذه اللغة لغة القرآن، لغة العبادة، إنسان في هذه اللغة العظيمة أخطأ بحركة واحد ينتقل من الجنة إلى النار، قال بعض الصحابة قبل أن يقتل (خُبيب بن عدي): ولست أُبالي حين أُقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي، لو شخص قرأ هذا البيت خطأ، ولست أبالي حين أقتل مسلماً، إلى جهنم وبئس المصير، حركة واحدة في اللغة تنقل الإنسان من الجنة إلى النار.

والله أيها الأخوة، نحن أكرمنا الله بلغة فيها عجائب، مثلاً، فعل نظر واضح لكن حدج: نظر مع المحبة، يضاف إلى النظر المحبة، قال عليه الصلاة والسلام:

((حدث القوم ما حدجوك بأبصارهم))

[فقه اللغة عن ابن مسعود]

رنا:نظر إلى بحر، إلى سهل أخضر، رنا يعني نظر مع المتعة، استمتع بهذا المنظر الجميل، شخص: نظر مع الخوف.

(فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا)

(سورة الأنبياء الآية: 97)

الآن حدج، نظر، رنا، شخص، الآن لاح، لاح: السماء فيها غيوم وبين الغيمتين لاحت طائرة، لاح: شيء ظهر واختفى، أما لمح: إنسان يمشي في الطريق، هناك باب مفتوح نظر فإذا امرأة غير محجبة، مؤمن غضّ بصره، نقول لمح، لاح لها معنى ولمح لها معنى، نظر مع التمطي، يراقب بقاعة امتحان هناك طالب خفض من رأسه يبدو معه ورقة فالمراقب تمطى، النظر مع التمطي اسمه استشرف، أعطيت إنساناً قميصاً، قال لك: هذا صوف طبيعي، هذه استشف.

هناك استشف، وهناك استشرف، وهناك لاح، و لمح، و حدج، و رنا، و نظر، الآن حدق: نظر باهتمام بالغ حتى اتسعت حدقة العين، أما حملق: نظر بدهشة بالغة حتى بدا باطن العين، باطن العين أحمر اللون، أي ظهر حملاق عينه، وهناك رأى، رؤية قلبية، رأيت العلم نافعاً، رؤية قلبية، صار في رأى، و نظر، و بحلق، و حملق، و حدج، و رنا، و شخص، هذه اللغة لغة القرآن، لغة سيد الأنام، يليق بكل مسلم أن يتقن هذه اللغة.

الاعتزاز بالابن الفصيح اللسان القوي الحجة:

أنا أعجب الإنسان بوقت فراغه ماذا يفعل ؟ يطالع كتاباً في اللغة، في الأدب، لو أصغى للغة الفصحى، لو قرأ القرآن بصوت مرتفع ضبط حركات الكلمات، أمامه نشاط كبير يرقى بلغته.

وحينما ترى شاباً فصيح اللسان، سيدنا عمر بن عبد العزيز دخل عليه وفد الحجازيين، تقدمهم غلام صغير فانزعج، قال له: أيها الغلام اجلس، وليقم من هو أكبر منك سناً (طفل صغير)، فقال هذا الغلام الصغير: أصلح الله الأمير، المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا وهب الله العبد لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد استحق الكلام، ولو أن الأمر كما تقول لكان في الأمة من أحق منك بهذا المجلس، فدُهش سيدنا عمر من فصاحته.

دخل على عبد الملك بن مروان وفد آخر، تقدمهم غلام فغضب أيضاً، وقال لحاجبه: ما شاء أحد أن يدخل علينا إلا دخل حتى دخل الصبيان ؟ فقال هذا الصبي الصغير الذي تقدم الوفد: أيها الأمير إن دخولي عليك لم ينقص من قدرك، ولكنه شرفني، قال له: أصابتنا سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة دقت العظم، على الآخر، ومعكم فضول أموال، أنتم معكم أموال طائلة، فإن كانت لله تصدقوا بها

علينا، فإن الله يجزي المتصدقين، وإن كانت لنا فعلامَ تحبسوها عنا، وإن كانت لكم أعطونا إياها، يقول هذا الخليفة: والله هذا الغلام ما ترك لنا في واحدة عذراً.

سيدنا عمر يمشي في الطريق، وجد بضعة غلمان يلعبون، لما رأوه تفرقوا من هيبته إلا واحداً بقي واقفاً بأدب، فقال له عمر: أيها الغلام لِمَ لم تهرب مع من هرب ؟ قال له: أيها الأمير لست ظالماً فأخشى ظلمك، ولست مذنباً فأخشى عقابك، والطريق يسعني ويسعك.

أنت حينما ترى ابنك فصيح اللسان، قوي الحجة، متكلم، تعتز به أيما اعتزاز لكن يحتاج إلى أن يتقن هذه اللغة.

مراعاة مقتضى الحال عند مخاطبة الآخرين:

أنت مثلاً مراعاة مقتضى الحال، تخاطب إنساناً غير مسلم، تقول له قال الله تعالى، وقال عليه الصلاة والسلام، هو القرآن كله ليس مؤمناً به، إنسان غير مسلم لكنه مثقف مراعاة مقتضى الحال أن تسوق له أدلة علمية فقط، أما إنسان مسلم تسوق له أدلة قرآنية ونبوية، هذا أيضاً من مقتضى الحال.

مرة أنا تصفحت كتاباً للصف السابع، لفت نظري أن فيه قصيدة رائعة جداً في رثاء زوجة، يا ترى طالب الصف السابع هل يعلم ما شعور الزوج تجاه زوجته ؟ لا، لأنه ما تزوج، لو رثاء أم ممكن، رثاء أخ ممكن، أم رثاء زوجة ؟ هذا الموضوع جملة وتفصيلاً لا يعنيه إطلاقاً، لأنه ما تزوج، مثل هذه القصيدة في هذا الكتاب لم يراعِ المؤلف مقتضى الحال، أنت تخاطب طفلاً في الصف السابع، يعرف أمه، أخته، أخاه، والده، لكن ما تزوج ليعرف شعور الزوج تجاه زوجته.

أحياناً لا تكون الكلمات مناسبة للجو العام، مرة مرّ معنا بالجامعة أبيات من الشعر تعني في خطأ باختيار الكلمات، قال الشاعر:

إن سلمى خُلقت من قصب ... قصب السكر لا عظم الجمل
وإذا أدنيت منهـا بصلاً ... غلب المسك على ريح البصل

* * *

هذا غزل مطبخي، في بصل، وفي عظم جمل، قالوا: هذه الكلمات لا تناسب مقتضى الحال.

أنا أتمنى أن تتنامى أذواق الناس في اللغة، يعني يقرأ بيت شعر، يعجب به، يسجله عنده، يقرأ حكمة، يقرأ عبارة رائعة، الإنسان ما لم يقرأ النصوص قراءة أسلوبية يختار منها بعض العبارات، بعض الشواهد، بعض الأشعار، بعض الحكم، بعض التعليقات بعض الكلمات الرائعة، لا تنمو لغته.

أي كلام يُفهم دون أن تذكره ينبغي ألا تذكره:

أيها الأخوة، بالكلام يوجد كلام يسمى حشواً، كلام تفهمه لو لم تذكره، وأي كلام يفهم من دون أن يذكر ينبغي ألا تذكره، دققوا في هذه الآيات:

(وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ)

(سورة يوسف الآية: 43)

قال أحدهم:

(أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ)

(سورة يوسف)

فالملك أرسله، وهذا الرسول وصل إلى السجن، ودخل على السجناء، والتقى بسيدنا يوسف، هذا كلام لو لم تذكره مفهوم،

(أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ)

(يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا)

(سورة يوسف الآية: 46)

كل الكلام بين العبارتين حشو، القرآن أغفله، وأنت بحديثك أحياناً تستخدم كلمات كثيرة مفهومة، لذلك أي كلام يفهم دون أن تذكره ينبغي ألا تذكره.

لذلك ورد عن سيدنا الصديق رضي الله عنه أنه قال: نضر الله وجه من أوجز في كلامه، واقتصر على حاجته.

هناك كلام حشو، ممل، تفصيل ممل، وهناك إيجاز مخل، والبلاغة بين التفصيل الممل، وبين الإيجاز المخل.

الكلام المنظم يُعين صاحبه على الحفظ و التعبير:

مرة سألوا رئيس دولة عظمى، كم تعد لخطاب يستغرق خمس دقائق ؟ قال: أياماً ثلاثة، فلما سُئل كم تعد لخطاب يستغرق ساعة، قال ساعة، قال: كم تعد لخطاب يستغرق ثلاث ساعات ؟ قال لا أعد له أبداً، ثلاث ساعات خواطر.

دخل شخص على مسجد يوم الجمعة، أقسم لي بالله أن الخطيب طرح تسعة و عشرين عنواناً كتبهم عنده، ما عالج ولا موضوع لأنه غير محضر، أي خاطر يأتيه يذكره، لكن لم يعالج ولا موضوع.

فالإنسان من دون تحضير، ولو كان فصيحاً، من دون تحضير، من دون أفكار متسلسلة، من دون مقدمات، عرض فقرات، أفكار، شواهد متسلسلة تسلسلاً تاريخياً أو تسلسلاً موضوعياً، أو تسلسلاً شخصياً، أحياناً ينتقل من شعر لشاعر، أو من فترة لفترة، أو من موضوع لموضوع، في محور انتقال واضح، محور تاريخي، محور شخصي، محور موضوعي، المقدمة، وعرض الفكرة، والتأكيد عليها بشاهد، وربطها بالفكرة القادمة، والانتقال وفق موضوعات معينة، أو أشخاص معينين، أو تسلسل تاريخي معين.

هذا كلام منظم، لذلك يُحفظ، هذه أشياء دقيقة جداً في التعبير.

من كثرت كلماته دقّ أسلوبه:

أحياناً الطالب يقرأ كثيراً، بالامتحان يأخذ علامات قليلة، السبب ما تدرب على الكتابة أثناء العام الدراسي، معه كم كبير من الكلمات، يعرفها إذا رآها، لكن لا يستطيع أن يستخدمها، أو أن يستحضرها إذا غابت عنه، فتجد ذخيرته بالكلمات التعرفية كبير جداً، أما ذخيرته بالكلمات الاسترجاعية قليل جداً، أما التدريب هذا يعين على قوة الأسلوب، الأسلوب يحتاج إلى كلمات كثيرة.

أنت تصور أعطيتك أبيض وأسود، وأنت أمام منظر جميل فيه نبات أخضر، فيه ورد أحمر، فيه بيت رائع، قرميد أخضر، فيه ساقية زرقاء، معك لونين فقط، مهما كنت ذواقاً اللونان لا يكفيان لنقل هذه الصورة الجميلة، إذا معك مئة لون، في عندك أخضر فاتح، أخضر غامق، هذا يقاس على الكلمات، كلما كثرت كلماتك دقّ أسلوبك.

لذلك وضعوا مسجلة بعنق إنسان غير متعلم، وضعوها تقريباً أسبوع، وفرغوها على ورق، وألغو الكلمات المتكررة، فالنتيجة كانت ثلاثمئة كلمة فقط، يعيش إنسان أيام عمره كله على ثلاثمئة كلمة، وضعوها بصدر إنسان مثقف يحمل دكتوراه وجدوهم 2500 كلمة، يستخدم في حياته اليومية مع زوجته، مع أولاده، في حركته، في إلقاء كلماته عدد كبير.

العاقل من وعظ الناس بشكل موجز و ليس بشكل ممل:

كلما كثرت الكلمات التي تستخدمها دقّ أسلوبك، شخص سأل النبي عليه الصلاة والسلام، قال له: يا رسول الله عظني ولا تطل، فتلا عليه النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى:

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ)

(سورة الزلزلة)

فقال: كُفيت، فقال عليه الصلاة والسلام: فقه الرجل، أصبح فقيهاً.

يوجد كلام موجز، لأنك مثلاً إذا قرأت قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)

(سورة النساء)

تكفي هذه الآية.

(إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)

(سورة الفجر)

الكلام البليغ بين الإيجاز المخل والإطناب الممل:

هناك آيات لو لم يكن في كتاب الله إلا آية واحدة لكفت، واتفقنا قبل قليل أن الكلام البليغ بين الإيجاز المخل، وبين الإطناب الممل، هناك إيجاز مخل، وهناك إطناب مخل، وهناك إيجاز بليغ جداً، مثلاً:

(إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى)

(سورة النجم)

هناك إيجاز غني، يغشاها من التجليات، من الأنوار، من السكينة، من الطمأنينة، من السعادة

(إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى)

(مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى)

(سورة النجم)

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول بعض الصحابة في الصحيحين: يذكرنا كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددنا أنك تذكرنا كل يوم، فقال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن تملون.

لذلك كان عليه الصلاة والسلام يتخول أصحابه بالموعظة، دع كلامك معتدل، كثرة النصائح، وكثرة الكلام تدعو إلى الملل والضجر، وقلة الكلام مشكلة كبيرة، فالإنسان ينبغي أن يعتدل.

مرة حدثني أخ قال لي: جاءني خاطب لابنتي خاطب ممتاز، قال لي: اتصاله الهاتفي ثلاث عشرة ساعة مع خطيبته، بعد سنتين تسحب منه الكلمة سحباً، بين الإيجاز المخل والسكوت، وبين الإطناب الملل.

المرح من صفات العظماء:

لذلك اجلس إلى الطعام وأنت تشتهيه، وقم عنه وأنت تشتهيه، تكلم إذا كان الناس مشتاقون إلى كلامك، واسكت والناس مشتاقون إلى متابعة الحديث، هذه بطولة، إن كان أباً، إن كان أماً، إن كان معلماً، تكلم

والناس مشتاقون لحديثك، واصمت والناس أيضاً مشتاقون إلى حديثك. وقال بعضهم: أنت كأب، مواعظ، مواعظ، توجيهات، بعد ذلك الأطفال يضجرون، المواعظ كالملح في الطعام، إذا زاد انقلب إلى ضده.

سيدنا علي يقول: إن القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها من الطرائف.

لذلك صدقوني الأب الناجح جداً في البيت مرح، يدلي بطرف جميلة، يضحك أولاده، زوجته، المرح من صفات العظماء.

وهناك طرف رائعة جداً، والطرفة أحياناً كالكاريكاتير، أي رسم رائع تستهلكه في ثوانٍ، وقد يعبر عنه بمئتي كلمة.

مرة دخل ملك على بستان رأى حصاناً قد عصب صاحبه عينيه، وفي عنقه جلجل (جرس)، يدور حول بئر، لسحب الماء، هذا الملك عاقل وذكي، سأل صاحب البستان لِمَ عصبت عينيه ؟ قال له: لئلا يصاب بالدوار (أي يدوخ)، قال له: وهذا الجلجل لماذا، قال له: إذا وقف أعلم أنه وقف، مادام في طنطنة معناها يدور، فالملك ذكي جداً، قال له: فإذا وقف هذا الحصان وهزّ رأسه ؟ قال له: وهل له عقل كعقلك ؟.

أحياناً شخص يريد صانعاً، يحتاجه ذكياً، وحكيماً، وثقافته عالية، ويعطيه خمسة آلاف، أنا أقول له: لو كان بالمستوى المطلوب كان فتح معملاً مثلك، فلا تطلب كل الناس أن يكونوا مثلك.

شخص فقير خطب فتاة، بيته أجرة، أو مع أهله، لما كبر وصار معه مال، يأتي خاطب لابنته يريد بيتاً في الشام، طول بالك، أنت لما زوجوك أعطوك لبيت أهلك، لم يكن عندك بيت، بعد ما أصبحت قوياً وصار عندك مال لم تعد تقبل من الخاطب إلا بيتاً مستقلاً بالشام.

العاقل من لاعب أولاده و ضاحكهم لا من قهرهم و شتمهم:

كان عليه الصلاة والسلام يمزح ولا يقول إلا حقاً.

مرة عبرت عن أسفي أحياناً لوجود أخوة في المساجد لا ينتبهون للدرس، فمرة داعية يحدث أخوانه عن فساد المجتمع، قال: البنت تأتي الساعة الثانية بالليل، أين كانت ؟ عند الحبيب، الكل صلوا على الحبيب، معناها لم يفهم القصة إطلاقاً، أين كانت ؟ عند الحبيب، عند عشيقها، فالكل صلى على الحبيب.

أحياناً طرفة تجدد النشاط، أنت ببيتك، أنا أخاطب الأب الآن والأم، البيت كله قهر، ومشاجرة، وصخب، وشتائم، وأنت حمار، وأنت لا تفهم، ما هذا الكلام ادخل للبيت، تكلم مع أولادك، ضاحكهم،

داعبهم، دع دخولك للبيت عيداً، أما في آباء خروجه عيد، العيد عند خروجه، لا عند دخوله، والأمر بيدكم يا أخوان، خلِّ بيتك جنة، خلِّ الأولاد ينتظرون مجيئك بفارغ الصبر، الأمر بيدك.

الموضوع طويل إن شاء الله نتابعه في درس قادم.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (23-36) : التربية الاجتماعية -6- أدب المزاح

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 29-11-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

أدب المزاح:

أيها الأخوة الكرام، لازلنا في التربية الاجتماعية، وموضوع التربية اليوم أدب المزاح، يعني الأب في بيته، سيطرة وقمع، وعبوس قمطرير، وتوجيهات، وتعقيبات، ولوم، وتقريع، هذا البيت لا يجذب الأولاد إليه، ينفرون منه إلى الطريق، إلى أصدقائهم، أما بيت فيه جو مرح، جو لطيف، فيه مداعبة، فيه مزاح، لكن الشروط دقيقة جداً.

كان عليه الصلاة والسلام يمزح، ولا يمزح إلا حقاً.

ونحن في الجامعة درسنا مادة في كلية التربية اسمها الفكاهة في التعليم، ومعظم العظماء في مجالسهم دعابة، وكان عليه الصلاة والسلام مرة ثانية يمزح، ولا يمزح إلا حقاً.

إذا دخل إلى بيته ألقى طرفة لطيفة، ضحك أولاده، أنسوا به، شعروا أنهم قريبون منه، داعبهم، لاعبهم، مازحهم، لكن محور هذا الدرس ليس مشروعية المزاح لكن شروط المزاح، فأنا أتمنى على كل معلم، وعلى كل أب، وعلى كل إنسان يحتل منصباً قيادياً، الأب قائد، قائد الأسرة، والأم كذلك، والمعلم كذلك، وصاحب المحل التجاري، ومدير المستشفى والجامعة، أي منصب قيادي بدءاً من الأب، وانتهاءً بالوزير الدعابة، والمزاح، والجو المرح، ينشط من حوله، ويعطيهم طاقة.

شروط المزاح:

1 - أن يكون قليلاً كالملح في الطعام:

أنا أحياناً طرفة في درس تجد النشاط تجدد، أول شرط: القسوة، والقمع، والمتابعة، والسيطرة، واللوم، والتقريع، والتعنيف ؟ لا، هذا البيت ليس بيتاً يجذب الأولاد إليه، أنت لاحظ البيت الذي فيه عنف الأولاد في الطريق، مع أصدقائهم، البيت عندهم فندق، يأتون إليه ليأكلواويناموا فقط، أما ابن يجلس مع أبيه

ساعات طويلة، يستمتع بحديث والده، والده لطيف، ابتسامته على وجهه، يداعب أولاده، يمازح أولاده، هكذا كان النبي عليه الصلاة والسلام.

كان إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً، يقول عن بناته:

((فإنهن المؤنسات الغاليات))

[أخرجه الطبراني عن عقبة بن عامر]

أنا لا أدعوكم أن تكون الجلسة كلها مزاح، مستحيل هذا الكلام، لكن أنت بالبيت أعلى مصدر، فهذا المصدر إذا كان كلامه لطيفاً فيه دعابة و ابتسامة.

مرة يقول شخص أنا ما رأيت شيخاً يبتسم، لمَ لا تبتسم أيها الشيخ ؟ ابتسم، اضحك، داعب من حولك، يقتربون منك، أقول لكم نص أدهشني، يقول الإمام الشافعي:

الوقار في البستان من قلة المروءة، بنزهة لا ابتسامة، لا ضحك، هيمنة، وكهنوت، وهيبة، هذه ليست نزهة، الوقار في البستان من قلة المروءة.

وفي نص آخر: المبالغة بالذوق من قلة الذوق، أنا أدعو إلى أن يكون البيت جنة، ولن يكون جنة إلا بأب مبتسم، أب مرح، أب لطيف، أب رحيم، فهذه الصفات هي التي تجذب الأولاد إلى البيت، تجعلهم يتحلقون حول أبيهم.

المقولة الدقيقة في هذا اللقاء الطيب: المزاح في البيت كالملح في الطعام، إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده.

المزاح الكثير يضعف الهيبة:

الآن المزاح الكثير يضعف الهيبة، الذي يمزح كثيراً يستخف به، لا يبالى بتوجيهاته، يُتساهل بتعليماته، من حوله يتركون أعمالهم، هذا الإكثار من المزاح، أنا أقول كالملح في الطعام إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده، بالساعة طرفة، بالسهرة طرفتان أو ثلاثة فقط، أما طرفة وراء طرفة وراء طرفة، ما عاد في إمكان للتوجيه إطلاقاً، ما عاد في إمكان للكلام الجاد، ما عاد في إمكان للانتفاع من حديث الأب.

أحياناً في بعض السهرات ينتح باب المزاح طرفة، وراء طرفة، وراء طرفة كل واحد يستعرض مخزونه من الطرف، ويعرضهم على إخوانه، جلسة ما فيها بركة، ولا فيها خشوع، ولا فيها فائدة، ولا فيها اتعاظ.

أولاً المزاح كالملح في الطعام إذا زاد عن حدّه انقلب إلى ضده، يقول عليه الصلاة والسلام في الأدب المفرد للبخاري:

((لست من دد، ولا دد مني))

[أخرجه الطبراني و البخاري عن أنس بن مالك]

دد أي لست من أهل اللعب واللهو، مجلسه وقور، مجلسه مبارك، فيه موعظة، فيه توجيه، فيه حقائق، لكن فيه مرح، وهناك من حين إلى آخر طرفة.

2 ـ ألا يمس المزاح حرفة أو فئة أو جهة أو طائفة أو مذهباً:

تصور المؤمن في حياته الدنيا كأنه يمشي في الصحراء، حر، ورمال، وأحياناً غبار، بعد مسير طويل، ومشقة بالغة، وجد هذا المؤمن واحة، نخلة مع بركة ماء، استظل بظل النخلة، وشرب من الماء، وأكل تمرة، هذه اسمها استراحة، فاجعل في درسك استراحات، الاستراحة هي طرفة، وأحياناً تستمع إلى خمسين طرفة، لا يصلح من الطرف للإلقاء إلا واحدة أحياناً.

بالمناسبة هناك طرفة تمس مهنة لا يجوز، أنت معلم، أنت أب، لو فرضنا في طرفة قاسية جداً على حرفة من الحرف، سمعها ابنك طرب لها، بالمدرسة قالها لبعض رفاقه أحد الرفاق والده يمتهن هذه المهنة، يتقاتلون، أولاً: ممنوع في إلقاء المزاح أو الطرف أن تمس إنساناً، أو أن تمس فئة، أو أن تمس حرفة، أو أن تمس جهة.

أقول لك مرة ثانية: بالمئة طرفة لا يمكن أن تلقي على أولادك إلا واحدة من مئة، حيادية، لا تمس إنساناً، ولا طائفة، ولا مذهباً، ولا لوناً، ولا فئة، ولا جهة، ولا حرفة، ولا مدينة.

النبي عليه الصلاة والسلام كان يعد واحداً من أهل بيته:

أيها الأخوة، النبي عليه الصلاة والسلام مع أنه حمل أكبر دعوة في تاريخ البشرية، كان إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً، كان إذا دخل بيته يعد واحداً من أهل البيت، كان يكنس داره، ويرفو ثوبه، ويصغي الإناء للهرة، ويخصف نعله، وكان في مهنة أهله وكان بساماً ضحاكاً، وكان الحسن والحسين يركبان على ظهره، هكذا النبي في بيته، كان عليه الصلاة والسلام كما تقول السيدة عائشة يحدثنا ونحدثه، فإذا دخلت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه.

إذاً أول شرط من شروط المزاح أن يكون قليلاً، كالملح في الطعام، إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده، الشرط الثاني يعني ألا يمس حرفة، فئة، جهة، طائفة، مذهباً، أي ألا يمس أحداً.

مرة ذكرت طرفة أن ملكاً في أثناء تجوله في مملكته دخل إلى بستان، وجد حصاناً قد عصبت عيناه، و في رأسه جلجل، يدور حول الراحة لاستخراج الماء، فهذا الملك سأل صاحب البستان: لِمَ عصبت

عيناه؟ فقال له: لئلا يصاب بالدوار، جواب مقنع، ولِمَ هذا الجلجل ؟ قال له ؟ إذا وقف أعلم أنه وقف، فكر الملك، فقال له: إذا وقف و هزّ رأسه، فقال للملك: وهل له عقلك كعقلك ؟.

العمل الصالح حركي ينمو و يكبر:

أحيانا الإنسان يطالب يفترض المستحيل، هذا الافتراض ذكرني أن أحد أصحاب رسول الله:
سئل عليه الصلاة والسلام ماذا ينجي العبد من النار ؟ فقال النبي: إيمان بالله قال: أمع الإيمان عمل ؟ قال: أن يعطي مما رزقه الله، قال: فإن كان لا يجد ما يعطي فقير، قال: يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، قال: فإن كان لا يحسن، قال له: فليعن الأخرق، قال له: فإن كان أخرقاً ؟ كل ما يعطيه النبي الكريم يغلقه، قال له النبي الكريم: أو ما تريد أن تدع لصاحبك من خير ؟ ما له ولا ميزة، ليمسك أذاه عن الناس، فجاء السؤال الدقيق: قال له: وإن فعل هذا دخل الجنة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: ما من عبد مسلم يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة.
معنى لك أن العمل الصالح حركي، ينمو، والعمل السيئ ينمو، من معصية لأكبر، وبالجانب الإيجابي من طاعة لأكبر، أحياناً هناك كلام حكيم جداً.
لي قريب أمه وقعت في مرض عضال، فجاء لها بالطبيب، وضعها النفسي منهار، فهذا الطبيب صبّ جام غضبه على ابنها، قال له: حالة عادية جداً، تستدعيني من البيت، وتكلفني، وتتعبني، والحالة عادية، هو يخاطب ابنها، اطمأنت، فكان قديماً اسمه حكيم، لأنه يتكلم كلاماً يعطي راحة للمريض، الآن الطريقة الأمريكية يقول له معك سرطان، معك أربعة أشهر، فمات ثاني يوم، ما تحمل الأربعة أشهر، بالكلمة الكبيرة ينهار، الطريقة الأمريكية هكذا، يقول له معك سرطان، وستعيش أربعة أشهر، هذه قصة وقعت بالشام، ثاني يوم مات، ما تحمل الخبر.

لا تكن قاسياً فتكسر ولا ليناً فتعصر:

الآن هناك نقطة دقيقة جداً: دائماً التطرف سهل، والتوسط صعب، يعني سهل جداً أن تكون قمعياً، تكلم كلمة ضربته، كلمة ثانية سبيته، كلمة ثالثة رفسته برجلك، هذا أسلوب قمعي، وأيضاً سهل جداً أن تسيب الأمور، تطاول على أمه سكتت، ضرب أخاه سكتت، التطرف سهل، أن تأخذ الجانب المتطرف يمنة أو يسرة سهل جداً، أما أن يكون ابنك في حيرة يحبك بقدر ما يخافك، أو يخافك بقدر ما يحبك، أنت مربٍّ، أنت أب عظيم، لأن الله عز وجل وصف الأنبياء أنهم يعبدونه:

(رَغَباً وَرَهَباً)

(سورة الأنبياء الآية: 90)

والمؤمنين:

(خَوْفاً وَطمَعاً)

(سورة السجدة الآية: 16)

فأنت جو مكفهر، قمعي، تقريع، لوم، سُباب، سهل، لكن خسرت أولادك تساهل، تساهل.

مرة كنا في بيت، غرفة الضيوف مجللة بقماش أبيض مكوي مثل الثلج، أحد الضيوف ابنه جلس بحذائه القذر فوق الكنبة، أنا غليت غلياً، تسيب، شيء لا يحتمل، وهناك آباء يتساهلون مع أولادهم لدرجة أن أحداً ممن حولهم لا يحبهم، لتجاوزاته، كلما أدبت ابنك أصبح محبوباً، وكلما أهملته أصبح مكروهاً.

إذاً التطرف سهل، التسيب سهل، والقمع سهل، لكن أن يحبك ابنك بقدر ما يخافك، أو أن يخافك بقدر ما يحبك، وهذا معنى الآية الكريمة يعبدونه

(رَغَباً وَرَهَباً)

الأنبياء والمؤمنون يعبدون الله

(خَوْفاً وَطمَعاً)

لا تكن قاسياً فتكسر، ولا ليناً فتعصر.

بطولة الأب أو المعلم أن يكون الفرح بوجوده لا بغيبته:

نحن في اللغة أقوى الحركات الكسر، قبلها الضم، قبلها الفتح، قبلها السكون، حتى يتعلموا الطلاب هذه القاعدة قل لهم قضيب إن تركته ساكن لا تحتاج إلى أي جهد، أما إذا كان منثنياً فتحه سهل، إذا كان مفتوحاً ثنيته أصعب، أما كسره أصعب وأصعب، فأقوى حركة الكسر، أقل منها الضم، الفتح، السكون.

بعض الأدباء يقول: لي صديق كان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظمه في عيني صغر الدنيا من عينيه، كان خارجاً عن سلطان بطنه، فلا يشتهي مالا يجد، ولا يكثر إذا وجد، وكان خارجاً عن سلطان الجهالة، فلا يتكلم بما لا يعلم، ولا يماري فيما علم، وكان أكثر دهره صامتاً، فإذا تكلم بدّ القائلين، وكان يُرى ضعيفاً مستضعفاً، فإذا جد الجد فهو الليث عادياً.

سيدنا عمر يقول: من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن كثر مزاحه استخف به، الحالة المبالغ بها، أريد أن أضرب مثلاً:

أنت أيها الأب بطولتك أن يكون وجودك في البيت عيداً، الوجود، والأب القاسي العيد بعدم وجوده، يبدأ العيد بعد أن يخرج من البيت، والأب الناجح يكون العيد بعد الدخول إلى البيت.

هناك مدرسة ناجحة جداً، حدثني أحد الأخوة الكرام، قال لي: ابني يبكي بكاء مراً يوم الجمعة، لأنه لا يوجد مدرسة، يحب معلمه كثيراً، فاليوم الذي لا يرى معلمه يتألم، عندك إمكان أن تكون كهذا المعلم، ليس صعباً، لكن بحاجة إلى ضبط، ولا كلمة قاسية، مودة، ملاحظة، تربية، تعليم.

الإنسان الأخلاقي يمدح في غيبته:

الآن عندنا مقياس آخر، المقياس الأول أن بطولة الأب أو المعلم أن يكون الفرح بوجوده لا بغيبته، الآن بطولة ثانية كل إنسان قمعي يمدح بحضرته، لكن الإنسان الأخلاقي يمدح في غيبته، فأنت متى تمدح ؟ في حضرتك أم في غيبتك ؟ البطولة أن تمدح في غيبتك، الأقوياء يمدحون في حضرتهم، أما الأنبياء يمدحون في غيبتهم، البطولة ما الذي يقال في غيابك ؟ أما في حضرتك القضية سهلة جداً، إن كنت قوياً الكل يمدحونك اتقاء شرك، أو طمعاً بنولك، إما اتقاء شر، أو طمع بالنوال، هذا في حضرة القوي، والأب قد يكون قوياً، فالبطولة أن الابن يحدث صديقه عن أبيه، لي أب أحبه كثير، البطولة أن يحدث ابنك صديقه عنك في غيبتك، أما في حضرتك، هناك أطفال أذكياء ويمثلون دور الابن البار، اتقاء لشر أبيهم.

أشد أنواع المزاح معصية لله أن تسخر من شكل الإنسان و هيئته و قصره:

أيها الأخوة، الآية الأصل في هذا الموضوع:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)

(سورة الحجرات الآية: 13)

((رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بالأبواب لو أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

هناك حقيقة ؛ أخطر مزاح، وأشد أنواع المزاح معصية لله أن تسخر من شكله، من هيئته، من قصره، قالت له: قصيرة، السيدة عائشة عن أختها صفية، قال لها: يا عائشة لقد قلت كلمة لو مزجت بمياه البحر لأفسدته.

فالإنسان شكله ليس بيده، طوله، جمال وجهه، كان عليه الصلاة والسلام إذا نظر بالمرآة يقول:

((الحمد لله الذي حسن خلقي وخلقي))

[أخرجه أبو يعلى عن عبد الله بن عباس]

الواحد منا إذا الله عز وجل تفضل عليه بشكل كامل هذه من نعم الله الكبرى، لكن أنت مالك حق تطعن بشكل إنسان، هذا الشكل من صنعه ؟ لا.

طبعاً الأحنف بن قيس كان قصير القامة، غائر العينين ـ صغار وإلى الداخل ـ غائر العينين، ناتئ الوجنتين، أحنف الرجل، أسمر اللون، ليس شيء من قبح المنظر إلا وهو آخذ منه بنصيب، وكان مع ذلك سيد قومه، إذا غضبَ غضب لغضبته مئة ألف سيف، لا يسألونه فيما غضب، وكان إذا علم أن الماء يفسد مروءته ما شربه، كان سيد قومه إذا غضبَ غضب لغضبته مئة ألف سيف.

العلم و العمل قيمتان اعتمدهما القرآن الكريم للترجيح بين البشر:

بالمناسبة أيها الأخوة، أية أمة تعتمد قيمتين أقرهما القرآن الكريم تتفوق، وأية أمة أخرى تعتمد قيماً أخرى تتخلف، القيمتان اللتان اعتمدهما القرآن الكريم للترجيح بين البشر قيمة العلم وقيمة العمل فقط، قال:

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

(سورة الزمر الآية: 9)

وقال:

(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)

(سورة المجادلة الآية: 11)

وقال:

(وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا)

(سورة الأنعام الآية: 132)

العلم والعمل.

الاعتماد على القيم التي اعتمدها القرآن و الابتعاد عن القيم الدنيوية:

أما هناك مقياس للذكاء، والوسامة، والغنى، والقوة، هذه القيم ما اعتمدها القرآن الكريم، أما أحياناً نعتمد قيمة الغنى، قال عليه الصلاة والسلام:

((من جلس إلى غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه))

[البيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود]

ويقاس عليه القوي، من جلس إلى غني وقوي فتضعضع له، أي تمسكن له ذهب ثلثا دينه، والقول النبوي:

((ابتغوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير، ولا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه))

[ابن عساكر عن عبد الله بن بسر بسند ضعيف]

ورد في بعض الآثار القدسية:

((أنا مالك الملوك وملك الملوك، قلوب الملوك بيدي، وإن العباد إذا أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة، وإن العباد إذا عصوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك، ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر والتضرع، أكفكم ملوككم))

[أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء]

التواضع و اللطف و الابتسامة صفات تجذب قلوب الناس:

حدثني مرة صديق كان ببلد نفطي مدرساً معاراً، قال لي: هناك خادم اسمه (عندنا في الشام آذن) فراش، يكنس الأرض، قال لي: مرة صببت كأساً من الشاي في الفرصة فإذا بالجرس يُقرع، والمدير دقيق جداً، لا يحتمل أن يتأخر المدرس عن الصف ولا دقيقة، فصب كأس الشاي فقرع الجرس، فقام قدمه للفراش، هذا الفراش ثاني يوم، قال له: أنا لي هنا في هذه الثانوية سنتان، لم يسلم عليّ أحد، أنت لماذا قدمت لي هذا الكأس ؟ طبعاً هو لماذا قدمه له ؟ قُرع الجرس، قال له: أردت أن أكرمك به، ما أعطاه السبب الحقيقي صار في ود، فإذا بهذا الفراش يفاجئ هذا المدرس أنه يحمل بكالوريوس بالعلوم، هو من بلاد بعيدة و فقير جداً ما وجد عملاً، فجاء عرض لدولة نفطية فقبل أن يعمل فراشاً، قال لي: ما صدقته، دعوته إلى البيت وعندي موسوعة باللغة الإنكليزية، قرأ فأجاد القراءة وشرح، طبعاً هو ليس مسلماً، بعد حين جمع أصدقاءه حوالي عشرة، وعملوا جلسة أسبوعية، وانتهت هذه الجلسات بإسلامهم جميعاً، ماذا كلفته ؟ كأس شاي قدمه لهذا الفراش.

لا تحقرن من المعروف شيئاً، يقسم بالله أنه سعد بهم لعام أو عامين أيما سعادة، الله مكنه أن يقنع أناساً ليسوا مسلمين، بل يدينون بدين وضعي (أعتقد كانوا بوذيين)، بكأس شاي قدمه يعني تكريم لهذا الفراش، وهذا الفراش ظهر مستواه الثقافي عالٍ جداً، قصة غريبة جداً لكنها وقعت مع أحد أقربائي.

أنت أحياناً الكلمة الطيبة صدقة، الابتسامة صدقة، مرة حدثني أخ بعدما انتهى الدرس و سلم عليّ ثم قال لي: هذا ابن خالتي، فأنا سبحان الله بمودة بالغة سلمت عليه، صافحته، وشددت على يده، قلت له عينك على ابن خالتك، إن شاء الله الدرس أعجبك يا بني ؟ قال لي: والله أعجبني جداً، لما أنا صافحته بمودة، ابتسمت بوجهه، وسألته عن الدرس أعجبك، وقلت لابن خالته عينك على ابن خالتك قال له: والله هذه المودة من الشيخ دعتني آتي إلى الدروس دائماً.

الابتسامة صدقة يا أخوان، المصافحة صدقة، كان عليه الصلاة والسلام إذا صافح كان آخر من يسحب يده إذا صافح، فأنت بابتسامتك، ولطفك، وتواضعك، تجذب قلوب كثيرة.

التعميم من العمى والقرآن لا يعمم:

شيء آخر: تعلم لا تعمم، قالوا: التعميم من العمى، لا يعمم إلا أعمى، وإذا قرأت القرآن الكريم يتضح، الله عز وجل يقول:

(مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ)

(سورة آل عمران الآية: 113)

رالقرآن:

(وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ).

(سورة ص الآية: 24).

لم يقل جميع الخلطاء، فالإنسان تتبدى ثقافته الراقية من عدم التعميم، أو الموضوعية قيمة أخلاقية، وفي الوقت نفسه قيمة علمية، فأنت عالم إذا كنت موضوعياً، وأخلاقي إذا كنت أخلاقياً، الموضوعية أن تعطي حكماً حيادياً، أن تصف الشيء كما هو عليه، أساساً تعريف العلم وصف الشيء على ما هو عليه مع الدليل.

فلذلك تلقي طرفة، تقول كل أهل هذا البلد هكذا، هذا خطأ كبير جداً، لذلك احفظوا هذه القاعدة، التعميم من العمى، والقرآن لا يعمم،

(وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ)

(مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ)

المزاح القاسي من أكبر المعاصي:

الآن يا أخوان أن مضطر أن أنهي هذا الدرس بموضوع مؤلم، المزاح القاسي أي تخفي لإنسان حاجة أساسية، هو عصبي المزاج، يمكن أن يضطرب فيلقي كلمة قاسية، فإخفاء حاجة، إبلاغه بخبر سيء، أحياناً خبر سيء يعمل أزمة قلبية، يموت أحياناً، والدليل قوله تعالى:

(مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ)

(سورة آل عمران الآية: 119)

الغيظ يقتل، خبر سيء، أو تهديد، أو وعيد، أو إخفاء حاجة مهمة، جندي مزح معه صديقه وأخفى بندقيته، أصيب بجلطة، عندهم قائد بالثكنة قاسٍ جداً فيها سجن لشهرين أو ثلاثة، مزح معه أنه أخفى له البندقية أصيب بجلطة.

أخوانا الكرام المزاح القاسي، الذي فيه خطر، خبر كاذب، تهديد كاذب، إخفاء شيء مهم جداً هذا المزاح يعد من أكبر المعاصي.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((لا يحلُّ لمسلم أن يُروِّعَ مُسلما))

[أخرجه أبو داود عن بعض الصحابة].

من أكبر ما قاله النبي:

((لا تحمروا الوجوه))

[ورد في الأثر]

يكفي أن تضعه بموقف حرج تخجله،

((لا تحمروا الوجوه))

حديث آخر:

((لا تروعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلم عظيم))

[أخرجه الطبراني عن عامر بن ربيعة]

النبي عليه الصلاة والسلام يمزح و لا يمزح إلا حقاَ:

المزاح يجب أن يكون حقيقة لا كذباً، كان عليه الصلاة والسلام يمزح ولا يمزح إلا حقاً.

هناك نوع من المزاح يقول عليه الصلاة والسلام:

((ويل للذِي يُحدِّثُ بالحديث ليُضْحِكَ به القوم، فيَكذِبُ، ويل له، ويل له))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن معاوية بن حيدة]

((كبُرتْ خيَانة تحدِّثَ أخاكَ حديثاً هوَ لك بُه مُصدِّق، وأنتَ له به كاذبُ))

[أخرجه أبو داود عن سفيان بن أسيد الحضرمي]

آخر حديث:

((يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب))

[أخرجه الإمام عن أبي أمامة الباهلي]

ولا في المزاح إطلاقاً، كان يمزح، ولا يمزح إلا حقاً.

أحياناً يطبعون نعوة كنوع من المزاح، يسبب مشكلات كبيرة جداً، أنا أطلع على أنواع من المزاح تعد معصية كبيرة، فيها إيذاء، فيها إرباك، فيها إحباط.

((ثلاثة جِدُّهُنَّ جِدُّ، وَهَزْلُهُنَّ جدّ: النَّكاحُ، والطَّلاقُ، والرَّجْعَةُ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

يعني يأتي إلى عندك صانع، تقول له: أنت ستصبح شريكي في المستقبل، صدقك عاش بأحلام حكى لوالده، وأنت تمزح معه، هذا ليس مزاحاً، أن تعد موظفاً عندك أن يكون شريكاً لك مزاح، أعوذ بالله، أنوي أن أخطب فلانة، بلغوها، فرحت مسكينة، تنتظر عاشت بأحلام بسعادة، هو يمزح.

الابتعاد عن المزاح الذي يغضب الله عزّ وجل:

صدقوا أيها الأخوة هناك أنواع من المزاح تغضب الله عز وجل، موضوع زواج، موضوع خطبة، موضوع شركة، موضوع سفر، موضوع وظيفة، ما له جاد إطلاقاً، هذه الموضوعات محرم أن تمزح بها، الزواج، والطلاق، والعتاق، جدهن جدّ، وهزلهن جدّ، يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاح والمراء وإن كان صادقاً))

[أخرجه أحمد عن أبي هريرة]

المزاح لا يمكن أن يكون كذباً، إلا أن يكون صادقاً.

النبي الكريم من لطفه أحد أصحابه من البادية، مرة وضع يديه على عينيه وقال: من يشتري هذا ؟ فلما فتح عينيه رأى رسول الله، فقال: أنا كاسد تبيعني ؟ قال له: أنت عند الله لست بكاسد، شيء لطيف أن نبياً عظيماً يفعل هذا.

وله كلمة لصديقه في البادية اسمه زاهر، قال: زاهر باديتنا، ونحن حاضروه، أحياناً إنسان من بلدة يأتي لك بوعاء فيه تين، أنت أعطيه علبة حلو، بالمدينة يوجد حلويات، بالبلد يوجد فواكه، إذا إنسان جاء بشيء من البادية أنت قدم شيئاً من المدينة، قال: زاهر باديتنا، ونحن حاضروه.

أيها الأخوة الكرام، أنا أتمنى كما قلت أن يكون الأب مرحاً، المعلم، الأم، مدير الشركة، لكن باعتدال دون أن تمس طرائفه إنساناً، أو حرفة، أو جهة، أو ملة، أو طائفة، هناك أنواع من المزاح رائعة جداً لا تمس أحداً.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (24-36) : التربية الاجتماعية -7- آداب الطعام -1

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 06-12-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الرابع والعشرين من دروس تربية الأولاد في الإسلام، ولا زلنا في التربية الاجتماعية، وننتقل اليوم إلى آداب الطعام.

الإسلام هرم مقسم إلى أربعة أقسام: العقيدة المعاملات العبادات و الآداب:

بادئ ذي بدء: إن صحّ أن الإسلام هرم مقسم إلى أربعة أقسام، القسم العلوي العقيدة، وأخطر شيء في الدين العقيدة، إن صحت صحّ العمل، وإن فسدت فسد العمل، إن صحّ العمل سلم الإنسان وسعد في الدنيا والآخرة.

القسم الثاني: قسم العبادات، لأن الإنسان كما قال الله عز وجل:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

(سورة الذاريات)

لأن الإنسان مخلوق لعبادة الله، فالصلاة عماد الدين، والصوم والحج والزكاة.

والقسم الثالث: قسم المعاملات، البيع، والشراء، والزواج، والطلاق والكفالة، والحوالة.

الأول العقيدة، الثاني العبادات، الثالث المعاملات، الرابع الآداب: والآداب شيء متميز في الإسلام، أقول لكم هذه الحقيقة: المؤمن لا يُعرف من صلاته، وحجه، وزكاته، يُعرف من آدابه، الشيء الصارخ، المتميز، إذا أكل، إذا جلس، إذا تكلم، إذا سار، إذا ألقى كلمة يُعرف بالأدب، فالأدب أصل من أصول الدين.

لذلك حينما سُئل عليه الصلاة والسلام عن هذا الأدب الرفيع قال:

((أدبني ربي فأحسن تأديبي))

[ابن السمعاني في أدب الإملاء عن ابن مسعود]

الآداب تُعرف بالتعليم وتُعرف بالصبغة:

أيها الأخوة، لكن سوف أوضح لكم حقيقتين دقيقتين، الحقيقة الأولى: أن الآداب تُعرف بالتعليم، وتُعرف بالصبغة، كيف ؟ تقول لابنك الصغير: يا بني كُل بيمينك، تعليم كما قال عليه الصلاة والسلام لأحد الأطفال:

((سَمِّ اللَّه، وكلْ بيمينك، وكلْ مما يلَيك))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ومالك عن عمر بن أبي سلمة].

تُعرف بالتعليم، لكن الآن لو ارتقينا إلى درجة أرقى، الإنسان حينما يتصل بالله ورد أن مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى، فإذا أحب الله عبداً منحه خلقاً حسناً كيف ؟ للتوضيح:

لو أن إنساناً قبل أن يتوب مدمن على سماع الأغاني، وهناك بعض الأغنيات متعلق بها تعلقاً مذهلاً، فلما تاب إلى الله، الشرع يأمره أن يمتنع عن سماع الأغاني، لم يسمع الأغاني، لكن لو هذه الأغنية المفضلة عنده استمع إليها عرضاً عن غير قصد هناك فرق بين سمع واستمع، سمع: استمعها في معصية، أي جلس واستمع، لكن راكب سيارة ظهرت هذه الأغنية في السيارة يطرب لها، مع أنه تائب، لكن بعد حين بعد أن ترتقي نفسه إلى مستوى الشرع، يمقتها.

هناك حالة هو تائب، يعلم أن سماع الأغنيات حرام، فامتنع هذه حالة، لكن بعد أن اتصل بالله عز وجل، شرُف قلبه بمعرفة الله، انتقل إلى حالة أرقى.

فالبطولة أن ترتقي بنفسك إلى مستوى الشرع، ورد:

((نعم العبد صهيب، لو لم يخف الله لم يعصِه))

[السخاوي في المقاصد الحسنة ص/449]

الأمراض النفسية خروج عن مبدأ الفطرة التي فطر الله تعالى الإنسان عليها:

أحياناً باتصالك بالله، وإقبالك عليه، تصطبغ بالكمال، وهذا الكلام يسوقني إلى كلام دقيق، هناك فطرة، وهناك صبغة، كل مولود يولد على الفطرة، أي مولود على الفطرة، الفطرة تعني أن تحب الكمال.

نحن جميعاً، والمسلمون جميعاً، وأهل الأرض جميعاً من آدم إلى يوم القيامة مفطورون على الكمال، ولولا هذه الفطرة لما كان هناك عذاب نفسي إطلاقاً، الآن أكبر مرض منتشر بالعالم الكآبة، ما الكآبة ؟ خروج عن مبادئ الفطرة، لا في دين، ولا في رادع، ولا في مبادئ، ولا في قيم، لكن في فطرة.

لذلك هذا الفندق في ألمانيا كتب على السرير: إن لم تنم هذه الليلة فالعلة ليس بفراشنا إنها وثيرة، ولكن العلة في ذنوبك إنها كثيرة.

الإنسان حينما يتجاوز مبادئ فطرته يُعذب، تسمي العذاب كآبة ؟، تسميه انهياراً داخلياً ؟ ممكن، تسميه شعوراً بالنقص ؟ ممكن، تسميه ضيقاً ؟ ممكن، الإنسان حينما يخرج عن مبادئ فطرته يُعذب.

بالمقابل حينما يتصل بالله عز وجل، تصطبغ نفسه بالكمال، الفطرة أن تحب الكمال لا أن تكون كاملاً، والدليل:

أن اللصوص إذا سرقوا مالاً يقتسموه بالعدل بينهم، لأن العدل فطرة، بعدها يا رب تستر.

الإنسان لو انحرف عنده فطرة، أحياناً المنحرف أشد الانحراف عند الزواج يبحث عن فتاة شريفة، أحياناً يكون موقع الإنسان مكافحة الدين يبحث لابنته عن مدرسة إسلامية، هناك تناقض شديد جداً، الموقف الثاني فطرة، كل مولود يولد على الفطرة، لولا أنك تحب الخير لما تعذبت من فعل الشر، لولا أنك تحب العدل لما شعرت بضيق إذا ظلمت، لولا أنك تحب الرحمة لما تضايقت إذا قسوت أبداً، الأمراض النفسية خروج عن مبدأ الفطرة.

من تاب إلى الله و اصطلح معه شعر براحة لا توصف:

لكن الذي أتمنى أن يكون واضحاً ما من أمر أمرنا الله به بشكل مطلق إلا ركز في فطرتنا محبته.

لذلك لمجرد أن تتوب إلى الله، وأن تصطلح معه، وأن تقيم أمره، تشعر براحة لا توصف، كأن أثقالاً كالجبال أزيحت عن كاهلك، لأنك اصطلحت مع فطرتك، حتى العوام يقول لك: ارتحت وزعت التركة بالعدل، ارتحت، ارتاح، وحينما يظلم، يغلي.

فالإنسان إذا كان أنانياً بالتعبير الشائع إذا أطاع الله ارتاحت نفسه، انظر إلى الصادق يتمتع بصدقه، المنصف يتمتع بإنصافه، الكامل يتمتع بكماله.

والله حتى أقول لكم: لو لم يكن هناك يوم جزاء الذي استقام على أمر الله يكافأ في الدنيا بالراحة النفسية، لذلك إن الله يعطي الصحة، والذكاء، والمال، والجمال، للكثيرين من خلقه، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين.

توافق الآداب مع الفطرة:

والله أيها الأخوة، بقلب المؤمن من الأمن، والسلامة، والراحة، والسعادة، والسكينة، والتوازن، والاطمئنان ما لو وزع على أهل بلد لكفاهم، يعني الإيمان مرتبة عالية جداً للتقريب:

مركبة أحدث موديل 2008، أغلى مركبة، من أرقى معمل، إن مشيت بها على طريق وعرة، صخور، وأكمات، وحفر، ونتوءات، تسمع أصواتاً، تسمع تعثراً بالمشي، أصوات اصطدام بالأحجار،

تخرج من جلدك، سِرْ بها على طريق معبد، انسياب بالحركة، سرعة، أصوات لا يوجد أبداً، لأن هذه المركبة صممت للطريق المعبد.

تزوجت تجلس مع زوجتك، وقد أكرمك الله بها، وفق المنهج، تصلي قيام الليل، هذه وفق المنهج، أما لو أدرت حديثاً مع امرأة لا تحل لك، ولم تكن مطبقاً لمنهج الله في هذا الحديث، تشعر بضيق، أنت عندما تملك حساسية بالتعبير الجديد: شفافية، تشعر عندما تغلط أن هناك حجاب بينك وبين الله، لأنك أنت مبرمج، بتعبير آخر مولف، بتعبير آخر مفطور، بتعبير آخر مجبول، مفطور، مجبول، مولف، مبرمج على طاعة الله، فإذا أطعته اصطلحت مع فطرتك، وسعدت في الدنيا والآخرة، وإذا عصيت الله يقع انهدام داخلي، شعور بالنقص، شعور بالظلم، الذي يظلم إحدى زوجتيه له صفات عجيبة، يصبح قاسٍ جداً، يضرب سريعاً، يختل توازنه من الداخل، هذه الفطرة.

فالآداب تتوافق مع الفطرة، والأعمال المنافية للآداب تتناقض مع الفطرة، أما الصبغة، الفطرة تحب الرحيم، أما الصبغة تصبح رحيماً، الصبغة إيجابية، الفطرة محبة فقط، أن تحب الكمال شيء، وأن تكون كاملاً شيء آخر.

الفطرة مشتركة بين الناس و الصبغة تكمل باتصال العبد بالله عز وجل:

هذه الآداب آداب الطعام، آداب الشراب، آداب العيادة، آداب الزيارة، آداب قيادة المركبة، آداب إطلاق البوق الساعة الثانية بالليل، وزوجتك بالطابق الرابع، وأتيت لتأخذها من بيت أهلها لا تتنازل تخبرهم، تطلق ببوق المركبة ؟!.

كان عليه الصلاة والسلام إذا دخل بيته لفّ ثوبه، لئلا يوقظ حفيف ثوبه زوجته هذه الفطرة.

الفطرة مشتركة، نحن جميعاً، ولأننا جميع مفطورون على الكمال إذا أخطأنا نشعر بضيق نفسي، هذا جواب الفطرة، إذا أخطأنا نشعر بضيق، أما الصبغة تكمل باتصالك بالله، المتصل عنده حياء، عنده أدب، عنده رحمة، عنده إنصاف، المتصل.

فالكمال إما أن يأتي عن طريق التعليم، أو الذكاء، أو الاتصال بالله، إذا إنسان بعيد عن الله لكن ذكي جداً، حتى ينتزع إعجاب الآخرين، ويحقق مصالحه، يكون متأدباً بأدب تجاري هدفه تحقيق مصالحه، هذا شيء شائع جداً، هذا الإنسان الذي تأدب بأدب تجاري حينما يُستفز، أو حينما تهدد مصالحه، ينقلب كالوحش، مثلاً:

طفل ببلد أوربي أشار إلى سيارة فلم تقف له، أقام والده دعوى على الشركة الناقلة، وأخذ مبلغاً فلكياً، لو لم تأتِ مركبة ثانية، هذا الطفل تشرد، ولم يستطع أن يصل إلى بيت أهله، شعوب تموت بأكملها تموت.

قتل امرئ في بلدة جريمة لا تغتفر وقتل شعب مسلم مسألة فيها نظر

* * *

مليون قتيل بالعراق، مليون معاق، خمسة ملايين مشرد، وجاء هذا المجرم لينتزع ثناء الناس فتلقى صفعة بالحذاء.

الفطرة مشتركة بين الناس و الصبغة تكمل باتصال العبد بالله عز وجل:

المشكلة الإنسان أحياناً بذكائه ينتزع إعجاب الآخرين، أما حينما تهدد مصالحه، حينما يشعر بالخطر ينقلب إلى وحش كاسر، وكأن الله جلّ جلاله أراد ألا تنطوي حيل أعداء الله على الأمم، مثلاً:

قبل الحادي عشر من أيلول الغرب حضارة، حقوق الإنسان، تكافؤ الفرص، حق المقاضاة، العولمة، احترام جميع الأديان، أي قيم، ومبادئ، والإنسان مكرم أعظم تكريم، بعد الحادي عشر من أيلول انقلب الغرب إلى وحش.

فلذلك الله عز وجل متكفل أن الذي يتخلق بذكاء فقط من أجل مصالحه لابد من أن يكشفه الله عز وجل.

(مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ)

الآية:

(الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ)

(سورة آل عمران الآية: 179)

الآية لو وسعناها لا يرضى الله لأمة أن تهيمن على بقية الأمم بدعوى كاذبة يكشفها على حقيقتها.

المتصل بالله عنده ذوق آتٍ من الصبغة:

النقطة الدقيقة بالآداب ؛ عندنا آداب أساسها التعليم، آداب أساسها الصبغة، الاتصال بالله، آداب أساسها الذكاء، أحياناً الإنسان لو سافر لبلاد الغرب يجد احتراماً، دقة بالمواعيد، بالمعاملات، شيء رائع جداً، لكن هذا لا يمنع أن بلاد الغرب تقيم حضارتها على أنقاض الشعوب، تقيم ثراءها على إفقار الشعوب، تقيم عزها على إذلال الشعوب، تقيم حريتها على قهر الشعوب، تقيم حياتها على قتل الشعوب، هذا شيء واضح تماماً، هذه الأخلاق أتمنى ألا يعتد بها إطلاقاً، ذكاء فقط، ذكاء نابع من مصالح، هذه خارج

حساباتنا، أما المؤمن أخلاقه إما أنه تلقاها قبل الصبغة عن طريق التعليم، أو أصبحت جزءاً من طبيعته بعد الاتصال بالله، هذه الحقيقة الأولى بالآداب، مثلاً الله عز وجل قال:

(مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طغى)

(سورة النجم)

أنت دخلت لبيت ضيف، سمعت حركة، وجدت كتاباً، وجدت كمبيوتراً، لا يصح أن تقوم بشيء، كل شيء يحتاج إلى إذن، ممنوع تفتح كتاباً ليس لك، أي تحتاج إلى إذن، المتصل بالله عنده ذوق، ذوق آتٍ من الصبغة، والذي حضر درس علم بالآداب عنده معلومات، عنده تعليمات، لكن الأولى مقبولة، آداب التعلم مقبولة، وآداب الصبغة أرقى شيء، أما المرفوض آداب المصالح.

الآداب الراقية من عند الله تعالى:

أيها الأخوة، الدليل على أن الآداب الراقية من عند الله:

((أدبني ربي فأحسن تأديبي))

[ابن السمعاني في أدب الإملاء عن ابن مسعود]

والله أيها الأخوة يمكن أن تُجاري الشخص ثلاثين عاماً لا تسمع منه كلمة نابية أبداً ولا مزاحاً رخيصاً.

والله بأقوال النبي شيء مذهل ! فتاة ترتدي ثياباً رقيقة، فقال: يا بنيتي إن هذه الثياب تصف، انظر أي كلمة ثانية محرجة ؟ تصف حجم عظامك، العظم لا يثير الشهوة إطلاقاً، هناك كلمات أخرى تثير الشهوة، إن هذه الثياب تصف حجم عظامك.

صحابية جليلة تشكو زوجها، قالت لسيدنا عمر: إنه صوام قوام، لم ينتبه، قال لها: بارك الله لك بزوجك، قال له سيدنا علي: إنها تشكو زوجها، صائم في النهار قائم في الليل أهملها، انظر إلى الأدب.

امرأة رأتها السيدة عائشة بهذا الوضع المؤلم، فشكت لها زوجها أنه صوام قوام، النبي استدعاه، وأمره أن يعطي حق زوجته، أعطاها حقها، في اليوم التالي جاءت إلى السيدة عائشة نضرة عطرة، قالت لها: ما الذي حصل ؟ قالت لها: أصابنا ما أصاب الناس، ما هذا الأدب ؟!.

الدين كله حياء:

تعلم الأدب من القرآن الكريم.

(فَلَمَّا تَغَشَّاهَا)

(سورة الأعراف الآية: 189)

لا تجرح الحياء هذه الكلمة.

(أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ)

(سورة النساء الآية: 43)

تفهم.

(وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ)

دقق:

(فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ)

(سورة المؤمنون)

وراء ذلك جميع الانحرافات الجنسية في هذه الكلمة، فيقول لك: لا حياء في الدين، لا والله الدين كله حياء، وتعلم الحياء من كتاب الله، الدين كله حياء.

أخلاق الصبغة أخلاق أصيلة لا تتأثر بالمصالح والظروف والعداوات:

الآن هناك دليل ذاتي، دليل قوي جداً، قال تعالى:

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

(سورة آل عمران الآية: 159)

يعني يا محمد بسبب رحمة استقرت في قلبك عن طريق اتصالك بنا لنت لهم.

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ)

(سورة آل عمران الآية: 159)

لو كنت منقطعاً عنا هذا الانقطاع سبب قسوة في القلب، وهذه القسوة في القلب ترجمت إلى غلظة وفظاظة.

(لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ)

(سورة آل عمران الآية: 159)

هذا دليل آخر.

((إن هذه الأخلاق من الله فمن أراد الله به خيراً منحه خلقاً حسناً))

[أخرجه الطبراني عن أبي هريرة]

هذه أخلاق الصبغة، هذه الأخلاق الأصيلة، لا تتأثر لا بمصالح، ولا بظروف، ولا بعداوات، هذه الأخلاق الأصيلة، ليس لها علاقة بالفقر، ولا بالغنى، ولا قبل الزواج، ولا بعد الزواج، ولا مع الصحة، ولا مع المرض، أخلاق ثابتة.

أخلاق الصبغة و أخلاق الأذكياء:

أما إنسان يكون بالرخاء لابأس بحاله، بالشدة ينقلب وحشاً كاسراً، هذا الكلام يدفعني اذكر مصطلحين: هناك موقف أخلاقي، و هناك إنسان أخلاقي.

طبيب راكب مركبته وجد حادثاً، فيه ثلاثة جرحى، والدماء تسيل، والذين حول الجرحى يعرفونه طبيباً انحرج، فاضطر أن يقف ويأخذ بعض الجرحى في سيارته، هذا موقف أخلاقي، لكن قد يكون الطبيب يتمنى أن لا يعرفه ولا يقف، هذا فرق، أن تقف بدافع إنسان أخلاقي، بدافع التقرب من الله عز وجل، بدافع رحمتك، قد أنقذ هذا المريض، وقد تقف حفاظاً على سمعتك، هذا الفرق بين أخلاق الأذكياء، وبين أخلاق الصبغة، أنا ألح على أخلاق الصبغة، بطولتك أن تكون أخلاقياً صبغة، لا تتأثر لو فعلت خيراً وقابلوا هذا الخير بالنقد، لا تعبأ.

(إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً)

(سورة الإنسان)

فهذا الفرق بين الموقف الأخلاقي من إنسان أخلاقي، يعني أنت عليك سند بمئة ألف أنا أديته، لأنه سند، وهناك محكمة، وصاحب السند إنسان تخاف منه، وله أساليب عجيبة في استرداد الدين، ويحجز على محلك، ويدخلك المحكمة.

أما شخص أقسم بالله معه عشرون مليون ليرة استثمار من إنسان، ما أخذ وصلاً منه مات بحادث، أقسم لي بالله لا أحد على وجه الأرض يعلم بهذا المبلغ، عشرون مليون ليرة، إنسان حريص جداً، كتوم جداً، يخاف، فما أخذ منه وصلاً، إذا كان الوصل كان عنده بالبيت في مشكلة، وله ثقة بهذا الإنسان، ما أخذ وصلاً، مات بحادث، ذهب إلى أهله وقدم لهم هذا المبلغ.

متى تكون أميناً بأعلى درجة ؟ حينما لا تكون مداناً في الأرض، ما أحد معه دليل عليك.

غض بصره دليل خشية الإنسان من الله عز وجل:

لذلك مثلاً عندنا غض البصر، غض البصر لا يوجد قانون في الأرض يمنعك أن تنظر، هذا الأمر ينفرد به الدين، الآن شخص ببيته، والغرفة مظلمة، وفي البناء المجاور ظهرت الجارة بثياب فاضحة إلى الشرفة، هي لا تراه إطلاقاً، لكنه يراها، هل هناك بالأرض جهة تضبطه ؟ أبداً، فإذا غض بصره هذا دليل خشيته من الله عز وجل، الله عز وجل قال:

(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)

(سورة غافر)

مريضة عند طبيب تشكو من مكان، فاختلس النظر إلى مكان آخر، لا تشكو منه من يعلم هذه النظرة ؟ الله عز وجل،

(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)

الأخلاق ثلاثة أنواع ؛ أخلاق الصبغة أخلاق التعليم و أخلاق الذكاء:

لذلك أخلاق الصبغة هذه أخلاق أصيلة، هذه آداب أصيلة، هذه أخلاق ترقى بالإنسان إلى أعلى عليين، أخلاق الصبغة، وهناك أخلاق التعليم، و أخلاق الذكاء التجارة، الغرب بارع بهذه الأخلاق، يعني مثلاً: أحياناً حقوق الحيوان مقدمة على حقوق الإنسان، وهناك خبر مزعج أن ما يأكله الكلاب في بعض الدول الأجنبية، لا يأكله الشعب الهندي بأكمله، ما يأكله الكلاب من اللحوم.

أنا كنت بأمريكا هناك عملية زرع مفصل للكلب، عملية زرع أسنان، السن يكلف مئتي و خمسين ألفاً، زرع سن، زرع مفصل، هناك أطباء نفسيون للكلاب، وفي مجاعات بأفريقيا، ترى الوحشية ؟ الآن وقود الطائرات يصنع من الذُرة، من فول الصويا، من أجل أن تركب طائرة من وقود نباتي أسعار المواد الغذائية ارتفعت عشرة أضعاف، قرأت مقالاً قبل يومين حول هذا الموضوع شيء مخيف، قوت الشعوب، قوت الفقراء، ارتفع عشرة أضعاف، فول الصويا، الذُرة، والشعير، والقمح أحياناً، هذا طعام الفقراء، طعام الشعوب صار وقود طائرات، بالبرازيل، بأمريكا، بكندا، بعدة بلاد، حتى من قصب السكر، السكر صار وقود طائرات، لأنه لا يوجد رحمة، هم يهتمون بحقوق الحيوان والإنسان مكرم عند الله عز وجل.

بأستراليا تمّ إعدام عشرين مليون رأس غنم قبل أعوام، ودفنت تحت الأرض من أجل الحفاظ على أسعار اللحوم المرتفعة، شعوب تموت من الجوع، مجاعات بإفريقيا.

والله يا أخوان أحياناً الإنسان يخجل أن ينتمي إلى الجنس البشري، وحوش البشر لا في رحمة، ولا في حياء، ولا في خجل، ولا في مبادئ، ولا في قيم، ولا في أخلاق، ولا في وطنية، ولا في قومية، ولا في إنسانية، في وحشية فقط، تحت سمعك وبصرك موت كعقاص الغنم لا يدري القاتل لِمَ يقتل، ولا المقتول فيمَ قُتل، يومياً في مئة قتيل بالعراق ما السبب ؟ ما في سبب، بتاريخ البشرية القاتل يُقتل، أما يمشي بالطريق صار في تفجير مات الإنسان، يوم يذوب قلب المؤمن في جوفه مما يرى، ولا يستطيع أن يغير.

الابن الراقي وراءه أب راقٍ و أم راقية:

أيها الأخوة الكرام، أردت بهذه المقدمة أن أوضح لكم أن الإسلام عقيدة، إن صحت صحّ العمل، أخطر شيء بالإسلام العقيدة، الإسلام عبادات، قوام الدين، عماد الدين، الإسلام معاملات، أما أوسع بهذا الهرم الآداب، موضوع واسع جداً آداب الزيارة، آداب عيادة المريض، آداب الجلوس، آداب النوم، آداب الطعام.

مرة قال لي إنسان: شخص دعا مجموعة من الناس للطعام وصنع أكلة تصنع في الشام لحم مع بندورة "كباب هندي"، وواحد مع ابنه، الابن يأكل اللحم فقط، أكل نصف الصينية لوحده والأب لم ينتبه، هكذا علمت ابنك ؟ أقسم بالله قال لي: كدت أتمزق، لم يبقَ أكل للحاضرين، حاف، واحدة، الثانية، الثالثة، الرابعة، بقي هندي لم يعد في كباب، أين الأدب ؟ والله أحياناً الطفل تعطيه قطعة حلويات لا يقبل أن يخذها، عنده عفة، وراءه أسرة علمته الأدب، لا يقبل.

((سَمِّ اللَّه، وكلْ بيمينك، وكلْ مما يلَيك))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ومالك عن عمر بن أبي سلمة]

عندي قصص عن سوء أدب الصغار بالأكل، لا ينتبه، يريد أن يأكل كما يحلو له، قد يكون أهله وضعهم المادي ميسور، لكن الآن هناك وليمة، وهناك عدد محدود، و أكل محدود، لا ينتبه، أنا أتمنى أن يكون الأب يقظاً جداً إذا كان معه ابنه أين جلس ؟.

مرة كنا بمكان ؛ غرفة الضيوف مجللة بقماش أبيض ناصع كالثلج، ابن أحد الضيوف كان بالطريق، يمشي بالوحل، وصعد إلى الكنبة بحذائه، والأب مرتاح، أين الأدب ؟ الابن الراقي وراءه أب راقٍ، أم راقية، تربية الأولاد بطولة.

الآداب جزء من الإسلام كبير جداً و الطفل المؤدب واضح من كلامه:

أيها الأخوة، نحن هذا الدرس بالأساس في أدب الطعام، لكن لابدّ من حديث دقيق وتمهيدي عن موضوع الآداب وعلاقتها بالتعليم، وعلاقتها بالصبغة، وعلاقتها بالذكاء، هناك آداب الآن آداب الغرب آداب ذكاء، أما حينما تنقطع المصالح يصبح الغرب متوحشاً هذه خارج كل حساباتنا، أما آداب الصبغة هي أرقى الحسابات، آداب التعليم لابدّ منها، يعني يمشي الابن أمام أبيه، امش وراءه، لا تجلس قبله، لا تناديه باسمه.

مرة دخلنا لنرى بيتاً طفل عمره عشر سنوات، مضجع، ورجل فوق رجل يتابع مسلسلاً، دخل أبوه هو والضيوف وما تحرك.

روي أن سيدنا أبا حنيفة النعمان رحمه الله تعالى كان معه آلام برجله فمد رجله، طبعاً المعذور لا يوجد عليه إشكال إطلاقاً، أما النبي الكريم ما رؤي ماداً رجليه قط إطلاقاً، أما هو معذور، فدخل إنسان طويل القامة، عريض المنكبين، يرتدي عمامة، فاستحيا أبو حنيفة فرفع رجله إكراماً له، فالدرس كان عن صلاة الفجر، درس طويل، فلما انتهى الدرس سألوا هذا العالم الجليل كيف نصلي الصبح إذا طلعت الشمس قبل الفجر ؟ قال له: عندئذٍ يمد أبو حنيفة رجله.

أحياناً سؤال غير مدروس، سؤال محرج، سؤال وقح، سؤال في جهل كبير وأحياناً جلسة غير لائقة.

مرة حدثني أخ قال لي: كان بجامع شخص جالس على الحائط مرتاح لا يوجد مشكلة، بعدها أصبح مضطجعاً، درس علم، بعدها نام.

في آداب المساجد، آداب البيوت، آداب الجلوس، آداب اللباس، بعض الأسر سامحهم الله تجد الشاب بالألبسة الداخلية أمام أخوته البنات، والبنت بثياب نوم شفافة أمام أخوها، لا، هذا شيء لا يجوز إطلاقاً.

لذلك الآداب جزء من الإسلام كبير جداً، الطفل المؤدب واضح من كلامه، من أدبه، من استئذانه، لا يدخل فوراً، لا يستخدم شيئاً من دون إذن.

فأرجو الله سبحانه وتعالى أن نبدأ في الدرس القادم الحديث عن آداب الطعام لأن الطعام يومي، في اليوم ثلاث وجبات، إذا في اهتمام، أكل مما يليه، أكل بيمينه، سمى الله، حمد الله، معنى البسملة، كيف أن يبقي لأخيه طعاماً، كيف يختار الفاكهة الأقل، أحياناً تنازع بين الصغار على أخذ الفاكهة الأكبر، لا، بالعكس نعمل تنازع على المؤآثرة، في موضوعات لطيفة جداً إن شاء الله في الدرس القادم نتحدث عنها.

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

التربية الاجتماعية:

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الخامس والعشرين من دروس تربية الأولاد في الإسلام، ولا زلنا في التربية الاجتماعية.

وقد تحدثت في درس سابق عن آداب الطعام، وسأتابع هذا الموضوع في هذا الدرس إن شاء الله.

آداب الطعام:

أولاً مما هو ثابت أن الإسلام عقيدة، وعبادة، ومعاملات، وآداب، إن صحت العقيدة صحت العبادات، وصحت المعاملات، ولابدّ من آداب تزين هذه العبادة، أي موضوع في الدين يصنف مع العقائد، أو مع العبادات، أو مع المعاملات، أو مع الآداب، ونحن في آداب الطعام مع القسم الرابع من أبواب هذا الدين العظيم.

1 ـ غسل اليدين والفم قبل الطعام و بعده:

ورد في بعض الأحاديث أن:

((بركة الطعام الوُضُوء قبلَه، والوضوء بعدَه))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن سلمان الفارسي]

وقد أشار شُراح الحديث إلى أن الوضوء هنا لا يعني وضوء الصلاة، ولكن يعني غسل اليدين والفم قبل الطعام، فالإنسان يمسك بيده شيئاً ملوثاً، قد يمسك بيده حذاءه أحياناً، قد يضع يده على شيء غير طاهر فيه غبار، فحينما يغسل يديه قبل الطعام معنى ذلك أنه ضمن ألا تنتقل بعض الجراثيم إلى طعامه.

ولا تنسوا أيها الأخوة أن أمراض القذارة في الأرض ضحاياها يزيدون عن ثلاثمئة مليون، هذا إحصاء منظمة الصحة العالمية، ثلاثمئة مليون في الأرض مصابون بأمراض القذارة، وهذا الدين العظيم أمرنا أن نغسل أيدينا جيداً، وفمنا جيداً، الإنسان يمشي في الطريق هناك غبار، هناك دخان عوادم سيارات،

يمسك شيئاً غير طاهر، يصافح إنساناً يده ملوثة فرضاً، يستخدم حذاءه، يمسك حذاءه، فهذه اليد أمسكت أشياء كثيرة، فمن أجل ألا يدخل إلى جوف الإنسان الجراثيم ينبغي أن يغسل يديه قبل الطعام، وبعد الطعام، قبل الطعام ضماناً لعدم انتقال الجراثيم، وبعد الطعام تنقية لليد من آثار الطعام والفم كذلك، هذا من توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام.

وهناك حديث آخر:

((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُكْثِرَ اللَّهُ خَيْرَ بَيْتِهِ فَلْيَتَوَضَّأْ إِذَا حَضَرَ غَدَاؤُهُ وَإِذَا رُفِعَ))

[أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك]

لذلك بفضل هذا الدين العظيم أمراض كثيرة جداً العالم الإسلامي معافى منها بفضل آداب الإسلام.

2 ـ ذكر اسم الله عز وجل على الطعام قبل أكله:

يوجد شيء آخر:

((فإذا أكل أحدكم طعاماً فليذكر اسم الله عليه))

[أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدرامي وابن حبان عن عائشة أم المؤمنين]

لماذا ؟ قبل أن تأكل تقول بسم الله الرحمن الرحيم، هذا الطعام من صنعه ؟ هذا الحليب فضل من ؟

(وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ)

(سورة النحل الآية 5)

الحليب، ومشتقاته الحليب، والألبان، والأجبان، والسمون، هذه المادة الأساسية الأولى، هذه البقرة من خلقها ؟ معمل صامت، مذللة، فإذا جنت البقرة تُقتل فوراً، قال تعالى:

(وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ)

(سورة يس الآية: 72)

أعرف أخاً عنده بقرة في ريف دمشق أصابها الجنون، قتلت أول إنسان وكادت تقتل الثاني، فما كان منه إلا أن أطلق عليها النار، من ذللها ؟ هذه الغدة الثدية في البقرة تأخذ من الأوعية الدموية التي تجول فوقها مواد دقيقة جداً، بروتين، وشحوم، وسكريات، ومعادن وأشباه معادن، يرشح من هذه الخلية الحليب، وحتى هذه الساعة لا أحدة يعلم آلية صنع الحليب، إلا أن الثابت أن كل أربعمئة حجم من الدم يصنعوا حجم حليب واحد، يعني لتر الحليب يقابله أربعمئة لتر من الدم يجري فوق الغدد الثدية في البقرة، غذاء كامل، الذي خلق الإنسان، وخلق أجهزته، هو الذي خلق الأنعام،

(وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ)

(وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ)

فإذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم أكلت خبزاً، أيضاً القمح غذاء كامل، أكلت من مشتقات الألبان، أكلت لحماً، كلما تفكرت في هذا الطعام، وكيف أنك لم تدفع ثمنه أبداً ماذا دفعت ؟ دفعت ثمن خدمته فقط، كل شيء تشتريه من السوق هو ثمن خدمته، أما لو أن أهل الأرض اجتمعوا على أن يصنعوا تفاحة لا يستطيعون، شجرة تسقيها أنت وتسمدها وانتهى الأمر، هناك بعض الأشجار تعطي خمسين لستين صندوق تفاح، شكل، ولون وطعم، ورائحة، وقوام، وجمال، وفائدة، تصميم من ؟.

للبسملة معنيان:

1 ـ أن تذكر أن هذه النعمة من صنع الله عز وجل:

فأنت إذا أكلت وقلت بسم الله، أي أن هذا الطعام الذي آكله هو من صنع الله، من فضل الله، من كرم الله، من عطاء الله، من تفضل الله علينا.

المعنى الثاني للبسملة البسملة فيها معنيان، الأول: أن تذكر هذه النعمة التي تأكلها، وأن أموال الأرض لا تكفي لصنع تفاحة واحدة، تجد جبالاً بأسواق الخضراوات، جبال من الفواكه، من الحمضيات، من البطاطا، من الخضراوات، من صممها ؟ من صمم أن البذرة تنبت الثمرة ؟ لو ما في بزار تزرع الشيء مرة واحدة وانتهى الأمر، فكرة البذرة من صممها ؟ الله جلّ جلاله، البندورة: خمس غرامات من البزار تعطي في بلادنا خمسة طن و تعطي في البلاد الأخرى خمسة و عشرين طناً، كم ضعف ؟ هذا من فضل الله علينا.

فالبسملة أن تفكر من صمم هذه الخضراوات ؟ هذه الفواكه ؟ مشتقات الألبان ؟ اللحوم ؟ القمح ؟ الشعير ؟ الحمص ؟ العدس ؟ بسم الله الرحمن الرحيم، يا رب لك الحمد.

2 ـ الأكل وفق توجيهات النبي الكريم:

المعنى الآخر للبسملة أن تأكل وفق توجيهات النبي، فأي شيء تبدأه بالبسملة يعني أن تلتفت إلى المنعم، وأن تطبق منهج المنعم في استعمال هذه النعمة، هذه البسملة.

أيها الأخوة، كما قال عليه الصلاة والسلام:

((فإذا أكل أحدكم طعاماً فليذكر اسم الله عليه فإن نسي في أوله فليقل بسم الله أوله وآخره))

[أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدرامي وابن حبان عن عائشة أم المؤمنين]

فالبسملة أن تلتفت إلى المنعم، أو أن تنتقل من النعمة التي أمامك إلى المنعم، والبسملة أن تستخدم هذه النعمة وفق توجيهات المنعم.

((بِحَسْبِ ابن آدم لُقَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَه))

[أخرجه الترمذي عن المقدام بن معد يكرب]

3 ـ من آداب الطعام أيضاً حمد الله عز وجل على نعمه:

إلى آخر التوجيهات النبوية في تناول الطعام والشراب، أكلت وشبعت، وشربت فارتويت، كان عليه الصلاة والسلام إذا أكل أو شرب يقول:

((الحمد لله الذي أطعَمنا فأشبعنا، وسقانا فأروانا))

[شعب الإيمان عن أنس بن مالك]

كأس الماء لا تعرف قيمته إلا إذا فقدته، مرة خليفة طلب كأساً من الماء فقال له وزيره: يا أمير المؤمنين بكم تشتري هذا الكأس إذا منع منك ؟ قال: بنصف ملكي قال: فإذا منع إخراجه ؟ قال: بنصف ملكي الآخر.

فأنت مفتقر إلى كأس الماء، فلذلك من آداب المسلم أن هذه النعمة يحفظها الوضوء قبل الطعام أي غسل اليدين والفم، والوضوء بعد الطعام أي غسل اليدين والفم، وأن تبدأ طعامك بالتسمية، ومعنى التسمية أن تلتفت إلى المنعم، وأن تستخدم هذه النعمة وفق توجيهات المنعم، فإذا انتهيت من الطعام فقل الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، أو الحمد لله الذي أطعمنا فأشبعنا، وسقانا وأروانا، وجعلنا مسلمين.

الأكل في الطريق دناءة:

لذلك ورد أن الأكل في الطريق دناءة، عندنا موضوع متعلق بالمروءة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته، وحرمت غيبته))

[مسند الشهاب عن الحسين بن علي]

أما إذا عاملهم فظلمهم، وحدثهم فكذبهم، ووعدهم فاخلفهم، سقطت مروءته، لكن هناك حالة أخرى، أكل في الطريق، جُرحت عدالته لم تسقط لكنها جُرحت، تنزه في الطرقات، ورأى الكاسيات العاريات، جُرحت عدالته، أكل لقمة من حرام، لا ينوي أن يشتري، أخذ حبة من الفاكهة بنية أن يتذوقها ليشتري، أكلها وسار، أكل لقمة من حرام جُرحت عدالته، طفف بتمرة، لم يقدم الوزن الدقيق جُرحت عدالته، علا صياحه في البيت جُرحت عدالته، كان حديثه عن النساء، هذه جميلة، وهذه غير جميلة، جُرحت عدالته،

قاد جرذوناً، يعني كلب عقور، أو حيوان مخيف يخيف الصغار به جُرحت عدالته، أطلق لفرسه العنان، أسرع بالسيارة سرعة غير معقولة، جُرحت عدالته، موضوع طويل عد الفقهاء ثلاثة و ثلاثين سلوكاً يجرح العدالة.

لذلك الأكل في الطريق يجرح العدالة، والبول في الطريق يجرح العدالة، وأن تمشي حافياً يجرح العدالة، وأن تصحب الأراذل تجرح عدالتك.

4 ـ عدم ذم الطعام أو مدحه:

من آداب الطعام ألا تذم الطعام، في أشخاص، الملح زائد، لابد من أن يعلق تعليقاً سلبياً على الطعام، ليظهر خبرته في تذوق الطعام، هذا ليس من الأدب، إنسان دعاك إلى طعام قدم لك أحسن ما عنده، أما أن تنتقد الطعام هذا من سوء الأدب، كان عليه الصلاة والسلام إذا أحب طعاماً أكله، وإذا ما يحبه تركه، ما عاب طعاماً قط، إذا اشتهاه أكله، وإذا كرهه تركه، انتهى الأمر.

في صفة أخرى من صفات النبي ما عاب طعاماً، ولا مدحه، هناك أشخاص أكلت أكلة ما أكلت مثلها بحياتي، يعني هؤلاء الحاضرون ما علاقتهم بهذا الذي حدث أكلتها لوحدك، لو أطعمتهم منها معقول أن تمدحها، لذلك ما عاب طعاماً قط، ولا مدحه.

لكن بالمناسبة لو شخص دعاك إلى طعام قال لك: إن شاء الله سررت ؟ يجب أن تمدح الطعام، أدباً مع المُضيف، شخص سألك عن مستوى الطعام يجب أن تمدحه جبراً لخاطره، أما من دون سبب أن تمدح الطعام، أو أن تذمه هذا ليس من آداب النبي عليه الصلاة والسلام.

لذلك قالوا: تعس عبد البطن، تعس عبد الفرج، تعس عبد الخميصة، عبد بطنه يمدح الطعام ويذمه، وعبد الخميصة عبد ثيابه، وعبد فرجه عبد الجنس، تعس عبد البطن، تعس عبد الفرج، تعس عبد الخميصة، وتعس عبد الدرهم والدينار، هؤلاء عبيد.

تنبيه الأبناء أثناء الطعام واجب على الآباء و الأمهات:

الآن الآباء والأمهات لهم مهمة كبيرة جداً في آداب الطعام، تصور طفل طائش ما تلقى توجيهات من أهله، دُعي إلى طعام مع أهله، في أكلات فيها قطع لحم، وفيها شيء آخر، أكل اللحم فقط، أكل نصف اللحم الذي في الطبق وحده، ووالده ليس منتبهاً، أنا أعد هذا خطأ فاحشاً، يا بني كل مما يليك، كُلْ الخبز مع الطعام، كُلْ باعتدال، يجب أن يرى الناس الأدب في ابنك، هذا من تأديبك له.

فلذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((كنتُ غُلاما في حجْر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يَدي تطيشُ في الصحفة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ياغلامُ، سَمِّ اللَّه، وكلْ بيمينك، وكلْ مما يلَيك))

[مسلم عن عمر بن أبي سلمة]

هذا من توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم:

((ياغلامُ، سَمِّ اللَّه، وكلْ بيمينك، وكلْ مما يلَيك))

5 ـ ألا تأكل متكئاً:

ومن آداب الطعام ألا تأكل متكئاً، الاتكاء فيه كبر، وبعضهم قال: فيه ضرر صحي، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم:

((أمَّا أنا فلا آكل مُتَّكئا))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن أبي جحيفة]

هناك رجل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم اسمه زيد الخير، كان اسمه زيد الخيل، كان من أجمل العرب، دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فلفت نظره جميل جداً فلما انتهى من خطبته قال من أنت ؟ قال: أنا زيد الخيل، فقال عليه الصلاة والسلام: بل زيد الخير، وأخذه إلى بيته تكريماً له، وقال له: يا زيد ما وصف لي رجل فرأيته إلا رأيته دون ما وصف إلا أنت يا زيد، رآه فوق ما وصف له، النتيجة وهو جالس في بيت النبي عليه الصلاة والسلام، قدم له وسادة ليتكئ عليها، هو حديث عهد في الإسلام فقال هذا الإنسان العظيم، قال: والله يا رسول الله لا أتكئ في حضرتك.

الاتكاء في حضرة النبي من سوء الأدب، والله يا رسول الله لا أتكئ في حضرتك، فقال عليه الصلاة والسلام: لله درك، أي رجل أنت ؟! والقصة طويلة، مكث عنده أياماً ثلاثة ثم غادر إلى أهله وافته المنية في الطريق، يعني إسلامه بضعة أيام، وكان عليه الصلاة والسلام معجباً به.

6 ـ الحديث أثناء الطعام:

الآن من آداب الطعام، الحديث أثناء الطعام، أنا أتمنى على الأخ الكريم أن يجمع أولاده وزوجته على وجبة طعام واحدة الحد الأدنى، وجلسة طعام جلسة حديث، جلسة مسامرة، جلسة تأليف قلب، ابنك أمامك اسأله عن مدرسته، ماذا قال لكم الأستاذ اليوم ؟ زوجتك أمامك اسألها عن بعض المشكلات، كنتِ عند بيت أهلي إن شاء الله سُررت بالذهاب ؟ هذا الحديث الممتع أثناء الطعام من لوازم آداب الطعام، هذا شيء أنا أسميه حضارة، يأكل ويقوم، أما في إنسان يجلس يسمي الله عز وجل، يتبسم، يحادث أهله،

فهذه الوجبة ينبغي أن تكون وجبة أساسية، الطعام ثلاث وجبات، أو وجبتان، أما لابدّ من وجبة أساسية يكون فيها حديث.

أنا سافرت لبلاد كثيرة أكثر شيء بألمانيا الوجبة ثلاث ساعات عندهم الطعام اجتماع، حديث، الطعام قليل جداً والحديث طويل.

على كلٍ لا بد من حديث، تأليف قلوب، طرفة، مداعبة، ابتسامة، مزاح لطيف مع الطعام، بعض العلماء قال: هذا يعين على الهضم.

وقد روى مسلم عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم:

((سألَ أهلَه الإدامَ ؟ فقالوا: ما عندنا إلا الخلُّ، فدعا به، فجعل يأكل به ويقول: نِعْمَ الإدامُ الخلُّ))

[مسلم عن جابر]

قد تفهمون هذا النص على أنه من آداب النبي، تواضعه، لكن بعض العلماء قال: بالخل فوائد لا يعلمها إلا الله، يُحمل هذا النص على معنى آخر، أن الخل أعلى مادة مذيبة، فأخطر شيء يصيب الإنسان الكولسترول، تصلب الشرايين، تضيق الشرايين، فالخل إذا استخدمته يومياً ولا سيما خل التفاح هذا أكبر علاج إلى تضخم الشرايين وانسدادها، وتصلبها، ينصح باستخدام الخل بشكل يومي، هذا من قول النبي الكريم: نِعْمَ الإدامُ الخلُّ.

وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يتحدث إلى أصحابه وهو يأكل على المائدة في أكثر من مناسبة، هذا من أدب النبي عليه الصلاة والسلام.

7 ـ استئذان صاحب البيت إن دعوت إنساناً إلى الطعام:

ومن آداب النبي الكريم إنسان دعاك إلى طعام معك شخص يمشي معك فكان عليه الصلاة والسلام يقول: هذا تبعنا، إن شئت دخل، وإن شئت رجع، إنسان عزم ثمانية أشخاص عنده غرفة طعام فيها 8 كراسي فقط، التاسع ليس له محل، فمن الأدب إذا معك إنسان لم يُدعَ إلى الطعام أن تستأذن له صاحب البيت، فإذا اعتذر لا حياء في الدين، وإذا قبل شيء جيد.

8 ـ الدعوة لصاحب البيت:

لذلك من آداب الطعام إذا كنت في دعوة أن تدعو لصاحب البيت، تقول: أكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة الأخيار، وأفطر عندكم الصائمون، وذكركم الله فيمن عنده، اللهم أطعم من أطعمنا،

واسق من سقانا، وأكرم من أكرمنا، الله أكرم أهل هذا البيت، احفظ لهم إيمانهم، احفظ لهم صحتهم، احفظ لهم أولادهم، وأهلهم...

مرة عالم من العلماء دُعي إلى طعام ودعا بهذا الدعاء النبوي الشريف، شاب أفقه ضيق جداً قال له: يا سيدي آخر فقرة في الدعاء لم تصح عن رسول الله، وذكركم الله فيمن عنده، فالشيخ ذكي جداً، قال له: بارك الله بك يا بني، إذاً نعيد الدعاء، قال: أكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة الأخيار، وأفطر عندكم الصائمون، ولولا شيخه لذكركم الله فيمن عنده.

إذاً من الآداب أن تدعو لصاحب الطعام، حتى إن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: يشترك في أجر المأدبة ثلاثة صاحب البيت، وأهله، وأولاده، صاحب البيت الذي دفع ثمن الطعام، والأولاد جلبوا الطعام، ووضعوا الخوان، والأهل طبخوا الطعام، ما نسي النبي أحداً صاحب البيت، وأهله، وأولاده.

9 ـ اجتماع الجميع على الطعام:

الآن من آداب الطعام، طلاب مع أستاذهم، أولاد مع والدهم، ينبغي ألا يأكل أحد الأولاد قبل أن يأكل الأب، لما الأب يبدأ الأولاد يأكلون، هذا من آداب الطعام.

أحياناً في النزهات، في الرحلات، الذي يحصل إنسان يكلف ببعض الأطباق، إنسان كلف بجلب الخبز، يوضع الطعام، ويجلس غير المكلفين ويأكلون، وعدد كبير لم يأتِ بعد، أنا أتمنى في أي دعوة، برحلة، بسفر، لا يأكل أحد الطعام قبل أن يجتمع الجميع على المائدة، أعرف هذا جيداً من بعض النزهات، ممنوع أحد يأكل، حتى يجلس كل من في هذه النزهة ويأخذ مكانه نقول: بسم الله، هذا أيضاً من آداب الطعام.

10 ـ غسل اليدين جيداً قبل الطعام:

أيها الأخوة، الحقيقة الطعام نشاط يومي، كل يوم فيه ثلاث وجبات، آداب الطعام من أوسع الآداب يمكن أن نتعلم منها الشيء الكثير، والنبي عليه الصلاة والسلام حينما سُئل ما هذا الأدب يا رسول الله ؟ قال:

((أدبني ربي فأحسن تأديبي))

[ابن السمعانى فى أدب الإملاء عن ابن مسعود]

طبعاً آدابه كلها من توفيق الله عز وجل.

وكان عليه الصلاة والسلام إذا أكل طعاماً لعق أصابعه الثلاث، يعني الإنسان متى يسمح لنفسه أن يضع إصبعه في فمه ؟ إذا كانت مغسولة جيداً قبل الطعام، عفواً بالوضوء من الحكم الاستنشاق، والاستنثار، والمضمضة، هذا الماء الذي سوف تتوضأ منه هل تستسيغ أن تضعه في فمك، أو في أنفك؟ لو أنه ماء فاسد له طعم، له لون، له رائحة، لا تستطيع أن تضعه في فمك، ولا في أنفك، وكأن استنشاق الماء قبل الوضوء والمضمضة تأكيد على سلامة الماء من أن يكون فاسداً، كذلك لما النبي الكريم يلعق أصابعه الثلاث بعد الطعام معنى ذلك أنت متأكد أنك غسلت يديك جيداً قبل الطعام.

11 - عدم إلقاء الطعام و العناية به:

أيها الأخوة:

((إذا سقطت لُقمةُ أحدِكم فليُمِطْ عنها الأذى، وليأكلْها، ولا يدْعها للشيطان))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن أنس بن مالك]

وهذا من أدب الشيطان أيضاً، والله يا أخوان أنا التقيت في عدة مناسبات الطعام كثير جداً، والمدعوون لم يأكلوا خمسه، في اليوم التالي علمت أن صاحب هذه الوليمة وضع هذا الطعام في علب بشكل جيد، وأعطي لبعض المياتم، وأكل الأيتام هذا الطعام لعشرة أيام، فأنت ما في مانع كن كريماً، لكن أنا لا أسمح أن تهمل لقمة واحدة، أنا الآن أسعد بهذه الأخبار، صار عندنا جمعيات تبلغها أنه عندي وليمة، يأتون بعد الوليمة يأخذون بقايا الطعام، يصلحونها باللحم، وما شاكل ذلك، توضع في علب فردية، أو ثنائية، أو جماعية تقدم للفقراء، يا عائشة:

((أحسنوا جوار نعم الله لا تنفروها، فقلما زالت عن قوم فعادت إليهم))

[أخرجه أبو يعلى عن أنس بن مالك]

أما هذا الذي يلقي بالطعام في القمامة هذا عمل فيه استهتار واستخفاف بنعمة الله عز وجل.

أنا أتمنى، أحياناً يكون هناك طعام زائد، والنفس تعافه، والله أعرف أناساً يوضع في نافذة المطبخ، تأتي الطيور وتأكله بنهم، العبرة ألا تذهب ذرة طعام واحدة سُدى، في أسطحة أحياناً أي طعام زاد عن حاجة الأهل يوضع على السطح تأكله الطيور لا يبقَ منه شيء، هناك من يستمتع في إطعام الطيور، هذه النعمة التي أنعم الله بها علينا ينبغي أن نعتني بها عناية فائقة، ثم إن الطعام:

((بِحَسْبِ ابن آدم لُقَيْمَات يُقِمنَ صُلْبَه، فإن كان لا مَحَالَة: فثُلُث لطعَامِه، وثُلث لشرابِهِ، وثُلُث لنَفَسِه))

[أخرجه الترمذي المقدام بن معد يكرب]

((ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه))

[أخرجه الحاكم عن المقدام بن معد يكرب]

والبطنة تذهب الفطنة.

على كل إنسان أن يتعلم و يُعلم و يوجه:

أيها الأخوة، كنت أتمنى أن أتابع هذا الدرس، وفي درس آخر إن شاء الله ننتقل إلى آداب الشراب، هذا نشاط يومي، هو لنا ولأولادنا نتعلم ونعلم ونوجه، أحياناً تجد ابناً تربيته عالية جداً إذا دُعي إلى طعام جلس بأدب، جلس قائماً، أكل مما يليه، سمى الله، حمد الله، شيء جميل جداً، المؤمن شخصية فذة، مؤدب جداً، والأدب تماماً كيف البناء على الهيكل الأدب كسوة لهذا البناء، تجد صار في رخام، طلاء، ثريات، أثاث، شيء جميل جداً البناء بعد الكسوة، وبعد التأثيث، فالآداب تأتي على شكل الزينة لهذا البيت.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (26-36) : التربية الاجتماعية -9- آداب الطعام -3- أدب الشراب
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-12-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

التربية الاجتماعية:

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس السادس والعشرين من دروس تربية الأولاد في الإسلام، ولا زلنا في التربية الاجتماعية، بل ولا زلنا في آداب الطعام والشراب.

آداب الشراب:

ننتقل اليوم إلى آداب الشراب، وقبل الحديث عن آداب الشراب ينبغي أن نعلم علم اليقين أن الحياة على وجه الأرض حياة الإنسان وحياة الحيوان وحياة النبات قوامها الماء.

(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)

(سورة الأنبياء الآية: 30)

الحياة على وجه الأرض قوامها الماء:

الماء هو الوسيط الوحيد الذي يحمل الأملاح والمواد الغذائية المنحلة فيه إلى الكائن الحي، الماء وسيط، هل تصدقون أنه يهطل على سطح الأرض كل ثانية ستة عشر مليون طن من الماء، بكل ثانية على مدار العام.

والنبي عليه الصلاة والسلام من أدلة نبوته أنه قال:

((ما من عام أمطر من عام))

[أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عباس]

مجموع التهطال على مستوى الأرض ثابت لا يتغير، لكنه يوزع كل عام توزيعاً خاصاً، ففي بعض الأعوام يعاني الشرق الأوسط من الجفاف، وفي بعض الأعوام تعاني إفريقية من الجفاف، في أعوام أوربة، لكن:

((ما من عام أمطر من عام))

بعد أن قاسوا كمية الأمطار على مستوى الأقطار تبين أن التهطال السنوي ثابت لا يتغير، والماء يشكل 70% من مساحة اليابسة و70 % من وزن الإنسان.

دور الماء الخطير في تغيير سطح الأرض من البنية الصخرية إلى البنية الترابية:

أيها الأخوة، الماء له دور خطير بتغيير سطح الأرض من البنية الصخرية إلى البنية الترابية، لأن الماء إذا تغلغل في باطن الأرض ثم تجمد لا يوجد قوة في الأرض تقف أمام تمدده، فإذا تمدد فتت الصخور، وكل هذه الترب في الأرض التي نزرعها أساسها صخر، لكن الماء بتجمده وتمدده فتت الصخور.

أخوانا الكرام، هل تصدقون أن حياتنا جميعاً من آدم إلى يوم القيامة، وأن حياة الحيوانات جميعاً، وحياة النباتات جميعاً، متوقفة على خصيصة من خصائص الماء، الماء ينفرد بخاصة لا يشبهه بهذه الخاصة أي عنصر في الأرض، أي شيء في الكون إذا سخناه تمدد، حتى الصخور، وإذا بردناه تقلص. لماذا يضعون فواصل تمدد ؟ في جميع الأبنية يضعون فراغات تسمى فواصل تمدد، لأن الحجر في الصيف يتمدد، وكل شيء في الأرض إذا بردناه يتقلص، إلا الماء، شأنه شأن أي عنصر، لتر ماء حرارته 40، بردناه إلى خمس و ثلاثين، انكمش، 30 - 25 - 20 - 15 - 10 - 5 - 4 - تنعكس الآية، يتمدد، ينفرد الماء من بين كل عناصر الأرض أنه في الدرجة زائد أربعة، تنعكس آليته من التقلص إلى التمدد، لو أنه تابع التقلص لقلّ حجمه وزاد وزنه، أي زادت كثافته، أي قطع الثلج غاصت إلى أعماق البحر، وفي كل عام تغوص كتل كبيرة، بعد حين تتجمد البحار، ينعدم التبخر، تنعدم الأمطار، يموت النبات، يموت الحيوان، يموت الإنسان، حياتنا جميعاً متوقفة على هذه الخاصة في الماء.

(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)

(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)

وجوده،

(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)

بخصائصه، لا لون له، ولا طعم له، ولا رائحة، يتبخر في الدرجة 14، ويتمدد.

لو أن محركاً للسيارة مصنوع من خلائط معدنية قاسية جداً، وفي ماء في الشتاء إن لم يكن مع الماء مادة مضادة للتجمد يشق المحرك.

لذلك أحدث طريقة لاقتلاع الرخام حفر ثقوب طويلة، إملاؤها بالماء، تبريد الماء تجد مكعباً مساحته متر بمتر، أزيح من الجبل عن طريق تبريد الماء.

فكل أنواع الترب أساسها الماء،

(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)

شيء آخر: عدد مرات كلمة الماء في القرآن 33 مرة، واليابسة عدد يساوي خمس هذا العدد، كمساحة اليابسة من البحر، موضوع الماء موضوع طويل، لكن أتمنى على الأخوة الكرام أن يجعلوا من هذا الموضوع أداة للتفكر.

الماء أحد أكبر موضوعات التفكر:

الآيات الكونية التي يمكن أن نتفكر بها لا تعد ولا تحصى، ولكن الله جل جلاله ذكر ألف و ثلاثمئة موضوع بالقرآن كونيات، أنا أرى هذه الموضوعات الكونية هي منهج لنا للتفكر، الماء أحد أكبر موضوعات التفكر، وأنت بإمكانك أن تصل إلى الله من خلال التفكر في آيات التفكر بالله.

نحن تحدثنا سابقاً أن الإسلام عقيدة، وعبادة، ومعاملة، وآداب، عقائد وعبادات، ومعاملات، وآداب، فهذه الدروس تربية الأولاد في الإسلام، ولا سيما التربية الاجتماعية تنضوي تحت القسم الرابع من الآداب.

آداب الشراب:

1 ـ التسمية قبل الشرب و حمد الله على هذه النعمة:

الآن يستحب أن تسمي قبل أن تشرب، وقد ذكرت في اللقاء السابق أن معنى التسمية أن هذا الماء الذي أشربه من الذي جعله عذباً فراتاً بعد أن كان ملحاً أجاجاً ؟.

في بعض البلاد النفطية يحلون الماء عن طريق معامل عملاقة، معامل تحلية، هل تصدقون أن كلفة تحلية اللتر من الماء أغلى من ثمن البنزين الآن ؟ كلفة تحلية اللتر من الماء المالح حتى يغدو ماءً عذباً، يكلف أكثر من ثمن لتر البنزين، وأسعار البنزين عالية جداً، وهذا الماء المحلى لا يصلح للشرب، لأنه ماء مقطر ما فيه معادن أبداً، لا بد من خلطه بمياه الآبار، مياه الآبار فيها معادن.

إذاً إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم هذا الماء الذي كان ملحاً أجاجاً، من جعله عذباً فراتاً ؟ بسم الله الرحمن الرحيم.

المعنى الآخر للتسمية، ينبغي أن تشرب وفق منهج الله.

أن تشرب قاعداً لا واقفاً إلا في حالات خاصة، في أثناء الطواف، ازدحام شديد، مستثنى الحاج أن يشرب واقفاً، وأن تشرب على دفعات ثلاث، سنأتي على آداب الشرب، لكن كلمة بسم الله تعني أن تذكر نعمة الله عليك في هذا الماء.

والمعنى الآخر، أن تذكر منهج الله استحباب التسمية، وبعد التسمية الحمد لله.

يا أمير المؤمنين بكم تشتري هذا الكأس من الماء إذا منع منك ؟ قال: بنصف ملكي، قال: فإذا منع إخراجه ؟ قال: بنصف ملكي الآخر.

على المؤمن أن يشكر الله عز وجل على نعمة الماء:

المؤمن يخترق النعمة إلى المنعم، يعني أيضاً في هذا البلد الطيب تفتح الصنبور ماء عذب فرات صالح للشرب، معظم بلاد العالم مياه الصنابير ليست صالحة للشرب، لابد من أن تشتري الماء، هذه نعمة تنفرد بها هذه المدينة الطيبة.

التسمية والحمد، والشرب ثلاثاً، يعني يبدو أن هناك عصباً اسمه العصب الحائر أو العصب المبهم، هذا العصب بين المعدة والقلب، ففي حالات كثيرة، أنا قرأت عن عشر حالات في العالم إنسان شرب الماء دفعة واحدة، وكان الماء بارداً فمات من فوره، لأن حرارته 37 والماء البارد واحد أو اثنان، البرد المفاجئ الذي أصاب المعدة نبه هذا العصب الحائر أو المبهم المرتبط بالقلب، في حالات سكتة قلبية عقب شرب الماء. لذلك الحديث:

((مصوا الماء مصاً، ولا تعبوه عباً فإن الكباد من العب))

[أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث انس بالشطر الأول ولأبي داود في المراسيل من رواية عطاء بن أبي رباح "إذا شربتم فاشربوا مصا"]

مص الماء مصاً، اشربه على دفعات ثلاث، بين الدفعتين أبن القدح عن فيك لأنه ثبت أن في الزفير قد تنتقل بعض الأمراض من إنسان إلى إنسان، أن تبعد الكأس عن فمك بين الشربتين، أن تسمي، ومعنى التسمية، أن تذكر نعمة الله عليك، ومع التسمية أن تذكر منهج الله في الشرب، ثم أن تحمد الله على هذا الكأس من الماء، ثم أن تمص الماء مصاً، وألا تعبه عباً، ثم أن تشرب قاعداً، ثم أن تبعد القدح عن فيك.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((لا تشربوا واحدا، كشُرُب البعير، ولكن اشربوا مَثنى وثُلاث، وسَمُّوا الله إذا أنتم شَرِبتم، واحْمَدوا الله إذا رَفعتم))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عباس]

أريت إلى هذا الأدب ؟ كأس ماء، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي سقانا فأروانا، تسمية، وحمد، وقعود، والشرب مثنى مثنى، مثنى وثلاث، وأبن القدح عن فيك، من أجل ألا تنتقل بعض الأمراض من إنسان على آخر.

2 ـ عدم الشرب من القرب مباشرة:

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يشرب من السقاء أو القرب مباشرة، أحياناً يكون هناك وعاء ماء، يضعه على فمه ويشرب، لعله وضع في هذا الإناء شيء مؤذٍ، أما إذا صببت الماء في كأس، الكأس ترى كل شيء فيه.

وليس من السنة أن تشرب مباشرة من القربة، أو من السقاء، والآن من الإبريق، ليس من السنة أن تشرب مباشرة من السقاء، أو القرب، أو من وعاء الماء، صب الماء في كأس، هذا من السنة أيضاً.

3ـ كراهية النفخ في الشراب:

الأدب الثالث: كراهية النفخ في الشراب، يشرب ويتنفس، نفس طويل بالماء نفسه، أبن القدح عن فيك، كما قال عليه الصلاة والسلام:

((فأبنِ القدحَ عن فيك))

[أخرجه أبو داود والترمذي ومالك عن أبي سعيد الخدري]

والمعنى ألا يتنفس الإنسان في الإناء.

4 ـ استحباب الشرب والأكل في حال الجلوس:

الأدب الرابع: استحباب الشرب والأكل في حال الجلوس، كل هذه التوجيهات فيما أذكر هناك أبحاث علمية تؤكد صوابها، يعني الإنسان هو جالس هناك خصائص لشرب الماء ولتناول الطعام يبدو أن هذه الخصائص تكون أفضل للشارب والآكل مما لو كان واقفاً.

اقتباس الأشياء اللطيفة عند الآخرين:

الآن في بعض المجتمعات المخملية، يقول لك طعام مفتوح على الواقف، هذا خلاف السنة، كله واقف ماسك الصحن ويتمشى، من السنة أن تأكل جالساً، وأن تشرب جالساً.

لكن كتعليق، مرة كنت في دعوة في بلاد بعيدة في أمريكا، الأخ داعي أعتقد ثلاثين شخصاً على طعام، والغرفة صغيرة، في طاولة، الطعام على الطاولة، أنا عجبت كيف سنأكل ؟ الحياة بسيطة، كل واحد أخذ صحن ملأه مما يشتهي، وعاد إلى مكان جلوسه السابق.

نحن لما نعقد الحياة، أنا أذكر مرة دُعيت إلى مدينة اسمها إنديانا في أمريكا بمركز إسلامي، وجدت على الطاولة قريب من سبعين نوعاً من الطعام، طعام من الطراز الأول، و من رواد المركز الإسلامي يوجد رجال وزوجاتهم، في صالون كبير للرجال وصالون كبير للنساء، ومكان الطعام في الوسط، كل شخص حمل صحنه ووضع فيه ما يشتهي وعاد إلى مكانه، والنساء كذلك، وبعد نهاية هذه الوليمة الرائعة تبين أن كل أخ كريم جاء بطبخة من بيته، فلما انتهى الطعام أعاد الوعاء إلى المركبة، ما أحد دفع قرشاً، سبعون شخصاً تبرع كل واحد بنوع من الطعام، طعام رائع، والنساء أكلن مع بعضهن، والرجال مع بعضهم، وكل الأدوات بلاستيك ما في شيء اسمه غسيل، ولا في دفع، في أيام أشياء لطيفة جداً، إنسان عمل طبخة واحدة وجاء بها، أكل خمسها، أعادها إلى السيارة، وأعادها إلى البيت.

أحياناً في أشياء لطيفة عند الآخرين أنا أحب أن أقتبسها منهم، الإنسان عقله مفتوح.

نهى عليه الصلاة والسلام أن يشرب الرجل قائماً، قال قتادة: قلنا لأنس: والأكل ! قال: ذلك أشر، يعني إذا كان ممكن في حالات نادرة أن تشرب واقفاً الأكل ينبغي أن يكون قاعداً.

قال بعضهم: إذا كان النهي عن الشرب واقفاً فالنهي عن الأكل واقفاً أشد من الأول.

في رواية لمسلم:

((لا يَشْرَبَنَّ أحد منكم قائما))

[رواه مسلم عن أبي هريرة]

يعني كاستثناء النبي عليه الصلاة والسلام في بعض الحالات شرب قائماً، في طريق، في ازدحام، في مكان مستحيل تجلس فيه أحياناً، في مثل هذه الحالات الشرع مرن.

5 ـ النهي عن الشرب في آنية الذهب والفضة:

الأدب الخامس: النهي عن الشرب في آنية الذهب والفضة، نريد أن نفرق بين آنية الذهب والفضة، وبين الإناء المذهب و المفضض، الفرق بينهما بالسعر، لو أن الإناء من الذهب سعره يمكن ألف ضعف عن إناء مذهب، يعني مطلي بطبقة رقية جداً من الذهب، المذهب ما في حرج، أما من الذهب الخالص فيه نهي قطعي، النهي عن الشرب في آنية الذهب والفضة.

مرة قال لي شخص: والله في صنبور بثمن بيت، صنبور ثمنه يعادل ثمن بيت صغير طبعاً، في الأثر:

((إنَّ الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنمَّا يُجَرْجِر في بطنه نار جهنم))

[أخرجه أبو يعلى عن عبد الله بن عباس]

يعني ليس ممنوعاً أن تأكل وأن تشرب، وأن يكون بيتك أنيقاً، وأن تكون أدواتك جميلة، شيء طبيعي، الله عز وجل جميل يحب الجمال، وأنا أتمنى أن يكون مسحة جمالية في كل بيت، ليس هذا ممنوعاً، أما الترف ممنوع، المترفون ورد ذكرهم في القرآن في ثماني آيات حصراً، والمترفون في الآيات الثمانية كفار.

(وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

(سورة المؤمنون الآية: 33)

في الآيات الثمانية حصراً المترفون كفار، كلْ واشرب، واسكن بيتاً أنيقاً، وجمل هذا البيت من دون مخيلة، ومن دون إسراف.

لذلك قالوا: من دخل على الأغنياء ـ طبعاً غير المؤمنين ـ خرج من عندهم وهو على الله ساخط، ما عنده شيء أمامهم.

((يا عائشة إن أردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب لا تستخلقي ثوباً حتى ترقعيه وإياك ومجالسة الأغنياء))

[أخرجه الحاكم عن عائشة أم المؤمنين]

إذا قلت الأغنياء في هذين الحديثين أعني بهما الأغنياء غير المؤمنين، أما الغني المؤمن والله تشتهي الغنى منه من تواضعه، من أدبه، من كرمه، من سخائه، من خدمته للناس، المال قوة، المال قوة كبيرة، وبإمكانك بالمال أن تصل إلى أعلى عليين، بإنفاقه على الفقراء والمساكين، وطلاب العالم، ونشر الكتب المفيدة، وتحقيق المصالح.

6 ـ النهي عن امتلاء المعدة بالأكل والشرب:

الأدب السادس: النهي عن امتلاء المعدة بالأكل والشرب، بما روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم ثلاث أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه))

[أحمد و الترمذي عن المقدام بن معدي كرب]

طرفة لكن لها أساس علمي: لو شخص وَزَنَ الطعام الذي يأكله، وجبة الصباح لها وزن، والظهر وزن، والمساء وزن، الطعام، والخضراوات، والفواكه، كل شيء، أخذ الأوزان الثلاثة، بشكل وسطي، ضربها بثلاثين (بشهر)، باثنتي عشرة (بسنة)، لو فرضنا سيعيش ستين سنة ضرب وزن الوجبات

الثلاث بما يساوي ستين عاماً، بخرج رقم أنا ما حسبته 30 طن، 40 طن، تأكل قليل يطول عمرك، تستهلكهم بسرعة يقصر عمرك، هي طرفة لكن لها أساس علمي.

فالإنسان كلما كان معتدلاً في طعامه صحته تكون أعلى في الأعم الأغلب يكون عمره أطول، أطول ليس معنى أن اعتداله في الطعام طوّل عمره، لا العمر ثابت، لكن الذي عمره طويل تجده يهتم بالطعام القليل، والذي عمره قصير يأكل كثيراً.

توافق النفس مع منهج الله تسمو بالإنسان إلى مستوى الشرع:

أيها الأخوة، الحقيقة هناك نقطة دقيقة أن هذا الإنسان له مستوى، مستوى نفسي أحياناً يرقى مستواه إلى مستوى الشرع، أحياناً يتباعد عنه، أضرب بعض الأمثلة:

أحياناً إنسان قبل أن يتوب إلى الله يحب أغنية معينة، بعد أن تاب إلى الله امتنع كلياً عن سماع هذه الأغنية، ركب سيارة عامة، والسائق واضع هذه الأغنية، يطرب لها لكنه غير مؤاخذ، والحديث:

((من استمتع إلى قينة))

[ابن عساكر عن أنس]

الاستماع غير السماع، تركب في سيارة إلى حلب، أحياناً يفتحون المذياع على أغاني، الراكب غير مؤاخذ، هنا لم يكن مستمعاً بل سامعاً، من استمع يعني جاء بمسجلة وضع الشريط وجلس يسمع، أما سمع: يمشي بالطريق، في محل تجاري، يصدر منه غناء فهذا الذي تاب إلى الله توبة نصوحة، وتاب عن سماع هذه الأغنية خوفاً من الله عز وجل لو ركب مركبة عامة وهذا الغناء ظهر قد يطرب، لكن ليس مؤاخذاً، صدقوا ولا أبالغ بعد حين، بعد أن ترقى نفسه إلى الله عز وجل، لو سمع هذه الأغنية مرة ثانية لخرج من جلده تقززاً، ما الذي حصل ؟ دقق هنا، ارتقت نفسه من مستوى الامتناع عن المعصية خوفاً من الله إلى مستوى السمو الذي يرقى به إلى مستوى الشرع.

لذلك ورد في بعض الآثار:

((نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه))

حينما تتوافق النفس مع منهج الله، قد يقول أحدكم: أضعف الجهاد، طبعاً الجهاد ليس دائماً، بالمرحلة الأولى بعد حين تسمو النفس، يدع المعاصي تقززاً، واشمئزازاً، واحتقاراً، لا خوفاً فقط، هذه نقطة دقيقة جداً، حتى الآداب، ممكن أن تقوم بالآداب تقليداً لكن بعد حين يصبح الأدب جزءاً منك، من دون وعي تكون أديباً، في الطعام، في الشراب، في الاستئذان، في اللقاء، في الحديث، في الزيارة، في العيادة، أنا أتمنى أن تشعر أنك ترقى، دائماً المؤمن يتابع الترقي، أما غير المؤمن يدافع التدني، هو في صعود، في مرحلة تدع المعاصي خوفاً من الله، لكنها محببة إلى نفسك، هناك حالات الإنسان بعد أن يتابع جهداً

إيمانياً عالياً إذا نام يرى في المنام أنه في مكة المكرمة، أو أمام قبر النبي مثلاً، أو يعمل عملاً صالحاً، أو يلتقي بعالم جليل، يصبح عقله الباطن كعقله الظاهر.

لا سمح الله ولا قدر أحياناً الإنسان يرى في المنام أنه يرتكب معصية كبيرة جداً طبعاً لا يحاسب، لكن هذا عقله الباطن لم يسمُ إلى مستوى الشرع، عقله الباطن.

فهذه الآداب آداب نظرية لكن يمكن بعد حين، بعد متابعة جهد إيماني، وبعد اتصال بالله عميق أن ننتقل من معلومات نحفظها إلى سلوك ثابت نمارسه.

التفكر ينقل الإنسان إلى معرفة الله عز وجل:

أخوانا الكرام، هناك شيء دقيق، لما الإنسان يعود نفسه يفكر فيما حوله، الحديث عن الماء والطعام والشراب، يعني ممكن يأكل الإنسان كما تأكل البهائم، المؤمن يفكر في رغيف الخبز، من صمم القمح ؟ كأس الماء، كأس الحليب، هذه البقرة معمل، معمل حليب صامت، الله قال:

(وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ)

(سورة يس الآية: 72)

الغدة الثدية بالبقرة كالقبة فوقها، والغدة الثدية يجري فوقها الدم، وتأخذ من الدم ما تحتاجه، وحتى هذه الساعة لا يعلم أحد من علماء الطبيعيات والفيزيولوجيا كيف تتم صناعة الحليب في الغدة الثديية في البقرة، أما الشيء الثابت أن أربعمئة حجم من الدم ينتج عنها حجماً من الحليب، يعني كل لتر حليب ساهم في صنعه أربعمئة لتر من الدم، الغدة الثدية كالقبة، تقطر من داخلها قطرات الحليب، ضرع البقرة فيه جدارين متعامدين، لأن أربعين كيلو غرام يتمزق الضرع، في جدار بالنصف، وجدار متعامد معه، وهناك أربع حلمات، وكل حلمة تعطي ربع الكمية بالضبط، والبقرة مذللة الله قال:

(وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ)

يعني عقرب صغير يقفز الإنسان من جلده إن رآه، أما بقرة كبيرة يقترب منها وديعة، يعني تصور مشتقات الحليب صباحاً، في صحن لبن، في جبنة، في سمن، في زبدة، مشتقات الحليب شيء مهم جداً.

(وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ)

(سورة النحل الآية: 5)

لكم خصيصاً، أنت أحياناً تدعو إنساناً إلى طعام اسمه الآن ضيف الشرف، يطرق الباب يأتي ضيف تدعوه إلى الطعام، لكن هذا الطعام ليس لهذا الطارئ، هذا الطعام لضيف الشرف، هذا معنى كلمة

(وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ)

أنت حينما ترى أن البقرة مسخرة لك أيها الإنسان، والدجاجة مسخرة لك، والتفاح مسخر لك، تأكد يقيناً أن أثمان الطعام والشراب إنما هي قيمة خدمتها فقط، إنك لا تدفع ثمنها أبداً، التفاحة، حجم مناسب، لو كانت كبيرة ؟! وجبة طعام صغيرة، لون مناسب، لون أصفر مع خد أحمر، قوام يتناسب مع أسنانك، لا كالصخر، طعم سكري، في فوائد، في حديد، في مواد، في فيتامينات، في سكريات، قوام، وغذاء، وشكل، وطعم، ورائحة، وقشرة، فكر.

على المؤمن أن يجتمع في قلبه تعظيم لله و محبة له و خوف منه:

أثناء الطعام فكر، أثناء الشرب فكر، رأيت خضراوات فكر، هذا التفكر ينقلك إلى معرفة الله.

((أحِبُّوا الله لما يَغْذوكم من نعمه))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عباس]

في بعض الآثار قال:

((يا رب أي عبادك أحب أليك حتى أحبه بحبك ؟ قال: أحب عبادي إلي تقي القلب، نقي اليدين، لا يمشي إلى أحد بسوء أحبني، وأحب من أحبني، وحببني إلى خلقي قال: يا رب إنك تعلم أني أحبك، وأحب من يحبك، فكيف أحببك إلى خلقك ؟ قال: ذكرهم بآلائي، ونعمائي، وبلائي، ذكرهم بآلائي كي يعظموني، وذكرهم بنعمائي كي يحبوني وذكرهم ببلائي كي يخافوني))

[من الدر المنثور عن ابن عباس]

فلابد من أن يجتمع في قلب المؤمن تعظيم لله عن طريق التفكر في آيات الله، ومحبة لله عن طريق التفكر في نعم الله، وخوف من الله عن طريق التفكر في البلاء الذي يسوقه الله لبعض الأشخاص.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (27-36) : التربية الاجتماعية -10- الآداب العامة والخاصة عند المؤمن

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 27-12-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

تربية الأولاد في الإسلام ؛ الأدب:

مع درس جديد من دروس تربية الأولاد في الإسلام، وهذا الدرس يأخذ طابعاً عاماً متعلقاً بحقيقة الأدب.

ذكرت لكم من قبل أن الإسلام عقائد، وعبادات، ومعاملات، وآداب، أما الشيء البارز، والواضح، والصارخ في المؤمن أدبه، وهذا ما يشير إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال:

((أدبني ربي فأحسن تأديبي))

[ابن السمعاني في أدب الإملاء عن ابن مسعود]

للأدب طريقان ؛ طريق تعليمي وطريق إشراقي:

إذاً هذا الأدب ما تحليله ؟ وما طبيعته ؟ الحقيقة الأدب له طريقان، طريق تعليمي وطريق إشراقي، فأنت حينما تطلب العلم يقال لك: إذا دخلت فسلم، إذا أكلت فسمِّ، إذا عطس أخوك فشمته، هذه معلومات نتلقاها بالتعليم، آداب الطعام، آداب الزيارة، آداب عيادة المريض، آداب السفر، آداب الزواج، آداب... إلخ.

في كل نشاطات المؤمن معنا ملحقات متعلقة بالآداب، تزور مريضاً، العيادة فواق ناقة، آداب أن تزور أخاك، ينبغي ألا تقف أمام الباب هكذا، أن تعطي ظهرك للباب لعل امرأة فتحت الباب فجأة، هناك تفاصيل كثيرة جداً عن موضوعات كثيرة جداً متعلقة بالآداب.

فهذا الجانب من الآداب جانب تعليمي، لذلك الأب الكامل كلما رأى ابنه تجاوز حدّه، جلس جلسة غير مؤدبة، يا بني اجلس هكذا، أكل الطعام بشكل غير مؤدب، طاشت يده في صفيحة الطعام فقال:

((كل بيمينك وكل مما يليك))

[أخرجه الطبراني عن حمزة بن عمرو الأسلمي]

أحاديث رسول الله توجيه لطيف لإنسان أخطأ أمامه لأن الأدب ربع الدين:

لو أنك تتبعت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالآداب لوجدت كل أحاديث رسول الله هي توجيه لطيف لإنسان أخطأ أمامه، طبعاً لأنه مشرع، لو سكت عن شيء أصبح هذا الشيء صحيحاً، النبي وحده كلامه سنة، وفعله سنة، وإقراره سنة، شاب مشى أمام أبيه، أنت قد تنصحه، وقد لا تنصحه، لكن النبي قال:

((فلا تمش أمامه، ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه، ولا تستسب له))

[أخرجه الطبراني عن عائشة أم المؤمنين]

والله أيها الأخوة، لو تتبعتم شمائل النبي أي الآداب التي تحلى بها، أو لو تتبعتم التوجيهات النبوية لصحابته الكرام من كل المجالات من زاوية الأدب لوجدت أن المؤمن هو الإنسان الأول في الأرض الكامل، في زواجه، في علاقته بأمه، بأولاده، بالكبير، بالصغير، بالقوي، بالضعيف، في صحته، في مرضه، في حله، في ترحاله، في أفراحه في أحزانه.

هذه الآداب ربع الدين، والآداب الشيء الظاهر للمؤمن، صلاته بينه وبين ربه، صدقته بينه وبين ربه، قيامه بالليل بينه وبين ربه، أما الذي بينه وبين الناس هو الأدب يعني الصفة الصارخة في المؤمن أنه مؤدب، مؤدب بجلسته، مؤدب في بيته، مؤدب في ثيابه، مؤدب في كلامه، مؤدب عند غضبه، مؤدب عند رضاه، مؤدب في أفراحه، مؤدب في أتراحه، الآداب ربع هذا الدين.

توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام التي تتعلق بالآداب لا تعد و لا تحصى:

لذلك الآداب لها طريقان، طريق تعليمي، أنت كأب، كمعلم، كموجه، كمرشد، كقائد، كخطيب، كمدير دائرة، يجب أن توجه من حولك إلى الموقف الأديب.

شخص جالس عند صديقه، هناك دفتر يفتحه، هذا من سوء الأدب، لماذا تفتح هذا الدفتر ؟ هذا من خصوصيات صديقك، هل سمح لك أن تفتحه ؟ يفتح الدرج، كيف تفتح الدرج ؟.

فلذلك كلما ارتقيت تكون أديباً أكثر، دخلت إلى بيت لا تجلس مقابل باب الغرفة وهو مفتوح، فإذا مرت امرأة لا تدري أن عند زوجها ضيفاً تراها كما هي، وقد تكون في بيتها متبذلة في ثيابها، اجلس باتجاه الحائط، أنا أضرب لكم بعض الأمثلة.

والله لا أبالغ لو تتبعت توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام التي تتعلق بالآداب لوجدتها بعشرات الألوف، بحيث أن هذا المؤمن ملك، ثيابه محشومة، كلامه محشوم، لا يتكلم بكلمة فاحشة، ولا بذيئة، ليس بالفاحش ولا المتفحش، لا يوجد عنده طرفة جنسية، لا يذكر العورة باسمها أبداً، بعض الآداب.

فتاة ترتدي ثياباً شفافة، قال لها: يا بنيتي إن هذه الثياب تصف حجم أي كلمة من أعضاء المرأة تثير الشهوة، إن هذه الثياب تصف حجم عظامك، كلمة عظام لا تثير الشهوة أبداً، انظر إلى الأدب.

القرآن الكريم يعلمنا الأدب:

القرآن علمنا الأدب، قال:

(لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ)

(سورة النساء الآية: 43)

قد يفهم الطفل لامس النساء وضع يده فوق يد زوجته، لها معنى آخر بالقرآن الكريم.

(فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً)

(سورة الأعراف الآية: 189)

حتى الصحابيات كن على مستوى من الأدب مذهل، يا أمير المؤمنين، نعم قالت له: إن زوجي صوام قوام، ما انتبه، قال لها: بارك الله لك بزوجك، قال له سيدنا علي: إنها تشكو زوجها، صائم في النهار، قائم في الليل.

انظر إلى الأدب، مرة امرأة متبذلة في هيئتها، رأتها السيدة عائشة، قالت لها: ما قصتك ؟ قالت: إن زوجي صوام قوام، فالنبي دعا زوجها، وقال له: أليس لك بي أسوة ؟ أعطاه توجيهاً معيناً، فجاءت في اليوم التالي إلى السيدة عائشة نضرة عطرة، قالت لها: ما الذي حدث ؟ تبدل الأمر، اسمع الجواب، قالت: أصابنا ما أصاب الناس.

والله أحياناً أتتبع أقوال الصحابة أجد أدباً مذهلاً.

الأدب شيء جميل جداً على الإنسان أن يتحلى به:

سيدنا يوسف قال:

(وَقَدْ أَحْسَنَ بِي)

(سورة يوسف الآية: 100)

أمام إخوته، الذين وضعوه في غيابت الجب ليموت.

(وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ)

(سورة يوسف الآية: 100)

ما ذكر الجب، أيهما أخطر السجن أم الجب ؟ الجب، الجب مظنة موت، أما السجن فقدت حريتك فقط، لكن تأكل وتشرب وأنت آمن.

أنا الذي أراه أن الذي يبدو من المؤمن هو أدبه، أدبه مع الله، أدبه في بيوت الله، أدبه مع كتاب الله، أدبه في بيته، في ثيابه، لا أعتقد أن مؤمناً يخلع ثيابه أمام أولاده أبداً، لا أعتقد أن مؤمناً يرتدي ثيابه أمام أولاده يضطر أن يخلع الثياب الأولى ليرتدي ثياباً ثانية إلا وقد أغلق الباب.

مرة حدثني أخ قال لي: جاءت أختي لعندنا، ودخل ابنها إلى غرفة النوم قال لي أنا سأخلع القسم العلوي من ثيابي، هذا الطفل من شدة أدبه، من كثرة ما تلقى توجيهات رائعة، فخرج من الغرفة فوراً، لأنه رأى خاله يخلع ثيابه العلوية مبدئياً، و تحتها قميص كامل، لكن الأدب جميل جداً.

أعظم الأعمال تأديب الأولاد:

أنا أخاطب الآباء، الأمهات، أحياناً الطفل يأكل بشكل عشوائي، يأكل بشكل يدعو إلى الاشمئزاز. فيا أيها الأخوة، بطولة الأب أن يؤدب أولاده.

((لأنْ يُؤَدِّبَ الرجلُ وَلَدَه، خيرٌ من أن يتصدق بصاع))

[أخرجه الترمذي عن جابر بن سمرة]

من أعظم الأعمال تأديب الأولاد، هذه الكلمة ينبغي ألا تقولها، هذا الموقف ينبغي ألا تقفه، هذه الجلسة ينبغي ألا تجلسها، هذه النظرة ينبغي ألا تستخدمها، دفع الباب بعنف هذا سوء أدب من الإنسان.

هذا الأدب الكسبي، الأدب التعليمي، الأدب على أثر توجيه، من معلم، من أب، من أم، من مدير دائرة، من خطيب مسجد، من داعية، من مرشد... إلخ.

الأدب الكسبي أساسه التعلم والأدب الإشراقي أساسه الاتصال بالله تعالى:

لكن هناك أدب من نوع آخر، أنت حينما تتصل بالله اتصالاً حقيقياً، حينما تقبل على الله إقبالاً حقيقياً، لابدّ من أن تشتق من الله مكارم الأخلاق، الأدب الأصيل الحقيقي الذي لا يتأثر لا برخاء، ولا بشدة، ولا بعداوة، ولا ببغضاء، ولا بفقر، ولا بغنى، يعني أغلب الظن إذا الإنسان ببحبوحة، ودخله جيد ما عنده مشكلة، تجده لطيفاً، ناعماً، أما حينما تهدد مصالحه، يغدو وحشاً، والله عز وجل أرانا من هو الغرب، الغرب بلد القيم سابقاً، الحرية، الديمقراطية، حقوق الإنسان، فلما مُست مصالح الغرب انقلب إلى وحش كاسر.

فهذا الأدب الكسبي أساسه التعلم، والمتعلم قد يطبق، وقد لا يطبق، الأدب الإشراقي أساسه الاتصال بالله، هذا هو الأدب الحقيقي، هذا لا يتأثر، ولا يتبدل، ولا يزيد ولا ينقص، لا يتأثر لا بالغنى، ولا

بالفقر، ولا بالقوة، ولا بالضعف، ولا بالزواج، ولا بعد الزوج، ولا قبل الزواج، ولا في الصغر، ولا في الكبر، آداب أصيلة.

(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)

(سورة القلم)

متمكن من هذه الأخلاق، يعني المؤمن يشبه سفينة عملاقة، لا تؤثر فيها الأمواج، وغير المؤمن يعني استفزاز بسيط يسب الدين أحياناً، غير المؤمن.

أخوانا الكرام، الطريق الذوقي أساسه الاتصال بالله، والدليل: إن مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى، فإذا أحبّ الله قوماً منحهم مكارم الأخلاق، هذه الأخلاق الأصيلة هي التي تنفع المؤمن في الدنيا والآخرة.

أخلاق الأذكياء أخلاق ساقطة عند الله عز وجل:

لكن هناك أخلاق رقم ثلاثة، هذه أخلاق لا علاقة لنا بها إطلاقاً في هذا الدرس أخلاق الأذكياء، ذكي جداً فإذا تواضع ينتزع إعجاب الآخرين، وحقق مصالحه معهم، إذا وفى بوعده يستطيع أن يبيع أكثر، إذا أتقن عمله يربح أكثر، الأخلاق الناتجة عن ذكاء الإنسان، والتي تصب في مصالحه هي أخلاق الأذكياء، هذه ليست محل بحثنا إطلاقاً.

أنتم تسمعون أحياناً أنه فعل هذا النائب كذا لينجح في الانتخابات، الكمال وحده من أجل الانتخابات، شنّ هذا العدوان من أجل الانتخابات، فالإنسان حينما لا يعرف الله يعبد ذاته، أي شيء يرفعه، يمنحه منصباً رفيعاً، يمنحه كرسياً في المجلس، فيبذل الغالي والرخيص، ويقيم ولائم، وعزائم، ويتواضع من أجل أن يصل إلى الكرسي في هذه النقابة، أو في هذه الغرفة، أو في هذا المجلس، حتى في مصالح كثيرة تحقق عن طريقها.

فموضوع أن تكون صادقاً، أو أميناً، محققاً لبعض الكمالات البشرية من أجل أن تنتزع إعجاب الآخرين، وأن تحقق مصالحك معهم، هذا الأدب ليس متعلقاً بدرسنا أبداً، هذا أدب الأذكياء، أدب تجاري، والغرب برع به براعة مذهلة، تجد حقوق الحيوان، يبيدوا شعوب بأكملها، يراعي حق حيوان، حق كلب أحياناً، شعب بأكمله يباد، ويرعون حق كلب.

أخلاق الأذكياء أخلاق المصالح، أخلاق الانتخابات، هذه أخلاق ساقطة عند الله لا تقدم ولا تؤخر، سلوك ذكي، هدفه تحقيق مصلحة.

الأخلاق الإشراقية الأصيلة التي ينبغي أن نتخلق بها هي أخلاق الصلاة:

الآن الآداب التي أساسها الذوق تأتي من أين ؟ من الصلاة، نحن أحياناً لا نقدر قيمة الصلاة، الله عز وجل قال:

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

(سورة طه)

هل تستطيع أن تقبل أن إلهاً عظيماً أمرك أن تؤدي كل يوم خمس مرات الصلوات، من أجل أن تقف وأنت ساه أو لاه، تقرأ قراءة شكلية، وتركع وتسجد، وخيالك يسوح، ويبحث عن مشكلاته، ثم تسلم، هذا العمل هل تقبله عبادة لله عز وجل ؟ الله عز وجل قال:

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

هل تذكره في الصلاة ؟ قال:

(وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)

(سورة العلق)

هل تحس بالقرب من الله في الصلاة ؟ قال كما ورد في بعض الآثار:

((ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها))

[ورد في الأثر]

والآية التي نسخت:

(لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ)

(سورة النساء الآية: 43)

فالإنسان إذا صلى لا يعلم ما قرأ كأنه سكران، هذه العبادة الأولى التي لا تسقط بحال، هذه العبادة من أجل أن تشتق من الله الكمال.

ذكر الله لك وأنت في الصلاة أكبر من ذكرك له:

فلذلك لما قال الله عز وجل:

(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

(سورة العنكبوت الآية: 45)

قال بعض العلماء: ذكر الله لك وأنت في الصلاة أكبر من ذكرك له، إنه إن ذكرك منحك الكمال، منحك الحلم، منحك الحكمة، منحك الرضا، منحك العفاف.

يعني بصراحة الفرق بين إنسان أميّ، وإنسان معه دكتوراه، قلم بالجيبة يوضع هذا هو الفرق فقط ؟ شيء مضحك، هذا درس خمس و ثلاثين سنة، معه ابتدائي، وإعدادي، وثانوي، ولسانس، ودبلوم عامة، ودبلوم خاصة، وماجستير، ودكتوراه، دراسة 35 سنة، ودراسة ليلاً نهاراً، وتحقيق، وتأليف، ومتابعة، ومراجعة، وحفظ، وأداء امتحانات، حتى وضع إلى جانب اسمه: د. هذه الدال يقابلها قلم حبر بالجيبة ؟ أحياناً إذا شخص ليس متعلماً يحب أن يضع كم قلم بجيبته، أحياناً يضع ستة أقلام، ويضع بمكتبه الكتاب بالعكس.

مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى:

الأخلاق شيء آخر، قال ذكر الله لك وأنت تصلي أكبر من ذكرك له، إنه إن ذكرك منحك الحكمة.

(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً)

(سورة البقرة الآية: 269)

إنه إن ذكرك منحك الحلم، كاد الحليم أن يكون نبياً، إنه إن ذكرك منحك الرضا، إنه إن ذكرك منحك الكرم، الشجاعة، محاسن الأخلاق، مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى، فإذا أحبّ الله عبداً منحه خلقاً حسناً، بصراحة إذا ما كانت أخلاقك صارخة ما علامة إيمانك ؟ هذه الأخلاق، المؤمن:

(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ)

(سورة السجدة)

(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)

(سورة القلم)

إذاً أيها الأخوة، الأخلاق الإشراقية الأصيلة التي ينبغي أن تتخلق بها هي أخلاق الصلاة، المتصل بالله اشتق من الله الكرم، الحلم.

الله عز وجل لا يُتقرب إليه إلا بكمال مشتق منه من خلال الصلاة:

الآن فكرة مهمة جداً، الله عز وجل قال:

(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا)

(سورة الأعراف الآية: 180)

الله عز وجل أسماؤه حسنى، يعني كريم، يعني حليم، يعني عفو، يعني رؤوف، عليم، غني، قوي، فأنت حينما تشتق كمالاً منه وتعامل عباده بهذا الكمال تتقرب إليه.

إذاً الله عز وجل لا يتقرب إليه إلا بكمال مشتق منه من خلال الصلاة، هذا الكمال تعامل به من حولك من الناس، يقبلك الله عز وجل، الكريم يحب الكريم، والحليم يحب الحليم، والوفي يحب الوفي.
فهذه الآداب التي يسعى إليها الأب، والأم، والمعلم، والموجه، والمدرس والخطيب، والداعية، والمدير، هذه أخلاق الاتصال بالله، أخلاق القرب، أخلاق الحب.

الاتصال بالله يوصل الإنسان إلى نوع من الذوق يحمله على تطبيق منهج لم يطلع عليه:

أخوانا الكرام، الأخلاق التعليمية، تقرأ الآداب، تقرأ شمائل النبي، تقرأ أي كتاب في الآداب، بحوث، وأدلة، وآيات، وأحاديث، وقصص، ومواقف، شيء رائع جداً هذه تعلم تتعلم، إما أن تطبق ما تعلمت، أو أن تنسى، إما أن تطبق ما تعلمت أو في حين الغضب تنسى كل الذي فعلته، فإذا أردنا أن نؤكد على خلق معين فهو الخلق المتعلق بالإشراق من خلال الاتصال بالله عز وجل.
ممكن أعطيكم فكرة دقيقة جداً ؟ لو فرضنا أن إنساناً هناك حكم شرعي ما تعلمه لكنه موصول بالله صلة قوية جداً، صدقوا ولا أبالغ يطبق هذا الحكم الشرعي دون أن يعرفه ذوقاً، هناك نهي شديد جداً أن يخلو رجل بامرأة لا تحل له طبعاً، لو أن إنساناً هذا التوجيه ما قرأه إطلاقاً، لكن له صلة بالله قوية جداً، دخل إلى بيت أحد أقربائه، بيت ابن عمه قالت له الزوجة: تفضل، توهم أنه في البيت، ثم علم أنه خارج البيت، ينسحب فوراً، ذوقه العام لا يسمح له أن يكون مع امرأة لا تحل له في البيت.
فأنا متأكد أن الإنسان حينما يتصل بالله عز وجل قد يصل إلى مستوى من الذوق يحمله على تطبيق منهج لم يطلع عليه، يقول عمر رضي الله عنه: نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه.
هناك أشياء كثيرة أملاها عليك الذوق ثم وجدت أن الحكم الشرعي كما فعلت، هذا شيء مؤكد، أشياء كثيرة أملاها عليك الذوق، بعد حين قرأت حكماً شرعياً.
أذكر مرة أنه كنت في سفر، أردت أن أصلي فإذا خلفي عشرين شخصاً، في بلدة متطرفة في الشمال، أنا غلب على ظني أنهم لا يعرفون ما معنى أن المسافر يصلي الظهر ركعتين، فإذا سلم يقول أتموا صلاتكم فإني مسافر، خشيت أن يضطربوا، فأتممت الصلاة حتى ما يكون في خطأ، أثناء مطالعتي لبعض الأحكام الفقهية وجدت أنه إذا غلب على ظنك أن الذي خلفك قد يضطرب ينبغي أن تتم الصلاة.
أشياء كثيرة تأتيك ذوقاً، تجد هناك حكم شرعي، يعني مثلاً في بعض الأحكام الفقهية الإنسان لا ينبغي أن يخلو بكنته الشابة إذا كان زوجها غير موجود، هذه بابن عابدين موجودة، أنا أعرف أناساً إذا دخل لبيت ابنه، وابنه غير موجود يقول لها: آتي مرة ثانية لعل ذلك لأنها شابة، وهو له وضع معين، حتى لا

يكون في أي إشكال، فلا يسمح لنفسه أن يخلو يعني هذه يحل له أن يخلو بها، هي زوجة ابنه، لكن الأولى أن يكون ابنه في البيت، هذا عبر الاجتهادات.

الآية في سياقها لها معنى فإذا نزعت من سياقها لها معنى آخر:

النقطة التي ذكرتها الآن، يعني أنت أحياناً ممكن أن تستنبط حكماً شرعياً ذوقاً ثم تفاجأ أن هذا الذي فعلته ورد في بعض الشمائل النبوية، لذلك هناك آية قرآنية تؤكد هذا المعنى:

(يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ)

(سورة الرعد)

الصحابي الكريم بعد اتصاله الشديد بالله، يرتقى مستواه، فإذا جاء حكم فقهي في القرآن وفق ما ارتقى إليه يفرح،

(يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ)

طبعاً القرآن الآية حينما تنزعها من سياقها لها معنى مستقل، وقد يكون لها في السياق معنى آخر، مثلاً:

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

(سورة الطلاق)

هذه الآية سياقها في موضوع الطلاق، يعني من يتق الله في تطليق زوجته فيطلقها طلقة أولى، ثم ثانية، ثم ثالثة، يجعل الله له مخرجاً إلى إرجاعها، أما الذي يطلق طلاقاً بدعياً هذا خالف منهج رسول الله في الطلاق، فعندئذٍ في بعض المذاهب لا سبيل إلى إرجاعها

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

انزع هذه الآية من سياقها يكتب عليها مجلدات، من يتق الله في تربية أولاده يجعل الله له مخرجاً من عقوقهم، من يتق الله في كسب ماله يجعل الله له مخرجاً من إتلاف المال، وهكذا.

فأحياناً الآية في سياقها لها معنى، فإذا نزعت من سياقها لها معنى آخر

(يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ)

ارتقت نفسه، فجاء القرآن جاء موافقاً لما في نفسه.

التناقض بين الطبع والتكليف ثمن الجنة:

أيها الأخوة، الإنسان فيه نزعة فردية، ونزعة اجتماعية، النزعة الفردية يحب أن يؤكد ذاته، يعني الله عز وجل أمرك أن تستيقظ لتصلي صلاة الفجر، وجعل طبعك محباً للنوم، الطبع هو النوم، والاستيقاظ

تكليف، هناك طبع وهناك تكليف، الطبع أن تأخذ المال والتكليف أن تنفقه، الطبع أن تخوض في فضائح الناس، والتكليف أن تصمت، الطبع أن تملأ عينيك من محاسن المرأة الأجنبية، والتكليف أن تغض البصر، هذا التناقض بين الطبع والتكليف هو ثمن الجنة.

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)

(سورة النازعات)

الآن الطبع فردي، والتكليف تعاوني، الإنسان بين الفردية وبين الاجتماعية، عندك نزعة فردية ونزعة اجتماعية، تحب أن تنجح لوحدك، وكل من حولك يرسب تشعر بنشوة مثل الطاووس، لكن النزعة الراقية أن تفرح لنجاح كل من حولك، هذه نزعة أرقى.

الحاجة إلى الحب حاجة أساسية فالحب أصل في الدين:

الإنسان عنده حاجة إلى الحب، وأي إنسان لا يشعر بحاجة إلى أن يُحِب أو إلى أن يُحَب ليس من بني البشر، فالحاجة إلى الحب حاجة أساسية، لكن المؤمن بطل عرف من ينبغي أن يُحِب، كلمة عيد الحب كلمة تعني شيئاً لا يرضي الله إطلاقاً، قد تكون علاقة محرمة، قد تكون زنا باسم الحب، أما المؤمن يحب الله.

(وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ)

(سورة البقرة الآية: 165)

أي لا يوجد موضوع متأصل في المؤمن كالحب، الحب في دمه يمشي، يحب الله، يحب رسول الله، يحب أصحاب رسول الله، يحب التابعين، يحب المؤمنين، يحب العلماء، يحب بيوت الله، يحب القرآن، يحب الأعمال الصالحة، يحب التواضع، كل شيء كامل يحبه، فالحب أصل في الدين، والذي لا يجد نفسه بحاجة إلى أن يُحِب، أو إلى أن يُحَب ليس من بني البشر أصلاً، لكن هذا الحب الراقي مسخ إلى حب محرم يحتفل به العالم كل يوم، في حاجة إلى التقدير، إلى تأكيد الذات، تكون محترماً، لك قيمتك، لك بصمة، يشار لك بالبنان، فلان ! تحتل منصباً رفيعاً، هذه حاجة بالإنسان، حاجة إلى التقدير، إلى تأكيد الذات.

عندك حاجة إلى الأنس، مهما كان البيت فخماً، وحدك، يقول لك: أريد أن أجلس مع واحد، الأنس حاجة اجتماعية أساسية، أحياناً الإنسان يأنس بأهل بيته، بأولاده، بأقربائه، بأصدقائه، بزملائه بالعمل، يحب أن يجلس مع الناس.

عندك حاجة لأن يكون لك سند قوي، لك ابن عم، معك رقم هاتفه، يحتل منصباً رفيعاً، تحس بطمأنينة، أنت بحاجة إلى من تتقوى به، وأن تحتمي به، ليلبيك عند الطلب.

أنت بحاجة إلى الأمن، هذه كلها حاجات اجتماعية، وبحاجة إلى أن تأخذ من غيرك أفكار، خبرات، علوم، بحاجة إلى تحقيق إنجاز... إلخ.

وعندك حاجة فردية، فالذي يحصل الإنسان ما دامت الحاجة الفردية محققة والحاجة الاجتماعية محققة في تناسق وتناغم بينهما، لكن أحياناً لا سمح الله ولا قدر لك سمعتك أعارك صديقك بيته، بأزمات الإيجار السابقة، وقت كان القانون يحمي المستأجر كائناً من كان، فأعارك بيته شهراً، وأنت بعد ثماني سنوات قلت له: هذه المحاكم أمامك، أنا مستأجر، ضحيت بسمعتك، وبمكانتك، وبعلاقاتك، وبهيبتك، وبأوصافك الكاملة سابقاً من أجل هذا البيت، بيت رائع، وأجرة رمزية.

سمو الدين بالحاجة الاجتماعية من حاجة تلبى إلى عبادة تؤدى:

لذلك الإنسان حينما تتضارب حاجاته الاجتماعية مع حاجاته الفردية قد يؤثر مصالحه الشخصية على سمعته، وهذه مشكلة العالم اليوم، العالم المتحضر الراقي سابقاً طبعاً، العالم الذي يؤمن بحقوق الإنسان وحقوق المرأة والطفل، ما تكلم كلمة حينما قتل خمسمئة طفل بغزة، ما تكلم كلمة، لأن مصالحه مع العدو.

فأحياناً تتضارب المصالح الشخصية مع المكانة الاجتماعية، انظر إلى عظمة هذا الدين، سما بالحاجة الاجتماعية إلى مستوى العبادة، فأنت كمؤمن حينما تكون صادقاً مع أخيك ترقى عند الله، حينما تزور أخاك ترقى عند الله، حينما تعود مريضاً ترقى عند الله، حينما تلبي حاجة أخيك ترقى عند الله، فكأن عظمة هذا الدين سما بالحاجة الاجتماعية من حاجة تلبى إلى عبادة تؤدى، هكذا المؤمن.

لذلك المؤمن يُحَب، هو ما يقصد أن يُحَب، لأنه مطبق لمنهج الله عز وجل ما فيه يكذب، دُعي يلبي، سُئل يجيب، سُئل عن قضية ينصف.

سيدنا رسول الله مرّ أمامه الأسرى، أحدهم صهره أبو العاص، جاء ليقاتله مع المشركين وقع أسيراً، لكن هو كان صهراً جيداً جداً، فقال عليه الصلاة والسلام: والله ما ذممناه صهراً، انظر إلى الوفاء، انظر إلى الإنصاف، ما ذممناه صهراً.

لذلك أعظم ما في الإيمان أن حاجاتك الاجتماعية سمت إلى مستوى العبادة، فأنت تؤدي الحاجات الاجتماعية، أنت تصدق، وتلبي الدعوة، وتتواضع، وتعود المريض، وتطعم الجائع، وتكسو العاري، وتزور المريض، هذه كلها نشاطات اجتماعي لكن كل هذه النشاطات عند الله أعمال صالحة.

فلذلك يصعب في حياة المؤمن أن يضحي بمكانته الاجتماعية لأن هذه المكانة ليست مكانة، هي عبادة، هناك فرق بين أن تكون مكانة يضحي بها الإنسان، إذا في مبلغ ضخم يحل كل مشكلاتك يقول لك خير

إن شاء الله، يضحي بسمعته من أجل مصالحه، أما المؤمن نشاطه الاجتماعي عبادات، فلذلك محصن من أن يؤثر المصلحة الشخصية على المكانة الاجتماعية.

من أطاع الله في علاقاته الاجتماعية ارتقى عنده إلى أعلى عليين:

أيها الأخوة، شيء ثان، وهذا أروع ما في الإيمان أن النشاط الاجتماعي عند المؤمن له قنوات نظيفة، لا يوجد حفلة سهرة غنائية يرصد ريعها للأيتام، لا يوجد يانصيب خيري، لا يوجد رحلة مختلطة من أجل الإطلاع على موضوع معين، فهو منضبط بقنوات نظيفة، فكل نشاطاته الاجتماعية تنضبط بقنوات نظيفة.

أيها الأخوة، أنا أتمنى أن أؤكد لكم أن النشاط الاجتماعي نشاط عبادي فأنت تنتزع إعجاب من حولك دون أن تشعر لأنك مطبق لمنهج الله.

أذكر أخاً من إخواننا عمّر بناء، وتأخر تسجيل البناء بأسماء أصحابه لأسباب خارجة عن إرادته، فالذين اشتروا البيت من سنوات طويلة بثمن قليل جداً ارتفع سعره عشرين ضعفاً تقريباً، عرضوا عليه مبلغاً ليسجل لهم البيت، قال: لا والله، أنا بعتكم وقتها، وربحت عليكم، وقبضت الثمن، ليس لي عندكم شيء، هو بدافع من طاعته لله ما أخذ منهم شيئاً، أكبروه إكباراً.

أنت لمجرد أن تطيع الله في علاقات الاجتماعية ترقى عند الله، وعند الناس هذا هو المنهج.

فلذلك القنوات الاجتماعية عند المؤمن نظيفة وطاهرة، ومظهرك الصارخ هو الآداب، علاقة الآداب بالدرس في تربية الأولاد بطولتك أن تؤدب ولدك.

((لأنْ يُؤَدِّبَ الرجلُ وَلَدَه، خيرٌ من أن يتصدق بصاع))

[أخرجه الترمذي عن جابر بن سمرة]

هناك كلمة لا تقال، هناك جلسة غير مؤدبة، هناك حركة غير مؤدبة، هناك ثياب غير مؤدبة، والله هناك قيادة مركبة غير مؤدبة يجلس جنابي، شيء يقرف، وهناك قيادة مركبة بأدب، هناك جلسة غير مؤدبة، هناك تعليق غير مؤدب، المؤمن مؤدب، أدبه ربه بأدب الإسلام.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (28-36) : التربية الجنسية -1- أدب الاستئذان عند الأولاد
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 21-03-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

التربية الجنسية:

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الثامن والعشرين من دروس تربية الأولاد في الإسلام، ومع موضوع جديد عنوانه التربية الجنسية.

الحاجات الثلاث التي أودعها الله تعالى في الإنسان:

الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى أودع في الإنسان حاجات ثلاث، أودع فيه حاجة إلى الطعام والشراب حفاظاً على بقاء الفرد، وأودع فيه حاجة إلى الجنس حفاظاً على بقاء النوع، وأودع فيه حاجة إلى تأكيد الذات حفاظاً على بقاء الذكر.

فالحاجة إلى الجنس حاجة أساسية، ولكن شاءت حكمة الله أن الإنسان مكلف ومخير، ولأنه مكلف ومخير فكل الشهوات التي أودعها الله فيه حيادية، يمكن أن تكون سلماً نرقى بها إلى أعلى عليين، أو دركات نهوي بها إلى أسفل سافلين.

يعني الإنسان يتزوج زوجة صالحة، ينجب أولاداً يملؤون البيت سعادة، الأولاد يكبرون، أولاد أبرار نزوجهم من كنائن صالحات، وعندهم بنات وفيات، يزوجهن من أزواج صالحين، تجد أسرة فيها البنات والشباب، والكنائن والأصهار، والأحفاد، كتلة واحدة، مودة، تعاون، شيء مؤنس، هذا الزواج الميمون الكريم أساسه علاقة جنسية، وبأي بيت دعارة فيه علاقة جنسية، شهوة تهوي بها إلى أسفل سافلين، وشهوة ترقى بها إلى أعلى عليين، وما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها، بالإسلام لا يوجد حرمان، أخاطب الشباب، بالإسلام لا يوجد حرمان إطلاقاً.

مرة ثانية وثالثة: ما من شهوة أودعها الله بالإنسان و إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها.

التربية الجنسية الأولى تبدأ بـ:

1 ـ أدب الاستئذان:

الحديث اليوم عن التربية الجنسية، وهذا الموضوع قلّما يعرض، لأن هناك أسئلة محرجة جداً تأتي من الصغار، والأب لا يسعه إلا أن يضرب ابنه، عيب، لكن ما حل مشكلة، سأله سؤالاً كبيراً أنا من أين أتيت ؟ ما حلّ مشكلة، يا ترى كيف نربي أولادنا تربية جنسية ؟ الموضوع يحتاج إلى عدة لقاءات.
لكن اليوم اللقاء التربية الأولى الجنسية تبدأ بأدب الاستئذان، معلوماتي الدقيقة والثابتة أن الشباب قد ينحرفون لا سمح الله ولا قدر، ويكون انحرافهم شاذاً، ومن دراسات دقيقة وعديدة تبين أن هذا الطفل الصغير دخل إلى غرفة نوم أمه وأبيه فجأة فرأهما في وضع لا يعرفه.
لذلك في القرآن الكريم جاءت هذه الآية لتؤكد أدب الاستئذان، أنا قرأت كثيراً عن انحرافات خطيرة عند الشباب، انطلقت أنه في سن مبكرة جداً دخل على أمه وأبيه فجأة فرأهما في وضع ما فهمه، بدأ تفكيره ينصرف إلى هذا الموضوع، وانتهى به الأمر إلى الانحراف، انحراف وفق الإطار الذي فطرنا الله عليه يعني الزنا، أو انحراف شاذ اللواط، والمطلق رؤية أبيه وأمه في وضع فهمه بادئ ذي بدء.

كلما كان التستر في البيت كان التصون والبعد عن الانحراف:

لذلك من المفروض أن الأولاد كيف ما تحركوا في البيت هناك آية تحكم هذه الحركة، قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ)

الأطفال.

(ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

(سورة النور)

وقلت أنا: الأولى أن يكون لغرفة النوم قفل ثابت، ففي هذه الأوقات الثلاثة لو دخل الطفل خطأ الباب مقفل، يألف أن هذا الباب مقفل دائماً، مقفل في أوقات معينة، هذا من أدب القرآن الكريم، فأي شاب تزوج وجاءه مولود، بعد أن أصبح يتحرك في البيت ينبغي ألا يرى ما ينبغي ألا يعرفه إلا بعد عشرين

عاماً، هناك حكم بالغة جداً أن الله عز وجل لما الطفل ينتبه لهذه القضايا ينتبه إلى الأعضاء التي عنده، هذه الأعضاء لها مضاعفات خطيرة جداً، تصور قرآننا كتاب الله، هناك آية متعلقة بالاستئذان.
أنا أعلم كثيراً عن أناس مؤمنين لا يمكن أن يخلعوا ثيابهم أمام أولادهم، كلما كان التستر في البيت كان التصون والبعد عن الانحراف.

الاستئذان على الأم والبنات من بديهيات الآداب الإسلامية ضمن البيت:

طبعاً الموضوع دقيق وسوف نفصل فيه، لكن هذه الآية أصل في التربية الجنسية، آداب الاستئذان قبل صلاة الفجر، وحين يضع الإنسان ثيابه من الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء، غرف النوم ينبغي أن تكون مقفلة، إن لم يكن هناك قفل يجب أن يربى الابن تربية دقيقة مركزة على أنه لا يمكن أن يدخل على أمه وأبيه إلا إذا استأذن.

حتى ينبغي أن تستأذن على بناتك، عجيب ! عندك شابة في ريعان الصبا، لو دخلت إلى غرفة نومها وكانت نائمة، ولم تكن مهتمة بالستر، تكشفت أثناء النوم، هل لك أن تراها وأنت أبوها بوضع لا يرضي؟ مستحيل !.

فالاستئذان على الأم والبنات من بديهيات الآداب الإسلامية ضمن البيت، أن يقوم الشاب بثياب داخلية أمام أخواته الشابات هذا محرم، أن تقوم الفتاة بثياب شفافة أمام أخوتها شيء محرم، إن أردت الصون لهذا البيت ينبغي أن تأخذ بأسبابه، أسباب الصون ألا تظهر العورات، فعندنا بحث طويل عن العورات، لكن هذا كلام شرعي بديهي متفق عليه.

الطفل صفحة بيضاء، بريء، طاهر، أما حينما يرى وضع لا يعرفه، سوف يتقصاه، وسوف يسأل بعض أصدقائه، وقد يكون أحد الأصدقاء منحرفاً، يعطيه معلومات خاطئة، وقد يتجه إلى شيء ينبغي ألا يفعله إطلاقاً.

فهذا هو الأدب الأول، أدب الاستئذان على الأم والأب، في أوقات ثلاثة، الأولى أن يعلم الاستئذان بشكل مركز، والأولى من ذلك أن يكون لهذا الباب ارتاج بحيث لو اندفع الطفل خطأً ليدخل على أبيه وأمه وقد نسي التوجيهات، يرى الباب موصداً، هذه من بديهيات التربية الجنسية، ألا يرى الابن ما ينبغي ألا يراه إلا أن يعلمه بعد ثلاثين عاماً عند زواجه، الأمر يعد وضعاً طبيعياً جداً.

2 ـ أدب النظر:

الآن الأدب الثاني من التربية الجنسية: هو أدب النظر، نحن عندنا محارم، والمحارم على أصناف ثلاثة، واحدة منهن هي الزوجة لا يوجد قيد أو شرط في النظر إليها لكن ليس هناك من تحريم في العلاقات الزوجية إلا أن يبتعد الزوج عن الحيض، وعن مكان ليس للإنجاب، وما سوى ذلك الأمور كلها مباحة، هذا الصنف الأول.

الصنف الثاني من المحارم محارم النسب، أي البنت، الأخت، الأم، العمة، الخالة، بنت الابن، بنت البنت، هذه محارم النسب، محارم النسب ينبغي أن تظهر في البيت بثياب الخدمة، ما ثياب الخدمة ؟ يعني قبة مرتفعة، والكم حتى المرفق، والثوب تحت الركبة، بالضبط، هذه الثياب اسمها ثياب الخدمة، ثياب ليست شفافة، وليست ضيقة، فقط قبة مرتفعة، صدر مرتفع، والكم إلى المرفق، والثوب تحت الركبة، هذه الثياب اسمها ثياب الخدمة، بهذه الثياب ترى أمك، وأختك، وبنتك، وعمتك، وخالتك، وابنة أخيك، وابنة أختك، وابنة ابنك، وابنة ابنتك، ثياب الخدمة هذا الصنف الثاني.

الصنف الثالث: محارم المصاهرة، يعني زوجة الأب، أب توفيت زوجته وتزوج، فزوجة الأب من محارم الشاب، زوجة الابن، أنت أب ولك زوجة ابن، في كتب الفقه هناك حالات كثيرة لا يجوز الخلوة (في كتاب ابن عابدين الفقه الحنفي) بالصهرة الشابة، شاب وزوجة أبيه شابة، والأب كبير بالسن، أو عم وزوجة ابنه شابة، في كتب الفقه لا يجوز الخلوة بالصهرة الشابة، طبعاً الثياب ثياب الخدمة عادي، أما الخلوة بهن عليها إشكال.

أنواع المحارم ثلاثة:

1 ـ الزوجة:

إذاً عندنا ثلاثة أنواع من المحارم، الزوجة ما في قيد ولا شرط، لكن يتقي الزوج في علاقته المكان الذي ليس للإنجاب، ويتقي وقت الحيض.

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ)

(سورة البقرة الآية: 22).

لا حياء في الدين،

(فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ)

هذا أدب النظر.

2 ـ محارم النسب:

طبعاً:

(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ)

(سورة النساء الآية: 23)

هذه محارم النسب.

3 ـ محارم المصاهرة:

(وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ)

(سورة النساء الآية: 22)

زوجة الأب.

(قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً)

(سورة النساء)

(وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ)

(سورة النساء الآية: 23)

الصهرة، زوجة الابن.

(الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً)

(سورة النساء)

(وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ)

(سورة النساء الآية: 32)

أم زوجته من محارمه، وبنت الزوجة.

(وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ)

(سورة النساء الآية: 23)

تزوج امرأة لها بنت، هذه البنت ربيبته، هذا الصنف الثالث محارم المصاهرة، الأول الزوجة، والثاني محارم النسب، والثالث محارم المصاهرة.

عبادة إعفاف الشباب و ستر المفاتن من الإيمان:

أيها الأخوة، مرة ثانية الشيطان من أكبر مهماته نزع الثياب، فالتعرية من صفات العصاة، والتستر من صفات المؤمنين، وأقول لكم هذه الكلمة الدقيقة: الرجال لهم جهاد في المعارك، هذه عبادة خاصة بالرجال، لو الواحد سألني هل للنساء عبادة خاصة بالنساء ؟ أنا أسميها إن صحّ التعبير عبادة إعفاف الشباب، حينما تستر الفتاة مفاتنها عمن لا ينبغي أن يرى مفاتنها، تقوم بعبادة اسمها عبادة إعفاف الشباب، لا يعلم إلا الله كم من الأجر ترقى إليه الفتاة التي ترتدي ثياباً فضفاضة، سابغة، سميكة لا تشف عن بشرتها، ولا عن أعضائها.

نحن عندنا بالحجاب، من خصائص الحجاب ثوب فضفاض، لا يصف حجم أعضائها، كما هي الحالة في هذه الأيام، وثوب سميك لا يشف عن لون بشرتها، وأن النبي عليه الصلاة والسلام وصف النساء في أيام الفسق والفجور:

((كاسيات عاريات))

[أخرجه مسلم ومالك عن أبي هريرة]

ترتدي ثياباً لكن هذه الثياب إما أن تصف لون بشرتها، أو أن تصف حجم أعضائها، هذه ثياب محرمة، الثوب الذي يصف حجم العضو في المرأة، أو الثوب الذي يشف عن لون البشرة هذا ثوب محرم في الإسلام، فالشيطان:

(يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا)

(سورة الأعراف الآية: 27)

والإيمان يقتضي أن تستر هذه المفاتن.

أيها الأخوة، صدقوا ولا أبالغ أنه ما من انحراف داخل البيت إلا بسبب عدم مراعاة هذه الأحكام، الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح، هناك انحرافات خطيرة في البيت، سببها عدم التقيد بهذه الأحكام الشرعية التي هي من صلب تربية الأولاد تربية جنسية.

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ: للآية عدة معان منها:

1 ـ غض بصر الإنسان عن النساء الأجنبيات اللواتي لا يحللن له:

إذاً أول أدب من آداب التربية الجنسية أدب الاستئذان، والأدب الثاني أدب غض البصر، ومع هذا الأدب تفاصيل، قال تعالى:

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)

(سورة النور الآية: 30)

هذه من ماذا تعني ؟ هذه المن للتبعيض،

(يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)

، أي يغضوا بعض أبصارهم، يعني المؤمن يغض بصره عن أي امرأة لا أجنبية لا تحل له، ويغض بصره عن محارمه بمعنى لا يدقق في التفاصيل، أحياناً إنسان في بيت أخته ممكن أن ينظر إلى خطوط جسمها إذا قامت، أو قعدت، أو صعدت درجاً، أو استلقت على سرير، يمكن أن ينظر نظرة دقيقة إلى تفاصيل الجسم، هذا ممنوع أيضاً،

(يَغُضُّوا)

، إلى محارمهم،

(مِنْ أَبْصَارِهِمْ)

، نظرة شمولية، والشيء أعتقد واضح جداً، ممكن أن يكون النظر عاماً، ويكمن أن تدقق في التفاصيل، في الخطوط قامت أو قعدت، صعدت درجاً ممكن أن يظهر شيء من جسمها، ينبغي ألا تراه، وهي عن براءة، هي غير متعمدة أن تفعل هذا، لكن أنت أيضاً كأخ، فالمحارم أيضاً هناك غض بصر بمعنى عدم التدقيق في التفاصيل، وفي الخطوط.

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)

، أول غض تغض بصرك عن النساء الأجنبيات اللواتي لا يحللن لك، هذا أول معنى، لك أن تنظر إلى زوجتك، وإلى محارمك من النسب والمصاهرة، وينبغي أن تغض البصر عن ما سوى ذلك، هذا أول معنى.

2 ـ النظر إلى المحارم نسباً أو مصاهرة نظرة شمولية دون تتبع التفاصيل:

المعنى الثاني: إذا نظرت إلى محارمك نسباً، أو مصاهرة ينبغي أن تنظر نظرة شمولية، من دون تدقيق، من دون تتبع التفاصيل، يعني أثناء حركة معينة ينبغي ألا تنظر بهذه الحركة قد يبدو شيء من جسمها، هذا من أدب المؤمن.

ذكرت لكم من قبل أن هناك في الإسلام عقائد، وعبادات، ومعاملات، وآداب، وكأن موضوع هذه الدروس متعلق بالآداب.

3 ـ غض البصر لأن النظرة الأولى لا شيء عليها فالمحاسبة على النظرة الثانية:

أيها الأخوة، هناك معنى ثالث: تمشي بالطريق في منعطف، وصلت إلى المنعطف فإذا امرأة أمامك كما خلقها الله، غير محجبة، لا شك أن هذه النظرة الأولى انطبعت في ذهنك، هذه معفو عنها، لكن ليست ربع ساعة النظرة أي النظر الفجائي، أحياناً تظهر أمامك امرأة من دون حجاب، وبثياب متبذلة، الأولى لك والثانية عليك، كم معنى صار ؟ ثلاثة، تنظر إلى المحارم نسباً أو مصاهرة، وتغض البصر عما سواهن من النساء الأجنبيات اللواتي لا يحللن لك، أول معنى.

المعنى الثاني: إذا نظرت إلى المحارم ينبغي أن تكون النظرة شمولية من دون تدقيق، وأيام ببعض الحركات ينبغي أن تغض البصر.

المعنى الثالث: قد تفاجأ بامرأة في منعطف تراها وجهاً لوجه، الأولى لك والثانية عليك، كل هذه المعاني تنطوي تحت قوله تعالى

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)

غض البصر طريق حفظ الفرج:

قال:

(وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ)

(سورة النور الآية: 30)

لو قال من فروجهم ما قولك ؟ ماذا يفهم لو أن الآية كذلك ؟ كما أن بعض النظر مباح، لو قال من فروجهم، بعض الزنا مباح، هذه مستحيلة،

(وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ)

من لا يوجد هنا.

إلا أنه هناك ملمح ثالث بالآية أما طريق حفظ الفرج غض البصر، لما جاء حفظ الفرج بعد آية غض البصر

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ)

(ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ)

(سورة النور الآية: 30)

وغض البصر بالقرآن ورد، يعني القرآن محدود الصفحات، فإذا احتلت آية مكان في القرآن معنى ذلك شيء مهم جداً، للتقريب:

محطة وقود في مكان لإعلان كبير، ممكن تكتب بالإعلان: رأس الحكمة مخافة الله، ممكن تكتب الحسود لا يسود، لكن بهذه المحطة بالذات أخطر عنوان ممنوع التدخين، و إلا تحترق المحطة كلها، فإذا وجدت مكاناً لإعلان واحد في محطة وقود أقوى إعلان، وأخر إعلان منع التدخين، هناك بخار للبنزين أحياناً قد يشتعل.

للتقريب طبعاً: كتاب مقدس، ستمئة صفحة آية غض البصر تحتل مكاناً في القرآن معنى ذلك الموضوع خطير جداً، ليس موضوعاً ثانوياً، ليس موضوعاً يمكن أن يكون في حديث عادي، لا، بآية قرآنية.

العاقل من ابتعد عن أسباب الخطيئة:

إذاً جعل الله حفظ الفرج بسبب غض البصر، سبحان الله بموضوع الشهوة الجنسية حقيقة دقيقة: أنه شيء يشبه صخرة على قمة جبل، لو أردت أن تدفعها باتجاه الوادي، وتمنيت أن تقف بعد مترين، لن تقف إلا في قعر الوادي، هذه من خصائص الشهوة.

لذلك لم ترد آية وحدة في تحريم الزنا، بل وردت آية في النهي عن الاقتراب من الزنا، الزنا له مقدمات، فالخلوة مقدمة.

((ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما))

[أخرجه الطبراني عن أبي أمامة الباهلي]

إطلاق البصر، دخلت بالمنطقة المحرمة، يعني أنا أشبه هذا بنهر عميق له شاطئ مائل زلق، وشاطئ جاف مستوٍ، فهذه المنطقة منطقة خطرة، لو وقف في هذه المنطقة الخطرة المائلة هناك احتمال كبير أن يقع في النهر.

لذلك الشريف هو الذي يهرب من أسباب الخطيئة، لذلك أمر غض البصر وحينما نهى عن الزنا قال:

(وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا)

(سورة الإسراء الآية: 32)

لا تقرب، ابتعد عن أسبابه، من أسبابه: صحبة الأراذل، الحديث عن النساء، من أسبابه إطلاق البصر، من أسبابه التنزه في الطرقات، طبعاً بالطريق هناك نساء كاسيات عاريات، من أسبابه الجلوس على مقاهي الرصيف، الآن هناك مقاهٍ على الرصيف، يجلس الجالسون ليتأملون الغاديات والرائحات، هذه كلها من أسباب الوقوع في هذه المعصية الكبيرة قال تعالى:

(وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا)

تماماً كخط تيار عالي التوتر، خطير، يضع وزير الكهرباء لوحة: لا تقترب من التيار، هناك هامش أمان، إذا دخلت فيه جذبك التيار، وجعل المقترب منه قطعة فحم سوداء.

على الإنسان أن يترك بينه و بين المعصية هامش أمان:

لذلك لابدّ من أن تدع بينك وبين هذه المعصية هامش أمان، هذا هامش الأمان يبدأ بغض البصر، بعد ذلك عدم الخلوة، عدم صحبة الأرذل، عدم القراءة التي تثير الشهوات، عدم متابعة الأفلام التي تثير الشهوات، عدم متابعة المواقع الإباحية، هذه كلها من أسباب البعد عن هذه الفاحشة، أما الذي يخترق هذه المنطقة الحرجة، هذه المنطقة القريبة هناك احتمال قريب يقع في الفاحشة، وهذا طبعاً معنى قول الله تعالى:

(وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً)

(سورة الإسراء)

أيها الأخوة، آداب تربية الأولاد تربية جنسية يبدأ بالتعليم المركز في أدب الاستئذان، والتعبير المركز، والأدب المركز، وفي التعبير المركز أسباب هذه المعصية الكبيرة، هذا كله من وسائل التربية الجنسية للأطفال.

الانضباط الحقيقي في المجتمع الإسلامي يُبعد الإنسان عن المراهقة :

الحقيقة مثل بسيط، طبعاً هو موقعه في وقت آخر لكن قال عليه الصلاة والسلام:

((إذا خَطبَ إليكم من تَرضَون دينه وخُلُقه فزوجّوه))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

واضح المعنى، لكن هناك ملمح خطير:

(إِلَّا تَفْعَلُوهُ)

(سورة الأنفال الآية: 73)

لو وضعتم عقبات أمام الزواج، لو غاليتم في المهور، لو طلبتم طلبات مستحيلة من الشباب، هذه العلاقة بين الذكر والأنثى لا تقف، لكن تكون بقناة غير شرعية.

(إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)

(سورة الأنفال)

أنا ألقيت محاضرة عن المراهقة، وأكدت بالدليل القطعي لو وجد انضباط حقيقي في المجتمع الإسلامي لا يوجد مراهقة أبداً، لكن تأتي المراهقة من مثيرات كبيرة جداً في الطرقات، وفي الصحف،

وفي المجلات، وفي الانترنيت، وفي الفضائيات، وفي الأفلام إثارة عالية الدرجة، وبين الشاب وبين الزواج عشر سنوات، أو عشرين سنة هذه مشكلة كبيرة جداً، ولا أحد يفكر فيها.

الشباب عماد الأمة علينا الاهتمام بهم و تحصينهم من الوقوع في الفاحشة:

أنا أقول دائماً: الشباب عماد الأمة، رجال المستقبل، الأمل معقود عليهم، ولكن هؤلاء الشباب يحتاجون إلى أشياء ثلاثة، ما لم يهتم أولو الأمر، يعني الآباء والأمهات والمسؤولون بقضايا ثلاثة متعلقة بالشباب، بتزويج الشباب، وتأمين فرص عمل لهم، وتأمين بيوت لهم، فهناك مشكلة كبيرة جداً قد تنحرف بالشباب.

أنت حينما تفهم حقيقة الإنسان هذا الدافع عميق جداً، وحينما تقيم العقبات أمامه يسلك سلوكاً منحرفاً، وبقدر عدم وجود صعوبات أمام الزواج بقدر عدم وجود بيوت دعارة، في مغالاة في المهور، شروط غير معقولة تعجيزية، فحينما توضع العقبات أمام الزواج تنشأ طرق غير مشروعة في العلاقة بين الذكر والأنثى، هذا قاله النبي عليه الصلاة والسلام.

بصراحة القضية الجنسية قضية أساسية في حياة المؤمن، المؤمن يتمتع بغض البصر، وغض البصر أبعده عن كل إثارة، يبتعد عن أي خلوة بأجنبية، يبتعد عن أي صديق يحدثه عن مغامراته الجنسية، لا يصحب الأراذل، ولا يتحدث عن النساء، ولا يمشي في طريق محفوفة بالكاسيات العاريات، ويبتعد عن كل اختلاط، وعن كل كشف للعورات، هذه الأسباب إذا فعلها حصنه الله من الوقوع في هذه الفاحشة التي دمرت الشعوب.

هناك بلاد بآسيا يصرح رئيس وزارة أنه لا يوجد عنده ولا فتاة عذراء، يفتخر، بلد سياحي من الطراز الأول.

زرت مرة الجزائر، أعلموني أن الجزائر ساحلها طوله ألف و خمسمئة كيلو متر، جبال خضراء، أماكن جميلة جداً، ولم يهتموا بالسياحة إطلاقاً، لأن السياحة تعني انتهاك أعراض الفتيات في كل بلد. لذلك هناك مواقف مشرفة أنهم رفضوا ترويج السياحة هناك، أما في البلاد الأخرى السياحية فيها مجال كبير للفواحش والآثام التي لا ترضي الله عز وجل.

موضوع التربية الجنسية من الآداب المستندة إلى أحكام شرعية قطعية الدلالة والثبوت:

أخوانا الكرام، موضوع التربية الجنسية موضوع دقيق جداً، طبعاً موضوع يحتاج إلى عدة لقاءات، هذا اللقاء الأول أدب الاستئذان، والمحارم وأنواعها، ثم غض البصر هذه يحتاجها الكبار والصغار،

يحتاجها الأب، والأم، وأولادهم، فإذا كان عند أحدكم أطفال يربون على هذا الأدب، وإذا كان الشاب شاباً يجب أن يوجه أخوته الصغار إلى هذا الأدب، والإسلام كما تعرفون عقائد، وعبادات، ومعاملات، وآداب، وهذا الدرس من الآداب لكنه مستند إلى أحكام شرعية قطعية الدلالة والثبوت.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (29-36) : التربية الجنسية -2- غض البصر

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 28-03-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

التربية الجنسية:

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس التاسع والعشرين من دروس تربية الأولاد في الإسلام، ومع موضوع التربية الاجتماعية، ولا زلنا في موضوع يتصل اتصالاً وثيقاً بالتربية الاجتماعية ألا وهي التربية الجنسية.

وقد بدأنا هذا الموضوع في الدرس الماضي، وسوف نتابع هذا الموضوع في هذا الدرس وفي الدرس الذي يليه إن شاء الله تعالى.

الله تعالى أودع الشهوة في الإنسان ليرقى بها إلى رب السماوات والأرض:

أيها الأخوة الكرام، أودع الله فينا الشهوات لنرقى فيها إلى رب الأرض والسماوات، و ما أودع الله فينا الشهوات إلا لنرقى بها إلى رب الأرض والسماوات، لأن الشهوة تمثل الحركة، الشهوة تمثل المحرك في السيارة، إذا كان هناك مقود، وكان هناك وعي، وكان هناك طريق معبد، فمهمة المحرك أن ينطلق بالسيارة، ومهمة المقود أن يبقيها على الطريق، ومهمة الطريق أن يكون مكاناً مناسباً لهذه السيارة.

فالطريق هو الشرع، والمقود هو العقل، والمحرك هو الشهوة، فالشهوة أودعها الله فينا وهي حيادية، سلم نرقى بها أو دركات نهوي بها، وقد يصل الإنسان من خلال الشهوة إلى أعلى الدرجات، وقد يهوي بها إلى أسفل الدركات.

فلذلك الحديث عن التربية الجنسية لولا الجنس لما كان البشر إلى الآن، الطعام والشراب من أجل بقاء الفرد، والجنس من أجل بقاء النوع، وتأكيد الذات من أجل بقاء الذكر فأنت بين حاجة إلى بقاء شخصك عن طريق الطعام والشراب، وأنت بحاجة إلى بقاء جنسك، أو نوعك عن طريق الجنس، وأنت بحاجة إلى بقاء ذكرك عن طريق تأكيد الذات.

إباحة النظر إلى المخطوبة وفق منهج النبي الكريم:

بدأنا بالتربية الجنسية حينما تحدثنا عن الاستئذان، استئذان الأطفال على أمهم وأبيهم في غرفهم، وتحدثت ملياً عن أخطار عدم الاستئذان، وعن أن يشاهد الطفل ما لا ينبغي أن يشاهده، ثم بينت أيضاً أحكام العورة التي ينبغي أن تحدد في المحارم، المحارم أنواع ثلاثة الزوجة نوع، ومحارم النسب نوع، ومحارم المصاهرة نوع ثالث، وتابعنا الموضوع ووصلنا إلى موضوع الزواج والنظر إلى المخطوبة.

الآن دقق، عن المغيرة بن شعبة، أنه خطب امرأة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

((انظُرْ إليها))

[أخرجه الترمذي والنسائي عن المغيرة بن شعبة]

نظر الشاب إلى مخطوبته التي هي حتى الآن أجنبية مباح، نظر الشاب إلى مخطوبته نظر مباح، فقال عليه الصلاة والسلام:

((انظُرْ إليها. فإنه أحْرَى أن يُؤْدَمَ بينكما))

[أخرجه الترمذي والنسائي عن المغيرة بن شعبة]

أحياناً شاب في ثورة إيمانية يقول: أنا أريد فتاةً مؤمنة فقط، ولا يعنيني جمالها إطلاقاً، هذا كلام غير واقعي بعد حين يندب حظه، أقول لك: طبق منهج النبي، قال لك:

((انظُرْ إليها. فإنه أحْرَى أن يُؤْدَمَ بينكما))

هناك حاجة عند كل شاب إلى فتاة جميلة، لا أقول الجمال المطلق، لكن لابد من أن تحصنه، الزواج يحصن الشاب، فلذلك من توجيهات النبي:

((انظُرْ إليها. فإنه أحْرَى أن يُؤْدَمَ بينكما))

أن يكون هناك توافق وتجاوب بينكما.

جواز تكرار النظر إلى المخطوبة إذا دعت الحاجة و عدم الخلو بها:

عند الجمهور ينبغي أن يرى من مخطوبته وجهها وكفيها بعد أن يعزم على الزواج منها، موضوع السفر لم يبحث، يريدها لسفر، وأهلها لا يقبلون خاطباً إلى سفر فقبل أن تقول أريد أن أنظر إليها، هل بحثت موضوع السفر ؟ أهلها لا يقبلون إلا ببيت مستقل وأنت تريد أن تسكنها مع أهلك، فقبل أن تقول أريد أن أنظر إليها، هل حللت هذه المشكلة ؟ النظر يكون آخر مرحلة، صار هناك اتفاق على المكان، والزمان، والمهر، والبيت، وكل التفاصيل التي يرغبها أهل الفتاة، وصار في عرض لواقع الفتاة، فإذا كان هناك توافق بين الأسرتين الآن نقول نريد أن ننظر إليها، واضح ؟.

أما الآن قبل البحث في أي موضوع، قبل البحث في المهر، وفي السكن، وفي السفر، أو الإقامة، وفي حرفة الشاب يريد أن ينظر إليها، هذا نظر فضولي.

فلذلك رأي الجمهور أنه يجوز أن ينظر الخاطب إلى مخطوبته، أن ينظر إلى وجهها وكفيها بعد أن يعزم على الزواج منها.

وقال العلماء: ويجوز تكرار النظر إذا دعت الحاجة، يعني أغلب الظن الشاب المؤمن عنده حياء، فحينما يدخل على مخطوبته ليراها يستحي، ويضع نظره في الأرض ويقول: والله إني ما رأيتها، خجلت أن أحدق فيها، ففي مثل هذه الحالة يمكن أن يعيد النظر مرات كي يستوعب هذه الفتاة التي سوف تكون شريكة حياته.

تطبيق منهج الله عز وجل يحمي الإنسان من الوقوع في الخطأ:

لكن بالمناسبة حينما يريد الخاطب أن ينظر إلى مخطوبته، لا ينبغي أن يخلو بها هنا يوجد مشكلة، لا ينبغي أن يخلو بها، ممكن أن تكون معه أمه لقول النبي صلى الله عليه وسلم:

((لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ وَلَا تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ))

[البخاري عن ابن عباس]

أما الذي يحصل عند المتفلتين يدخل خاطباً، ويدخل مرات عديدة، ويأخذها إلى مكان يتنزه، ليمتحن أخلاقها، وتطول الخطبة، ويقع المحذور، ثم يختفي الخطيب، هذه القصة سمعت عنها مئات المرات، في تساهل ساذج، في جهل فاضح، هذا الفتى هو أجنبي عن ابنتك، له أن يراها في بيتك مرات عديدة، وأن يحاورها، وأن يسألها، أما أن يأخذها بداعي الخطبة المديدة، أكثر الناس الغير منضبطين تدوم الخطبة أشهراً عديدة، وقد تصل إلى السنة، لا في عقد ولا في شيء، ويأخذها خارج البيت إلى أماكن متعددة، وقد يقع المحذور، وعندئذٍ تقع الطامة الكبرى، قال تعالى:

(سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ)

(سورة محمد)

الإنسان ما دام وفق الشرع عنده راحة نفسية، ليس عنده مفاجآت، ليس عنده خبر صاعق، ليس عنده موقف يكاد يذوب من الخجل، لأنه طبق الشرع فهو في ظل رحمة الله عز وجل.

يعني أحياناً يقول لك: عمري سبعون سنة ما دخلت لمخفر، أموره كلها شرعية، ليس عنده مخالفات، فالإنسان حينما يستقيم يسلم، وحينما يحسن يسعد، وحينما يربي ابنه يستمر وجوده.

ما من مأساة على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة إلا بسبب خروج عن منهج الله:

هناك حقيقة خطيرة وهي: أنه ما من مأساة على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة إلا بسبب خروج عن منهج الله، وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب والجهل أعدى أعداء الإنسان، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به، وأزمة أهل النار في النار أزمة جهل.

(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

(سورة الملك)

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((النظرة سهم مسموم من سهام إبليس))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

أصابه سهم، لابدّ من جرح، أما إذا كان السهم مسموماً هذا السم سرى في جسم الإنسان كله، فلذلك من تشبيهات النبي الرائعة أن النظرة إلى المرأة الأجنبية التي لا تحل لك هي سهم مسموم من سهام إبليس.

بالمناسبة إذا في محطة وقود، وهناك مكان لإعلان، ويمكن أن نضع في هذا المكان آلاف الاحتمالات، الصبر جميل، رأس الحكمة مخافة الله، مثلاً، لكن ما دام محطة الوقود فيها سائل ينفجر ويشتعل أهم إعلان يوضع في هذا المكان ممنوع التدخين، لأن البنزين له بخار و حينما تأتي شرارة تحرق المحطة كلها، فلذلك أفضل إعلان: ممنوع التدخين، لِمَ سقت هذا المثل ؟ حينما يكون في القرآن الكريم، في هذا الكتاب المعجز، بكلام رب العالمين، مكان محجوز لغض البصر فمعنى ذلك أن غض البصر شيء أساسي جداً في حياة المؤمن.

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ)

(سورة النور الآية: 30)

إذاً:

((النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد له حلاوته في قلبه))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

يعني إن صحّ التعبير هناك متعة تتأتى من النظر إلى محاسن امرأة جميلة، وهناك سعادة تتأتى من غض البصر عن هذه المرأة الجميلة.

اللذة و السعادة:

بالمناسبة: يمكن أن نستخدم هذين المصطلحين، مصطلح اللذة والسعادة، اللذة حسية، تتأتى من خارج الإنسان، اللذة تتأتى من طعام طيب، أو من بيت مريح، أو من منظر خلاب، أو من وجه صبوح، مصادر اللذة خارج الإنسان، وهذه اللذة ليست مستمرة بل متناقصة.

يعني إنسان يقتني مركبة، أول أيام الاقتناء لا ينام الليل من فرحه، لكن بعد سنة قد يدعها أياماً طويلة ولا يخطر في باله أن يركبها، فالمركبة متعتها محدودة، والبيت كذلك، والزواج كذلك، وأي شيء يناله في الدنيا لابدّ أن يناله بلذة مستمرة، أو متنامية، بل هذا الشيء يمده بلذة ليست متنامية، بل ليست مستقرة، لكنها متدنية، يعني بعد حين الذي حصّل أموالاً طائلة، وسكن بأجمل بيت، واقتنى أجمل مركبة، وسافر تجده يحس بألم، وسأم وضجر، لأن الله أبى أن تمد الدنيا الإنسان بسعادة متنامية، ولا بسعادة مستقرة، بل بلذة متدنية، وتنتهي بالكآبة أحياناً إن كانت هذه اللذة محرمة.

اللذة أيها الأخوة، لها مشكلة أنها تحتاج إلى صحة، وإلى مال، وإلى وقت، ودائماً هناك عنصر مفقود في حياة الإنسان، هو شاب الصحة طيبة، والوقت واسع، لكن لا يوجد مال، في نصف العمر هناك مال، وهناك صحة لكن لا يوجد وقت، بخريف العمر يوجد وقت و مال، لكن لا يوجد صحة، هذه اللذة، أما السعادة تنبع من الداخل، ليست متعلقة بشيء خارجي إطلاقاً، حينما تستقيم على أمر الله، تشعر بالسعادة، حينما تخطب ود الله تشعر بالسعادة، والسعادة التي من الداخل متنامية تزداد، من هنا قال الله عز وجل:

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ)

(سورة فصلت)

من غضّ بصره عن امرأة لا تحل له ارتقى عند الله عز وجل:

لذلك ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً أنه قال:

((ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها - في قلبه -))

[أخرجه الطبراني عن أبي أمامة الباهلي]

الإنسان بالنهار يصلي خمس صلوات، أما كلما غض بصره عن امرأة لا تحل له يرقى إلى الله عز وجل.

أيها الأخوة الكرام، الآلية لا أعرفها، أما النتيجة ثابتة، أي زوج غض بصره عن محارم الله، أعطاه الله حباً بينه وبين زوجته، وسعادة ثابتة ومتنامية، و لا يوجد مشكلة في الليل إلا بسبب معصية، دققوا في هذا القول:

((ما تواد اثنان في الله فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما))

[البخاري في الأدب عن أنس]

هذا الذنب منه أو منها تنشأ الجفوة، ينشأ التباعد.

غض البصر من صفات المؤمن:

أيها الأخوة، حينما يطلق الإنسان بصره في محارم الله يدفع الثمن باهظاً في حياته الزوجية، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة))

[أخرجه أحمد عن عبادة بن الصامت]

و لك أن تقول: اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة:

((اصْدُقوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ))

[أخرجه أحمد عن عبادة بن الصامت]

إذاً غض البصر من صفات المؤمن، وفي بعض الأحاديث:

((الْعينان تزنيان وزنَاهُما النَّظَرُ، والأُذُنَان تزنيان وزنَاهُمَا الاستماعُ، واللّسانُ يزني وزناه الْكلامُ، والْيَدُ تزني وزناها الْبَطْشُ، والرِّجْلُ تزني و زناها الخُطا، والْقَلْبُ يزني ويَهوى ويَتمنَّى، ويُصَدِّقُ ذلك الْفَرْجُ أو يُكَذِّبُهُ))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة]

هذه أنواع المتعلقة بالزنا، والمعاصي متعلقة بالجوارح طبعاً، ولما سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة فقال عليه الصلاة والسلام:

((اصْرِفْ بَصَرَكَ))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن جرير بن عبد الله البجلي]

وفي حديث دقيق جداً يقول عليه الصلاة والسلام:

((ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين كفت عن محارم الله))

[أخرجه الطبراني عن معاوية بن حيدة]

العين التي تكف عن محارم الله، هذه العين لا ترى النار، عين بكت من خشية الله، هذه لا ترى النار، عين حرست في سبيل الله، هذه العين لا ترى النار.

كل إنسان، وبكل عمر له صفة مميزة، فالشاب في مقتبل حياته أجمل صفة فيه العفة، والفتاة في مقتبل حياتها أجمل صفة فيها الحياء.

لذلك قيل: التوبة حسن لكن في الشباب أحسن، والحياء حسن لكن في النساء أحسن، والعدل حسن لكن في الأمراء أحسن، والسخاء حسن لكن في الأغنياء أحسن، والصبر حسن لكن في الفقراء أحسن، والحياء حسن لكن في النساء أحسن.

من علامات آخر الزمان أن النخوة تنزع من رؤوس الرجال، والحياء ينزع من وجوه النساء، والرحمة تنزع من قلوب الأمراء.

لا يجوز للرجل أن ينظر إلى الرجل فيما بين سرته إلى ركبته:

أيها الأخوة الكرام: لو دخلنا في التفاصيل، لا يجوز أن ينظر الرجل إلى الرجل فيما بين سرته إلى ركبته، بالرياضة لا يجوز، الفخذ عورة، فلا يجوز أن ينظر الرجل إلى الرجل فيما بين سرته إلى ركبته، سواء أكان هذا الرجل المنظور قريباً أم بعيداً، مسلماً أو غير مسلم، لأن الفخذ في النص الصحيح عورة، وفي بعض الأحاديث:

((لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة))

[أخرجه مسلم وابن خزيمة عن أبي سعيد الخدري]

((مَا بَيْنَ السُّرَّةِ وَالرُّكْبَةِ عَوْرَةٌ))

[الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن جعفر]

((غط فخذك فإن الفخذ عورة))

[أخرجه الإمام أحمد عن جرهد]

هذا من تعليمات وتوجيهات النبي عليه الصلاة والسلام.

بالسباحة الثياب تحت الركبة و الرياضة كذلك، أنا أعرف هذه القصة: لاعب كرة من أشهر لاعبي مصر، اعتزل اللعب في مباراة دولية، والدولة حريصة حرصاً لا حدود له على النجاح في هذه المباراة، فعندما اعتزل اللعب زاره وزير الشباب وأقنعه أن يشترك في المباراة، فاشترط عليه الثياب

السابغة فوافقه على ذلك، وسرى هذا الترتيب عند لاعبي الكرة أحياناً، ممكن أن تكون الثياب تحت الركبة، والسباحة كذلك.

لا يوجد انحراف جنسي إلا يسبقه مخالفة شرعية، المخالفات الشرعية من نتائجها انحرافات جنسية، من علامات قيام الساعة، اكتفاء الرجال بالرجال، والنساء بالنساء.

زرت مدينة في أمريكا تعد أجمل مدن العالم، خمسة و سبعون بالمئة من سكانها يكتفي الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وهذا يبدأ من إظهار العورات في البيوت.

النظر بقصد المعالجة جائز للطبيب وكلما كان المؤمن أقرب إلى الله كان أقرب إلى التستر:

الآن هل هناك من سماح للنظر من امرأة أجنبية ؟ العلماء قالوا: يجوز للطبيب أن ينظر إلى مريضته، في مكان المرض بالذات، أنا أحياناً أعجب بالطبيب المسلم الذي ربي على أدب الإسلام.

هناك طبيب عظمية أعرفه معه ملاءة كبيرة جداً بيضاء فيها فتحة صغيرة، يضع الفتحة مكان الألم في المرأة، لا يرى منها إلا مكان الألم، وهناك أطباء يسارعون إلى أن يطلبوا من المريضة خلع ثيابها، فكلما كان المؤمن أقرب إلى الله كان أقرب إلى التستر، لأن الشيطان:

(يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا)

(سورة الأعراف الآية: 27).

لكن بالحكم الشرعي المرأة المريضة إذا وجدت طبيبة مسلمة، الأولى أن تعالج عندها، فإن لم يكن فطبيب مسلم، الطبيب يغض بصره، ويعتني بالمريضة بحيث لا يحرجها، وعند الضرورة لابدّ من أي طبيب.

شخص يقول لي: أنا أغار على زوجتي لا أعالجها عند طبيب، و لا يوجد طبيبة، هذا يجهل الأحكام الشرعية، عن سيدنا عمر ورد:

" أنه ليس بكم من عرف الخير، ولا من عرف الشر، ولكن من عرف الشرين وفرق بينهما، واختار أهونهما ".

المرض يستدعي معالجة من طبيب، أي طبيب، الأولى أن نبدأ بالطبيبة، ثم بالطبيب، ثم بالطبيب المسلم، ثم بأي طبيب.

إذاً النظر بقصد المعالجة جائز للطبيب.

حالات يجوز لأصحابها النظر فيها إلى المرأة الأجنبية:

لكن الآية الكريمة:

(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)

(سورة غافر)

يعني هذا الطبيب لو استرق النظر إلى مكان لا تشكو منه المريضة، من يعلم ذلك ؟ الله وحده، لو استرق الطبيب الذي يعالج امرأة النظر إلى مكان لا تشكو منه، الله وحده الذي يكشف هذه المخالفة لقوله تعالى:

(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)

ولك أن ترى مخطوبتك كما مر بنا سابقاً بقصد الخطبة، والقاضي له أن ينظر إلى المرأة التي تشتكي، أو يُشتكى عليها، والشاهد كذلك، القاضي، والشاهد، والخاطب، والطبيب، هذه حالات يجوز لأصحابها أن ينظر إلى امرأة أجنبية.

أيها الأخوة الكرام، كما قلت قبل قليل: من علامات قيام الساعة أن تُنزع المروءة من رؤوس الرجال، وأن يذهب الحياء من وجوه النساء، وأن تنزع الرحمة من قلوب الأمراء.

ليس صعباً أن يطبق هذا المنهج العظيم في أي عصر لأن الله عز وجل يقول:

(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا)

(سورة البقرة الآية: 286)

فلا يمكن أن نكلف بأمر من الأوامر إلا إذا كان هذا متاحاً لنا، ومقدوراً عليه.

من لوازم التربية الجنسية أن يجنب الآباء أولادهم الإثارة الجنسية:

الآن من لوازم التربية الجنسية: أن يجنب الآباء أولادهم الإثارة الجنسية.

كنت مرة في ماليزيا، هذا الصحن غرامته مليون ليرة، صحن مفتوح على محطات (بعضها إباحي)، موجود في البيت، هناك إثارات تفوق حدّ الخيال، فالأب المؤمن الذي يحرص على تربية أولاده يجب أن يجنب أولاده كل جهاز في البيت يقدم إثارة جنسية عالية جداً.

والله حتى في أمريكا، شريط الأفلام أول نوع يراه الأطفال، الأربعة يحتاج إلى رقم سري، هم على بعدهم عن الدين خافوا على أولادهم، هذا الذي ترونه في بعض البلاد النامية محطات لا تعد ولا تحصى، أنا كنت أقول دائماً كلما اتسعت الصحون على السطوح ضاقت صحون المائدة، وكلما قلّ الحياء قلّ ماء السماء، وكلما رخص لحم النساء غلى لحم الضأن.

تقريباً الأحكام الشرعية 90% منها متعلق بالمرأة، والمال، والفضائح، بتاريخ البشرية فضائح مالية أو جنسية، والتوجيهات القرآنية والنبوية متعلقة بعلاقتك بكسب المال وعلاقتك بالمرأة، فحينما تُسد هاتان الثغرتان في حياة المؤمن يكون متفوقاً وموفقاً.

قضية المال وقضية المرأة منفذان خطيران للمعاصي:

أيها الأخوة، من كلام النبي عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان:

((لو دخلوا ـ الكفار ـ جحر ضب لدخلتموه))

[أخرجه الحاكم عن أبي هريرة]

نساء المسلمين العفيفات، الطاهرات من يتحكم بنوع ثيابهن ؟ مصمم أزياء فرنسي مثلاً، هو قرر أن تكون الثياب على هذا النحو، أصبحت الثياب فاضحة، تصف حجم العورة أو تشف عن لونها، أو تكون ذات لون يلفت النظر، فما دام هذا النمط جاء في هذا العام عن طريق المجلات الخاصة، فلابد من أن يقتدي هؤلاء بمثل هذا النوع من الثياب، هذا خطأ كبير، الإنسان المؤمن يقول كلمة لا بملء فيه، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

أيها الأخوة، مرة ثانية: قضية المال، وقضية المرأة، منفذان خطيران للمعاصي، فعندما يسد الإنسان هذه الثغرة بغض البصر، ويسد ثغرة المال بالعمل المشروع، فقد حصن دينه، والناس يؤخذون إما من كسب أموالهم، أو من علاقتهم بالمرأة.

العفة من لوازم الإيمان بالله تعالى:

المجتمع المسلم صدقوا ولا أبالغ ليس فيه مراهقة لوجود الانضباط فيه، أحياناً الإنسان يذهب إلى العمرة، هناك الحجاب إلزامي، يعني يبقى أياماً عديدة ومديدة لا يشعر بأي شيء يثيره، المرأة بالثياب الكاملة، الساترة، السابغة، الفضفاضة، السميكة، أما حينما تعرض مفاتن المرأة في الطريق، هناك مشكلة كبيرة.

فيا أيها الأخوة الكرام، من لوازم المؤمنين العفة، و حينما سأل النجاشي سيدنا جعفر عن الإسلام، ماذا قال سيدنا جعفر ؟ قال:

((أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ـ هذه الجاهلية ـ حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة

والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء))

[أخرجه ابن خزيمة عن جعفر بن أبي طالب]

هذا الدين دين أخلاق.

(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)

(سورة القلم)

والعبادات الشعائرية لا تقبل ولا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية.

وفي درس آخر إن شاء الله نتابع هذه التربية الجنسية، والمجتمع اليوم مع هذا التفلت في أمس الحاجة إلى هذا النوع من التربية.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (30-36) : التربية الاجتماعية -11- تأديب الصغار على معرفة حق الكبير

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 04-04-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

تأديب الصغار على معرفة حقّ الكبير:

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الثلاثين من دروس تربية الأولاد في الإسلام، وهو تابع للتربية الاجتماعية تأديب الصغار على معرفة حق الكبير.

أيها الأخوة الكرام، ما من عمل يقترفه طفل صغير أشد من أن يتطاول على الكبير، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

((ليس منا من لم يوقر الكبير، ويرحم الصغير، ويعرف لعالمنا حقه))

[أخرجه البزار عن عبد الله بن عباس]

((ليس منا))

نفى عن هذا الإنسان الانتماء إلى الإسلام، ((ليس منا)) وبالمناسبة هذه الصيغة تؤكد على عظم هذا العمل، هناك أحاديث كثيرة جداً.

((لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امرأة على زوجها))

[أخرجه أبو داود عن أبي هريرة]

((لَيْسَ مِنَّا من دعا بدعوى الجاهلية))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن عبد الله بن مسعود]

((ليسَ مِنَّا مَنْ دَعا إلى عَصبيَّة))

[أخرجه أبو داود عن جبير بن مطعم]

أحاديث كثيرة تبدأ بقوله صلى الله عليه وسلم

((لَيْسَ مِنَّا))

وما يأتي بعد ليس منا سيء كبير جداً.

((ليس منا من لم يوقر كبيرنا))

[أخرجه أبو يعلى عن أنس بن مالك]

أي يتمتع المسلمون بآداب رفيعة جداً منها تكريم الكبار، ورحمة الصغار، وأن يعلم الإنسان للعلماء حقهم.

توقير أهل العلم جزء من إيمان الإنسان:

أيها الأخوة من هو الكبير ؟، لابدّ من معرفة الكبير.

بادئ ذي بدء: الكبير الكبير في السن، الكبير في السن ينبغي أن يُحترم، لذلك ورد في بعض الأحاديث:

((ما أكرم شاب شيخا لِسنّه إلا قيَّضَ اللهُ لهُ مَن يُكرمهُ عندَ سِنِّه))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

((ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا))

[أخرجه أبو يعلى عن أنس بن مالك]

والعالم كبير، أنت حينما توقر أهل العلم هذا جزء من إيمانك، سمعت في بلد أوربي قديماً أن العالم يحتل مرتبة تكاد تكون أعلى مرتبة في المجتمع، وهذا من دوافع إقبال الناس على العلم، أما حينما لا يُقدر المعلم مثلاً يزهد الناس في هذه الحرفة.

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

* * *

أنا لا أبالغ أن مقياس انضباط الأمة الأخلاقي من توقير الكبار، علماء كانوا، أو معلمين، أو كانوا كباراً في السن.

لذلك قالوا: العالم شيخ ولو كان حدثاً، ولو كان شاباً صغيراً، ما دام طلب العلم فهو كالشيخ، والجاهل حدثاً ولو كان شيخاً.

أي أحياناً يكون هناك مهندس يحمل شهادة عليا في دائرة، وحوله مساعدين وكلهم كبار في السن، تجد هذا المساعد بالستين يقول له: سيدي، هو بعمر ابنه، لكن لأنه طلب العلم فاستحق هذا المكان والتكريم.

احترام الأب و الأم من فضل الله علينا في بلاد المسلمين:

إذاً الأمة التي تكرم الكبار في السن أنا أرى أن أعظم تكريم للكبير في السن لا أن يوضع في المصحات، أو في دور العجزة، هذا أكبر إهانة لمن تقدمت به السن، وعنده أولاد، وعنده بنات، يوضع في مأوى عجزة، وهناك مأوى عجزة من مستوى خمس نجوم لكن المتقدم في السن لا يريد مكاناً في خدمات خمس نجوم، ولكن يريد أن يرى أولاده، وأحفاده أمامه.

من فضل الله علينا في بلاد المسلمين أن المتقدم في السن يبقى بين أولاده يرعونه، ويقدمون له كل الخدمات.

إنسان أخذ والده إلى بلاد بعيدة ليعالجه، فقال له الطبيب: لا يوجد أمل قضية أيام، سافرْ، فلما رآه بعد

حين لمْ يسافرْ قال له: لِمَ لم تسافر ؟ قال له: لا يمكن أن أسافر، فانتبه هذا الطبيب إلى تلك القيم التي يتمتع بها أبناء المسلمين.

فمن فضل الله في بلادنا الإسلامية الأب محترم، والأم محترمة، وأصعب شيء في المجتمع أن يفقد الكبير احترامه، أو توقيره، وليس هناك من كلام أبلغ من أن يقول النبي الكريم:

((ليس منا من لم يوقر كبيرنا))

[أخرجه أبو يعلى عن أنس بن مالك]

من معاني الكبير:

1 ـ المتقدم في السن:

وأنا أعطيكم أقل معنى من معاني الكبير المتقدم في السن.

((ليس منا من لم يوقر كبيرنا))

[أخرجه أبو يعلى عن أنس بن مالك].

أحياناً يكون هناك مركبة عامة، والمحلات محدودة، وشاب صغير يجلس على مقعد، يصعد إنسان كبير في السن يقوم له، شيء رائع جداً، فكلما ربيت ابنك على احترام الكبير كلما كان محبوباً أكثر. يروى مرة أن سيدنا علي كان إلى جانب النبي عليه الصلاة والسلام، فجاء سيدنا الصديق، فقام له، وأجلسه مكانه، فقال عليه الصلاة والسلام:

((لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل))

2 ـ العالم:

من معاني الكبير: العالم.

3 ـ من كان من أهل السلطة:

من معاني الكبير إمام عالم، قرية، أو ناحية، هناك مدير ناحية، هناك مدير مستقيم يسعى لخدمة هذه البلدة، يقيم العدل بين أفرادها، يلبي حاجاتها، يحرص على سلامتها وأمنها، فهذا الإنسان مدير الناحية يجب أن يُحترم، يجب أن يُقدر، فصار الكبير من تقدمت سنه، ومن كان من أهل العلم، ومن كان من أهل السلطة، إذا كان إنساناً محسناً كريماً لابدّ من تكريمه أيضاً.

الله عز وجل ربط الأمن بالقائمين على أمن البلد:

لو إنسان دخل على محافظ يجب أن يحترمه، لأن في الأصل رعاية هذه المحافظة عليه، المؤمن أديب، ينزل الناس منزلهم، هذه الوقاحة والتطاول ليست من صفات المؤمن.

هل من كلام أبلغ من أن النبي عليه الصلاة والسلام أرسل كتاباً إلى قيصر، ماذا قال ؟ من محمد بن عبد الله إلى عظيم الروم، هل هو عند رسول الله عظيم ؟ لكن هذه كياسة، وسياسة، وذكاء، وأدب، وأخلاق عالية.

إنسان له منصب نحترمه، يشغل منصباً إدارياً، علمياً، دينياً، نحترمه، أي احترام الكبير سواء أكان متقدماً بالسن، هذا الحد الأدنى، أو كان يشغل منصباً ما عُرف عنه أن يؤذي الناس، له سمعة طيبة.

أنا ما عرفت في حياتي قيمة الدولة إلا بعد سقوط بغداد، تذكرون ما الذي حصل ؟ نُهب كل شيء، نعمة الأمن لا تعدلها نعمة.

الله عز وجل ربط الأمن بالقائمين على أمن البلد، فالإنسان إذا كان له سمعة طيبة، مستقيم، يحتل منصباً معيناً، مدير ناحية يجب أن يُحترم، هذا من واجبات المؤمن وعندما يكون في احترام هو مقابل هذا الاحترام يحاول أن يقدم كل الخدمات الجيدة، أن يسهر على مصالح هذه الناحية، ما دام محترماً، أما إن كان هناك تطاول، أو استخفاف، أو إيذاء فيقابله هذا انتقام، هذه سلسلة الحياة، ما دام في آداب معينة ولا تنسوا أن الإسلام هو عقائد، وعبادات ومعاملات، وآداب.

وسلسلة هذه الدروس في الأعمّ الأغلب متخصصة في الآداب.

ضبط اللسان من سمات المؤمن:

صدقوا أنا مأخوذ بالأدب الجم الذي عند الصحابة، سيدنا العباس هو عم رسول الله، وأكبر من رسول الله سناً، سُئل سؤالاً مادياً، أيكما أكبر أنت أم رسول الله ؟ قال: هو أكبر مني وأنا ولدت قبله.

كنت مرة في مدينة بدولة مجاورة، عالم جليل توفاه الله عز وجل، ترك عدداً من الأولاد، أحد أولاده طالب علم، أخوته الأكبر منه سلموه خلافة أبيهم، في التدريس، وفي الخطابة، وفي الأعمال الدينية، أنا سألت أحد أخوته الكبار متجاهلاً أيكما أكبر أنت أم أخوك ؟ قال لي: هو أكبر مني، وأنا ولدت قبله، الأدب جميل جداً.

مثلاً الشيء بالشيء يذكر: امرأة تشكو زوجها، أنه يصوم في النهار، ويقوم في الليل، ولا يلتفت إليها إطلاقاً، فجاءت سيدنا عمر فقالت له: يا أمير المؤمنين إن زوجي صوام قوام، ما انتبه، قال: بارك الله لك بزوجك، سيدنا علي قال له: إنها تشكو زوجها هل رأيت شكوى ألطف من هذه الشكوى ؟ صوام

قوام.

صدق أيها الأخ الكريم أنا يلفت نظري بالمؤمن، تعيش معه ثلاثين سنة، لا يوجد عنده كلمة نابية، أو كلمة بذيئة، لا يوجد كلمة متعلقة بالعورات، لا يوجد مزاح جنسي أبداً، لا يوجد كلمات ملغومة، لا يوجد ضمير غائب يشير إلى معنى ساقط أبداً، والله أكاد أقول من سمات المؤمن ضبط اللسان.

احفظ لسانك أيُّــها الإنسانُ لا يلدغنَّك إنــه ثُــعبانُ

كم في المقابر من قتيلِ لسانِه كانت تهابَ لقاءَه الشجعانُ

***

أحياناً كلمة غير مناسبة تلغي حياته، وقد تنهي عمله، وقد تنهي وظيفته، هناك رواية لها موعظة كبيرة:

ان معاوية بن أبي سفيان أمير مؤمنين، فكان حليماً، فتراهن اثنان على أن يغيّرا صدر طفل عليه فيغمز الخليفة من قفاه، فغمزه، قال له: يا غلام خذ الرهن، كان لماحاً، لأن هناك مراهنة، فلما غمزه هذا الغلام، قال له: يا غلام خذ الرهن، هذا الغلام فعلها مع إنسان آخر فقطع رأسه، فقالوا: حلم معاوية قتل الغلام.

فإذا شخص تجاوز حده معك أنت إذا سكت أوقعته في حرج كبير، لو أعادها مع إنسان آخر لا يرحم أنهاه، فإذا تجاوز طفل حدّه يجب أن توقفه عند حدّه.

على كل أب أن يعتني بالآداب التي ينبغي أن يتحلى بها طفله:

بصراحة لا يوجد شيء يحبب الطفل إليك كأدبه، ولا يوجد شيء يجعل هذا الطفل مقيتاً كسوء أدبه، طفل لا يحترم أحداً، يجلس جلسة ليس فيها أدب، يرفع صوته أمام الضيف، يتطاول أحياناً، فهذا الإنسان رب البيت لا يرعى هذا الطفل.

إذاً نحن بتربية الأولاد نهتم بشكل واضح بالآداب التي ينبغي أن يتحلى بها الطفل والحديث الذي قلته قبل قليل:

((ما أكرم شاب شيخاً لِسنِّه إلا قيَّضَ اللهُ لهُ مَن يُكرمهُ عندَ سِنِّه))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

أي الطفل المؤدب لا يمشي أمام والده، ولا يناديه باسمه، ولا يجلس قبله، هناك معنى آخر أنه:

((ما أكرم شاب شيخاً))

ابٌ عليها تنوين، ما التنوين ؟ ضمة مضاعفة، التنوين علامات التنكير، أي أيُّ شاب، وشيخاً أيضاً منونة، والتنوين علامة التنكير، أي شيخ، لا يهم قد لا يكون الشيخ مسلماً، هناك إنسان سنه متقدمة،

وجدته يحمل حاجة، وأنت معك مركبة، فدعوته إلى ركوب المركبة، وحمل هذه الحاجة عنه، لك أجر كبير.

((ما أكرم شابٌ شيخاً))

أي شاب، وأي شيخ، أي ما أكرم الشاب، صارت أل العهد، أي الشاب المؤمن فقط.

((ما أكرم شابُ))

طلقة، شيخاً مطلقة، الشيخ مسلم أو غير مسلم، تعرفه أو لا تعرفه، عالم أو غير عالم لا يهم، متقدم في السن حد أدنى، عالم معنى آخر يحتل منصباً، وهو مستقيم على هذا المنصب، مثلاً مدير الناحية، أنت في ناحية، أي قرية كبيرة لها مدير ناحية، الأصل أن تحترمه، حينما يرعى مصالح هذه البلدة، ويرى تقديراً من الناس يزداد حرصاً على مصالحها، فإذا استخف به ينتقل دون أن يشعر بعقله الباطن.

العمل الصالح يطيل العمر:

هناك استنباط أنا لست موافقاً عليه مئة بالمئة لكن من باب التفاؤل، إذا أكرمت إنساناً في الثمانين لعل الله عز وجل يوصلك إلى سن الثمانين حتى يسخر لك شاباً يكرمك في هذه السن.

((ما أكرم شاب شيخاً لِسنِّه إلا قيَّضَ اللهُ لهُ مَن يُكرمهُ عندَ سِنِّه))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

فالعمل الصالح يطيل العمر، عندنا معنى معاكس: وما تطاول شاب على شيخ استخفافاً به إلا قيض الله له من يستخف به ويتطاول عليه عند سنه.

كان هناك قطار في دمشق يذهب إلى الزبداني، حدثني أخ، قال لي: والله كنا في المحطة وصعد شيخ إلى عربة، يبدو أن هناك شباباً غير منضبطين فطردوه فلما أصر ضربوه، إنسان كبير بالسن، فنزل يبكي، هناك أخ واساه، قال له: والله في هذا المكان بالذات تطاولت على أبي، قبل ثلاثين سنة، تطاول على أبيه هيأ الله له من يتطاول عليه في هذه السن.

لذلك كما تدين تدان.

((فإن الخير لا يَبلى، والشرَ لا يُنْسَى، والدَّيان لا يموت))

[أخرجه زيادات رزين عن عبد الله بن مسعود]

اعمل كما شئت وكما تدين تدان.

سبحان الله لي صديق في مصر، له أقارب كُثر، قال لي: قريب من أقربائنا تقدمت به السن وأصيب بالشلل، قال لي: لا يوجد في خبراتي السابقة إنسان تلقى عناية من أولاده كما تلقى هذا الإنسان العناية، أما الشيء الذي يلفت النظر أن هذا الرجل الذي أصيب بفالج إنسان عادي جداً، وأب عادي جداً،

وخدماته لأولاده عادية جداً، بل أقل مما ينبغي، والأولاد ليسوا متدينين، قال لي: قصة عجيبة، الرجل أقل من عادي ـ أي أحياناً يكون هناك أب يكون متميزاً، أب فذ، أب رحيم، أب كريم، أب عادي ـ والأولاد ليسوا متدينين من هذا المجتمع، تلقى عناية حينما أصيب بالشلل تفوق حدّ الخيال، قال لي: والله بقيت أشهراً مديدة أبحث عن السبب، ما مرّ معي إنسان يتلقى هذه العناية، وهذا الاهتمام، وهذه الرعاية، قال لي: بعدها اكتشفنا أن أمه أصيبت بفالج فأقعدها هذا الفالج في الفراش، فخدمها خدمة في أعلى مستوى، هيأ الله له من يكرمه عند سنه.

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((ليسَ مِنا مَن لم يَرحمْ صغيرَنا، ويَعْرِف شَرَف كبيرنا))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

الإنسان قيمته بأدبه و باحترامه للآخرين:

أحياناً الإنسان يتفوق، وقد يسبق والده، حدثني أخ (القصة قديمة جداً)، قال لي: في قلعة دمشق هناك قطعة عسكرية، فمن لوازم النظام أن يقدم مساعد في هذه القطعة الصف إلى ضابط شاب، المساعد متقدم في السن، وهذا الضابط الشاب ابنه، هكذا النظام فهذا المساعد هناك إجراءات معينة بالنظام المنضم، يصطف الجنود بشكل منتظم استرح استعد، يقدم هذا الشيخ هذا الصف لابنه الشاب الضابط، فيأتي هذا الشاب الضابط فيقبل يد أبيه أمام كل الناس احتراماً له.

تكون أغنى من والدك، تحمل دكتوراه، عندما ترتكب حماقة مع والدك ومعك دكتوراه ما عدت دكتوراً تقيم الدال والكاف، أفضل.

الإنسان قيمته بأدبه ولو كان متعلماً، و لو كان بأعلى منصب، و لو كان يحمل أعلى شهادة، هذا الأب كان سبب وجودك، وهذه الأم أيضاً.

والله كنت بأمريكا، حدثني طبيب من ألمع الأطباء هناك، هو من دمشق، قال لي: نحن عندنا بيت بالمخيم، والقصة قديمة جداً، عقب النزوح، المخيم كان عبارة عن خيام، والطريق من خيمتهم إلى الطريق العام في الشتاء كله وحل، سماكته تقدر بثلاثين سنتيمتراً، هو طالب جامعة فأمه تحمل إبريق الماء، وجوارب هذا الشاب، وتخوض في الطين إلى الطريق العام لتغسل له قدميه، و تلبسه جواربه، يأخذ حذاءه ويذهب إلى الجامعة، تنتظره كي تعيد الكرة، ذكر أمه أمامي و بكى بكاء شديداً، اضطر لكتاب مرة، قال لي: باعت أساورها، قدمت لي الكتاب، صار ابنها طبيباً، قال لي: لكن ما تمكنت أن تراني طبيباً، وافتها المنية قبل أن يكون ابنها طبيباً، هذه الأم المضحية احترامها وتقديرها جزء أساسي من حياة الإنسان.

مرة أخ يعمل بعمل صعب، قال لي: والله أنا أنفق على أخي في كلية الطب، قلت: هذا أخوه سيصبح طبيباً، فلولا الأخ الذي يعمل ليلاً نهاراً ما استطاع أن يكون طبيباً، فهذا الطبيب إذا تنكر لأخيه الذي أنفق عليه يكون مجرماً.

قيمة الإنسان بتكريم والديه وكبار السن وأهل العلم:

الحياة علاقات، الحياة مكارم، فضائل، هذا الطبيب في أمريكا والله أبكاني حدثني عن أمه كيف سعت ليكون ابنها طبيباً، قال لي: الطريق كله وحل سماكته تقدر بثلاثين سنتيمتر بأيام المطر، وعنده بذلة واحدة، وهناك فقر شديد، فيمشي بالوحل هو وأمه بآخر الطريق تغسل له رجليه، ويلبس جواربه، ويأخذ حذاءه ويذهب إلى الجامعة، يعود بوقت تنتظره على الطريق أيضاً، ليس هناك إمكانية أن يخوض بالوحل، فمثل هذه الأم يجب أن تُكرم.

وكل قيمتك بتكريم والديك، بتكريم كبار السن بشكل مطلق، بتكريم أهل العلم، بتكريم إنسان يحتل منصباً ومستقيماً، لِمَ لا تحترمه ؟.

قلت لكم قيل قليل: إن صيغة ليس منا من أدق الصيغ:

((لَيسَ مِنَّا مَنْ دَعا إلى عَصبيَّة و لَيسَ مِنَّا مَنْ قاتل على عَصبيَّة))

[أخرجه أبو داود عن جبير بن مطعم]

((لَيسَ مِنَّا مَنْ نهب ولا من اغتصب))

[ورد في الأثر]

((لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امرأة على زوجها))

[أخرجه أبو داود عن أبي هريرة]

أحياناً الأخ يزور أخته في العيد، ما هذا البيت ؟ لا يسكن، لماذا رضيت ؟ رضيت لأنها تحب زوجها، زوجها دخله محدود، أنت خببت أختك على زوجها، كل إنسان يشوه سمعة الزوج أمام الزوجة كأنه خبب هذه المرأة على زوجها، أو يخبب عبد على سيده، الآن موظف، ماذا تأخذ من راتب ؟ لابأس، الدخل لهذا المحل قليل، وهذا الموظف راضٍ عن سيده، يجب أن تبتعد عن تفكك العلاقات.

((من فرق فليس منا))

[أخرجه الطبراني عن معقل بن يسار]

أنت مهمتك أن تجمع لا أن تفرق، أن تصل لا أن تقطع.

((ليس منا من خبب امرأة على زوجها وليس منا من خبب عبداً على سيده))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

من إجلالِ اللهِ إكرامَ ذي الشَّيْبَةَ المسلم:

الآن لماذا قلنا الكبير هو المتقدم في السن ؟ هناك شاهد:

((إنَّ من إجلالِ اللهِ: إكرامَ ذي الشَّيْبَةَ المسلم))

[أخرجه أبو داود عن أبي موسى الأشعري]

فقط متقدم في السن.

((وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيه، ولا الجافي عَنهُ، وإكرامَ ذي السلطانِ المُقْسِطِ))

[أخرجه أبو داود عن أبي موسى الأشعري]

((إنَّ من إجلالِ اللهِ: إكرامَ ذي الشَّيْبَةَ المسلم، وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيه ولا الجافي عَنهُ، وإكرامَ ذي السلطانِ المُقْسِطِ))

كما تحدثت قبل قليل: المتقدم في السن، أو عالم ويحتل منصباً وهو مستقيم على أمر الله.

لذلك قالوا: العدل حسن لكن في الأمراء أحسن، والورع حسن لكن في العلماء أحسن، والصبر حسن لكن في الفقراء حسن، والسخاء حسن لكن في الأغنياء أحسن، والحياء حسن لكن في النساء أحسن، والتوبة حسن لكن في الشباب أحسن.

التوبة أبرز صفات الشاب و الحياء أبرز صفات الفتاة:

شاب أبرز صفاته التوبة، الاستقامة، امرأة أبرز صفاتها الحياء، من علامات آخر الزمان أن الحياء ينزع من وجوه النساء، والنخوة ترفع من رؤوس الرجال، والرحمة تنزع من قلوب الأمراء.

دقق في قوله تعالى:

(فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ)

(سورة القصص الآية: 25)

في حياء، والله لا أبالغ أجمل ما في المرأة حياؤها، يعبر عن هذا بالأنوثة، فلانة امرأة واضح، لكن هناك امرأة تتمتع بأنوثة عالية جداً، أي أجمل ما في المرأة أنوثتها، معنى أنوثتها أي حياؤها.

(فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)

(سورة القصص)

أدب النبي الكريم و أصحابه:

أخواننا الكرام، ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم، قدم عليه وفد عبد قيس وهم يقولون: قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد فرحه، فلما انتهينا إلى القوم أوسعوا لنا فقعدنا، فرحب بنا النبي صلى الله عليه وسلم ودعانا، ثم نظر إلينا فقال:

((من سيدكم وزعيمكم ؟ فأشرنا جميعاً إلى المنذر بن عائذ، فلما دنا المنذر أوسع القوم له حتى انتهى من النبي صلى الله عليه وسلم، فقعد عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحب به وألطفه، وسأل عن بلادهم))

[أخرجه الإمام أحمد عن بعض وفد عبد القيس]

انظروا إلى الصحابة وسعوا لهؤلاء الضيوف، ووسعوا لزعيم القوم، هذه الآداب التي ينبغي أن تتمتع بها.

قال: الكبير من تكريمه أن يقدم للصلاة في الجماعة، وفي التحدث إلى الناس، أي نتمنى عليه أن يحدث الناس.

وفي الأخذ والعطاء، أحياناً يكون هناك حفل توزيع جوائز، يختارون أكبر ضيف في الحفل ليقدم هو الجوائز، هذه من لوازم تكريم الكبير.

روى الإمام مسلم عن أبي مسعود قال:

((كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: استووا، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم))

[أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي مسعود الأنصاري]

كان عليه الصلاة والسلام إذا استقبل القوم يكرمهم أشد التكريم، وهذا من أدب المصطفى صلى الله عليه وسلم، من أكبر الأخطاء أن يهزأ الصغير بالكبير.

على الأب ألا يتطاول و ينتقد معلم ابنه أمامه:

الآن بصراحة في التعليم إذا كان هناك استهزاء بالمعلم أو تطاول عليه فالمعلم لا يُعلم، أما إن كان هناك احترام، و إنصاف فالمعلم يبذل قصارى جهده ليقدم كل علمه للصغار.

أنا أحياناً لا أصدق ولا أتصور أن تتضعضع مكانة المعلم في الصف، أنت كأب غير مسموح لك أبداً أن تنتقد معلم ابنك أمام ابنك، هذا قدوة له، معلمك لا يفهم، لا يصح أن تتكلم هذا الكلام ؟ أنت اذهب إليه وحاوره في المدرسة، أما تبلغ ابنك أن المعلم أخطأ، هذه مشكلة كبيرة.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن الحياء خير كله))

[أحمد عن عمران بن حصين]

الخجل و الحياء:

طبعاً لا يغيب عن أذهانكم أن فرقاً كبيراً بين الحياء والخجل، الحياء أدب رفيع أما الخجل مرض نفسي، الخجول يخجل أن يطالب بحقه، أما الحياء يستحي أن يعصي الله عز وجل، هناك فرق، الخجل نقيصة بالإنسان، أما الحياء فضيلة.

يقول النبي الكريم:

((يا عائشة لو كان الحياء رجلاً كان رجلاً صالحاً))

[أخرجه الطبراني عن عائشة أم المؤمنين]

((إن الفحش لو كان رجلاً لكان رجل سوء))

[أخرجه أبو داود الطيالسي عن عائشة أم المؤمنين]

إنسان أنيق جداً يرتدي أجمل الثياب، ويتكلم كلاماً بذيئاً، قال له أحدهم: إما أن ترتدي ثياباً ككلامك، أو تتكلم وفق ثيابه، لكن الشيء الدقيق جداً:

((ليس المؤمن باللعان و لا الطعان و لا الفاحش ولا البذيء))

[أخرجه ابن حبان عن عبد الله بن مسعود]

مثلاً طرف جنسية، ذكر عورات، كلام ملغوم، هذا يتناقض مع إيمان المؤمن، النبي الكريم رأى أسماء ترتدي ثياباً رقيقة، قال لها: يا بنيتي إن هذه الثياب تصف حجم عظامك، كلمة عظام لا تثير، أما أي كلمة أخرى تثير، انظر إلى القرآن:

(وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ)

(سورة المعارج)

القرآن الكريم أدب كله:

دقق الآن:

(فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ)

(سورة المعارج الآية: 31)

دخل كل أنواع الانحرافات الجنسية، لكن القرآن ترفع عن ذكر أسمائها وتفاصيلها

(فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ)

(أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ)

(سورة النساء الآية: 43)

قد يفهمها الطفل لامستم النساء هكذا.

(فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً)

(سورة النساء الآية: 43)

(فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً)

(سورة الأعراف الآية: 189)

ما هذا القرآن الكريم ؟ يعلمك الأدب،

(تَغَشَّاهَا)

(لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ)

(فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ)

الحياء شعبة من الإيمان:

أيها الأخوة، ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه.

((إنَّ لِكُلِّ دين خُلُقا، وخُلُقُ الإسلام الْحياءُ))

[أخرجه مالك عن مرسل زيد بن طلحة]

والحياء كما تعلمون شعبة من الإيمان، فلذلك أنت حينما تربي ابنك على الحياء والأدب يحبه كل الناس، فإذا لم تنتبه لقلة أدبه ولتطاوله كرهه كل الناس، لاحظوا الطفل المؤدب محبوب من الكل، إذا كان هناك طفل غير مربى، غير مؤدب يمقته الجميع، فأنت حينما تؤدب ابنك تسهم في إشاعة محبته بين الناس.

أيها الأخوة، تربية الأطفال على احترام الكبير هذا شيء أساسي جداً، أي الابن يحترم والده، يحترم عمه، يحترم خالة، يحترم أقرباءه المتقدمين في السن، هذا من موضوعات هذا اللقاء الطيب.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (31-36) : التربية الاجتماعية -12- توقير الكبير

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 11-04-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

الحياء أكبر سبب يحمل أبناءنا على توقير الكبير:

أيها الأخوة الكرام، لا زلنا في تربية الأولاد، وفي التربية الاجتماعية، وفي موضوع توقير الكبير.

ولكن في هذا اللقاء الطيب الحديث عن السبب الكبير الذي يحمل أبناءنا على توقير الكبير.

أكبر سبب يحمل أولادنا على توقير الكبير أن ننمي فيهم الحياء.

((الحياءَ من الإيمان))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ومالك عن عبد الله بن عمر]

توقير الكبير من لوازمه الحياء، وأجمل ما في الشاب، بل أجمل ما في الطفل حياؤه.

((الحياءَ من الإيمان))

((الإيمان بضع وستون، أو بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياءُ شُعْبَة من الإيمان))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

الحياء فضيلة والخجل نقيصة:

الحياء فضيلة، أما الخجل نقيصة، الخجل أن تخجل أن تطالب بحقك، هذا خجل، الخجل أن تتهيب أن تدلي برأيك، الخجل أن تستحي بأن تقول: لا، علامة المؤمن أنه يقول: لا بملء فمه.

بحياة المؤمن نعم ولا، إذا كان هناك شيء يغضب الله، لا يرضي الله، يخالف الحكم الشرعي، يقول: لا بملء فمه، وكل إنسان يقول نعم دائماً هذا الذي يستطيع أن يرضي الناس كلهم فهو منافق، لا يوجد إنسان صاحب مبدأ إلا ويستخدم كلمة لا، عود نفسك أن تقول لا لشيء يتناقض مع مبادئك، يتناقض مع قيمك، مع أخلاقك، عود نفسك أن تربي ابنك على أن يقول لا حينما يدعى إلى معصية، لا.

لذلك الحياء فضيلة والخجل نقيصة، النبي الكريم يقول:

((يا عائشة لو كان الحياء رجلاً لكان رجلاً صالحاً))

[أخرجه الطبراني عن عائشة أم المؤمنين]

((إن الفحش لو كان رجلاً لكان رجل سوء))

[أخرجه أبو داود الطيالسي عن عائشة أم المؤمنين]

والله أحياناً ألتقي بأطفال ربوا تربية عالية، لا تسمع منهم كلمة نابية، ولا إشارة نابية، ولا حركة نابية، ولا تعليق نابٍ، وأحياناً ترى طفل رُبي على المزاح المنحرف، ربي على أن يغش الكلمات، لا يحتمل.

من ربى ابنه تربية عالية كان محبوباً و من أهمل تربيته كان ممقوتاً:

بالمناسبة: كلما ربيت ابنك تربية عالية كان محبوباً، وكلما أهملت تربيته كان ممقوتاً.

من الحياء ألا تذكر العورات، أنا أعد هذا مؤشراً، أن تذكر العورة باسمها هذا شيء من الوقاحة، والفحش، والبذاءة، تعلم من القرآن الكريم.

(وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ)

(سورة المعارج)

كل أنواع الانحراف الجنسي دخل في قوله تعالى:

(فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ)

عبّر الله عن لقاء الذكر بالأنثى في قوله:

(أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً)

(سورة النساء الآية: 43)

عبّر عن اللقاء الزوج بزوجته:

(فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً)

(سورة الأعراف الآية: 189)

النبي عليه الصلاة والسلام رأى فتاةً ترتدي ثياباً شفافة، قال: يا بنيتي إن هذه الثياب تصف حجم عظامك، كلمة عظم تثير الشهوة ؟ لا، أما أي كلمة أخرى من أعضاء المرأة تثير الشهوة، دقق في هذا الأدب.

هناك امرأة تشكو زوجها فتقول: إن زوجي صوام قوام، ما هذه الشكوى الراقية، زوجي صوام قوام، هذه شكوى، يصوم النهار ويقوم الليل، ولا يلتفت إليّ، فلما وجهه النبي الكريم أن يلتفت إلى زوجته جاءت في اليوم التالي كما تقول السيدة عائشة: عطرة نضرة، قالت: ما الذي حصل ؟ قالت: أصابنا ما أصاب الناس.

الانضباط بالثياب و الكلام ثمرة كبيرة من ثمار تربية الأولاد:

والله حينما أطالع قول الصحابيات، أو أقوال أصحاب رسول الله أرى أدباً ما بعده أدب، ممكن ألا يراك ابنك أبداً تخلع ثيابك ؟ يخلع الأب ثيابه في غرفة النوم، والباب مغلق، ويعلم أولاده أنهم إذا بدلوا ثيابهم أن يبدلوها من دون أن يراهم أحد في غرفتهم، تجد البيت فيه انضباط، ثياب سابغة، وبيت ليس فيه انضباط.

إذاً هناك انضباط في الثياب، و انضباط بالكلام، وهذه ثمرة كبيرة من ثمار تربية الأولاد، أن يعرف حق الكبير، وحق الكبير يكتسبه بخلق الحياء.

((إنَّ لِكُلِّ دين خُلُقا، وخُلُقُ الإسلام الْحياءُ))

[أخرجه مالك عن مرسل زيد بن طلحة]

المؤمن يستحي، بل إن الله يستحي منك إذا سألته شيئاً أن يردك خائباً.

((إنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَريمٌ، يَستَحي من عبده إذا رَفَعَ إليه يديه أنْ يَرُدَّهُما صِفْرا خَائِبَتَيْنِ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن سلمان الفارسي]

(يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آَيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)

(سورة الأعراف)

أي الشيطان يخلع عنهما لباسهما والملائكة تأمر بالستر، علامة الإيمان ثيابه تستره، علامة الطغيان، والانحراف، والفسق، والفجور التعري، وهذا العصر عصر تعرٍّ أو عصر ثياب تصف خطوط الجسم.

حمل الطفل على توقير الكبير:

حينما تُعلّم ابنك أن يكون حيياً أنت بهذا حملته على توقير الكبير، سيدنا علي كان شاباً، دخل سيدنا الصديق فقام له، وأجلسه مكانه إلى جانب رسول الله، فالنبي عليه الصلاة والسلام تأثر كثيراً بهذا الموقف، فقال:

((لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل))

أحياناً تجد طفلاً جالساً بسيارة عامة، يصعد رجل كبير بالسن يحمل أغراضاً، الطفل ما تلقى توجيهات من أهله أن يقوم لهذا الشيخ الكبير، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((ما أكرم شاب شيخاً لِسنِّه إلا قيَّضَ اللهُ له مَن يُكرمهُ عندَ سِنِّه))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

يروي الشيخان عن أبي سعيد رضي الله عنه أنه قال:

((لقد كنتُ على عهدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم غُلاماً، والنبي يسأل سؤالاً، والغلام يعرف الجواب، لكنه يخجل ويستحي من أن يتكلم لوجود من هو أسن منه))

[الشيخان عن أبي سعيد]

من وسائل التربية الناجحة احترام الطفل:

والله شيء جميل ! أحياناً تجد طفلاً بالتعبير الدارج يتكلم دون أن يطلب منه، في مجلس فيه كبراء، فيه شيوخ، فيه متكلمون، لكن لو الأب طلب من ابنه أن يتكلم، أنا أيضاً بالمقابل أحب أن تظهر شخصية الطفل، دعه يتكلم، وأصغِ له، يقول عليه الصلاة والسلام:

((من كان له صبي فليتصابَ له))

[من الجامع الصغير عن أبي معاوية]

احترام الطفل من وسائل التربية الناجحة، لكن عوده أن يتكلم بعد أن يستأذن، وعوده أن يتكلم بكلام ضمن معلوماته الدقيقة، لا أن يقول كلاماً لا يعرفه.

يروى عن السيدة عائشة رضي الله عنه أنها قالت:

((ما رأيت أحداً أشبه سمتاً وهدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامها وقعودها، قالت: وكانت إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام إليها))

[أخرجه الحاكم عن عائشة أم المؤمنين]

أي الأب يقوم لابنته ؟ والبنت غالية جداً، هي أقرب الناس إليه، بسمتها، وهيئتها، وتواضعها، ومحبتها لله.

((وكانت إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام إليها فقبلها، وأجلسها في مجلسه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها، ما رأيت أحداً أشبه سمتاً وهدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة))

[أخرجه الحاكم عن عائشة أم المؤمنين]

أما السؤال اللطيف يا رسول الله ما هذا الأدب الذي أدبك الله به ؟ فكان يقول:

((أدبني ربي فأحسن تأديبي))

[من الجامع الصغير عن ابن مسعود]

الأدب و الحياء عاملان أساسيان يميزان المؤمن عن الفاسق:

صدقوا أيها الأخوة، إذا كنت مؤمناً، مؤمن صادق إن لم تتكلم، الجلسة فيها أدب، النظرة فيها أدب، لا تنظر إلى كتاب أخيك، هناك إنسان يزور صديقه بمكتبه، يقرأ الورقة، يفتح الكتاب، غير معقول ! هذه كلها أسراره، ابتعد عن مكتبه، اجلس على كرسي آخر، لا يجلس إلا مكانه، ويقلب بأوراقه، ويفتح الدرج أحياناً، هذا ليس من الأدب، من نظر إلى كتاب أخيه من غير إذنه، هناك نهي كبير من النبي الكريم، أن ينظر المرء إلى كتاب أخيه من غير إذنه.

ما الذي يميز المؤمن ؟ الآن مؤمن وفاسق كلاهما له عينان، وأذنان، وأنف، وفم، ويتكلمان، ويدان، ورجلان، ما الذي يميز المؤمن بشكل صارخ ؟ أدبه، حياؤه، كلماته، حركاته، سكناته، هذه كلها يلفها الأدب، ودائماً الأب الراقي يربي ابنه على الأدب.

الآن كيف أن الصغير عليه أن يوقر الكبير ؟ أصحاب النبي الكريم وقروا نبيهم توقيراً كبيراً، كانوا إذا جلسوا في مجلسه كأن على رؤوسهم الطير، دائماً وأبداً طالب العلم يحتاج إلى الأدب.

لقطات من أدب النبي الكريم:

بعض اللقطات من أدب النبي عليه الصلاة والسلام، حيث كان جالساً:

((فأقبل أبوه من الرَّضاعة، فوضع له بعضَ ثَوْبِهِ، فقعد عليه، ثم أقبلت أمُّه من الرَّضاعة ـ حليمة السعدية ـ فوضع لها شقَّ ثوبه من جانبه الآخر، فجلَسَتْ عليه، ثم أقبل أخوه من الرضاعة، فقام النبي صلى الله عليه وسلم، فأجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْه))

[أخرجه أبو داود عن مرسل عمر بن السائب]

أرأيت إلى هذا الأدب ! أبوه من الرضاعة، وأمه من الرضاعة، وأخوه من الرضاعة.

سيدنا سعد بن معاذ كان سيد قومه، فلما دخل على النبي صلى الله عليه وسلم قال لقومه الأنصار:

((قوموا إلى سيِّدِكم - أو قال: خيركم))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي سعيد الخدري]

أن تستقبل الإنسان المحترم استقبالاً لطيفاً، أن تخاطبه بكلام مؤدب، هذا من الأدب.

دائماً وأبداً الأب قد لا يشعر، إذا كان الأب مؤدباً فالابن مؤدب، وهذا البيت فيه أدب، فيه حياء، فيه خجل، فيه توقير الكبير، فيه توقير القريب المتقدم بالسن.

الألقاب اللطيفة التي خلعها النبي الكريم على أصحابه:

هناك نقطة دقيقة جداً أنه: صلى الله عليه وسلم كان شمساً، ومع ذلك أظهر الصحابة من حوله، فمثلاً عمر قال النبي عنه:

((لو كانَ بعدي نبيّ لكانَ عمرَ بن الخطاب))

[أخرجه الترمذي عن عقبة بن عامر]

الصديق ؟ قال عنه: ما ساءني قط، و:

((لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لكان أبو بكر خليلي))

[ابن إسحاق عن بعض آل أبي سعيد بن المعلى]

علي ؟ قال عنه:

((أنا مدينة العلم وعلي بابها))

[خرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس]

أبو عبيدة ؟ قال عنه:

((أمين هذه الأمة))

[أخرجه ابن حبان عن عبد الله بن مسعود]

خالد ؟ قال عنه:

((سيف من سيوف الله))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

كما أن أصحابه يوقرونه، يعظمونه، يتأدبون أمامه، هو يعرف قدرهم.

من لوازم أدب الابن أن يعرف قدر أبيه:

بالمناسبة: عندما أنت تؤدب ابنك، تؤدبه أدباً رفيعاً أيضاً من لوازم هذا الأدب أن يعرف قدرك، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام رأى شاباً مع أبيه فقال:

((فلا تمش أمامه، ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه، ولا تستسب له))

[أخرجه الطبراني عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها]

مثلاً: من أدبه مع أصحابه كان إذا دخل سعد بن أبي وقاص يقول:

((هذا خالي فليرني امرؤ خاله))

[أخرجه الترمذي عن جابر بن عبد الله]

ما فدى أحداً من أصحابه إلا سعد بن أبي وقاص.

((ارْمِ سَعْدُ فِدَاكَ أبي وَأمّي))

[أخرجه الشيخان عن علي بن أبي طالب]

فهذه الألقاب اللطيفة التي خلعها النبي على أصحابه وهو شمس، ومع الشمس لا ترى النجوم.
مرة قرأت كلمة: إنها لمضنية مؤلمة تلك الجهود التي تبذلها النجوم لتضيء في حضرة الشموس، فالنبي عليه الصلاة والسلام سمح للنجوم أن تضيء من حوله، أن يتألقوا في وجوده، هذا من أدبه العالي.

نبذة عن سيدنا كعب بن مالك

أريد أن أعطيكم نبذة عن سيدنا كعب بن مالك حينما قصّ علينا خبر تخلفه في تبوك، عندما تخلف عن أن يلتحق برسول الله، وحمل هماً كبيراً كيف يواجه النبي عليه الصلاة والسلام، لكن عندما قفل النبي راجعاً، اشتد همه، ماذا يقول له ؟ الذي حصل أن المنافقين يزيدون عن ثمانين منافقاً جاؤوا إلى النبي واعتذروا، قدموا أعذاراً ذكية جداً، والنبي قبل عذرهم، فلما جاء كعب فقال في نفسه: والله لقد أوتيت جدلاً ـ أنا أملك قوة إقناع كبيرة جداً ـ ولو أردت أن أخرج من سخطه لخرجت، أي أستطيع أن أهيأ حجة محكمة تماماً، وأنجو من سخطه، لكنه قال: لو أنني خرجت من سخطه، انظر إلى التوحيد، ليوشكن الله أن يسخطه علي.

الابن يتعلم من أفعال والده لا من أقواله:

أيها الأخوة، أؤكد لكم ثانية أن الآباء والأمهات إذا تخلقوا بالأدب فإن أولادهم بالتالي سوف يكونون مؤدبين قطعاً، انظروا إلى هذا المشهد:
أخرج ابن عساكر عن أبي عمار أن زيداً بن ثابت قُربت له دابة ليركبها، فأخذ ابن عباس رضي الله عنهما بركابها، فقال زيد: تنحى يا بن عم رسول الله، ابن عباس ابن عم رسول الله، زيد بن ثابت صحابي، ولكنه عالم، فقال ابن عباس: هكذا أُمرنا أن نفعل بكبرائنا وعلمائنا، فقال زيد بن ثابت: أرني يدك، فأخرج يده فقبلها، فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا، هو قرب له ركاب الدابة، والثاني قبّل يده.
أنت حينما ترى الكبراء يتأدبون تتعلم الأدب من أفعالهم قبل أن تتعلمه من أقوالهم، هذه نصيحة لكل أب، أنت كن مستقيماً، كن مهذباً، كن أديباً، تجد البيت كله فيه مسحة أدب، ومسحة احترام.

من توقير الكبراء أن تعتني بأبيك وأمك إلى آخر لحظة:

أخواننا الكرام، نحن اتفقنا أن الكبير من هو ؟ كبير السن، نحن عندنا عادات في إسلامنا صدقوا لا تجدونها في أي مكان في العالم، الإنسان مهما تقدمت سنه يبقى عند أولاده، أما في العالم الغربي لمجرد أن تضعف حركته يؤخذ إلى مأوى العجزة، هذا الجد لا شيء يسعده كأن يكون بين أولاده، وبناته، وأحفاده، لو أخذ إلى مأوى عجزة من فئة الخمس نجوم يحس أنه مهان.

لذلك من توقير الكبراء أن تعتني بأبيك وأمك إلى آخر لحظة، وإذا وفق الله عز وجل الواحد منا أن يكون باراً بأمه وأبيه إلى نهاية الحياة فهذا من سعادة الدنيا.

أيها الأخوة، لا يوجد مانع إنسان ذو منصب، اتفقنا أن الكبير كبير السن، والكبير كبير العلم، والكبير كبير المنصب.

ببلدة ما هناك ناحية، وهناك مدير لهذه الناحية، شاب لكنه لطيف، ويحب المصلحة العامة، ويخدم كل الناس، يجب أن يُوقر، أن يُحترم، أن تنزاح له في المسجد، الأدب شيء رائع جداً، نحن مجتمع المسلمين مجتمع مؤدب، مجتمع منضبط، مجتمع الصغير يوقر الكبير، مجتمع الكبير يعطف على الصغير، مجتمع متماسك.

زارني أخ يقيم بأمريكا، قال لي: أنتم كيف تعيشون ؟ هناك متاعب كثيرة في حياة الناس، لكنكم تحبون بعضكم بعضاً، وتوقرون بعضكم بعضاً.

أنا سافرت لبلاد كثيرة بعض البلاد الإسلامية العالم محترم احتراماً يفوق حدّ الخيال، والكبير محترم احتراماً يفوق حدّ الخيال.

انظروا إلى آبائنا، أو آباء الآباء الآن يكون الأب ساكناً بالمدينة، بحي راقٍ، لكن بيته غالٍ جداً، يبيع البيت يشتري ما يقابله أربعة بيوت في الريف ويزوج أولاده، هذا بطل.

مرة حدثني أخ كان بفرنسا، قال لي: شاهدت شاباً واقفاً على نهر السن في باريس، أحببت أن أحدثه، سألته: بمَ تفكر ؟ والله ! قال له: أفكر بقتل أبي، قال له: لِمَ ؟ قال له: أُحب فتاةً فأخذها مني.

نحن الأب همه أن يزوج أولاده، أنا حينما أحضر عقود قران أشعر أن الأب عنده عيد، زوج ابنه، زوج ابنته، الأبوة شيء ثمين جداً.

يحدثني أخ كان بأمريكا، قال لي: زارنا صديق ابني، فابنه شاب لطيف صديقه زنجي، فمرة دعا الزنجي لزيارته، لما دخل الابن للبيت قبّل يد والده ووالدته، هذا الزنجي وجد أدباً عالياً، الأم من محبتها لابنها هيأت لهم طعاماً، وجد هذا الزنجي ابناً يقبل يد والده ووالدته، والأم احتفلت بصديق ابنها، وهيأت لهم طعاماً، يقول بالنهاية: أسلم هذا الشاب، ما هذا الإسلام ؟ والله نحن عندنا آداب كبيرة جداً.

بطولة الأب لا أن يكون محترماً فقط بل أن يكون محبوباً أيضاً:

أريد أن أقول لكم ملاحظة، إن الأب بالثقافة الإسلامية محترم جداً، لكن أنا أخاطب الآباء الآن، أخاطب الأمهات أيضاً: كل أب محترم، بالثقافة، بثقافتنا، بديننا، ببيئتنا، وكل أم محترمة، لكن بطولة الأب لا أن يكون محترماً أن يكون محبوباً، وبطولة الأم لا أن تكون محترمة بل أن تكون محبوبة، الأب الصالح أولاده يتمنون بقاءه.

أنا أسمع قصصاً كثيرة، إذا كان الأب بخيلاً، وقاسياً على أولاده، وحارماً أولاده كل شيء، لو أصابته وعكة صغيرة، وجاء الطبيب، وقال: القضية سهلة، ينزعجون كثيراً، كيف سهلة ؟ يتمنونها القاضية كيف تقول سهلة ؟.

أما إذا أب كريم، أولاده في بحبوحة في حياته، يتمنون حياته، أنا أقول لكم هذه الكلمة: بطولتك أيها الأب أن يتمنى أولادك حياتك، لا أن يتمنون مماتك، الأب المحسن محترم ومحبوب، ويتمنى أولاده حياته، والأب القاسي والبخيل محترم لكنه غير محبوب، ويتمنى أولاده مماته.

من أدب الإسلام احترام الكبير في السن أو في العلم الديني أو في المنصب:

الآن أنت إذا احترمت الكبير في السن، أو في العلم الديني، أو في المنصب، كبير في المنصب، أو في السن، أو كبير في العلم، هذا من أدب الإسلام.

النبي خاطب قيصر ملك الروم، ماذا قال ؟ إلى عظيم الروم، هو ليس عظيماً عند رسول الله، هكذا تقتضي اللباقة، والكياسة، والسياسة.

كان عليه الصلاة والسلام يسلم على الصبيان، ويداعبهم، ويجري معهم، ويدعوهم إلى ركوب الجمل، فالصبي حينما يرى هذا النبي الكريم بهذه الأخلاق يحبه، أي أتمنى أن يحبك أولادك حباً جماً، يتأدبون معك ساعتئذٍ.

الإنسان بالأدب يرقى، وقلت لكم قبل قليل: لما سُئل النبي عن هذا الأدب قال:

((أدبني ربي فأحسن تأديبي))

[من الجامع الصغير عن ابن مسعود]

وبينت لكم أيضاً أن الإسلام عقيدة، وعبادة، ومعاملات، وآداب، فالآداب ربع هذا الدين.

الأدب الرفيع الذي تأدب به النبي عليه الصلاة والسلام:

لو استعرضنا الأدب الرفيع الذي تأدب به النبي عليه الصلاة والسلام، كلما رأى صحابياً عنده ثغرة كان يوجهه، يا بني اجلس هكذا.

أحياناً الإنسان يجلس ويباعد بين رجليه، المنظر قبيح، يا بني ضم رجليك إلى بعضهما، اقعد بأدب، يجلس جلسة وقورة، الجلسة فيها وضع لا يرضي، كلما لاحظت ابنك وقف وقفةً، أو مشى مشية، أو جلس جلسة ليست لبقة، ينبغي أن توجهه إليها، فالأدب أصل في التربية، دخل، قل: يا بني السلام عليكم.

مرة عمير بن وهب كان جالساً مع صفوان بن أمية، قال لي: والله يا صفوان لولا ديون لزمتني ما أطيق سدادها، ولولا أولاد صغار أخشى عليهم العنت من بعدي، لذهبت وقتلت محمداً وأرحتكم منه، فقال له صفوان: أما أولادك فهم أولادي ما امتد بهم العمر، وأما ديونك فهي عليّ بلغت ما بلغت، فاذهب لما أردت، فهذا عمير بن وهب سقى سيفه سماً، وضع يده على عاتقه، وركب ناقته، وتوجه إلى المدينة ليقتل محمداً، لأن ذهابه إلى هناك له مبرر، ابنه أسير، فإذا سُئل لماذا أنت هنا ؟ أجاب: من أجل أن أفدي ابني الأسير، وصل إلى المدينة رآه سيدنا عمر بن الخطاب، رآه يريد شراً فقال: هذا عمير جاء يريد شراً، ماذا فعل عمر ؟ أخذ منه سيفه، وقيده بحمالة سيفه، وساقه إلى النبي، أدخله على النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: يا رسول الله هذا عمير جاء يريد شراً، انظر إلى النبوة، قال له: يا عمر أطلقه، فأطلقه، قال له: يا عمر ابتعد عنه، فابتعد عنه، قال: يا عمير ادنُ مني، فدنا منه، قال له: ما الذي جاء بك إلينا ؟ قال له: جئت أفدي ابني، قال له: وهذه السيف التي على عاتقك لماذا جئت بها ؟ قال له: قاتلها الله من سيوف، وهل نفعتنا يوم بدر ؟ قال له: ألم تقل لصفوان لولا ديون لزمتني ما أطيق سدادها، ولولا أولاد صغار أخشى عليهم العنت من بعدي لذهبت وقتلت محمداً وأرحتكم منه ؟ طبعاً جاءه الوحي، يقول راوي القصة: وقف عمير بن وهب وقال: أشهد أنك رسول الله، الذي حصل بيني وبين صفوان لا يعلمه أحد إلا الله وأنت رسول الله إذاً، وأسلم.

فصفوان بن أمية كان يخرج كل يوم إلى ظاهر مكة ليتلقى الركبان ومعهم الأخبار السارة بقتل محمد، بعد أيام جاء بعض الركبان وأخبره أن عميراً أسلم، الشاهد يقول سيدنا عمر: دخل عمير على رسول الله والخنزير أحبّ إليّ منه، وخرج من عنده وهو أحبّ إليّ من بعض أولادي.

فنحن ليس عندنا عداوة مستمرة، أنت تكره عمله لكن لا تكرهه، فلما أسلم قال: دخل عمير على رسول الله والخنزير أحب إليّ منه، وخرج من عنده وهو أحب إليّ من بعض أولادي.

التوقير والحب والتعظيم يجعل المجتمع الإسلامي مؤدباً جداً:

صحابي جليل سُئل قبل أن يعدم بعد أن ألقي القبض عليه و أراد كفار قريش أن يقتلوه، بل أن يصلبوه صلباً، فقبيل أن يصلب سأله أبو سفيان: يا خبيب أتحب أن محمداً عندنا بمقامك ؟ ـ سؤال محرج، والله أنا حينما أروي إجابة خبيب لا أملك إلا أن أتأثر تأثراً بالغاً جداً ـ قال له: والله ما أحب أن أكون في أهلي وفي ولدي، وعندي عافية الدنيا ونعيمها، ويصاب رسول الله بشوكة، يقول أبو سفيان: ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً.

فالتوقير والحب والتعظيم يجعل هذا المجتمع مؤدباً جداً.

والملاحظ بحياة المسلمين أن الأب له قيمة، الأم لها قيمة، الأخ له قيمة، الأخ الأكبر كأنه والد، العم له قيمة، هذه العلاقات الأسرية النامية أساساً العالم الغربي يشكو من تفكك الأسرة، يشكو من شيوع الانحرافات الأخلاقية، أتمنى عليكم لا تنسوا أن الله سبحانه وتعالى حبانا بأشياء ثمينة.

أنا مرة كنت بأستراليا رئيس الجالية الإسلامية هناك أثناء الوداع بكى والله وقال: أبلغ أخوتنا في الشام أن مزابل الشام خير من جنات أستراليا، قلت له: لِمَ ؟ قال لي: أنتم في الشام ابنك لك، وابنك على شاكلتك، وأنت مسلم وابنك مسلم، فلو وجد بعض التقصير لكن الإسلام كبير عندكم، أما نحن احتمال الابن أن يكون غير مسلم، أو أن يكون ملحداً، واحتمال أن يأتي وفي أذنه حلقة، وباليمين لها معنى، وباليسار لها معنى أسوأ، وبكلتي الأذنين معنى أسوأ وأسوأ.

الاستقامة و الكمال و الاحترام صفات راقية تحمل الأبناء على احترام الآباء:

إذاً: نحن نعيش في علاقات أسرية متينة هذا من فضل الله علينا، الإنسان عندما يسافر يعرف إيجابيات مجتمعه، وسلبيات مجتمعه، نحن عندنا إيجابيات كثيرة جداً، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا معرفة هذا الدين العظيم، ومعرفة الآداب التي يتمتع بها المؤمنون.

الصحابة الكرام مؤدبون جداً، وأهم شيء عندما سألوا عم النبي الكريم: أيكما أكبر أنت أم رسول الله ؟ قال: هو أكبر مني، لكنني ولدت قبله.

أعرف أناساً، آباء محسنون لأولادهم والله أولادهم يتمتعون باحترام لوالدهم يفوق حدّ الخيال، الإحسان يساوي أدب، والكمال يساوي أدب، الآن أخاطب الآباء، إحسانك لأولادك، وكمالك، واستقامتك، وصدقك، وأمانتك، هذه الصفات الراقية تحمل أولادك على احترامك، كلما نمت العلاقات يصير إعراض الأب عن ابنه أكبر عقاب، إعراضه فقط لا يحتاج لا إلى أن يضربه، ولا إلى أن يؤدبه، إعراضه عنه يعد أكبر عقاب له.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن تترجم هذه الحقائق إلى سلوك في بيوتنا، إلى آداب يتمتع بها أولادنا حتى يكون الابن نشأ في طاعة الله، وعلى أدب الإسلام.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (32-36) : التربية الاجتماعية -13- توقير الكبار والمعلمين

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 18-04-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليم من أشرف المهن لأنه يتصل بصنعة الأنبياء:

أيها الأخوة الكرام، مع درس جديد من دروس تربية الأولاد في الإسلام، ولازلنا في التربية الاجتماعية، ومع موضوع جديد ألا وهو توقير الكبار والمعلمين.

بادئ ذي بدء: قال عليه الصلاة والسلام:

((وإنما بعثت معلماً))

[أخرجه الحارث عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

فالتعليم من أشرف المهن، إنها تتصل بصنعة الأنبياء.

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

(سورة فصلت)

ولعل الانضباط الأخلاقي الذي يذكره السلف الصالح فيما مضى بسبب المعلم الذي يحمل رسالة.

مرة كان عندنا أستاذ في الجامعة قال: إن أرت أن أدعو على إنسان بالشقاء أدعو عليه أن يكون معلماً، وإن أردت أن أدعو لإنسان بالسعادة أدعو له أن يكون معلماً.

كيف نوفق بين القولين ؟ نوفق بينهما، المعلم الذي يحمل رسالة هو أسعد الناس، أما الذي لا يحمل رسالة هو أشقى الناس.

من لم يكن ابنه كما يتمنى فهو أشقى الناس:

لذلك حينما قال الله عز وجل:

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

الآية واضحة جداً ؛ ليس في أهل الأرض من هو أفضل عند الله ممن دعا إلى الله:

(دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

فلذلك: ليس من صالح الأمة، ولا من صالح الأجيال، ولا من صالح التقدم بالمصطلح الحديث أن تضعضع مكانة المعلم، إن المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يكرما، أي الأب المربي، الأب

الحكيم، الأب المؤمن يربي ابنه على احترام المعلم، لأن الأمة لا يمكن أن تبنى إلا من خلال المعلمين.

مرة في لقاء، في ندوة فضائية، سألني المحاور: كيف السبيل إلى قوة الأمة ؟ قلت له: نبدأ بالصغار، هذا الجيل الذي يعني المستقبل، الكهول هم الحاضر، والشيوخ هم الماضي، والصغار هم المستقبل، ولا أبالغ إذا قلت لكم: إن الورقة الرابحة الوحيدة التي بقيت في أيدي المسلمين أولادهم، وما لم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس، لأنه امتداد لك، لأنه استمرار لك، تمشي في الطريق ترى شباناً ثلاثة يدخنون، الأول ابنك فتفور و تغلي، الثاني ابن أخيك أقل غلياناً، الثالث صديق ابن أخيك لا تتأثر له، ابنك يعني أنت، ابنك استمرارك، ابنك جزء من كيانك.

أقسم لكم بالله أحياناً تتصل بي أخت كريمة ابنها تفلت من منهج الله، يأتي الساعة الثانية ليلاً لا تعرف مع من، ولا يجيبها بكلمة، بل يتطاول عليها، أقسم لكم بالله تكاد تموت من الألم.

أنت حينما تعتني بأولادك تعتني بنفسك، أنت حينما تربي أولادك تصطلح مع نفسك، أنت حينما تربي أولادك تجلب سعادة لا توصف، ذُكِرتْ في القرآن الكريم:

(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً)

(سورة الفرقان)

احترام المعلم حضارة و تقدم:

قلت للمحاور: نبدأ من الصغار، إن أردت بناء أمة قوية، أمة منضبطة، أمة تستعيد دور الأمم السابقة في قيادة الأمم، إن أردت أمة تقود الأمم ينبغي أن تبدأ بالصغار، وكيف نبدأ بالصغار ؟ نبدأ بالمعلمين، الأداة الوحيدة لنهوض الأمة المعلم، الطبيب مع المريض، مع الاحترام الكامل والتوقير العالي للطبيب، هو مع المرضى، والمحامي مع أصحاب المشكلات، والنجار مع الخشب، والحداد مع الحديد، لكن المعلم مع فلذات أكبادنا، المعلم مع أطهر فئة في المجتمع، المعلم مع من هم استمرار لنا، فلذلك ليس من صالح الأمة، ولا من صالح الأسرة أن تضعضع مكانة المعلم، لا تُسمع ابنك كلاماً قاسياً على معلمه، ولو أخطأ، عود ابنك أن يحترم المعلم، لأن الذي يحترم معلمه يأخذ منه الكثير.

أيها الأخوة، أنا أقول لكم: احترام المعلم حضارة، وعدم احترامه تخلف، سمعت في بلد كألمانيا أن أفضل بيت في القرية هو بيت المعلم، و في أي حفل رسمي يُقدّم المعلم على رئيس الجمهورية، هذه التقاليد عندهم.

هذا الذي يتولى تربية الأجيال، لكن مع الأسف الشديد الأوائل في الشهادة الثانوية يذهبون للتسجيل في كلية الطب كما في بلدنا، في بلاد أخرى الأوائل في الشهادة الثانوية إلى كلية الحقوق، لأنهم تصوروا أن الذي يحمل لسانس في كلية الحقوق سيكون محافظاً أو وزيراً، أناس يوكل إليهم أمور الأمة، ينبغي

أن يكونوا على مستوى عالٍ من الذكاء، في بلاد أخرى يؤخذون إلى جهات حساسة جداً تحتاجهم الدولة، لكنني أرى أن هذا الذي بيده الأجيال الصاعدة هذه الأمة ما مستقبلها ؟ مستقبلها منوط بأولادها.

إذا إنسان محبط، دخله لا يكفيه خمسة أيام، ثقافته أقل مما ينبغي، ليس معه ثمن كتاب، يعمل بأجر لا يكفيه أياماً، كيف ينشئ جيلاً ؟ كيف يلقي علماً ؟ كيف يكسب تربية ؟ كيف يكون قدوة ؟ كيف يكون مثلاً ؟ أنا أتمنى وعندي معلومات دقيقة عن بعض البلاد القوية جداً أن الذين يعلمون الصغار هم نخبة الأمة، ابنك كيف تعلمه ألا يكذب ؟ ألا يهمل ؟ كيف تعلمه أن يحترم الكبير ؟ أن يوقر العالم ؟ أن يدير وقته ؟ أن يصلح شأنه ؟ أن يحسن علاقاته مع الآخرين ؟ أن يرسم لنفسه هدفاً ؟ عن طريق المعلم، فهذا الذي يتولى تربية ابنك، إن كان صالحاً صلح ابنك، وإن كان محبطاً فسد ابنك.

بناء الأمة يبدأ من التعليم:

أيها الأخوة، مرة ثانية: بناء الأمة يبدأ من التعليم، واسألوا أقرباءكم من الجيل السابق يبقى طوال حياته يترحم على معلمه، فالمعلمون سابقاً كانوا أصحاب رسالة، يبتغون وجه الله، لأن رتبة العلم أعلى الرتب، بأضخم صرح تعليمي في دمشق، و هذا معمر من السنة السادسة و الثلاثين، التجهيز الأولى في مدخلها مكتوب لوحة: رتبة العلم أعلى الرتب.

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)

(سورة النساء)

أنا أتمنى على الآباء والأمهات ألا يتكلموا كلاماً سيئاً بحق المعلمين والمعلمات، لأن هذا يضعضع ثقة الابن بمعلمه ولو أخطأ.

على كل أب ألا يضعضع مكانة المعلم أمام ابنه:

أيها الأخوة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه))

[أخرجه الطبراني عن عبادة بن الصامت]

وأنا أقول لكم من بعض التوجيهات النبوية: "لا تصاحب من لا يرى لك من الفضل مثل ما ترى له ".

لا تصاحب إنساناً يستخف بالتعليم، صدق ولا أبالغ أنا أمضيت في التعليم أكثر من خمسة و ثلاثين عاماً، بالتعليم الجامعي والرسمي، والله في كل عام أنا أسعد من السابق، لأن أنا أمام جيل صاعد، إن كنت أمامهم مثل أعلى تعلموا مني، أبني نفوسهم، أبني عقولهم، أبني أخلاقهم، من يتاح له أن يكون بانياً لنفوس يعود خيرها على أمة بأكملها ؟ أحياناً أنت تجد موظفاً يقدم خدمات للمواطنين، يوجد بقلبه

رحمة، يسعى لخدمة من حوله، منصف، أنا أقول: حتماً هذا الإنسان تلقى تربية عالية، والناس يقولون: فلان مربى، فأنت ليس من صالحك أيها الأخ الكريم أن تضعضع مكانة المعلم أمام ابنك، أنت كأب، ويقول عليه الصلاة والسلام:

((تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تعلَّمون منه))

[أخرجه الطبراني عن أبي هريرة]

نوجه أولادنا أن يحترم المعلم، أحياناً طالب يأخذ بيده باقة ورد، في يوم من أيام السنة لمعلمه ترى أن هذا الطالب يتألق، باقة ورد بسيطة لأن المعلم شعر أن هناك تقدير، هذا التقدير انعكس اهتماماً، أنا أنصح كل أم من قريباتي، أو كل أب ممن يلوذ بي، إذا شكا من معلم ابنه، أقول: اذهب إليه وطيب قلبه، وأشعره أن جهدك مشكور عندنا، حتى يهتم بالابن، لو أن الدرس موجه إلى مدراء المدارس أو مدراء التربية، أقول: ينبغي أن تؤمن للمعلم راحته وكرامته، وعندئذٍ يعطي.

الراحة و الكرامة شيئان أساسيان عند كل إنسان:

بل أقول لكم دائماً: أعطِ الإنسان حاجته وكرامته، وخذ منه كل شيء، أعطِ الإنسان حاجته وكرامته، على مستوى شركة، أعطِ الموظف حاجته التي تليق بكرامته، أعطِه كرامته، خذ منه كل شيء، وهذا يدخل في إدارة الأعمال، هذا الذي أمامك إن أعطيته الحاجة التي يحتاجها أعطيته الكرامة التي يسعى إليها، ملكته، عندئذٍ أعطاك كل شيء.

وأنا أقول هذه الكلمة أردده كثيراً: أعطِ الإنسان رغيف خبزه وكرامته، وخذ منه كل شيء، وبأي عمل إداري، أعطِ من حولك حاجتهم وكرامتهم وخذ منهم كل شيء، ولعلي أتمنى أن تدار بحوث جامعية حول إدارة الأعمال في الإسلام، كيف تستطيع من هذا الإنسان أن يعطيك كل شيء ؟.

لعلي ذكرت لكم أنني زرت معملاً في بلدة في هذا البلد الطيب، فأبلغني صاحب هذا المعمل أن إنتاجه مباع لستة أشهر، وقد دُفع ثمنه كاملاً، السبب إتقان العمل، والإتقان من أين جاء ؟ لأنه يعطي رواتب عالية جداً للموظفين الذين عنده، هؤلاء أعطوا خدمة للمصلحة العامة.

بطولة الإنسان أن يؤمّن لمن حوله ما يريدون كي يتفانوا في خدمته:

مرة ثانية: أعطِ الإنسان رغيف خبزه وكرامته وخذ منه كل شيء، فإن أعطينا المعلم حاجته وكرامته أعناه على أن يثقف نفسه، أن يطالع، أن يشتري كتباً، أعطيناه راتباً يغطي حاجته ويحقق كرامته أخذنا منه كل شيء.

أنا العبد الفقير أدرت قديماً ثانوية من أربعين سنة، هيأت للمدرسين برنامجاً مريحاً جداً، هيأت لهم كرامتهم، أي طالب تجاوز حده يُفصل بطلب من المدرس، صدقوا ولا أبالغ نسبة النجاح كانت في الشهادة الثانوية تسعة و تسعين بالمئة، ماذا تريد ؟ أنا بالأساس كنت مدرساً أعرف ماذا يتمنى المدرس، أعطِه راحته وكرامته وخذ منه كل شيء، هذه تنطبق بالأعمال، بالتجارة، في المؤسسات، في المستشفيات، في المدارس، في الجامعات، في البيوت، هذا الابن يحتاج إلى شيء، الأب الموفق يعطي ابنه حاجاته المشروعة، ويعطيه كرامته في البيت، تجد أن الانضباط تحقق، و لم يعد هناك أي تطاول أبداً.

حدثني أب قال لي: والله يقف أبنائي أمامي كأنهم جنود، لأنه أمن لهم مستقبلهم، عندما الأب يهتم بأولاده، يعطيهم حاجتهم، يريحهم، يعطيهم كرامتهم في البيت، يتفانون في خدمته.

أنا أقول دائماً يا أخوان: بطولتك أن تتأكد أن هل من أولادك من يتمنى وفاتك أم هناك من يتمنى بقاءك؟ الأب الصالح يتمنى أولاده حياته وبقاءه، والأب البخيل يتمنى أولاد وفاته، طبعاً لا يتكلمون هذا الكلام هذا شيء داخلي، أما لو أصابته وعكة و جاء طبيب وقال: عرضية ينزعجون كثيراً، كيف عرضية ؟ يا ليتها كانت القاضية.

بطولة الأب لا أن يكون محترماً بل أن يكون محبوباً والحب ثمنه الإحسان:

لي كلمة أرددها كثيراً وسامحوني بها: نحن بالثقافة الإسلامية الأب محترم جداً، لكن البطولة لا أن تكون محترماً أن تكون محبوباً، بثقافتنا الدينية الإسلامية الأب محترم، لكن بطولة الأب لا أن يكون محترماً أن يكون محبوباً، والحب ثمنه الإحسان، وفي بعض الأحاديث الشريفة:

((ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم، وإمام مقسط))

[أخرجه الطبراني عن أبي أمامة الباهلي]

أي قاضٍ مستقيم، مدير ناحية مستقيم، رئيس بلدية مستقيم، إمام يحتل منصباً معيناً، يعامل من حوله بالعدل، ولا يظلم أحداً، الذي لا يحترمه هو المنافق، ذو علم، إنسان يحمل شهادة عليا، امتهن العلم والتعليم، فالذي يستخف به يعد منافقاً.

((ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلم، وإمام مقسط))

وفي بعض الأحاديث الشريفة أن النبي عليه الصلاة والسلام دعا بهذا الدعاء فقال:

((اللهم لا يدركني زمان أو لا أدرك زمان قوم لا يتبعون العلم ولا يستحيون من الحليم))

[أخرجه الحاكم عن أبي هريرة]

وهذا يذكرني بحديث آخر:

((إذا كانَت أمراؤُكم خيارَكم، وأغنياؤُكم سُمحاءَكم، وأمورُكم شورَى بينكم فَظَهْرُ الأرضِ خَير لكم من بطنِها، وإذا كانت أمراؤُكم شِرارَكم، وأغنياؤُكم بُخَلاءَكم وأمورُكم إلى نسائكم، فبطنُ الأرض خير لكم من ظهرها))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

سيدنا علي بن أبي طالب كان يجلس إلى جنب النبي عليه الصلاة والسلام دخل سيدنا الصديق، فقام له، فالنبي بكلمة رائعة أثنى عليهما معاً، فقال:" لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل ".

لا يُنال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع:

عود ابنك أن يحترم الضيف، يحترم الكبير، يحترم ذي الشيبة المسلم، يحترم المعلم، يحترم المدرس، أنا أتمنى ألا يسمح الأب لأولاده أن يقلدوا المعلمين في البيت، هذا استخفاف، والذي يحاكي يُعاقب، وهناك أحاديث كثيرة على أن المحاكاة أي التقليد معصية، الأب يضحك من أن ابنه يقلد المعلم مستخفاً به، هذا ليس من صالح الأب ولا من صالح الابن.

في بعض الأحاديث أن النبي عليه الصلاة والسلام في بعض المعارك أمر أن يدفن الرجلان في قبر واحد، فكان يسأل:

((أيهما كان أكثر أخذاً للقرآن ؟))

[رواه البخاري في الصحيح عن عبد الله بن يوسف]

يضعه قبل أخيه، رجح قيمة العلم، حتى في الدفن، يضعه قبل أخيه، وقال بعض العلماء: لا يُنال العلم إلا بالتواضع، وإلقاء السمع، أنت بالتواضع تأخذ كل العلوم، بربك إنسان يطلب العلم من أربعين سنة، يحمل شهادات منوعة، قارئ كتب، كتب بحوث، له دراسات، كتلة علم، أنت بسؤال مؤدب تأخذ علمه، من استشار الرجال استعار عقولهم، بسؤال مؤدب تأخذ خبرة.

أحياناً كما قيل: من لم يأخذ العلم عن الرجال فهو ينتقل من محال إلى محال، لو كان من الممكن أن نقتني الكتب، ونكتفي بالكتب القضية سهلة جداً، يمكن ثاني أكبر ميزانية في الدولة ميزانية التربية والتعليم، لو كان من الممكن أن نوزع كتباً على الطلاب، وتقرأ هذه الكتب، ويكون التعليم نافعاً من دون معلم القضية سهلة جداً، ولكن هذا العلم لا يؤخذ إلا من معلم، والمعلم قدوة.

عظمة الأنبياء أنهم طبقوا ما قالوا:

هناك شيء أتمنى أن يكون واضحاً عندكم، أو ما المهمة التي أنيطت بالنبي ؟ سؤال: حينما أرسل الله هذا الإنسان ليكون نبياً ما المهمة التي أنيطت به ؟ أنا أتصور كما تتصورون أنتم جميعاً أنه البلاغ:

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)

(سورة المائدة الآية: 67)

أنا أضيف إلى هذه الرسالة أي إلى رسالة التبليغ رسالة القدوة، أي إنسان يبلغك معلومات تحفظها، تلقيها على من حولك، لكن عظمة الأنبياء أنهم طبقوا ما قالوه، كما قالوا: القرآن كون ناطق، والكون قرآن صامت، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي.

وأنا أقول لكم: نحن الآن بحاجة لا إلى إسلام في الكتب، ولا إلى إسلام في الأشرطة، ولا إلى إسلام مسجل بدروس، ولا إلى مقالات، ولا إلى توصيات، نحن في أمس الحاجة إلى إنسان مسلم متحرك نراه صادقاً، نراه أميناً، نراه عفيفاً، نراه منصفاً، نراه رحيماً، نراه متواضعاً، الذي يقلب وجه الأرض من مجتمعات كافرة قاسية تسفك فيها الدماء، تنهب فيها الثروات، يُذل فيها الإنسان، إلى مجتمعات راقية لا بدّ من المعلم، من لم يأخذ هذا العلم عن الرجال فهو ينتقل من محال إلى محال.

من حق الأخ على أخيه الإنصات الكامل و الاحترام:

ما يروى عن الإمام الشافعي أنه كان إذا تصفح الكتاب أمام أستاذه لا يحدث صوتاً إطلاقاً، الآن هناك طالب يقلب الصفحات بصوت مزعج جداً، وهناك إنسان يقلب الصفحات بلا صوت، أحياناً بالمسجد يلقي الإنسان بحذائه من مكان مرتفع له صوت، وهناك إنسان يضعه برفق، إحداث الصوت دليل ضعف الأدب، وكلما تأدب الإنسان غض من صوته، فكان الإمام الشافعي يتصفح الكتاب أمام أستاذه من دون أن يصدر صوتاً للورق أثناء تقليب الورق، و هذا الربيع بن سليمان ـ رحمه الله ـ وهو من تلاميذ الشافعي يقول: "والله ما تجرأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي هيبة له".

أحياناً في عقود القران لا تبتعدوا كثيراً يدعى أحد العلماء لإلقاء كلمة، توزع القهوة، توزع البوظة، توضع الصحون فوق بعضها، صوت لا يحتمل، حركة، ضجيج، ما هذا الكلام ؟!.

قالوا: لا يجتمع درس وضرس.

تجد طوال الاحتفال أثناء الإنشاد لا يوجد توزيع، و عندما يقوم الخطيب ليلقي كلمة بعقد القرآن يبدأ توزيع البوظة والصحون والملاعق.

فلذلك أنا أنصح المتكلمين ألا يتكلموا إلا إذا كان هناك إنصات كبير، لأنه من حق الأخ على أخيه أن يستمع له.

كلما تأدب الإنسان مع المعلم تفانى هذا المعلم في خدمة المتعلم:

هل تصدقون أيها الأخوة الكرام، أن النبي عليه الصلاة والسلام ما رئي ماداً رجليه قط، طبعاً هناك إنسان معه التهاب مفاصل، هذا معذور، الحديث ليس عنه إطلاقاً المعذور معذور، أما إنسان بلا عذر يمد رجله أمام معلمه، ما رئي، وهو سيد الخلق، ليس متعلماً هو معلم، ما رئي ماداً رجليه قط، أحياناً جلسة فيها أدب، وهناك سؤال في أدب، و خطاب في أدب، إنسان أحياناً يخاطب المعلم بضمير الجمع، قلتم لنا أستاذ، ألطف بكثير من قلت لنا، تكلمتم في درس سابق عن هذا الموضوع لي سؤال، فهل بالإمكان أن تجيبوني عنه، استخدم ضمير الجمع هناك أدب أكثر بمعناها.

أنا مرة إنسان حدثني عن رجل أجريت معه ندوة بفضائية ـ الفضائية متفلتة طبعاً ـ حول معركة الخندق، فلما انتهى المتكلم من الحديث عن المعركة كان هناك استخفاف ما بعده استخفاف.

إذاً هناك كلمات مؤدبة، ضمير الجمع، الاستئذان، وكلما تأدب الإنسان مع المعلم المعلم تفانى في خدمة المتعلم.

حتى إن بعضهم قال: يا بني نحن إلى أدبك أحوج منا إلى علمك، وأنت بالأدب تنال ما تريد.

من ازداد علمه ازداد خوفه من الله تعالى:

مرة ثانية: إن المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يكرما.

ربِّ ابنك على أن يحترم المعلم، لست مخطئاً في هذا أبداً، أنا أعرف أن المعلم إذا وجد طفلاً مؤدباً يتفانى في خدمته، يتفانى في العناية به، يتفانى في تعليمه، لو أن هذا الطفل المؤدب رفع يده، نعم يا بني، باهتمام، أما الطفل الغير مؤدب.

مرة طالب يدرس الحادي عشر قال لي: أنا لا أخاف من الله، قلت له: والله أنت يا بني معك حق ألا تخاف من الله، الحقيقة جوابي كان يحتاج إلى شرح، قال لي: لماذا ؟ قلت له: لأن الفلاح أحياناً يأخذ ابنه معه إلى الحصيدة، و عمر ابنه يقدر بسنتين، يضعه بين القمح، يمر ثعباناً طوله عشرة أمتار لا يخاف منه، لأنه لا يدرك بعد و لا يخاف، قلت له: الخوف يحتاج إلى إدراك، طفل صغير لا يخاف، لأنه لا يدرك.

أساساً رأس الحكمة مخافة الله، كلما ازداد علمك ازداد خوفك.

مرّ معي حادثة، دخلت لمعمل، وجدت صاحب المعمل وجهه متجهم، متألم، خير ؟ قال: تعال انظر، معمل ضخم، بناء ضخم، آلات تعمل بانتظام، كل شيء على ما يرام، أنا ما وجدت شيئاً، نظر إلى جسر في السقف كبير، فيه خط صغير، قال لي: هذا الخط جئنا بدكتور بالهندسة وجد أن الأساس منزلق بسبب المياه المالحة، فعندما انزلق الأساس صار هناك كسر بالجسر، قال لي: يحتاج ـ يمكن القصة من سنة السبعين ـ إلى خمسمئة و خمسين ألفاً كي يصلح، الآن خمسة ملايين، قلت: لو إنسان جاهل قال له: هذا يحتاج إلى معجون، الفرق بين المعجون و بين تعديل الأساس هذا هو الفرق بين العلم والجهل، فكلما ازداد علمك ازداد خوفك، و ازداد قلقك.

الطفل المؤدب بتوجيه أهله يحتمل عصبية المعلم:

إذاً نحن عندنا في الدرس القادم إن شاء الله مجموعة من الآداب تفصيلية، لكن بقي أدب واحد في هذا الدرس، أحياناً يكون المعلم عصبي المزاج، الطفل المؤدب بتوجيه أهله يحتمل عصبية المعلم، حتى إن هناك آية قرآنية سيدنا موسى كان عصبي المزاج، أخذ الألواح وألقاها:

(ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي)

(سورة طه الآية: 94)

سيدنا هارون، أحياناً هذا طبع، ونحن كما نقول دائماً:

((يطبع المؤمن على الخلال كلها))

[أخرجه الإمام أحمد عن أبي أمامة الباهلي]

هناك مؤمن منفتح، مؤمن منكمش، مؤمن ينفق مالاً كثيراً، مؤمن إنفاقه أقل، مؤمن انعزالي، مؤمن يحب المجتمعات.

((يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب))

[أخرجه الإمام أحمد عن أبي أمامة الباهلي]

أيها الأخوة الكرام، أرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمتابعة هذه السلسة من الدروس، فلعل الله سبحانه وتعالى يصلح بها بيوتنا وأولادنا.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (33-36) : التربية الاجتماعية -14- صلة الرحم -1

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 25-04-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

صلة الرحم:

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الثالث والثلاثين من دروس تربية الأولاد في الإسلام، ولا زلنا في الموضوع الاجتماعي، ومن بين الموضوعات الاجتماعية ذات الأهمية صلة الرحم.

أيها الأخوة، في الإسلام ما يسمى في المصطلح الحديث: تضامن اجتماعي، الله عز وجل أراد أن يكون التضامن الاجتماعي في الإسلام على أساسين، أساس النسب، وأساس المكان " الجغرافية "، فالأحاديث التي توصي بالجار كثيرة جداً، والأحاديث التي تتحدث عن صلة الأرحام كثيرة جداً.

هذا الابن إذا نشأ وهو يرى أباه وأمه على اتصال وثيق بالأقارب، زيارات، مودة، تعاون، ينشأ على هذا الخلق الاجتماعي الرفيع، فاقد الشيء لا يعطيه، يمكن أن تكون أعظم أب في الأرض دون أن تنطق بكلمة، لأن ابنك يراك، يرى سلوكك، يرى ضبط لسانك، يرى رحمتك بمن حولك، يرى برك لأبيك وأمك.

الاستقامة طريق الإنسان لهداية الآخرين:

الإنسان لا يحتاج إلى كلام كثير، ورد في بعض الأحاديث:

((استقيموا يستقم بكم))

[أخرجه الطبراني عن سمرة بن جندب]

فتاة محجبة حجاباً كاملاً، تدرس الرياضيات في أمريكا، أرسلها أستاذها إلى تلميذه، التلميذ اسمه "جيفري لنك " أكبر ملحد بسان فرانسيسكو، لكن بالرياضيات من فلتات الزمان، يقول هذا "جيفري لنك": عندما رأيت هذه الفتاة الشرق أوسطية محجبة حجاباً كاملاً في الصيف، والفتيات في أمريكا شبه عرايا قال: لا بدّ أنها تملك قناعات تتميز بها، فعكف من توه على قراءة القرآن، وهو يظن أن فيه خطأ، فلما وصل إلى قوله تعالى عن فرعون:

(فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ)

(سورة يونس الآية: 92)

اتصل بصديقه "موريس بوكاي" بفرنسا، وهو رئيس المشرحة في باريس، و قال له: إنك تزعم أن القرآن كلام الله، وهذه الآية ؟ قال: هذا الذي تحدث عنه القرآن رممت جثته بيدي، ومات غرقاً وهو فرعون موسى، و الآن هو أكبر داعية، ما تكلمت ولا كلمة، لأنها محجبة أقنعته بالإسلام.

((استقيموا يُستقم بكم))

أكبر وسيلة فعالة في التربية أن تكون أنت قدوة:

قد تكون أعظم أب في الأرض دون أن تنطق بكلمة، لا يرى ابنك منك كلمة قاسية، ولا كلمة بذيئة، ولا كلمة فاحشة، ولا كلمة نابية، يرى الانضباط، واللطف، و المودة، و الرحمة، يراك وأنت تصل والديك، وتحترمهما، فالطفل ينشأ على ما ربي.

إن شاء الله في دروس قادمة نصل إلى الوسائل الفعالة في التربية، أكبر وسيلة فعالة في التربية أن تكون أنت قدوة.

مرة زرت أحد علماء مصر ـ الشعراوي رحمه الله ـ التقيت معه لقاءين مطولين، سألته باللقاء الثاني: بماذا تنصح الدعاة الإسلاميين ؟ ظننت أنه سيتكلم ساعة وأكثر، فإذا بها جملة واحدة، قال لي: ليحذر الداعية أن يراه المدعو على خلاف ما يدعو، فقط.

هذا الكلام يحتاجه الأب و الأم، الأم لا تكذب، لو أنها قالت لزوجها أمام ابنتها الصغيرة عندما سألها زوجها إلى أين ذهبت اليوم ؟ قالت: لم أذهب إلى أي مكان، وقد رأتها ذهبت إلى بيت أختها وأخذتها معها، فلما كذبت على أبيها، سقطت توجيهات أمها.

لي قريب مقيم بأمريكا، فجاء مرة ليزور أهله في الشام، يبدو أن له ابناً حركته زيادة، قات له جدته: اجلس كن هادئاً، وفي المساء سآخذك إلى مكان جميل، فصدقها و جلس، و في المساء لم تأخذه، ما خطر في بالها أن تنفذ وعدها، هو طفل صغير، قال لها: أنت إنسانة كاذبة.

دقق هناك من يَعِد ابنه بدراجة، كلام، ينجح بتفوق لا يوجد دراجة، إذاً: أكبر وسيلة فعالة في تربية الأولاد ؛ القدوة.

صلة الرحم أفضل وسيلة لبر الوالدين بعد موتهما:

كيف تنشئ أولادك على صلة الأرحام ؟ بالمناسبة:

((سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله هل بقي عليّ من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال: أجل، خصال أربع، الصلاة عليهما يعني الدعاء لهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، فهذا الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما))

[حديث رواه أبو داود بسند ضعيف]

كل إنسان فقد والده، أو أمه، إذا وصل الرحم كأنه برهما بعد موتهما.

أيها الأخوة، تصور صحابي كبير يسأله النجاشي عن الإسلام، قال:

((أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لتوحيده ولنعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء))

[أخرجه ابن خزيمة عن جعفر بن أبي طالب]

بصلة الرحم.

من هو الرحم ؟

أيها الأخوة، السؤال الدقيق: من هو الرحم ؟ جميع الأقارب من دون استثناء من طرف الأب، ومن طرف الأم، هذا الكلام الدقيق، مع التفصيل: الآباء والأمهات، والأصول، أي الجد والجدة، جد لأب، جد لأم، جدة لأب، جدة لأم، مهما علوا، والأبناء، والأحفاد مهما نزلوا، آباء وأجداد، والأصول مهما علوا، وأبناء وأحفاد، الأحفاد مهما نزلوا.

الآن الأخوة والأخوات، والأعمام والعمات، وأولاد الأخ وأولاد الأخت، والأخوال والخالات، وأولاد الأخوال، وأولاد الخالات، ومن يليهم من الأرحام الأقرب فالأقرب، أي بشكل أو بآخر الأرحام هم الأقارب من دون استثناء ما كان منهم عن طريق الأب، وما كان منهم عن طريق الأم.

من وصل رحمه قدم عملاً صالحاً يلقى الله به في الصلاة:

النقطة الدقيقة هذه الآية الكريمة:

(اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

(سورة العنكبوت الآية: 45)

أنت حينما تصل الرحم تقدم عملاً صالحاً تلقى الله به في الصلاة، عندئذٍ يذكرك الله.

حدثني أخ وهو عندي صادق، قال لي: عقب حضور درس من دروسك عن صلة الرحم أعرف قريباً لي لم أزره قط، فقررت أن أزوره في العيد، زرته فلم أجده، وضعت له بطاقة، الرجل محترم جداً ردّ لي الزيارة، قال لي: أسكن في بيت تحت الأرض شمالي، عندي خمسة أولاد، يبدو أن هذا القريب ميسور الحال، قال له: هنا تسكن ؟ قال له: نعم، أقسم لي بالله وهو عندي صادق، ما خطر في باله ولو لثانية أن هذا القريب يمكن أن يحل مشكلته، لكن سمع درساً وزاره، وردّ له الزيارة، قال له: ابحث عن بيت في الطابق الثالث باتجاه الشمس، وتعال خذ مني ثمنه، قال لي: والله خلال شهرين وجدنا بيتاً في الميدان ثالث طابق، باتجاه القبلة، انتعش أولادي، وسكنوا بيتاً فيه شمس، قال لي: أنا والله أدعو له ليلاً نهاراً، في كل صلاة أدعو له.

الحياة تعاون، أي بشكل أو بآخر إذا الفقير وصل رحمه الغني، واجب الغني أن يتفقد حال هذا القريب.

صلة الرحم تبدأ بالزيارة وتنتهي بالهداية:

الآن هناك نقطة دقيقة جداً، معظم المسلمين يتوهمون أن صلة الرحم أن أتصل به هاتفياً، أو أن أزوره في العيد، لا والله، صلة الرحم تعني أن أزوره وأن أتفقده، و أتفقد وضعه المعاشي، وضعه التربوي، وضعه العلمي، وضعه الصحي، وأن أقدم له بعض المساعدة، إذا كان يحتاج إلى مساعدة مالية، إلى مساعدة علمية، إلى مساعدة اجتماعية، وبعدئذٍ أدله على الله.

صلة الرحم تبدأ بالزيارة وتنتهي بالهداية، هذه صلة الرحم، لكن هناك أشياء كثيرة في حياتنا مسخت هذه الصلة إلى أن تزوره في العيد وتقول: يا رب لا أجده، لعلي لا أجده فأرتاح، تهيئ بطاقة، فإذا فتح الباب تصاب بخيبة أمل، لا حول ولا قوة إلا بالله ! هذه صلة الرحم ؟ أن تتمنى ألا تجده ؟ أصبحت حياتنا شكليات.

لذلك أنا معجب بأبناء المدينة المنورة، فهي مقسمة إلى أربعة أقسام، كل يوم بالعيد هناك ربع يبقى في البيت، لا يوجد زيارة خائبة أبداً، هذا الربع أول يوم، الأرباع الثلاثة يتوجهون لزيارة هذا الربع، كل يوم هناك ربع مقيم بالبيت.

أنا أتمنى الآن بالأعياد بدل تراشق الزيارات الخائبة، اجتمعوا بسهرة، الأقارب، الأخوات، الأصهار، جلسة مطولة في سهرة ببيت.

أنتم لا تصدقون كم من الأحاديث الصحيحة، وكم من الآيات تتحدث عن صلة الرحم، أنا لي كلمة أرددها كثيراً: الناس أنت لهم وغيرك لهم، أما أقرباؤك من لهم غيرك ؟ من هنا لا تقبل زكاة المال من

الغني وفي أقربائه محاويج، إذا أعطيت زكاة مالك لأهلك ولأقربائك الفقراء لك أجر مضاعف، أجر أداء الزكاة، وأجر الصلة، لا تقبل زكاة المال من دافع الزكاة وفي أقربائه محاويج، الأقربون أولى.

بطولة الإنسان أن يقنع لا أن يقمع:

أحياناً أخواننا إذا توفى شخص تجد الأولاد في المحاكم، يقول لك: من ثلاثين سنة ما تكلمت مع أخي، والأولاد تنتقل لهم هذه العداوة، وهناك والحمد لله أسر متماسكة، تغيب عين الأب لكن الأولاد بمودة، و محبة، و تعاون.

أنا والله أحياناً عندما إنسان يتوفاه الله، وأتابع أحوال أسرته بعده، أجد بين أفراد الأسرة التواصل، و التعاطف.

هناك تعبير شهير في هذا البلد، يقول لك: ما غابت إلا عينه فقط.

والله في بعض الأخوة الكرام الدعاة كان هناك درس صباحي كل أربعاء في بيت ـ مضى على وفاته الآن عشرين سنة ـ لا يوجد أسبوع غاب أخوته عن الدرس، عشرون سنة بعد وفاته و الدرس قائم.

أعرف أخاً رحمه الله توفي بحادث، هناك نظام ببيته، حجاب زوجته، أولاده، بناته، مضى على وفاته الآن 25 سنة، البيت لم يتغير فيه شيء أبداً، مثلما رباهم.

بالمناسبة أخواننا الكرام لعلها قليلاً مزعجة: إذا إنسان ربى أولاده على القمع، أو بناته على القمع، فسيكونون بحياته منضبطات، لكن بعد مماته يصبحن متفلتات، بطولتك لا أن ينضبط أولادك في حياتك، البطولة أن ينضبطوا في غيبتك وبعد مماتك، معنى ذلك لقد ربيتهم تربية عميقة.

((علموا ولا تعنفوا))

[أخرجه الحارث عن أبي هريرة]

إياك أن تستعمل القمع في التربية، القمع ما دمت معهم منقمعون، لكن إذا تركتهم، أو غبت عنهم يتفلتون، ما دمت في حياتك منضبطون، فإذا غادرت الحياة الدنيا يتفلتون، فلذلك البطولة لا أن تقمع بل أن تقنع.

((علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف))

[أخرجه الحارث عن أبي هريرة]

سبب تسمية الأقارب بالأرحام:

قيل: ما سبب تسمية الأقارب بالأرحام ؟ قال بعض العلماء: هذه التسمية مشتقة من اسم الرحمن، والرحمن عند بعض العلماء اسم الله الأعظم.

(ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)

(سورة الإسراء الآية: 110)

أيها الأخوة، هناك بعض الأحاديث القدسية:

((قال الله عز وجل: " أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم عن عبد الرحمن بن عوف]

أعرف شابان ؛ الأول يبالغ في صلة الرحم، عنده خمس أخوات بنات، هذه على وشك الولادة يعطيها عشرة آلاف، هذه تحتاج إلى كسوة زوجها فقير، يعمل لها كسوة كاملة، لا يترك أختاً إلا ويبرها، سبحانك يا رب ! الذي يصل رحمه ببحبوحة كبيرة جداً، والأخ الثاني لا يقل عنه ذكاء يعاني ما يعاني من الفقر.

صلة الرحم أحد أسباب زيادة الرزق:

بالمناسبة يا أخوان أحد أسباب زيادة الرزق صلة الرحم.

((فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم عن عبد الرحمن بن عوف]

مثلاً: قد تدعى إلى بيت من أثرياء البلد، تلبي الدعوة فوراً، غير ترتيب، جلسة راقية، ضيافة راقية، لك أخت بآخر البلد الوصول لها يستغرق ساعتين بالباص، تنساها، ويمضي شهر و آخر، وسنة، و لا تزورها، هل تصدق أن زيارة هذه الأخت البعيدة الفقيرة من عمل الآخرة ؟ وأن زيارة هذا الإنسان الغني من عمل الدنيا ؟ أنت لا تعرف لو زرت أختك ما الذي يحصل ؟ تنتعش، تقول لزوجها: جاء أخي اليوم، إذا قال لها كيف صحتك يا أختي إن شاء الله بخير ؟ نحن مشتاقون لك، كيف الأولاد ؟ كيف دراستهم ؟ كيف صحتهم ؟ إذا كنت ميسوراً تحضر معك قليلاً من الهدايا، فواكه، أشياء بحاجة لها، مساعدة تساعدهم، والله الذي لا إله إلا هو أنا أرى أن هذا من أعظم الأعمال.

أنا لي أخ في الله طبعاً، أظنه صالحاً ولا أزكي على الله أحداً، مرة كان عند أخته، طرق الباب، فإذا بصياح بين الزوج وزوجته، طبعاً فتحوا له و عندما دخل سكتوا، ما القصة ؟ قالت له: أطلب منه ثلاثمئة ليرة بالشهر كسوة الأولاد و لا يعطيني، فصار في خصومة، والأخ والله دخله محدود، قال لها: أختي الثلاثمئة ليرة تأخذيهم مني، قال لي: والله ستة أشهر كل أول شهر أطرق الباب هذه الثلاثمئة، حسب ما وعدتك، قال لي: بعد ستة أشهر صار هناك ود بالغ بيننا، لأنه كل شهر يعطيها ثلاثمئة ليرة ـ طبعاً القصة قديمة الآن لا يعملون شيئاً ـ بعد ستة أشهر قالت له: اعمل لنا درساً، هو طالب علم عادي،

أي مهندس، فرح، فعمل لبنات أخته درساً أسبوعياً، قال لي: أحضر لهم آية أو آيتين، حديث شريف، أو قصة عن صحابي، وأتعب على الدرس، وألقيه عليهم، قال لي: خلال سنة أو سنتين، البنات كلهن تحجبن، ومعظمهن تزوج، قلت: يا رب ! ثلاثمئة ليرة بالشهر، على ستة أشهر صار هناك ود، طلبت أخته درساً أسبوعياً، عمل لهم درساً و وجههم توجيهاً جيداً، ما هذا الخير ؟!.

كل عمل صالح يجعل الإنسان يتألق و يشعر بسعادة لا توصف:

والله أمامكم يا أخوان خيرات لا يعلمها إلا الله، زر أختك، اجبر خاطرها، يزورها بعد عدة أيام فيقول لها: كيف يسعكم هذا البيت ؟ هي مسرورة من زوجها، والبيت راضية به، وراضية عنه، وزوجها موظف، يكرهها بحياتها، هذا البيت لا يسكن، هذا علبة وليس بيتاً.

((وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً))

[الترمذي عن أبي هريرة]

مثلاً: زرت أختك، وهي ساكنة ببيت متواضع يقدر بستين متراً، وزوجها موظف مستقيم، طاهر، صاحب دين، تحبه ويحبها، يا أختي الله يهنئك بزوجك، والله أخلاقه عالية جداً، أدام الله الود بينكم، أنا أحترمه كثيراً، يروح، تستقبل زوجها استقبالاً آخر، أقنعها بزوجها، يستطيع هذا الأخ نفسه ما هذا البيت ؟ يليق فيك غير هذا الزوج، كلمة من الشيطان.

((إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً))

[الترمذي عن أبي هريرة]

يمكن أن يزور أخته و يطيب قلبها، هنأك الله على هذا الزوج، أنا أحترمه كثيراً، فهو صاحب دين مستقيم، شريف، فهي ترتاح، لا تعرف كم هو الأثر الذي يحصل من صلة الرحم، تفتخر أمام زوجها اليوم جاء أخي لعندي، وإذا معك هدية جبر خاطر، أسرة دخلها محدود، اقترب الشتاء يحتاجون إلى وقود، أمنت لها الوقود، أمنت لها ولأولادها الألبسة.

والله يا أخوان بالأعمال الصالحة يوجد سعادة لا توصف، الناس يبحثون عن سعادة بالأكل، والشرب، والنزهات، وغاب عنهم أن كل عمل صالح يجعلك تتألق، لا تستحي من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه.

للقرابة ميزة رائعة و هي الثقة فعلى الإنسان أن يستغلها في الدعوة إلى الله:

إذاً الصلة لا تعني أن تهيئ بطاقة بالعيد وإن شاء الله لا أجدهم، لا، ليست هذه الصلة، الصلة أن تزورهم، وأن تلتقي بهم، وأن تجلس معهم، و أن تتفقد شؤونهم المعيشية، والتربوية، والعلمية،

والاقتصادية، وأن تمدهم بعون منك، ثم تأخذ بيدهم إلى الله، هذه الصلة، وهي من أعظم الأعمال الصالحة.

أخواننا الكرام، بكل وضوح أنت لا تستطيع أن تحاكي إنساناً بالطريق لا تعرفه و تقول له: امش معي إلى الجامع ؟ تستطيع ؟ يخاف منك، أما تستطيع أن تقول لأخيك هذا، أخوك واثق منك، أخوك، ابن عمك، ابن خالتك، لذلك قال تعالى:

(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)

(سورة الشعراء)

فبالقرابة ميزة وهي الثقة، ابن خالتك زارك، امش إلى الجامع، لا يخاف منك، أما إذا كان لا تعرفه يقول: لا أريد الذهاب.

فأنت يجب أن تستغل هذه الثقة من الأقارب، والأساس بالقضية

(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)

والله يا أخوان عندي أخ بالجامع أنا معجب به كثيراً، غير متعلم، أحب أن يكون داعية، ماذا فعل ؟ اشترى أشرطة وبدأ يوزعهم على أقربائه، وكتب أن هذا أخذ شريطاً، و بعد أن يسمعه يأخذه منه و يعطيه آخر، و بهذه الطريقة أحضر إلى الجامع عشرين إنساناً، لا يستطيع أن يتكلم ولا كلمة، لكن يستطيع أن يوزع شريطاً.

فإذا تأثرت بدرس ما خذ شريطه، أعطِه لأقربائك ودعهم يوزعونه فيما بينهم، هذه صلة الرحم دعوة إلى الله، خدمة، عمل صالح.

مرة ثانية: الناس أنت لهم، وغيرك لهم، أما أقرباؤك من لهم غيرك ؟ والنبي عليه الصلاة والسلام عندما قال:

((بلِّغُوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

كيف ؟ أي أنت سمعت خطبة تأثرت بها خذ شريطها، زرت أختك اسمعوا هذا الشريط، هل تصدق أن هذه دعوة إلى الله، دعوة كاملة، فأخذت الشريط، بعد عدة أيام أخذته أختك الثانية، أختك الثالثة، شريكك بالعمل، جارك، زميلك، الخطبة سمعها مئة إنسان، طبعاً سمعها إنسان مع أهله، هذه دعوة إلى الله.

((بلِّغُوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

الدعوة إلى الله فرض عين في حدود ما تعلم و مع من تعرف:

والدعوة إلى الله فرض عين، طبعاً الآية الكريمة:

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

(سورة العصر)

أي بصراحة في صلة الرحم على الأغنياء أن يبدؤوا بزيارة الفقراء، الفقير مكسور، أنت غني، زره، تودد إليه، اجلس في بيته.

مرة زرت أخاً خجل مني جداً، لأن غرفة الضيوف لا تتسع إلا لشخصين أو ثلاثة، قلت له: من أنت أمام رسول الله ؟ كان إذا أراد أن يصلي الليل لا تكفي غرفته الصغيرة لصلاته ونوم زوجته، فكانت تنزاح يميناً حتى يسجد، وهو سيد الخلق، وحبيب الحق.

فأنت تطيب قلوب الناس أو تكرههم بحياتهم.

((من فرق فليس منا))

[أخرجه الطبراني عن معقل بن يسار]

الحديث عن الدنيا يفرق والحديث عن الآخرة يجمع:

أخواننا الكرام، بالمناسبة الحديث عن الدنيا يفرق، والحديث عن الآخرة يجمع، الآن بالأعياد زيارات، موضوع الحديث، والله ذهبنا إلى اللاذقية، أسعار كاوية، نزلنا بثلاثين ألفاً، غير معقول ! تكلم أمام إنسان موظف، معاشه عشرة آلاف، دفع ثلاثين ألفاً بيومين، ألا يتألم ؟ الحديث عن الدنيا يفرق، والحديث عن الآخرة يجمع.

بطولتك أيها المؤمن أن تؤلف القلوب، أن تتحدث عن علام الغيوب، أن تتحدث عن الجنة، هذه متاحة للجميع، تكلم بكلام يستطيعه كل الناس، كل واحد يستطيع أن يصلي، احكِ عن الصلاة، عن العمل الصالح، عن التوبة، عن الإنفاق، حدث حديثاً لا يشعر السامع أنك فوقه بكثير، هذه البطولة، هذه الأخلاق العالية.

والله أحياناً ألتقي مع أغنياء، والله تشتهي الغنى من أخلاقهم العالية، من تواضعهم، ومن أدبهم مع الفقير.

لن تستطيع أن تربي ابنك على صلة الرحم إلا أن تصل أنت الرحم أمامه:

نحن درسنا عن تربية الأولاد، إن أردت أن تربي ابنك على صلة الرحم الطريقة الفعالة أن تصل أنت رحمك أمام ابنك، بابا امش سنزور الجدة، دخلت قبلت يدها، معه هدية، ابنك ينظر، أبوه زار أمه، أي جدته، وقبّل يدها، وكيف صحتك يا ماما ؟ وخدمها بالبيت، و أحضر معه لها أكلة طيبة، الله يرضى عليك، وينولك مرادك، واشتقت لكم يا بني، يسمع الابن، هذه صلة الرحم، فإذا أنت عملت عملاً صالحاً خذ ابنك معك، أو زرت الوالدة، أو الوالد، الجد و الجدة، أنت لا تستطيع أن تربي ابنك على صلة الرحم إلا أن تصل أنت الرحم أمامه.

المهمة التي تترتب على الآية التالية هي أن تسأل أنت عن الذي يستحق عطاءك وتتفقده:

أيها الأخوة، الله عز وجل قال:

(لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ)

(سورة البقرة الآية: 273)

من هو الذي يستحق أن تساعده ؟ الذي لا يسألك، صاحب النفس العزيزة هذا يجب أن تبحث عنه. أخواننا الكرام، هناك موضوع دقيق جداً، يقولون في بعض القواعد الفقهية: ما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، مثلاً الله عز وجل يقول لك:

(لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً)

(سورة البقرة الآية: 273)

من هو الإنسان القريب الذي ينبغي أن تساعده ؟ الأنيق ؟ طبعاً المؤمن أنيق، ونظيف، وبيته مرتب، لا يسألك، وعزيز النفس، كيف الصحة ؟ الحمد لله، الوضع العام ؟ الحمد لله، هذا لا يسألك، هذا الذي يستحق عطاءك، إذاً أنت ما المهمة التي تترتب على هذه الآية ؟ أن تسأل أنت عنه، أن تتفقد شؤونه.

بطولة الإنسان أن يساعد عزيز النفس الذي يستحق العطاء:

أنا والله أحياناً لي قريب مثلاً مستور، عزيز النفس، أستحلفك بالله أعليك دين ؟ يخجل، أستحلفك بالله أعليك دين ؟ يقول لي: نعم والله، كم ؟ ما دام الذي يستحق العطاء لا يسأل هذا سماه الله عز وجل محروماً.

(وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)

(سورة المعارج)

من عزة نفسه لا يسأل، فيحرم، فأنت من بطولتك مع أقربائك الفقراء أن تستحلفه أعليك دين ؟ لا يتكلم، بصعوبة بالغة، هذا الذي يستحق مساعدتك، فإذا وصلته وصلك الله، وإذا كان في الإسلام شيء اسمه ضمان اجتماعي فهو على أساس النسب، وعلى أساس السكن، والأحاديث والآيات المتعلقة بحسن الجوار كثيرة جداً، والأحاديث والآيات المتعلقة بصلة الأرحام كثيرة جداً.

صلة الأرحام من أرقى العبادات التعاملية:

فاليوم الدرس عن كيف تربي ابنك على صلة الرحم ؟ ينبغي أن تصل الرحم أمامه، وصدقوا ولا أبالغ هناك مئات الأسر لا يوجد كلام بينهم وهم بالمحاكم.

فلذلك المجتمع لا يرقى إلا بهذه العبادة، من أرقى العبادات التعاملية صلة الأرحام.

الآية الكريمة الأصل في هذا الموضوع:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ)

(سورة النساء الآية: 1)

أي اتقوا الله أن تعصوه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها.

أيها الأخوة، قال تعالى من باب النهي:

(فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ)

(سورة محمد)

والله أعرف إنساناً يتمتع بثروة طائلة ليس في بيت أمه ماء، تحمل الماء قديماً بالدلو إلى البيت، وأقامت عليه دعوى نفقة، وهي أمه، وهناك أسر والحمد لله الود، والتواصل، والتراحم، شيء يلفت النظر، وأنا والله أحترم من أعماق أعماقي كل أسرة فيها تواصل حتى بعد موت الأب والأم.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (34-36) : التربية الاجتماعية -15- صلة الرحم -2-

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-05-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

القدوة من الوسائل الفعالة في تربية الأولاد:

أيها الأخوة الكرام، لا زلنا في التربية الاجتماعية، ولا زلنا في موضوع صلة الرحم.

وكمقدمة لابدّ منها أقول: لا بدّ من أن يعلم الأب أولاً الواجبات تجاه الرحم، إذا أداها كان هذا الأداء أكبر تعليم لأولاده.

نحن نؤمن أن أداء الوسائل الفعالة كثيرة يأتي على رأسها من دون استثناء القدوة، فحينما يرى الابن أباه يتفقد أمه، ويزورها بأوقات متقاربة، ويقدم لها كل آيات الاحترام والخدمة، هذا أكبر تدريس للأبناء لصلة الرحم، أنا لا أؤمن بالتعليم النظري، التعليم العملي أبلغ.

والفرق الكبير بين المصلحين الاجتماعيين، وبين الأنبياء المرسلين، أن الأنبياء تطابقت أقوالهم مع أفعالهم، فجاءت تأثيراتهم معجزة، بينما أي إنسان امتهن التدريس، قد يتحدث بالكمال لكن ليس هو بمستواه، فحينما يكتشف المتعلم أن هناك مسافة كبيرة بين الأقوال والأفعال تسقط الدعوة، وينتهي التعليم.

فلذلك مرة التقيت بأحد أكبر الدعاة في مصر ـ توفي رحمه الله ـ سألته عن كلمة نوجهها للدعاة، فقال بشكل موجز: ليحرص الداعية ألا يراه المدعو على خلاف ما يدعو.

فلذلك أنا حينما أتحدث الآن عن بر الآباء والأمهات، وعن صلة الأرحام، من أجل أن يكون هذا نموذجاً يحتذيه الأب، ليكون تعليمه لأولاده في أعلى مستوى.

اللقاء السابق تحدثنا عن حقيقة هذه الصلة.

صلة الأرحام من لوازم الإيمان بالله و اليوم الآخر:

الآن نتحدث عن ثمار هذه الصلة، أولاً يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان البخاري ومسلم:

((مَن كَانَ يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيُكرِم ضَيْفَهُ، وَمَن كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فليصل رحمه))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

عجيب ! ربط النبي عليه الصلاة والسلام هذه الفضيلة، هذه الطاعة، هذه العبادة التعاملية ربطها بالإيمان، أي أنه من لوازم الإيمان صلة الأرحام، فإذا وجدت إنساناً يدعي أنه مؤمن، ويقطع رحمه، ففي إيمانه شك، ربط النبي صلى الله عليه وسلم صلة الأرحام بالإيمان.

((.... وَمَن كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فليصل رحمه، وَمَن كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيَقُلْ خَيْرا أو لِيَصْمُتْ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

إذاً إكرام الضيف، وصلة الأرحام، وضبط اللسان هذه الأشياء الثلاثة ربطها النبي العدنان بالإيمان. لذلك حينما قال عليه الصلاة والسلام:

((وَمَن كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فليصل رحمه))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

هو رفع العبادة التعاملية إلى أعلى مستوى، أي هذا الأب، وهذه الأم، وهؤلاء الأقارب الذين هم حول من كان سبب وجودك لا بدّ من أن تكافئهم بصلة.

صلة الرحم أساسها الزيارة ثم التفقد ثم المساعدة ثم الدعوة إلى الله:

وفي الدرس السابق، واللقاء السابق، بينت لكم أن هذه الصلة خلافاً لمن يتوهمها معظم الناس أن تطرق بابه في العيد وتتمنى ألا تجده، وهيأت البطاقة، ليست هذه الصلة لا من قريب ولا من بعيد متعلقة بتلك الصلة التي أمرنا بها، هذه الصلة أساسها الزيارة، ثم التفقد، ثم المساعدة، ثم الدعوة إلى الله.

زيارة، فتفقد الشؤون المعاشية، التربوية، العلمية، الاجتماعية، ثم تقديم ما تستطيع لهؤلاء الأقارب وبعدئذٍ تأخذ بيدهم إلى الله عز وجل.

على الإنسان أن يستغل الثقة الموجودة بين الأقارب لهدايتهم إلى الله تعالى:

هناك نقطة دقيقة جداً، حينما قال الله عز وجل:

(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)

(سورة الشعراء)

لِمَ بدأ الله بعشيرة النبي الأقربين ؟ أوضح مثل: أنت في الطريق تمشي، قرب هذا المسجد هل تستطيع أن تقول لشخص يمشي لا تعرفه اذهب معي إلى المسجد ؟ لا يعرفك، يتوجس منك خيفة، لكن بإمكانك أن تقول لأخيك، لابن أخيك، لجارك، لقريبك، لصهرك، لابن عمك، لابن عمتك، لابن خالتك، لابن خالك، اذهب معي، القرابة فيها ثقة.

فأنت ينبغي أن تستغل هذه الثقة التي هي موجودة بين الأقارب:

(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)

أنا أقول دائماً: ما إن تستقر حقيقة الإيمان في قلب المؤمن إلا وتعبر عن ذاتها بحركة نحو الآخرين، إناء إذا امتلأ لا بدّ من أن يفيض على من حوله، وإذا امتلأت إيماناً لابدّ من أن تفكر أن تأخذ بيد من حولك إلى الله ورسوله.

إذاً ربط النبي صلى الله عليه وسلم هذه العبادة التعاملية، هذه الصلة ربطها بالإيمان.

وعند بعض علماء الحديث أن التوجيهات النبوية التي رُبطت في الإيمان تعد في أعلى مستوى.

من ثمار صلة الرحم:

1 ـ سعة الرزق:

أيها الأخوة، الثمرة الثانية من ثمار صلة الرحم: سعة الرزق.

دقوا أيها الأخوة: كل إنسان بحكم حياته وعلاقاته يصل إلى سمعه قصص كثيرة، أعرف أشخاصاً كثيرين على أعلى درجة من صلة الأرحام، والله رزقهم متميز، أعرف شخصاً و أنا على اتصال متين به، له أخوات عدة، يتفقد أخواته على المدارس، يقدم مساعدة لهذه الأخت، الثانية تحتاج إلى عملية قلب يساعدها على حسابه، الثالثة زوجها مسافر يتولى شؤونها، هذا الإنسان يتفقد جميع أخواته البنات و المتزوجات، وكان بإمكانه أن يقول: هذا شأن أزواجكن، وله رزق كبير جداً.

((يا بن آدم، أنفقْ أُنفِقْ عليك))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

((أنفق بلالُ ولا تخش من ذي العرش إقلالاً))

[أخرجه الطبراني عن بلال رضي الله عنه]

لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه))

[الشيخان عن أنس]

هذا كلام النبي.

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى)

(سورة النجم)

وسيدنا سعد بن أبي وقاص يقول: " ثلاثة أنا فيهن رجل، وفيما سوى ذلك أنا واحد من الناس، ما سمعت حديثاً من رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا علمته أنه حق من الله تعالى ".

النبي الكريم يعدكم إن وصلتم أرحامكم بزيادة الرزق، ثمرة كبيرة.

2 ـ طول العمر:

لكن الثانية: بطول العمر عليها إشكال بالتفسير، بربكم إذا رجل من كبير علماء الجزائر "عبد الحميد بن باديس" هذا عاش خمس و أربعين سنة، استطاع أن يوضح الحقائق، وأن يعطي الشعب الجزائري بعده الديني، وأن يقف أمام فرنسا، هو أحد أسباب الاستقلال، كم سنة عاش ؟ عاش خمس و أربعين سنة.

الإمام النووي عاش أقل من خمسين سنة، الشافعي أقل من خمسين سنة، فالعمر قيمته بمدته الزمنية أم بإنجازاته الكبيرة ؟.

أوضح مثل: إنسان فتح محله التجاري باع بساعة مليون ليرة، و آخر فتح محله النهار بكامله باع بمئة ليرة، الوقت له قيمة، نقول: قيمة الوقت بمضمونه، فالساعة مع مليون أفضل ألف مرة من عشر ساعات مع مئة ليرة.

فالعبرة عمرك يزداد غنىً في العمل الصالح.

لذلك اعتقد يقيناً أن الغنى غنى العمل الصالح، وأن الفقر فقر العمل الصالح، وأن ابنتي سيدنا شعيب حينما سقى لهما سيدنا موسى قال:

(رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)

(سورة القصص)

إذاً العمر يطول بالعمل الصالح.

طول العمر يكون بغنى المضمون لا بامتداد الزمن:

نحن نعتقد يقيناً أن كل واحد منا له أجل لا يتقدم ساعة ولا يتأخر، ولكن كيف نفسر قول النبي الكريم:

((من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ ـ يؤخر ـ له في أثره ـ أي في عمره ـ فليصل رحمه))

[الشيخان عن أنس]

نقول: طول العمر بغنى المضمون، لا بامتداد الزمن، والله أحد الأخوة الكرام حدثني مرة فقال: اتصلت بي أختي، و قالت: أنا مضطرة لخمسة آلاف ليرة، أقسم لي بالله لا يملك إلا خمسة آلاف ليرة، وعليه أعباء كثيرة جداً، دخل في صراع، قال لها: بعد ساعة أعطيك الجواب، فكر، جمع، طرح، قسم،

مضطر للخمسة آلاف جداً، وأخته غالية عليه وطلبت خمسة آلاف لأمر قاهر، بعد الصراع الذي دخل فيه انتصر على نفسه واتصل بها وسلمها الخمسة آلاف ليرة، قال لي: نزلت إلى المحل، جاءه إنسان من بلد عربي، هو عمله بسوق الغذائيات، قال له: عندك قمر الدين ؟ قال له: لا والله، قال له: دلني أين يوجد قمر الدين ؟ اتصل بمعمل، قال له: هناك شخص يريد قمر الدين سأبعثه لك، قال لي: مساءً بُعث لي ظرف فيه عشرة آلاف ليرة، أي يبدو أن الشخص الذي أرسلته له قد اشترى كمية كبيرة، فأحب البائع أن يكرم هذا الذي ساق له هذا الإنسان، قال لي: مساء كانوا الخمسة آلاف معي، وخائف عليهم، وقد صاروا عشرة.

أبداً، حينما تصل رحمك انتظر من الله كرماً، الإكرام المادي.

من أنفق على أرحامه زاد الله في رزقه:

أخواننا الكرام، نحن عندنا مشكلة، أحياناً نقرأ الحديث، لكن قد لا نأخذ نصوصه الدقيقة على محمل الجد، أنت حينما تنفق على أرحامك فالله سبحانه وتعالى يزيد لك في رزقك.

أخ آخر له صديق، يعمل يومياً بعمل يدوي بالبيع، فأصيب بانزلاق في أحد فقرات عموده الفقري، فالطبيب أمره أن يستلقي على الفراش شهراً، قال لي: قدمت له مصروفه ـ القصة قديمة من عشر سنوات ـ قدم له عشرة آلاف، لم يتحسن قال له الطبيب: تريد شهراً آخر، قال لي: قدمت له عشرة آلاف ثانية، القصة غريبة جداً، هو يتعامل مع شركات أجنبية بحسب القانون يجب أن يصرف العملة الأجنبية في المصارف السورية، قال لي: وقفت بصف طويل وصلت إلى النافذة، جاء هاتف أن أعطوه سعر الدول المجاورة، و هو أول شخص يستفيد من هذا العطاء، قال لي: ربحت أربعين ألفاً زيادة، بعدما قبضت المبلغ جاء هاتف ثان أن أوقفوا العمل، قال لي: والله قصة تكاد لا تصدق، صف طويل وصلت للنافذة جاء هاتف أن أعطوه سعر الدول المجاورة، فصرفوا لي هذا المبلغ بالعملة الصعبة بسعر الدول المجاورة، قال لي: الزيادة عما أستحق بالسعر المألوف أربعين ألفاً، بعدما أدرت ظهري قالت له الموظفة: لم ينتفع غيرك، أنت لوحدك، جاء هاتف آخر عودوا إلى ما كنتم عليه.

الله يريك أنك إذا دفعت لشخص عشرين ألفاً، وأنت لست ميسوراً، وأنت في ضائقة، لكن يوجد إنسان بقي بلا طعام، ولا شراب، أمنت له دخلاً ـ هو قريبه ـ أول شهر وثاني شهر.

قصص من هذا النوع لا تعد ولا تحصى، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسئ له في أجله فليصل رحمه))

[الشيخان عن أنس]

3 ـ تدفع عن الواصل ميتة السوء:

شيء آخر: أحد أكبر النتائج أن صلة الرحم تدفع عن الواصل ميتة السوء، أنا العبد الفقير لي مركز عمل، مرة في اتجاهي إلى مركز عملي، وجدت أمام قصر العدل جثة مغطاة بقماش، يبدو أنه مات في الطريق، فغطوه بقماش وهم بانتظار الطبيب الشرعي، ذهبت إلى مكتبي وجلست فيه أربع أو خمس ساعات أو ثمانية ساعات، وعدت من الطريق نفسه فإذا هذه الجثة كما هي، لم يأتِ الطبيب الشرعي بعد في الطريق، إنسان يموت ببيته، بين أولاده، بين أحبابه، غير ترتيب، في الطريق !.

لكن والله مرة كنت في تعزية لا أنسى هذا الموقف، كان إلى جانبي أحد علماء دمشق الكبار، جريء، مخلص، فخرج من التعزية، مشى متراً، شاب معه سيارة لا يعرف اسمه، لأنه من أهل العلم، وثيابه ثياب علم، قال له: استأذنا أوصلك إلى البيت ؟ قال له: بارك الله بك، إذا أردت، خرج من بيت التعزية بعد مترين أخذه هذا الأخ الكريم لا يعرف اسمه، لكن عرفه من هيئته، هيئته العلمية، أوصله إلى بيته، أنا أعرف بيته بالضبط، صعد أربعة طوابق، دخل إلى البيت، خلع الجبة واللفة، وتوجه لغرفة النوم، واضطجع وسلم روحه إلى باريها، هذا الإنسان لو لم يأت هذا الشاب، ويأخذه بعد متر من بيت التعزية، لمات في الطريق، أخذ إلى البراد، انظر إلى ترتيب الله عز وجل، مات بفراشه الوقت محسوب بالدقائق، من بيت التعزية، إلى بيته، أربعة طوابق، فتح الباب دخل واستلقى على الفراش، وسلم روحه إلى بارئها، يقول لي ابنه: أنت آخر من كلمه، بعدما جلست معه لم يكلمه أحد.

صنائع المعروف تقي مصارع السوء:

إذاً: صلة الأرحام تقي ميتة السوء، إنسان يموت بين أهله، بين أولاده، بين بناته، معزز، مكرم، محتفى به، وإنسان يموت بالطريق.

إنسان ادعى النبوة بالهند أنه خاتم الأنبياء، لا تعني أنه آخر الأنبياء، تعني شيئاً آخر، فهو النبي، وكان هناك مرض أنفلونزا منتشر انتشاراً كبيراً، وقال: لأنه نبي لن يصاب بهذا المرض، أصيب بهذا المرض ومات بالمرحاض، قصة مشهورة، مات بالمرحاض.

لذلك العمل الصالح في حديث آخر:

((صنائع المعروف تقي مصارع السوء))

[أخرجه الطبراني عن أبي أمامة الباهلي]

طبعاً الدليل:

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ)

(سورة الجاثية الآية: 21)

هذا كلام، أنا أخاطب الشباب الآن، أي لا يوجد آية تملأ قلب الشاب طمأنينة كهذه الآية،

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

في الدنيا جنة من لم يدخلها لن يدخل جنة الآخرة:

الآن:

(سَوَاءً مَحْيَاهُمْ)

الحياة في الدنيا.

(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)

(سورة الرحمن)

جنة في الدنيا، وجنة في الآخرة، بيته، زواجه، أولاده، سمعته، مكانته، أعماله الصالحة، أصله الطيب.

الآن:

(مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ)

والله أعرف رجلاً محسناً كبيراً، كبير جداً وعاش للثمانية و الثمانين، أين مات ؟ مات ليلة القدر، وهو يقرأ القرآن، وقبل أشهر أحد العلماء في دمشق مات وهو في المسجد يؤدي صلاة الجمعة، مات في المسجد، تجد إنساناً يموت و هو ساجد، أو يصلي، أو بالمسجد، و آخر يموت بالمرحاض، مصارع السوء،

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ)

(سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

(سورة الجاثية)

4 ـ تعمر الديار و تثمر الأموال:

قال: هذه العبادة الاجتماعية، هذه الصلة ـ صلة الرحم ـ تعمر الديار، وتثمر الأموال، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((إن الله ليعمر بالقوم الديار، ويثمر لهم الأموال، قيل: وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال: بصلتهم أرحامهم))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

تعمر الديار وتثمر الأموال.

5 ـ تغفر الذنوب وتكفر الخطايا:

الآن هذه الصلة، وهذه العبادة الاجتماعية تغفر الذنوب وتكفر الخطايا:

((أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله أذنبت ذنباً كبيراً فهل لي من توبة ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألك والدان ؟ قال: لا، قال: ألك خالة ؟))

بالمناسبة الخالة أم، والعم أب، بجو المؤمنين الخالة كالأم، والعم كالأب.

((ألك والدان ؟ قال: لا، قال: ألك خالة ؟ نعم، قال: فبرها))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

أي الله عز وجل يكفر ذنبك بخدمة خالتك، ببرها يغفر ذنبك.

6 ـ تيسر الحساب وتدخل صاحبها الجنة:

من ثمار صلة الرحم، أن صلة الرحم تيسر الحساب وتدخل صاحبها الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال:

((ثلاث من كن فيه حاسبه الله حساباً يسيراً وأدخله الجنة برحمته. قال: ما هن يا رسول الله ؟ بأبي أنت وأمي. قال: تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك. قال: فإذا فعلت هذا يدخلك الله الجنة))

[أخرجه الطبراني عن أبي هريرة]

على الإنسان أن يشجع على هذه العبادة التعاملية الاجتماعية و يجعلها واقعاً:

لذلك أيها الأخوة، من الأحاديث التي تقصم الظهر:

((لا يَدْخُلُ الجنة قاطع رحم))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن جبير بن مطعم]

أيها الأخوة، الاقتراح، بعد هذه الأحاديث التي تشجع على هذه العبادة التعاملية الاجتماعية، ماذا ينبغي أن نفعل ؟ إن كان للإنسان أولاد أخ، أو بنات أخت، و جمعهم كل أسبوع مرة، وألقى عليهم درساً لطيفاً محضراً جيداً، شرح آية، حديث، قصة عن الصحابة، هناك ود، هذا نوع من الصلة، أنت اعمل عملاً صالحاً هذا العمل الصالح مع أهلك، مع أقربائك، وليكن عملاً دعوياً بسيطاً، لا يوجد واحد منا إلا و يستطيع أن يهيئ حديثاً، أو حكماً فقهياً، أو قصة عن الصحابة، فإذا بلغهم، وكان لطيفاً معهم، وأكرمهم، صار في دعوة لله عز وجل.

النبي عليه الصلاة والسلام يقول: يا علي:

((فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ))

[متفق عليه عن سهل بن سعد]

هذه رواية.

الرواية الثانية:

((خير له مما طلعت عليه الشمس))

[أخرجه الطبراني عن أبي رافع]

الرواية الثالثة:

((خير لك من الدنيا وما فيها))

[تخريج أحاديث الإحياء للعراقي]

أنا دخلت الآن إلى التطبيقات العملية، هل يوجد إنسان ليس له أقرباء ؟ ليس له أخوة ؟ أخوات بنات وعندهم أطفال صغار ؟ أنت شاب، بالصف العاشر، أو الحادي عشر يمكن أن تهيئ درساً لنصف ساعة، آية سمعتها يوم الجمعة، حديثاً لطيفاً من كتاب رياض الصالحين، قصة عن صحابي سمعتها، تأثرت بها، أجمع أولاد أختي، أولاد أخي الصغار، أؤمن لهم ضيافة، وأكلات طيبة، و أكلمهم عن الله عز وجل، فأنت بهذه الطريقة تواصلت مع أختك، ومع أولادها، ومع بناتها، بهذه الطريقة تكون قد ترجمت هذه العبادة الاجتماعية وجعلتها واقعاً.

7 ـ ترفع الواصل إلى الدرجات العلا يوم القيامة:

ومن ثمار هذه العبادة الاجتماعية الراقية، قال: صلة الرحم ترفع الواصل إلى الدرجات العلا يوم القيامة، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات ؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: تحلم عن من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك))

[أخرجه البزار عن عبادة بن الصامت]

المعاملة بالمثل لا تدخل في حسابات المؤمن:

لكن لابدّ من توضيح دقيق جداً، التوضيح أساسه ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم:

((ليس الواصلُ بالمكافئ))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

زارك تزوره، قدم لك هدية تقدم له هدية، ما زارك لا تزوره، ما دعاك لا تدعوه، دعاك إلى وليمة تدعوه إلى وليمة، هذه المعاملة بالمثل ليس لها علاقة بدرسنا إطلاقاً، كل إنسان يعملها، المعاملة بالمثل.

((ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكن الواصلُ مَنْ إذا قطعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

الشيء الدقيق جداً أن المعاملة بالمثل لا تدخل في حسابات المؤمن، أي يصل من قطعه، ويعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه.

من دلائل الإخلاص أن تكون خشيتك لله في بيتك وأمام الناس واحدة لا تختلف:

لذلك هناك حديث دقيق جداً، يقول عليه الصلاة والسلام:

((أَمَرَنِي رَبِّي بِتِسْعٍ ؛ خَشْيَةِ الله في السِّرِّ والعلانية))

[أخرجه زيادات رزين عن أبي هريرة]

أحد دلائل الإخلاص أن تكون خشيتك لله في بيتك وأمام الناس واحدة لا تختلف، أي عبادتك، استقامتك، ورعك لا يختلف بين أن تكون بين الناس، أو أن تكون في البيت وحدك، أي المؤمن خلوته كجلوته، وسره كعلانيته، وظاهره كباطنه.

((خَشْيَةِ الله في السِّرِّ والعلانية))

وهذا من علامات الإخلاص، لا يوجد عنده ازدواجية، لا يوجد عنده موقف معلن وموقف حقيقي، لا يوجد عنده موقف للاستهلاك الخارجي وحقيقة أخرى، لا يوجد عنده شخصيتين، ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً.

((خَشْيَةِ الله في السِّرِّ والعلانية))

بل إن بعض العلماء قال: من علامات الإخلاص ألا يختلف عملك في سرك وجهرك، ولا إذا أثنى الناس عليك أو إذا ذموك سيان.

(إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً)

(سورة الإنسان)

على الإنسان أن يكون موضوعياً في غضبه و رضاه:

الآن:

((وكلمة العدل في الغضب والرضا))

[أخرجه زيادات رزين عن أبي هريرة]

النبي الكريم كان يستعرض عقب موقعة بدر الأسرى، فإذا صهره بين الأسرى زوج ابنته أبو العاص، جاء يحاربه، قال: والله ما ذممناه صهراً، كان صهراً ممتازاً.

((وكلمة العدل في الغضب والرضا))

أي إنسان يخطب، يمدحونه لدرجة غير معقولة، أي لا يوجد بالشام مثله، الزواج يفسخ، يصبح يقع بالساعة، عنده أمراض نفسية، مديح الناس بالرضا غير معقول، وذمهم بالغضب غير معقول، أما أن تكون موضوعياً، والموضوعية قيمة علمية، وقيمة أخلاقية، بل إن العلم والخلق بقيمة الموضوعية.

((وكلمة العدل في الغضب والرضا))

وأنت غاضب تقول كلمة الحق، وأنت راضٍ تقول كلمة الحق.

((القصد ـ أن تقصد الله ـ في الفقر والغنى))

الإنسان من طبيعته البشرية إذا كان ببحبوحة ليس له علاقة بالدين، حينما تأتي الشدة يذهب إلى المسجد.

حدثني أخ، قال لي: والله باستنبول، أحياناً الظهر هناك صف واحد من المصلين فقط، عقب الزلزال، الحرم كله ممتلئ، والصحن ممتلئ، والصلاة على الرصيف، وبالطريق، بعد الزلزال طبعاً.

((والقصد في الفقر والغنى))

على المؤمن أن يغفر لمن أساء إليه:

البطولة:

((وأن أصِلَ مَنْ قطعَنِي))

قطعك، تصله، لم يأت لزيارتك تزره، لا يدعُك إلى عقد قران ابنه، تدعه أنت إلى عقد قران ابنك، قطعك فوصلته.

((وأن أصِلَ مَنْ قطعَنِي))

تحتاج إلى إدراك واسع جداً، وإلى نفس عالية جداً، أما المعاملة بالمثل لا فضل لك بها إطلاقاً. العالم كله الآن يقول لك: المعاملة بالمثل، ليس لك فيها فضل أبداً، أما:

((أمَرَنِي رَبِّي بتِسْع: خَشْيَةِ الله في السِّرِّ والعلانية، وكلمة العدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، وأن أصِلَ مَنْ قطعَنِي، وأعطي مَنْ حَرَمَنِي، وأعْفُوَ عَمَّنْ ظلَمَنِي))

تصور النبي الكريم فتح مكة، عشرة آلاف سيف متوهجة، تنتظر كلمة من شفتيه، وبإمكانه أن ينهي وجودهم، حاربوه عشرين عاماً، نكلوا بأصحابه، أخرجوه، قتلوا أصحابه، حاربوه في بدر، وأحد، والخندق، فلما فتح مكة، قال:

((قال: ما تظنوني أني فاعل بكم ؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء))

[السيرة النبوية]

((وأعطي مَنْ حَرَمَنِي، وأعْفُوَ عَمَّنْ ظلَمَنِي))

أحياناً أخ كبير يستولي على الإرث كله، يبقي أخوته بفقر شديد، أحياناً الله عز وجل يكرم أحد هؤلاء المحرومين فيجعله غنياً كبيراً، المؤمن يصل أخاه الذي حرمه.

((وأعطي مَنْ حَرَمَنِي))

أما الثلاثة الثالثات:

((وأن يكون صَمْتي فِكْرا، ونُطْقِي ذِكْرا، ونظري عبرة))

حديث رائع جداً.

((أمَرَنِي رَبِّي بتِسْع: خَشْيَةِ الله في السِّرِّ والعلانية، وكلمة العدل في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، وأن أصِلَ مَنْ قطعَنِي، وأعطي مَنْ حَرَمَنِي، وأعْفُوَ عَمَّنْ ظلَمَنِي، وأن يكون صَمْتي فِكْرا، ونُطقِي ذِكْرا، ونظري عبرة))

[أخرجه زيادات رزين عن أبي هريرة]

درء المفاسد مقدم على جلب المنافع:

لكن هناك تحفظاً واحداً على صلة الأرحام، طبعاً له خالة، وبنات خالاته، أو بنات خالته متفلتات، غير منضبطات، فذهب ليزور خالته، وجلس مع بنات خالته، وثيابهم فاضحة، وحدثهم، وضحكوا، أعجبته صلة الرحم، نقول له: دع خيراً عليه الشر يربو، نقول له: درء المفاسد مقدم على جلب المنافع، مثل هذه الصلة لا تجوز، لأن بنات خالتك أجنبيات، بنات عمك أجنبيات، فإذا كان هناك صلة معها اختلاط، معها إطلاق بصر، معها بداية شيء لا يرضي الله، دع خيراً عليه الشر يربو، درء المفاسد مقدم على جلب المنافع، هذا التحفظ لا بدّ منه، ماذا أفعل ؟ نمر على البيت، الخالة هنا ؟ أنا مستعجل يلزم أي خدمة ؟ أعمل اتصالاً هاتفياً، يلزم أي خدمة أنا جاهز، يمكن أن تزورها سريعاً دون أن تدخل إلى البيت، إذاً ينبغي أن تصل رحمك بطريقة لا تقع بمعصية لله عز وجل، هذا التحفظ لابدّ منه. مرة ثانية: دع خيراً عليه الشر يربو، درء المفاسد مقدم على جلب المنافع.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (35-36) : التربية الاجتماعية -16- الإحسان إلى الجار

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 09-05-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

الإحسان إلى الجار:

أيها الأخوة الكرام، لا زلنا في دروس تربية الأولاد في موضوع التربية الاجتماعية، وننتقل اليوم إلى موضوع خاص ألا وهو الإحسان إلى الجار.

وتلاحظون من خلال الدروس السابقة أن الأب بادئ ذي بدء يجب أن يعرف حقوق الجار، فإذا عرف حقوق الجار ورأى ابنه بأم عينه مودته لجاره، و إحسانه إليه، يستقي هذا بطريقة أكثر فعالية من طريقة التلقين.

دائماً وأبداً القدوة الوسيلة الأولى والفعالة في نقل المعرفة والخبرة، القدوة قبل الدعوة، وتلاحظون في الموضوعات أنا أتحدث عن حقوق الجار، هذا الكلام موجه للآباء أولاً وللأمهات، ثم أعقب بطريقة نقل هذه الخبرة، وهذه العبادة التعاملية إلى الأولاد.

التضامن الاجتماعي في الإسلام تضامن جغرافي وتضامن نسبي:

بالمناسبة عندنا مصطلح حديث اسمه التضامن الاجتماعي، التضامن الاجتماعي في الإسلام، كيف يكون ؟ يكون بطريقتين، بطريقة النسب، وبطريقة الجوار.

بطريقة النسب كما تحدثنا عن صلة الأرحام، وبطريقة الجوار عن حق الجار.

فأنت إنسان لك أخ، لك ابن عم، لك ابن خالة، لك قريب، لك صهر، هؤلاء أنسابك بكل أنواع النسب، من طرف الأب، أو من طرف الأم، و العلماء عدوا أربعين بيتاً من الجيران، أربعون من الشرق، أربعون من الغرب، أربعون من الشمال، أربعون من الجنوب، أربعون طابقاً لفوق، و أربعون طابقاً لتحت كما في اليابان، فصار عندك يمين، شرق، غرب، شمال، جنوب، أعلى، أسفل، هؤلاء جميعاً جيرانك.

فالتضامن بالإسلام تضامن جغرافي عن طريق حق الجار، وتضامن نسبي عن طريق صلة الأرحام.

الإحسان إلى الجار لا أن تكف الأذى عنه فقط بل أن تحتمل الأذى منه:

بادئ ذي بدء: لو أن لك جاراً ليس مسلماً، ولا يتبع ديناً سماوياً " هو مجوسي " فله حق عليك، حق الجار مطلقاً، فإذا كان هذا الجار مسلماً له عليك حقان، حق الجوار، وحق الإسلام، فإذا كان لك ابن عم وهو جار لك له عليك حقوق ثلاثة، حق الجوار، وحق الإسلام، وحق القرابة، تصور حقوق ثلاثة، الآن الجار يتفنن بإيذاء جاره، قديماً الجار يتفنن بإكرام جاره.

الأمير عبد القادر الجزائري، من كبار الأبطال في شمال إفريقيا، أُبعد إلى دمشق وأقام فيها، له جار فقير، اضطر إلى يبيع بيته، عرضه للبيت، دُفع له ثمن بخس فغضب أشد الغضب، وقال: والله لا أبيع جيرة الأمير بهذا المبلغ، جاء من أبلغ الأمير هذا الخبر، فاستدعاه الأمير وأعطاه المبلغ الذي دفع له ثمن بيته، وقال: هذا المبلغ لك وابقَ جارنا، وأنا لا أبيعك.

لذلك نحن نتوهم خطأ أننا إذا كففنا الأذى عن جارنا نكون محسنين، هذا من السذاجة، ليس الإحسان إلى الجار أن تكف أذاك عنه، ولكن الإحسان إلى الجار أن تحتمل الأذى منه، وهذا يذكرني بقوله تعالى حينما قال الله عز وجل:

(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)

(سورة النساء الآية: 19)

(وَعَاشِرُوهُنَّ)

وكل أمر في القرآن يقتضي الوجوب، هل تصدقون أن المعاشرة بالمعروف للزوجة لا تعني أن تكف الأذى عنها، أبداً، تعني أن تحتمل الأذى منها.

المؤمن مرتبة أخلاقية وعلمية و جمالية:

المؤمن مرتبة أخلاقية عالية جداً، مرتبة علمية، مرتبة أخلاقية، ومرتبة جمالية، له أذواق رفيعة جداً، وله علاقات أخلاقية عالية جداً، وله إدراك لحقائق الكون في أعلى مستوى.

قلت لكم سابقاً: عندما يكتب إنسان إلى جانب اسمه د. يعني معه ابتدائية، و إعدادية، وثانوية، ولسانس، ودبلوم عام، ودبلوم خاص، وماجستير، ودكتوراه، كل هذه الشهادات يرمز لها بحرف د..

إذا قلت المؤمن صدق ولا أبلغ أعلى من مليون دكتور، كلمة مؤمن مرتبة علمية، عرف الله، عرف سرّ وجوده، وغاية وجوده، وينضبط بمجموعة قيم أخلاقية، المؤمن لا يزني، لا يكذب، لا يحتال، لا يغدر، أبداً، مؤمن ويتمتع بأذواق جمالية عالية، وبمرتبة علمية عالية، وبقيم أخلاقية عالية.

فلذلك من السذاجة أن تظن أنك إذا كففت أذاك عن جارك فأنت أديت حقه لا والله الأصل أن تحتمل الأذى منه.

مرة النبي الكريم، علّم أصحابه شيئاً لطيفاً، إنسان شكا له جاره، قال له: قص لسانه، يفهم بسذاجة أن يأتي بمقص ليقص لسانه، قص لسانه بالإحسان إليه، جرب، جار سيء، قدم له هدية، تجده تلملم، ضبط لسانه، اعتذر منك، تدخل معه بالمهاترات وبالمحاكم، ويرفع صوته عليك، أنت أحسن له.

أبو حنيفة النعمان له جار مغنٍّ، أزعجه إزعاجاً لا حدود له، له أغنية مشهورة " أضاعوني وأي فتىً أضاعوا "، مرة افتقد أبو حنيفة صوت جاره المغني، فبحث عن السبب فإذا هو في السجن، فذهب بوجاهته، وعلمه، ومكانته إلى مدير السجن، وتشفع له، وأركبه على دابته خلفه وقال: يا فتى هل أضعناك ؟ تقول: أضاعوني وأي فتىً أضاعوا، هل أضعناك ؟ قال له: عهداً لله لا أعود إلى الغناء.

الحوار أساس حلّ المشاكل:

العصاة لم يتح لهم قلب كبير يستوعبهم، قلب كبير يأخذ بيدهم، تصور شاباً يقول للنبي: أتأذن لي بالزنا؟ غير معقول ! ـ إذا شخص وقف وقابل وزير الداخلية، قال له: اسمح لي أن أقتل إنساناً، هو مهمته منع القتل ـ الصحابة غضبوا، قال: دعوه، تعال يا عبد الله انظر إلى الحوار، يقول لك: الحوار حوار، تعال يا عبد الله، أتريده لأمك ؟ تصور أمه يُزنا بها، احمر وجهه، قال له: لا، قال: ولا الناس يريدونه لأمهاتهم، تريده لأختك ؟ قال له: لا، لعمتك ؟ لخالتك ؟ يقول هذا الشاب: دخلت على رسول الله وليس شيء أحب إليّ من الزنا وخرجت من عنده، وليس شيء أبغض إليّ من الزنا.

هكذا حاور، ابنك ارتكب مخالفة لا تقمعه، لا تضربه، حاوره، بين له، يا بني ارتكبت خطأ كبيراً، النبي قال:

((علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف))

[أخرجه الحارث عن أبي هريرة]

لذلك إذاً من بديهيات الإحسان إلى الجار لا أن تكف الأذى عنه، بل أن تحتمل الأذى منه.

الكلمة الطيبة والهدية والتعاون والتنازل أحياناً أساس المحبة بين الناس:

أيها الأخوة، ورد بالأثر نص لطيف جداً:

" أتدرون ما حق الجار ؟ إن استعان بك أعنته، وإن استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه،

وإذا اشتريت فاكهة فأهدِ له منها، فإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ ولده، ولا تؤذيه بقتار قدرك، إلا أن تغرف له منه ".

كنت أسمع عن السلف الصالح في هذه المدينة الطيبة إذا لمح الجيران أن جارهم معه ضيف، كل بيت يقدم له طبقاً من الطعام، الضيف يُدهش، يجد عشرين أو ثلاثين طبقاً من الطعام ! جارنا معه ضيف.

والله أنا في بدايات حياتي مألوف أنه دائماً هناك تبادل طعام بيننا وبين الجيران، هناك ود، والله أنا أقول لك: يمكن أن يرجع الأمر كما كان، إذا أكرمت جارك أكرمك جارك، فصار بينكما ثقة متبادلة.

مرة حدثني أخ قال: إنسان مسافر، وابنه الصغير دهسته سيارة، ماذا فعل الجار ؟ يومان من مستوصف لمستوصف، من مستشفى لمستشفى، أول طبيب، ثاني طبيب، صورة شعاعية، رجع الأب بعد يومين جميع الإجراءات في أعلى مستوى قد فعلها الجار وكأنه ابنه، والله شيء جميل !.

تشعر أنك جالس بين أحباب، الكلمة الطيبة، والهدية، والتعاون، والتنازل أحياناً، نحن كلنا لنا جيران، لا يوجد إنسان إلا وعنده جيران، الدرس مهم جداً.

لذلك، الآن يعطي ابنه خمسمئة ليرة بالحضانة، أنا لا أتكلم من فراغ، ابنه بالحضانة خمسمئة ليرة ؟ معه أكلات طيبة القطعة ثمنها مئة وخمسون ليرة، رفاقه الصغار ليس معهم مثل هذه القطع، ولا هذا المبلغ، هذا عمل فيه إساءة بالغة، أنا أتمنى أن الذي له ابن بالحضانة أن يعطيه أشياء مألوفة، شطيرة، تفاحة، أشياء مألوفة عند الجميع، إذا وجد شيء غال جداً يطعمه في بيته، و إلا سوء أدب.

ربط إكرام الضيف بالإيمان:

الآن النبي عليه الصلاة والسلام يربط إكرام الجار بالإيمان:

((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره))

[أخرجه الطبراني عن أبي أيوب]

وقالوا كما قلت قبل قليل: الجيران ثلاثة، جار له حق عليك، وقد يكون مشركاً، وقد يكون غير مسلم، وللمبالغة وقد يكون مجوسياً، هو جارك له حق عليك، وجار له حقان وهو المسلم ؛ حق الجوار، وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق، حق الجار، حق الإسلام، وحق القرابة.

أيها الأخوة، يروي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، يقول مجاهد: كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة، فقال: يا غلام إذا سلخت الشاة فابدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مراراً، لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((ما زال جبريل يُوصيني بالجار، حتى ظننتُ أنه سيُوَرِّثُه))

[البخاري عن عبد الله بن عمر].

ومرة النبي الكريم وقف لجنازة، فقال له بعضهم: إنه يهودي، قال: أليس إنساناً ؟.

الإسلام إنساني:

الإسلام إنساني يا أخوان، العالم الغربي يقدم خدمات لشعبه تفوق حدّ الخيال، ويتفنن في إبادة الشعوب الأخرى، عنصري، أعظم شيء بالمبادئ أن تكون إنسانياً، تجد الحاكم بالغرب يقدم لشعبه خدمات تفوق حدّ الخيال، أما الشعوب الأخرى يميتها من الجوع يبيدها وهو عند شعبه بأعلى درجة، هذا مجتمع عنصري، وما دام المجتمع عنصرياً فالعنف لا يقف.

أتمنى أن أوضح قضية، إنسان دخل لبستان أنصاري، وأكل منه من دون إذن صاحب البستان، صاحب البستان عدّه سارقاً، فقيده، وساقه إلى النبي الكريم على أنه سارق، اسمع هذا التوجيه الذي يحتاجه العالم اليوم، تحتاجه الدول العظمى، قال له النبي الكريم: " هلا علمته إن كان جاهلاً، وهلا أطعمته إن كان جائعاً "، قبل أن تقول سارق بحثت عن السبب لعله جائع، لعله لا يعلم أن هذا حرام، هلا علمته إن كان جاهلاً ؟ وهلا أطعمته إن كان جائعاً ؟ كأن النبي الكريم علمنا كيف تعالج المشكلات من بداياتها، لا من نهاياتها.

الشيء الذي يقال ليلاً نهاراً مكافحة الإرهاب، هل عقد مؤتمر في العالم درسوا أسباب الإرهاب ؟.

مثلاً مواطن في فلسطين، قتلوا أباه، وقتلوا أمه، وقتلوا أخوته، وهدموا بيته، وجرفوا بستانه، وردموا بئره، ماذا يفعل ؟ لا يمكن إلا أن ينتقم، أنت جعلته إرهابياً بقسوتك، بظلمك، بجورك.

الظلم أساس الإرهاب في العالم اليوم:

أنا تمنيت أن يعقد في العالم مؤتمر يبحث فيه ما سبب الإرهاب ؟ الظلم، النبي الكريم يقول:

((تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً حتى يأتي أخي عيسى فيملؤها قسطاً وعدلاً))

[ابن ماجه عن عبد الله بلفظ قريب منه]

طبق هذه القاعدة في حياتك اليومية، أعطِ الأولاد بالتساوي الكل يحبونك.

مرة كنت ببلد بإفريقيا جاءني اتصال من أخت كريمة، قالت: نحن تسع أخوات، ولنا أخ ذكر واحد، وأبونا يملك ملايين مملينة، كل ثروته أعطاها لابنه، وحرم التسع بنات.بالمناسبة:

((إن الرجل ليعبد الله ستين عاماً، ثم يضر في الوصية فتجب له النار))

[ورد في الأثر]

من يخطر في باله أن إنساناً أضر في الوصية، حرم البنات، فقد صلاته، وصومه، وحجه، وزكاته، وعبادته كلها واستحق النار ؟ هذا الدين، هناك جهل كبير جداً في الدين.

من الإحسان إلى الجار أن تبذل له ما يطلب:

قال العلماء: " من الإحسان إلى الجار أن تبذل له ما يطلب، من نحو النار، والماء، والملح، وأن تعيره بعض الأواني، وحاجات المنزل، كالقدر، والصفحة، والسكين، والقدوم، والغربال "، وحمل المفسرون قوله تعالى:

(وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ)

(سورة الماعون)

أن يمنعوا هذه الحاجات عن جيرانهم.

أخواننا الكرام، هذه البلدة طيبة إن شاء الله، فيها أعمال جليلة للسلف الصالح.

حدثني أخ عن بيت في أحد أحياء دمشق القديمة ـ بالعمارة ـ هناك شجرة ليمون حجمها غير طبيعي، تحمل خمسمئة ليمونة، أي إنسان طرق باب هذا البيت أعطونا ليمونة، صاحبة البيت إنسانة وقورة، صالحة، مؤمنة، تعطيه ليمونة، هذه الليمونة لكل أهل الحي خمسمئة ليمونة، بعد سنوات مديدة توفيت صاحبة البيت، عندها زوجة ابنها، دق الباب بالله عليكم أعطونا ليمونة، قالت له: لا يوجد عندنا، ثاني يوم، لا يوجد عندنا، خلال شهر الكل عرفوا أنه لا يوجد أي مجال لأخذ الليمون، فالليمونة يبست، وماتت.

والله حدثني أخ قال لي: بخان الشيخ يوجد سبع عشرة مزرعة، هناك مزرعة واحدة تسمح للرعاة أن يدخلوا غنمهم ليشربوا، صاحب المزرعة ما اكتفى أنه سمح لهم، عمل ساقية وملأها ماء، يأتي الرعي ومعه الغنم، الساقية فيها ماء، هذا شيء مريح، أقسم بالله العظيم سبع عشرة مزرعة جفت مياهها، إلا هذه المزرعة مياهها لم تقل إطلاقاً.

اعمل مع الله وانظر ما يحصل معك، تحسن لجارك الله يحسن لك، تكرم من حولك الله يكرمك، تساعد الله يساعدك.

((كن لي كما أريد أكن لك كما تريد، كن لي كما أريد ولا تعلمني بما يصلحك))

[ورد في الأثر]

المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأعراضهم:

قال: من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله فليس ذلك بالجار المؤمن، فالمؤمن من أمنه الناس على أموالهم، وأعراضهم، أحياناً يكون هناك مودة بالغة، رقي إيماني عالي جداً، أخلاق عالية جداً، تشعر جارك كأنه أخوك، عندك طمأنينة له تفوق حدّ الخيال.

قال: كان لعبد الله بن المبارك، وهو من كبار العارفين جار يهودي، أراد هذا الجار أن يبيع بيته، فقيل له: بكم تبيع البيت ؟ قال: بألفين، قيل له: دارك لا تساوي إلا ألفاً واحداً، لِمَ طلبت الألفين ؟ قال: صدقتم، قال: ألفاً للدار، وألفاً لجوار عبد الله بن المبارك، عبد الله بن المبارك أعطاه الألف وأبقاه جاراً له.

هكذا كان الود، هذا اليهودي رأى إحسانه، أنا أقول لكم كلمة قال تعالى:

(رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا)

(سورة الممتحنة الآية: 5)

عندما المسلم يكذب، يحتال، يقصر بأداء، الطرف الآخر يكفر بهذا الدين أليس كذلك ؟ يقنع بكفره، عندما أنت تسيء للكافر تقنعه أنت أن كفره هو الصواب، شيء خطير إذا الإنسان أساء لغير المسلم غير المسلم لا يقول فلان أساء إلي، يقول: الإسلام سيء، لو لم يكن الدين سيئاً لما أساء إليّ هذا الإنسان، عد للمليار قبل أن تؤذي غير المسلم.

العدل و الإحسان:

أيها الأخوة، أول أبواب الإحسان إلى الجار أن تحتمل الأذى من جارك، أي إذا في إساءة، والجار سكت، أو حلم، كاد الحليم أن يكون نبياً، أو امتص هذا الخطأ، فالإنسان عندما يغلط يعلم أنه أخطأ، لكن عندما يجد الجار تحمل، وما تبرم يكبر عنده، من هنا يأتي الإحسان، الله عز وجل قال:

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)

(سورة النحل الآية: 90)

العدل قسري، أما الإحسان طوعي.

هناك نوع من أنواع الإحسان للجار أن تكف الآخرين عن جارك، أحياناً جار قوي له جار ضعيف، و هناك جار لئيم لهذا الجار الضعيف يعتدي عليه، هذا الجار القوي يستطيع أن يكف أذى الآخر عن الجار الضعيف، هذا من أرقى أنواع الإحسان للجار.

ثقافة العفو:

هناك ثقافة اسمها ثقافة العفو، الإنسان لا ينسى، أي الإنسان إذا أخطأ لا يُنسى خطأه، ما دامت أخطاء هذا الإنسان المذنب يُذكر بها دائماً ييأس من إصلاح نفسه، هناك مجتمعات إيمانية في أعلى مستوى، الإنسان يعطى فرصة أن يخطئ ويتوب، إذا إنسان تاب يجب أن تعاملهُ كتائب، يجب أن تعامله على أنه لا ذنب له، لقول النبي الكريم:

((التَّائِبُ مِنْ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ))

[أخرجه ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود]

ما لم نعتمد هذه الثقافة، أن تعطي إنساناً فرصة ليصحح فلن يتوب أبداً.

حدثني أخ كان بأمريكا قال: يوجد لكل مواطن صفيحة اجتماعية، كل أخطائه بدءاً من مخالفات السير في هذه الصحيفة، ما دفع ما عليه في هذه الصحيفة، الآن قبل أن يسافر يطالب بالصحيفة، قبل أن يعين يطالب بالصحيفة، أي حركة يتحركها يطالب بالصحيفة، يقول لي هذا الأخ الكريم: أي مخالفة بهذه الصحيفة إذا مضى عليها سنتان ولم يرتكب مثلها تمسح آلياً.

على الإنسان أن يعطي الآخرين فرصة إذا أخطؤوا ليتوبوا:

أعطِ للإنسان فرصة إذا أخطأ ليتوب، أنت مع أولادك أعطِه فرصة، إذا تاب يجب أن تنسى خطأه نهائياً، لا تذكره أبداً بأخطائه، هذه الثقافة عندنا غير موجودة، كلما لمحت فلاناً وتعرف أنه خطأ تتذكر خطأه، أو تذكره بخطئه، يكون قد تاب، وتغير، وارتقى، أنا أرى أن هذا خطأ فاحشاً في المجتمع، أنه لا نعفو، يجب أن تعفو عمن ظلمك، الحديث:

((أمَرَنِي رَبِّي بِتِسْعٍ: خَشْيَةِ الله في السِّرِّ والعلانية، وكلمة العدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وأن أصِلَ مَنْ قطعَنِي، وأعطي مَنْ حَرَمَنِي، وأعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي، وأن يكون صَمْتي فِكْرا، ونُطقِي ذِكْرا، ونظري عبرة))

[أخرجه زيادات رزين عن أبي هريرة]

تصور المسلمين على وشك أن يفتحوا مكة، و إذ بكتاب يذهب من أحد الصحابة، تحمله امرأة خبأته في شعرها، يخبر قريشاً أن محمداً سيغزوكم فخذوا حذركم، هذا اسمه في الحياة المدنية خيانة عظمى، بجميع الدول، بجميع الأنظمة، بجميع الثقافات، خيانة عظمى يستحق صاحبها الإعدام، رجل من أصحاب رسول الله، اسمه حاطب بن بلتعة أرسل هذا الكتاب، جاءه وحي النبي صلى الله عليه وسلم، القضية خطيرة جداً، سيدنا النبي أرسل سيدنا علي مع صحابي آخر يتعقبون هذه المرأة التي معها الكتاب، فلما أدركوها أنكرت، فلما هددوها أخرجته من عقاصة شعرها، فتحوا الكتاب من حاطب بن بلتعة إلى قريش: إن محمداً سيغزوكم خذوا حذركم.

جيء بالكتاب إلى رسول الله، استدعى النبي الكريم حاطب، أول ما دخل على النبي قال سيدنا عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، أنا سمعت جواب النبي فبكيت، قال له: لا يا عمر، إنه شهد بدراً، تعال يا حاطب، لِمَ فعلت هذا ؟ قال له: والله يا رسول الله ما كفرت ولا ارتددت، وأنا موقن أنك المنتصر، ولكن أنا لصيق في قريش، لي أهل ومال، أردت بهذا الكتاب أن أحمي أولادي ومالي، فاغفر لي ذلك يا رسول الله، القتل نصيبه، فقال عليه الصلاة والسلام: صدقته فصدقوه، ولا تقولوا فيه إلا

خيراً، وكلفه بأعمال متعلقة بعلاقات مع البلاد الأخرى، أي كلفه بعمل ليلقي في روعه أنني واثق منك.
العفو ثقافة، عندك موظفون، عندك أولاد، أخطأ أقنعه أنك يمكن أن تتوب يا بني، وإذا تبت لا شيء عليك، تعامله كتائب، تعامله كمن لا ذنب له، فأحياناً الجار يخطئ، كلما صار مناسبة نذكره بخطئه، نحكي عليه، فانعدم أمل، عود نفسك كأب، كمعلم، كمدير مؤسسة، كصاحب متجر، كصاحب معمل، كموظف، عود نفسك إذا شخص حولك أخطأ القضية انطوت وانتهى الأمر.
فلذلك عندما يسيء الجار وأنت تعفو عنه، هذا شيء يؤكد أن الإنسان خطاء.

((بَني آدمَ خطّاءٌ وخيرُ الخَطّائينَ التَّوابونَ))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

العفو شيء ثمين لا يقدر بثمن:

أخوانا الكرام، هناك إنسان عنده اختصاص عال جداً بتحويل الأصدقاء إلى أعداء بالحمق، وإنسان آخر عنده اختصاص عال جداً بتحويل الأعداء إلى أصدقاء.
إنسان تفنن بإيذاء الصحابة، وقتلهم، وقع أسيراً، جاؤوا به إلى النبي، وربطوه بسوار المسجد، مرّ به النبي الكريم و هو مقيد، فقال له هذا الرجل: يا محمد، إن شئت مالاً أعطيتك ما تريد، وإن شئت أن تعفو فجزاك الله خيراً، عرض عليه، فالنتيجة: النبي عفا عنه، وخرج، واغتسل، وعاد وأسلم.
أنت لا تنسى العفو شيء لا يقدر بثمن، النبي الكريم لأهل مكة كان بإمكانه أن يلغي وجودهم، حاربوه عشرين سنة، تفننوا بقتل أصحابه، فلما انتصر عليهم قال: " اذهبوا فأنتم الطلقاء ".
أنت لك جار أخطأ، رغم خطئه جاء العيد زره، عرفه من هو المؤمن، المؤمن إنسان كبير.

المؤمن كوكب دريّ يأخذ بيد كل من يحتاجه:

المخلص الآن: عندما يراك ابنك تحسن إلى الجار، يراك تتصل به، يراك تزوره، يراك تعطيه ما يحتاج، يراك تلبي حاجته، تكون قد علمته حق الجار.
مرة سمعت عن إنسان أدمن شرب الخمر، فافتقر، فطلب من جاره مساعدة، فقدم له ليرة ذهب، الحب تنامى عند هذا الجار شارب الخمر حتى حمله حبه لجاره المؤمن على أن يتوب، فمرة طرق باب الجار، فقالت له امرأته: إنه يصلي، ويقرأ القرآن بعد الصلاة، دُهش، فالمؤمن إذا أحسن لغير المؤمن فهذا شيء جيد، لأن المذنب يميل له، وإذا مال له صار هناك أمل كبير في أن يتوب، المؤمن كوكب

دري.

ورد في بعض الآثار:

((أولياء الله الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى))

[البزار عن ابن عباس]

أنت ببناية، جار مؤمن، أنت كوكب دري، كلك لطف، كلك إيناس، كلك أدب، كلك محبة، فيقلدك الجيران، صار لك مكانة كبيرة، صار لك هيبة، يمكن بعد حين أن تعمل سهرة مشتركة وتتحدث فيها عن الله عز وجل.

بطولتكم يا أخوان أن تأخذوا بيد جيرانك، والدرس اليوم عن الجار، الدرس الماضي عن الرحم، إن لم تأخذ بيد أرحامك، نحن نتوهم الدعاة خطباء فقط، هؤلاء دارسون أو متعلمون يلقون خطبة رائعة، أنت داعية، أنت من دون لسان بإحسانك داعية كبير، لك جار مسافر افتقر أهله بغيابه، أمنت لهم كل حاجاتهم، فعندما يرجع، يحكون له عما فعلت معهم، فيذوب محبة لك.

فكر بعمل صالح كل يوم، أقرب الناس لك جيرانك، و هناك جار فقير، و جار ضعيف، و جار عنده أولاد فأنت ممكن أنت تقدم له هدايا بمناسبة العيد مثلاً، تقدم شيئاً، استجلب قلب الناس بعملك الصالح، الجار أقرب الناس إليك.

أنا ذكرت في البداية أن الضمان الاجتماعي في الإسلام إما على أساس الجوار، أو على أساس القرابة، أكبر ضمانين اجتماعيين في حياة المسلمين جيرانه و أقرباؤه.

هل يوجد إنسان ليس له قريب ؟ هل يوجد إنسان ليس له جار ؟ طبعاً القوي للضعيف، الغني للفقير، المتمكن له مكانة بالبلد وآخر غير متمكن، وهكذا.

والحمد لله رب العالمين

التربية الإسلامية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (36-36) : التربية الاجتماعية -17- خلق الإيثار

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 16-05-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

الإيثار و الأثرة:

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس السادس والثلاثين من دروس تربية الأولاد في الإسلام، ومع التربية الاجتماعية، ومع موضوع جديد من التربية الاجتماعية ألا وهو: خُلق الإيثار.

بالمناسبة الصفة البارزة في المؤمن أنه يؤثر أخاه المؤمن في كل شيء، والصفة البارزة في غير المؤمن أنه يعتمد الأثرة، الأثرة يقابلها اشتقاق غير صحيح الأنانية، أية كلمة في اللغة العربية إذا أضيفت لها ياء النسبة، أو التاء المربوطة أصبحت مصدراً، وطن الوطنية، قوم القومية، أية كلمة أضف إليها ياء النسبة مع التاء المربوطة تنقلب إلى مصدر هذا ينطبق على الكلمات، ولا ينطبق على الأدوات، أنا أداة، ليس وارد في اللغة أن تقول: أنانية، ينبغي أن تقول: أثرة، وليس وارد في اللغة أن تقول: غيرية، تقول: مؤاثرة، فنحن بين مصطلحين المؤاثرة، والأثرة، حينما تأخذ الشيء الجيد لك فأنت في الأثرة، و حينما تقدمه لأخيك أنت في المؤاثرة.

إذاً هذا الخلق لو ربيت أولادك عليه لرأيت العجب العجاب، يتنافسون كيف يقدم الواحد منهم للآخر الشيء الطيب، اللقمة الطيبة، الفاكهة الكبيرة، فإذا ربيتهم على الأثرة يتقاتلون، ليأخذ الواحد السرير الذي إلى جانب النافذة، والفاكهة الكبيرة له، والطعام الطيب له، فهذا البيت إما أن يسوده الأثرة، شيء لا يحتمل، وإما أن يسوده المؤاثرة، من أبرز الخُلق الذي ينبغي أن يكون سائداً في البيت المؤاثرة.

كل بيت سادت فيه المؤاثرة هو قطعة من الجنة:

أيها الأخوة، بشكل أو بآخر، الآية الأصل في هذا الموضوع هي قوله تعالى:

(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)

(سورة الحشر الآية: 9)

والله أخ كريم له مكانة عندي عنده بيت، أخوه أكبر منه، بحاجة ماسة إلى الزواج قدمه له، هذه المؤاثرة، حينما يسود في البيت جو المؤاثرة البيت جنة، وحينما يسود في البيت جو الأثرة البيت جهنم.

وأن تضع اللقمة في فم زوجتك هي لك صدقة، وقد تراها يوم القيامة كجبل أحد، بقي قطعة لحم قدمتها لزوجتك هذه مؤاثرة، أكلتها ولم تعبأ بمشاعرها هذه أثرة، ابتداء من قطعة اللحم إلى الغرفة الجيدة، دائما الخلاف والصراع بين الأولاد على الغرف، يوجد غرفة كبيرة، أو غرفة مطلة على مكان جميل، أو غرفة الشمس فيها أكثر، أحد الأولاد يريدها لنفسه، فالبيت الذي تسوده المؤاثرة، الواحد يقدم أجمل شيء لأخيه، والثاني أيضاً يقدم أجمل شيء لأخيه، صار جنة.

أيها الأخوة، ولا أبالغ أحد أسباب أن يكون البيت جنة خُلق المؤاثرة، وأحد أسباب أن يكون البيت جحيماً خُلق الأثرة، أي بالتعبير الغير صحيح الأنانية والغيرية.

الأخوة في الله ثمينة جداً علينا الحرص عليها:

أيها الأخوة، لو تتبعت تاريخ الصحابة الكرام لوجدت أن كل أصحاب رسول الله يتمتعون بهذه الصفات، مجتمع المؤمنين مجتمع رائع جداً، أقسم لكم بالله ليس على وجه الأرض جهة تسعدك كأخيك المؤمن، يؤثرك على كل شيء، يقدم لك أجمل ما عنده، متواضع، وفيّ، صادق، أمين، ناصح. لذلك إن كان لك أخ في الله احرص عليه، ولأن تكسب أخاً في الله خير لك من أن تكسب الدنيا وما فيها، الأخوة في الله ثمينة جداً، موضوع الأخوة في الله موضوع كبير جداً.

قوتنا في المؤاثرة لا في الأثرة:

أنا أقول لكم: الحقيقة المرة كما تعلمون هي عندي أفضل ألف مرة من الوهم المريح، عندنا كل شيء، مساجد لم يحلم بها أصحاب رسول الله، تكييف، تدفئة، سجاد، شيء أنيق، جامع لطيف، واسع، مريح، هذا لم يكن على عهد رسول الله، كانت الأرض بحصاً وليست سجاداً، السقف سعف النخيل.

مساجد، مدارس، معاهد، مكتبات، مجلدات، كتب، مؤتمرات إسلامية، شعارات إسلامية، المظاهر الإسلامية الآن صارخة، لكن لا يوجد حب، خصومات، تراشق تهم، وتنتهي بالدماء، الدماء تسيل بين المسلمين، حرب بين دولتين إسلاميتين دامت ثماني سنوات، أحرقت الأخضر واليابس.

وللتاريخ أقول لكم هذه اللقطة: بمؤتمر الدول الصناعية العشر ظهرت منافسة بل وملاسنة بين ريغن رئيس أمريكا، وبين تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا، بماذا هددها ؟ هددها بإيقاف الحرب بين العراق وإيران، دامت ثماني سنوات، لكن الحرب مع اليهود ست ساعات فقط.

يجب أن نعلم أن قوتنا في وحدتنا، قوتنا في المؤاثرة لا في الأثرة، لو طُبق هذا الخلق في العالم الإسلامي، أو طُبق في البيت لصار البيت جنة، المؤاثرة، وطن نفسك المكان الذي على النافذة لأخيك، والسرير القريب من النافذة لأخيك هو أيضاً مذوق، هو يقسم بالله أن هذا محلك.

مثلاً: بيت فيه تنافس على المؤاثرة، و بيت آخر فيه تنافس في الأثرة، الأول جنة، والثاني جحيم، الآية الأصل:

(وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)

(وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

(سورة الحشر)

انتشار خلق المؤاثرة بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم:

الشيء المشهور، المعروف، المألوف، أن أصحاب رسول الله حينما هاجروا الأنصاري كان يقول لأخيه المهاجر: عندي بيتان اختر أحدهما، عندي حانوتان اختر أحدهما، عندي بستانان اختر أحدهما، شيء رائع، هل تصدقون أنه لم تسجل كتب السيرة أن مهاجراً أخذ شيئاً، الموقف الرائع كان يقول أحدهم لأخيه: بارك الله بك، ولكن دلني على السوق.

الآن إذا كان هناك شيء خاص للفقراء والله لا أبالغ يأتي الأغنياء ليأخذوه، أحياناً بمستشفى، أسعارها مخفضة جداً للفقراء، يأتي الأغنياء ليستفيدوا من هذا التخفيض، مشكلة كبيرة جداً، لو تتبعت سير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجدت خُلق المؤاثرة سائد بينهم.

المؤاثرة خير كلها ولا مؤاثرة في الخير:

لكن هناك نقطة دقيقة جداً، جداً، جداً، صدق و خطيرة جداً، جداً، جداً ملخصها لا مؤاثرة بالخير، أي أنا لن أخدم أمي كي أفسح المجال لأخي لينال هذا العمل الطيب، هذا في الإسلام مرفوض، المؤاثرة خير كلها، ولكن لا مؤاثرة في الخير، أن تؤثر ألا تفعل هذا العمل الصالح كي تتيح لأخيك أن يفعله مستحيل، لا مؤاثرة في الخير، والمؤاثرة خير كلها.

إذاً: المؤاثرة خير كلها ولا مؤاثرة في الخير.

أنا لن أصلي قيام الليل لئلا أشعر من حولي أنهم مقصرون، لا، هذا ليس وارداً إطلاقاً، هناك من يتصور ذلك، لن أقدم هذه الهدية لأمي كي أتيح لأخي أن يقدمها هو، لا مؤاثرة في الخير، والخير كله

في المؤاثرة، لو سمحنا للمؤاثرة في الخير أن تكون لتوقف العمل الصالح، كل واحد لا يفعل هذا الشيء من أجل أخيه، والثاني لا يفعله من أجل الثالث، وفي النهاية لا أحد يفعل هذا الشيء.

أحياناً يكون هناك طلب من مجموعة لشيء، كل واحد يتوهم أن الثاني سيأتي به، عملياً لا أحد يفعل هذا الشيء، فهناك خطر كبير أن نتصور أن المؤاثرة في الخير مقبولة، لا مؤاثرة في الخير، والخير كله في المؤاثرة.

المؤاثرة تبعث المحبة و الأثرة تبعث البغض:

بشكل أو بآخر إن آثرت أخاك فإن أخاك سيؤاثرك، ويصبح التنافس في المؤاثرة لا في الأثرة، شيء جميل جداً أن يكون التنافس في المؤاثرة وليس في الأثرة، عود أولادك عندما يكون في الطعام أشياء طيبة، أو قطعة فاكهة كبيرة، أو تفاحة صفراء اللون، ولها خد أحمر، فكل طفل يتمنى أن يأخذ هذه له، الفرق ليس بالغرامات، الفرق فرق منظر فقط، لكن عود نفسك أن ابنك الصغير يقدم الكبيرة لأخيه، أو لأبيه، أو لأمه، هذا الخلق إذا ساد في البيت طبعاً يحتاج أن يرى الابن أن أباه يؤثر أمه، وأن أمه تؤثر أباه، وهذا شيء يومي و يمكن ساعي، يمكن كل ثلاثين دقيقة، كل عشرين دقيقة في شيئين أحدهما أكبر من الثاني، في مكانين مكان أفضل من الثاني، بالسيارة يوجد مقعدان مقعد أفضل من الثاني، فأنت إذا ربيت أولادك على المؤاثرة صار البيت جنة، وإذا نشؤوا على الأثرة تجد خصومات، ومشادات، وشتائم من أجل شيء لا يقدم ولا يؤخر.

لو فرضنا على الطعام يوجد بيض مسلوق الأكبر كم غرام تزيد عن الأصغر ؟ والله خمس غرامات أو أقل، خمسة فقط، أقل من لقمة، فعندما أخذ الكبيرة تسبب بمشكلة، أعطى أخاه الصغيرة حصلت مشكلة، اعكسها أنت، عود ابنك أن يعطي أخاه الكبيرة، فالثاني بعد دقيقتين سيعطيه الأكبر، بكل شيء، أنا أقول لكم: حتى يكون البيت جنة عود أولادك المؤاثرة.

بعضهم قال: حيثما وجدت المؤاثرة وجدت المحبة، وحيثما وجدت الأثرة وجد البغض، ولو لأشياء تافهة جداً، و أشياء قليلة جداً.

من ربى أولاده على المؤاثرة ربح الدنيا و الآخرة:

أيها الأخوة، مرة ثانية: الآية الأصل في هذا الموضوع:

(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)

هذه صفات المؤمنين.

أحياناً يموت الأب الأولاد من بعده في المحاكم، هناك بيت أكبر من بيت، الأخ الأكبر خصّه لنفسه، أخوته لا يحتملون، يتنافسون، يتشاتمون، في النهاية بالمحاكم.

والله أنا أحياناً عندما يموت الأب أحياناً أتتبع أخبار العائلة، أو الأسرة، يؤلمني أشد الألم أن تكون خصوماتهم قد أوصلتهم إلى المحاكم، من أب واحد ! من أم واحدة ! وهناك والله أسر يموت الأب و مع ذلك تبقى هذه الأسرة تنعم بالحب والمودة كما كانت قبل موته، معنى ذلك أن الأب الذي ربى أولاده على المؤاثرة إذا توفاه الله أسرته ستستمر كما هي.

أحد الأخوة أخبرني أن أباه قد توفي، وله دعوة إلى الله ـ درس في بيته ـ خلال عشرين عاماً ما تخلف أحد عن هذا الدرس، ومضى على وفاته عشرون عاماً ثانية والدرس مستمر صباح الأربعاء في البيت، والله شيء جميل !.

أعرف صديقاً بيته إسلامي مئة بالمئة، زوجته، وأولاده، وبناته، توفي بحادث، مضى على وفاته مدة تقدر بثلاثين سنة، و مع ذلك بقي البيت كما تركه، بود ومحبة، والله شيء جميل الإنسان يغادر الدنيا وأسرته تبقى متماسكة، متعاونة، متحابة، أساسها العدل، إياك أن تظلم.

من ضرّ في الوصية وجبت له النار:

((قال النُّعْمَان بْن بَشِير: انْطَلَقَ بِي أَبِي يَحْمِلُنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْهَدْ أَنِّي قَدْ نَحَلْتُ (نحلت أي أعطيت بلا مقابل) النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا مِنْ مَالِي فَقَالَ أَكُلَّ بَنِيكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ النُّعْمَانَ قَالَ لَا قَالَ فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي فإني لا أشهد على جور))

[متفق عليه عن النعمان بن بشير]

من أين يبدأ الأمر ؟ الأمر يبدأ من البيت، حينما يظلم، ينشر خلق العداوة والبغضاء بين أولاده، أي الأب ظلم وأعطى أحد أولاده كل شيء، وصار في عداوات، أولاده استعانوا بجهات أخرى كي ينتقموا من أخيهم، الأخ انتحر، شنق نفسه في البيت، وهذه الحادثة قبل ستة أشهر، من الذي أعان على أن يشنق ابنه ؟ الأب الذي ظلم.

أقسم لي بالله شاب توفي والده و ترك ألف مليون، أحد أولاده يعمل على سيارة شحن صغيرة، لا يملك من الدنيا شيئاً، وولده الثاني باسمه يوجد ثمانمئة مليون، و لكن الثاني مؤمن فماذا فعل ؟ أعاد ما كُتب باسمه إلى إخوته، وزع الإرث وفق قواعد الشرع، هذا بطل.

((إن الرجل ليعبد الله ستين عاماً، ثم يضر في الوصية فتجب له النار))

[ورد في الأثر]

كلام سيد الأنبياء والمرسلين.

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى)

(سورة النجم)

((إن الرجل ليعبد الله ستين عاماً، ثم يضر في الوصية فتجب له النار))

[ورد في الأثر]

العدل بين الأولاد يبعدهم عن العداوة و البغضاء:

الآن دخلنا بموضوع ثالث، ما الذي يسبب العداوة والبغضاء بين الأولاد ؟ الأب الغير العادل، والأم الغير العادلة، ما الذي يسبب العداوة والبغضاء بين البنات ؟ الأم التي تؤثر بنتاً لأن زوجها غني، وتهمل بنتاً لأن زوجها فقير، تنشأ مشكلات، وأحقاد، وحساسيات، والله أتمنى على الأخوة الكرام أن تعامل الأم بناتها بعدل شبه مطلق، البنات مختلفات في أزواجهن، هناك زوج غني وهناك زوج فقير، البنت التي كان من نصيبها زوج فقير ما ذنبها ؟ هذه ابنتك، الاحترام، والمحبة، والاهتمام، والزيارات، فإذا جاءت هذه البنت يرحب بها.

والله مرة سمعت قصة عن زوج له زوجة قديمة، وزوجة جديدة، فابنته من زوجته القديمة زارته في أيام العيد في المصيف، وعنده زوجته الجديدة وبناتها، فبشكل غير معقول، وغير مقبول أعطى أولادها عيديات قليلة جداً، قال لهم: يكفي انصرفوا، أب يطرد ابنته وأولادها من بيته صبيحة العيد، كي يرضي زوجته الجديدة، لماذا يكره النساء التعدد ؟ لأنهم لم يروا تعدداً إسلامياً عادلاً، رأوا تعدداً ظالماً، عندك بنات زوجتك الجديدة، في بيت فخم في المصيف، والزوجة القديمة لها بنات، إحدى بنات الأب ابنته، زارته في العيد، دعاها إلى أن تنصرف سريعاً، أعطاها مبلغاً زهيداً جداً، أعطى أولاد الزوجة الجديدة عشرة أضعاف، وطوال النهار عندهم، والطعام، والشواء، وما إلى ذلك.

تقسم بالله بقيت تبكي سنة، من ظلم أبيها لها، ما الذي يسبب العداوة بين الأولاد ؟ عدم العدل من الآباء، أنا أتمنى عليكم أن تبالغوا في العدل، ابتسامة بابتسامة، زيارة بزيارة، ترحيب بترحيب، إذا كانوا صغاراً أن تضم هذا وأن تضم هذا، أن تشم هذا وأن تشم هذا، أن تقبل هذا وأن تقبل هذا، كلما بالغت في العدل أحبك جميع أولادك، ونشؤوا على تفاهم.

العدل أساس الحب و المودة بين أفراد الأسرة و المجتمع:

دخلنا بموضوع حساس، كيف يسود في البيت المؤاثرة ؟ إذا كان الأب عادلاً، أما إذا ظلم. إنسان يعمل على سيارة يعيش بقوت يوميه يومياً، والثاني باسمه ثمانمئة مليون ؟، و لكن لأن الثاني

والله مؤمن كبير، توفي والده أرجع كل شيء باسمه إلى الورثة، ووزع هذا بالتساوي، لا تنسوا هذا الحديث الذي يقصم الظهر.

((إن الرجل ليعبد الله ستين عاماً، ثم يضر في الوصية فتجب له النار))

[ورد في الأثر]

مرة قال لي أخ: أنا حرمت هذا الابن لأنه عاق، قلت له: حرمانك له يزيده عقوقاً، لو أعطيته بالعدل لمال إليك، ربما أصبح باراً بك.

والله مجتمع المؤمنين والله في جنة، بسبب المؤاثرة، عود نفسك بكل حياتك المكان الجميل لأخيك، الفاكهة الكبيرة له، هو كذلك سيقابلك بالمثل تماماً، فتنتشر المحبة.

معاملات الإنسان تؤكد إيمانه لا صلاته و صيامه فقط:

أعلق تعليقاً: إياكم أن تتوهموا أن المؤمن يصلي فقط، الذي يؤكد إيمان المؤمن معاملاته، الشيء الصارخ بالمؤمن معاملاته، تواضعه، إيثاره.

سمعت مرة أن إنساناً تزوج زوجة ثانية، و لم يرد أن يزعج زوجته، فلم يخبرها، زوجته ذكية جداً فعلمت، لكن من رفعة أخلاقها، لم تحرجه بقيت ساكتة، توفي هذا الزوج، الزوجة القديمة أرسلت للزوجة الحديثة حصتها من الإرث، فردت الزوجة الجديدة هذه الحصة، و قالت لضرتها: والله من أربعة أيام طلقني قبل ما يموت، ليس لي عندكم شيء، واحدة تتفقد ضرتها بنصيبيها من الإرث، والثانية من ورعها واستقامتها تقول: والله أنا طلقني قبل أن يموت، ليس لي عندكم شيء.

هذا مجتمع المؤمنين، مجتمع الحب، مجتمع المؤاثرة، مجتمع الإنصاف، مجتمع الصدق، مجتمع العدل، والله الدنيا جميلة بأكواخ مع الصدق والرحمة، والله الدنيا جهنم مع الأبنية الشاهقة، والبيوت الرائعة لكن في حقد، تجد بيتاً صغيراً برأس الجبل فيه حب فهو كالجنة، وبيت ثمنه 180 مليوناً لكن ليس فيه حب فهو كالجحيم، فالعبرة بالجو الذي يسود البيت، لا بأثاث البيت، ولا أجهزة البيت.

صور مشرقة من إيثار الصحابة:

أخواننا الكرام، إليكم صور مشرقة من إيثار الصحابة، وهم قمم البشر، ذكر بعض العلماء أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أُهدي إلى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة، فقال: فلان أحوج إليه مني، فبعث به إليه، فبعثه هو أيضاً إلى آخر يراه أحوج منه، فلم يزل يُبعث به من واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول.

كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، وكانوا جائعين وقفوا عند خيمة، ما عند أهلها إلا الخبز، وبكمية قليلة، فارتأى أميرهم أن يقسم الرغيف إلى قطع صغيرة، وأن توضع بين أصحاب النبي ليأكلوا والوقت ليل، فأكلوا، وأكلوا، وأكلوا، وأكلوا، ثم أضاؤوا المصباح فإذا بالطعام كما هو، كل واحد يتصور أن أخاه أكثر جوعاً منه، فكان يتصنع الأكل فلا يأكل، فلما أضاؤوا المصباح الخبز كما هو.

الآن مئتا حاج بالمطار، لهم في الطائرة مئتا مقعد، ولن تقلع الطائرة إلا إذا كان جميع الحجاج في الطائرة، انظر إليهم على مصعد الطائرة، شيء غير معقول ؟ غير معقول إطلاقاً، لن تقلع الطائرة من دونك، ولك مقعد باسمك، لن تجلس إلا بالمقعد الذي لك والتزاحم لماذا ؟ والتنافس لماذا ؟ التنافس والتزاحم تخلف.

زينب الأسدية أم المؤمنين، كانت تلقب بأم المساكين لإيثارها ومواساتها، فقد روى ابن سعد في طبقاته أن برزة بنت باتع حدثت: أنه لما خرج العطاء أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصيبها منه، فلما دخل عليها حامل المال قالت: غفر الله لعمر غيري من أخواتي كان أحوج إلى هذا المال مني، فأرسلت هذا المال إلى غيرها، وغيرها إلى غيرها، شيء لا يصدق، و في النهاية عاد إليها.

كل أخ يفكر بأخيه.

مقارنة بين مجتمع الغرب و مجتمع الصحابة:

والله هناك قصة موجودة في كتاب الأدب، في الصف العاشر، أن باخرة غرقت، فيها مئتا مسافر كانوا على قارب نجاة كبير جداً، وهناك كمية ماء محدودة، قائد المركبة يعطي كل واحد ملعقة شاي ماء، لأن المسافة طويلة جداً، كم واحد وصل من هؤلاء إلى بر الأمان ؟ أربعة، ينام فيلقوه في البحر حتى يأخذ ملعقة الماء مكانه، هذا مجتمع الغرب، قصة مشهورة ومروية في كتب الأدب.

انقطعت الكهرباء لليلة واحدة في أمريكا، ارتكبت مئتا ألف سرقة، قيمتها تقدر بثلاثين مليار دولار، قال تعالى:

(وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)

أما أخطر شيء الله عز وجل يلهمنا الصواب، الجريح بحاجة إلى الماء كما هو بحاجة إلى الهواء، يقول القرطبي، ذكر العدوي قال: انطلقت يوم اليرموك، أطلب ابن عم لي، ومعي شيء من الماء، وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به، فقلت: أسقيك ؟ ـ الجريح يموت على الماء، يتمنى الماء ـ فقلت أسقيك ؟ فأشار برأسه أي نعم، فإذا برجل يقول: آخ، فأشار إليه ابن عمي أي انطلق إليه، اسق هذا، فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك ؟ فأشار أي نعم برأسه، فسمع آخر يقول: آخ، فأشار هشام أن انطلق

إليه، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات، ثلاثة على فراش الموت، ثلاثة على وشك الموت، هم إلى قطرة ماء أحوج منهم إلى أرواحهم، أول واحد أشار إلى الثاني، والثاني إلى الثالث، فالثالث مات، عاد إلى الثاني فوجده قد مات، عاد إلى الأول فوجده قد مات، هكذا كان مجتمع رسول الله.

من أعان الضعيف نصره الله على من هو أقوى منه:

أيها الأخوة، الإسلام ربى الصحابة تربية عالية جداً، صدق ولا أبالغ ما قيمة إيماننا إن لم يترجم إلى مؤاثرة ؟ متى يحبنا الله عز وجل ؟ قال:

((هل تُنصَرون وتُرزَقون إلا بضعفائكم))

[أخرجه البخاري والنسائي عن سعد بن أبي وقاص]

الآن هناك عدو قوي جداً، ومعك إنسان ضعيف جداً، هذا الضعيف بإمكانك أن تهمله، بإمكانك أن تهمشه، بإمكانك أن تنساه، بإمكانك أن تسحقه، ضعيف.

مريض فقير بمستشفى حكومي، إن لم يعتنوا به لا يوجد من يحاسبهم، يحتاج إلى تصوير لم يصوروه، يحتاج إلى تحليل لم يحللوا له، يحتاج إلى عناية لم ينتبهوا له، مات، لا أحد يتكلم كلمة، ضعيف ! هذا الضعيف بإمكانك أن تنساه، أن تهمله، أن تسحقه، لكنك اعتنيت به، أطعمته إن كان جائعاً.

وهناك قوي، قوي جداً، أنت ضعيف أمامه، و أمامك إنسان ضعيف، أنت أقوى منه، هذا الضعيف أطعمته إن كان جائعاً، كسوته إن كان عارياً، آويته إن كان مشرداً، علمته إن كان جاهلاً، أنصفته إن كان مظلوماً، أنت هنا أمام إنسان أضعف منك، وإنسان أقوى منك، ما دمت قد أعنت هذا الضعيف يكافؤك الله بأن ينصرك على من هو أقوى منك، هذا طريق النصر لنا، بالمجتمعات الإسلامية حينما نهتم بالفقراء، بالمرضى، بمن يحتاج إلى دراسة، ينصرنا الله.

الأمة بعلمائها:

والله التقيت قبل أسبوعين بإنسان محسن ما نوع إحسانه ؟ يتصل بالمدارس، من الأول ؟ الدكتوراه على حسابه، هذا عمل لا يقدر بثمن.

أحياناً يكون الأول فقير جداً، يُدفع إلى العمل بوقت مبكر، ليس معه شهادات، في بعض الدول المتقدمة أي طالب بالجامعة ينال علامات عالية الدولة تعطيه قرضاً بلا فائدة، حتى يكمل للدكتوراه، أنا اقترحت على جائزة القرآن الكريم في بلد إسلامي أن لا تقدموا للطالب مليوني ليرة، قدموا له منحة دكتوراه، دع

كل واحد حفظ كتاب الله أن يكون عالماً كبيراً، فهذا الإنسان كلما التقى بمدرسة من الأول عندك ؟ هذا يكمل ثانوية، ولسانس، ودبلوم، وماجستير، ودكتوراه على حساب هذا المحسن، والمصروف كامل مع الجامعات، والسفر.

فالأمة بعلمائها، فلذلك الموضوع دقيق جداً،

(وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)

((إذا كانَت أمراؤُكم خيارَكم، وأغنياؤُكم سُمحاءَكم، وأمورُكم شورَى بينكم فظَهْرُ الأرضِ خَير لكم من بطنِها، وإذا كانت أمراؤُكم شِرارَكم، وأغنياؤُكم بُخَلاءَكم وأمورُكَ إلى نسائكم، فبطنُ الأرض خير لكم من ظهرها))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

على كل إنسان أن يفكر بالآخر ليكون عند الله مقدساً:

أخواننا الكرام، فكر، أنت في الصباح:

((من أصبح وأكبر همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن أصبح وأكبر همه الدنيا، جعل الله فقره بين عينيه، وشتت عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له))

[رواه الترمذي و ابن ماجه عن أنس]

فعندما نفكر بالضعفاء ننتصر على الأقوياء، هذا الطريق للنصر، حينما تزيل الظلم، الفقر، المرض، مشروع صحي، مشروع سكني، مشروع لفرص العمل، المجتمع يقوى، ويتناسق، وينتصر، أنا واله، هذا الذي أراه، طريق النصر، والفوز بالمال:

((هل تُنصَرون وتُرزَقون إلا بضعفائكم))

[السيوطي عن سعد]

أي مؤاثرة، فكر بالآخر، حينما تفكر بالآخر تكون عند الله مقدساً، فكر بالآخر بالذي لا يأكل، بالذي لا يشرب، بمن لا يملك مأوى، وإياك أن تبذر.

(إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً)

والحمد لله رب العالمين

الفهرس